

درة التنزيل و
غرة التأويل
فى بيان الآيات
المتشابهات
فى كتاب الله العزيز


بسم الله الرحمن الرحیم

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز

كاتب:

الخطيب الاسكافى

نشرت فى الطباعة:

بيروت دار الرضا

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز

اشارة

سرشناسه : اسکافی خطیب عنوان و نام پدیدآور : دره التنزیل و غره التاویل فی بیان الایات المتشابهات فی کتاب الله العزیز/ الخطیب الاسکافی بروایه ابن ابی‌الفرج الاردستانی مشخصات نشر : بیروت

مشخصات ظاهری : ص ۵۴۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی

یادداشت : پشت جلد لاتینی‌شده Al -KHATIB AL-ISKAFI DURRAT AT-TANZIL Wa GHURRAT AT Taawil.

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس شماره کتابشناسی ملی : ۷۰۴۷۳

[المقدمة]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم قال إبراهيم بن على بن محمد المعروف: بابن أبى الفرج الأردستانى رحمه اللّه:

هذه المسائل بيان الآيات المتشابهة لفظا بأعلام نصبت عليها من المعنى، أملاها أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الخطيب رحمه اللّه تعالى فى القلعة الفخرية، إملاء لمّا خلا فيها، و لم يحضره غيرى ممن يسوغ له حمل ما يكتب فيه و يكتب به، فكتبت عن لفظه المسائل و الأجوبة، و سألته أن يصدرها بخطبة، فارتجلها كارتجاله سائر الكلام بعدها و اللّه أعان و يسر و له الحمد.

الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم (أما بعد): فاعلموا حملة الكتاب المتين الحكيم، و حفظة القرآن المبين الكريم وفقكم اللّه تعالى لحق علمه بعد حق تلاوته، و أذاقكم من لذة قراءته و برد شراب معرفته ما يشغف قلوبكم بحلاوته، أنى مذ خصنى اللّه بإكرامه و عنايته، و شرفنى بإقراء كلامه و درايته، تدعونى دواع قوية يبعثها نظر و رويّة فى الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة و المختلفة، و حروفها المتشابهة المنغلقة و المنحرفة، تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها، و تختص الكلمة بآيتها دون أشكالها، فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين و المتأخرين، و فتشت عن أسرارها معانى المتأولين المحققين المتبحرين، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف و لم يقرع بابها و لم يفترّ لهم عن نابها، و لم يسفر عن وجهها! ففتقت من أكمام المعانى ما أوقع فرقانا، و صار المبهم المتشابه و تكرار المتكرر تبيانا، و لطعن الجاحدين ردا، و لمسلك الملحدين سدا، و سميته: (درة التنزيل، و غرة التأويل) و ليس للّه بمنكر مستبدع أن يعثر خاطر عبد ربىء على كنز حكمة فى القرآن خبىء، أو يبلغه فى لطيف من لطائف كلامه حدا لا يبلغه أحدا و إن كان أوحدا، فإذا عرفتم ما نحونا إليه من سنن الآثار أمنتم عند القراءة مخوف العثار، ثم تطلعون بعده على علوم تبدو للنفس و تحتقرون معها بيان اللبس، و ترون ممالك لم يملكها قبلكم أمة، و مسالك لم يجل فى مدارجها همة، فتعلمون أن كلام اللّه جل ذكره و علا شأنه و أمره بحر لا تستنفد جواهره، و ذو عجائب لا تستدرك بواطنه و ظواهره، و ذو عمق لا يبلغ آخره، و ذو طول و عرض لا تقطع مزاخره،

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶

و هو الغنم الذى من حازه ظفرت يداه، و لم يجزع لفوت ما عداه، فالدنيا قد تبرج بزخارفها، و تخدع نفس عارفها، إلا نفسا غلب نور قلبها ضياء بصرها و تصور العواقب من ثمرها، لا البوادى من زهرها، و ساءه ما تناضر منها بالفكر فى قوله تعالى: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ

بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِکَ فَلْیَفْرَحُوا هُوَ خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ «۱» فلا تحزن إن أجدبت مراعیها المنجعهٔ، و لا إن زویت عنه عواریها المرتجعهٔ، فحق من دلکم علیه أن تدعوا له بالمغفرهٔ و الرحمهٔ، و المعونهٔ علی شکر ما أولی من النعمهٔ، و تبلغه من حسن الجزاء غایهٔ، بأن یقرأ له فی کل یوم آیهٔ یفیء أجرها و لا یبخسک، و یزیده ثوابها فلا ینقصک. شغلنا اللّه بالحق عما یلهی من أحوال العاجلهٔ، و بالعمل علی ما یهون أهوال الآجلهٔ إنه لطیف قریب سمیع مجیب.

و من الآن أبین الطریق الذی سلکته، و أفضی به إلی علم ما عرفته، و أذکر ما نبهنی علی ما ادعیته لأریکم مثل ما رأیته، و باللّه أستعین و هو حسبی و نعم المعین.

ثم اعلموا أن الأحسن و الأولی أن تکون المسألهٔ الأولی من هذا الکتاب مسألهٔ من الحروف المقطعهٔ؛ لأن الأسئلهٔ علیها متفرعهٔ مفرعهٔ، لکنی قد أفردت لها کتابا مفردا، جردت لحرف إشکالها مبردا، و الأسئلهٔ علیها تربو علی مائهٔ، و الأجوبهٔ عنها تغنی عن فئهٔ، فأردت أن تکون ممیزهٔ عن أخواتها، مخلصهٔ من الآفهٔ تخلیص التمرهٔ عن نواتها، و سترونها بعد إن شاء اللّه و لا قوهٔ إلا باللّه.

---

(۱) سورهٔ: یونس، الآیهٔ: ۵۸.

درهٔ التنزیل و غرهٔ التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۷

۲- سورهٔ البقرهٔ ثلاث و عشرون آیهٔ

الآیهٔ الأولی منها

فأول آیهٔ ابتدأت بها قوله تعالی: وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَٔ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَٔ «۱» و قال فی سورهٔ الأعراف «۲»: وَ یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَٔ فَکُلا مِنْ حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَٔ فعطف «کلا» علی قوله اسْکُنْ بالفاء فی هذه السورهٔ، و عطفها علیه فی سورهٔ البقرهٔ بالواو، و الأصل فی ذلک أن کل فعل عطف علیه ما یتعلق به تعلق الجواب بالابتداء، و کان الأول مع الثانی بمعنی الشرط و الجزاء، فالأصل فیه عطف الثانی علی الأول بالفاء دون الواو، کقوله تعالی: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْیَهَٔ فَکُلُوا مِنْها حَیْثُ شِئْتُمْ رَغَداً «۳» فعطف «کلوا» علی «ادخلوا» بالفاء، لما کان وجود الأکل منها متعلقا بدخولها، فکأنه قال: إن دخلتموها أکلتم منها، فالدخول موصل إلی الأکل، و الأکل متعلق وجوده بوجوده: یبین ذلک قوله تعالی فی مثل هذه الآیهٔ من سورهٔ الأعراف «۴»: وَ إِذْ قِیلَ لَهُمُ اسْکُنُوا هذِهِ الْقَرْیَهَٔ وَ کُلُوا مِنْها حَیْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّهٌٔ فعطف کُلُوا علی قوله: اسْکُنُوا بالواو دون الفاء؛ لأن «اسکنوا» من السکنی، و هی المقام مع طول لبث، و الأکل لا یختص وجوده بوجوده؛ لأن من یدخل بستانا قد یأکل منه، و إن کان مجتازا، فلما لم یتعلق الثانی بالأول تعلق الجواب بالابتداء، وجب العطف بالواو دون الفاء، و علی هذا قوله تعالی فی الآیهٔ التی بدأت بذکرها: وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَٔ وَ کُلا و بقی أن نبین المراد بالفاء فی قوله تعالی: فَکُلا مِنْ حَیْثُ شِئْتُما من سورهٔ الأعراف مع عطفه علی قوله: اسْکُنْ و هو أن السکن یقال لمن دخل مکانا، و یراد به: الزم المکان الذی دخلته و لا تنتقل عنه، و یقال أیضا لمن لم یدخله اسکن هذا المکان یعنی: ادخله

---

(۱) سورهٔ: البقرهٔ، الآیهٔ: ۳۵.

(۳) سورهٔ: البقرهٔ، الآیهٔ: ۵۸.

(۲) الآیهٔ: ۱۹.

(۴) الآیهٔ: ۱۶۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸

و اسكنه كما تقوله لمن تعرض عليه دارا ينزلها سكنى، فتقول: اسكن هذه الدار، و اصنع ما شئت فيها من الصناعات، معناه: ادخلها ساكنا لها، فافعل فيها كذا و كذا، فعلى هذا الوجه قوله تعالى فى سورة الأعراف: وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا بالفاء الحمل على هذا المعنى فى هذه الآية أولى؛ لأنه عز من قائل لما قال لإبليس: اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً «۱» فكأنه قال لآدم: اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فقال: اسْكُنْ يعنى: ادخل ساكنا ليوافق الدخول الخروج، و يكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول، و الآخر بعده، مبالغة فى الإعذار و توكيدا للإنذار، و تحقيقا لمعنى قوله عز و جل: وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ.

الآية الثانية

قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ «۲» و قال فى هذه السورة بعد العشرين و المائة: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ «۳» فقدم فى الأول قبول الشفاعة على أخذ الفدية، و فى الثانى قبول الفدية على نفع الشفاعة، و الوجه فى الأول أنه لما قال: لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً بمعنى: لا يغنى أحد عن أحد شيئا فيما يلزمه من العقاب، و لا يكفر سيئاته ماله من الثواب، و هو كقوله عز من قائل: وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِى والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً «۴» فهذه الأشياء التى ذكر فى الآية امتناع وقوعها فى الآخرة أربعة أنواع يتلقى بها المكاره، و يداوى بها الشدائد، أ لا ترى العرب إذا دفع أحدهم إلى كريهة، و ارتهنت نفسه بعظيمة، و حاولت أعزته دفاع ذلك عنه و تخليصه منه بذلت ما فى نفوسها الأبية من مقتضى الحمية، فذبت عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته و جلده، فإن رأى من لا قبل له بممانعته، و لا بدّ له من مدافعته، عاد بوجوه الضراعة و صنوف المسألة و الشفاعة، فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة، فإن لم تغن عنه الحالتان، و لم تنجه الخلتان من الخشونة و الليان، لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله، و فكه من الأسر بعد له إما بمال و إما غيره، فإن لم تغن هذه الثلاثة فى العاجلة تعلل بما يرجوه من نصر فى

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۱۸.

(۳) سورة: البقرة، الآية: ۱۲۳.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۴۸.

(۴) سورة: لقمان، الآية: ۳۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۹

الآجلة و دالة فى الخاتمة كما قال تعالى: ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ «۱» و قال تعالى: فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً «۲» على أحد وجوه التفسير فأخبر اللّه تعالى: أن ما يغنى فى هذه الدنيا عن المجرمين، و ترتب هذه المراتب بين العالمين، لا يغنى شيء منه فى الآخرة عن الظالمين. و الفائدة فى قوله تعالى فى الآية الثانية، و تقديم قبول الفدية على نفع الشفاعة هى أنه لما قال: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً و معناه ما ذكرنا عقبه بنفى الفداء؛ لأن النفس لا تجزى عن النفس بفداء موقت يرتهن عنها مدة معلومة، و يكون بعد ذلك فداء يفك الرهن و يخلصه من التبعات، فيكون معنى لا- تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً: لا تغنى عنها بفداء محصور بوقت، و لا بفداء يخلصه على وجه الرهن و يكون بعد ذلك، وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ معناه: و لا تخفف مسألة من عذابها، و لا ينقص شفيع من عقابها، وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ، و هو الوجه الرابع الذى ذكرناه أخيرا فى شرح الآية المتقدمة.

الآية الثالثة

قوله تعالى: وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ «۳» و قوله عز من قائل فى سورة إبراهيم «۴» عليه السّلام: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ فأدخل الواو فى قوله: وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ فى سورة إبراهيم، و حذفها منه فى سورة البقرة، و جعل يُذَبِّحُونَ بدلا من قوله: يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ فالقول فى ذلك: أنه إذا جعل يُذَبِّحُونَ بدلا من قوله: يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ لم يحتج إلى الواو، و إذا جعل يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ عبارة عن ضروب من المكروه هى غير ذبح الأبناء، لم يكن الثانى إلا بالواو، و فى الموضعين يحتمل الوجهين، إلا أن الفائدة التى يجوز أن تكون خصصت لها الآية فى سورة إبراهيم بالعطف بالواو هى أنها وقعت هنا فى خبر قد ضمن خبرا متعلقا به؛ لأنه قال قبله: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ «۵» ثم قال: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

(۱) سورة: الحج، الآية: ۶۰.

(۴) الآية: ۶.

(۲) سورة: الإسراء، الآية: ۳۳.

(۵) سورة: إبراهيم، الآية: ۵.

(۳) سورة: البقرة، الآية: ۴۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۰

فضمن إخباره عن إرسال موسى بآياته إخباره عن تنبيهه قومه على نعمة اللّه و دعائهم إلى شكرها. فكان قوله: وَ يُذَبِّحُونَ فى هذه السورة فى قصة مضمنة قصة يتعلق بها هى قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا و القصة المعطوفة على مثلها تقوى معنى العطف فيها، فنختار فيما كان يجوز فيه العطف فيه على سبيل الإيثار، لا على سبيل الجواز، و ليس كذلك موقع «يذبحون» فى الآية التى فى سورة البقرة؛ لأنه تعالى أخبر عن نفسه بإنجائه بنى إسرائيل، و هناك أخبر عن موسى عليه السّلام أنه قال لقومه كذا بعد أن أخبر عنه أنه أرسله إليهم بآياته فافترق الموضعان من هذا الوجه.

الآية الرابعة

قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا «۱» ففى هذه الآية ست مسائل، إذا قوبلت بالآية التى تشابهها من سورة الأعراف «۲» و هى قوله تعالى: وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا ...

المسألة الأولى: عطفه كُلُوا على ما قبله بالفاء فى سورة البقرة و بالواو فى سورة الأعراف فى قوله تعالى: وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ و هذه قد مر الكلام فيها مستقصى.

و أما المسألة الثانية: فجمعه للخطيئة على الخطايا فى سورة البقرة، و على الخطيئات فى سورة الأعراف على قول أكثر القراء ...

و أما المسألة الثالثة: فزيادته رَغَداً فى سورة البقرة و حذفه له فى سورة الأعراف ...

و أما المسألة الرابعة: فتقديم قوله: حِطَّةٌ فى سورة الأعراف و تأخيره له فى سورة البقرة ..

---

(۱) سورة: البقرة، الآيتان: ۵۸، ۵۹ ..

(۲) الآية: ۱۶۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۱

و المسألة الخامسة: إدخاله الواو على سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فی هذه السورة، و إسقاطها منها فی سورة الأعراف.

و أما المسألة السادسة: فزيادة «منهم» فی الأعراف فی قوله: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ و سقوطه فی سورة البقرة منها، فأما الكلام فی الخطايا و اختيارها فی سورة البقرة، فلأنها بناء موضوع للجمع الأكثر و الخطيئات جمع السلامة و هی الأقل (و الدليل) على ذلك إنك إذا صغرت الدراهم قلت: دريهمات فتردها إلى الواحد و تصغره ثم تجمعه على لفظ القليل الملائم للتصغير، و كذلك الخطايا لو صغرتها لقلت: خطيات فرددتها إلى خطيئة، ثم صغرتها على خطيئة، ثم جمعتها جمع السلامة الذی هو على حد التثنية المنبئ عن العدد الأقل من الجمع، فإذا ظهر الفرق بين الخطايا و الخطيئات، و كان هذا الجمع المكسر موضوعه للكثير، و المسلم موضوعه للقليل استعمل لفظ الكثير فی الموضع الذی جعل الإخبار فيه عن نفسه بقوله: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا و شرط لمن قام بهذه الطاعة ما يشرطه الكريم إذا وعد من مغفرة الخطايا كلها، و قرن إلى الإخبار عن نفسه جل ذكره ما يليق بجوده و كرمه، و أتى باللفظ الموضوع للشمول، فيصير كالتوكيد بالعموم كما لو قال:

نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ كلها أجمع، و لما لم يسند الفعل فی سورة الأعراف إلى نفسه عز اسمه، و إنما قال: وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فلم يسم الفاعل أتى بلفظ الخطيئات و إن كان المراد بها: الكثرة كالمراد: بالخطايا إلا أنه أتى فی الأول لما ذكر الفاعل بما هو لائق بضمانة من اللفظ، و لما لم يسم الفاعل فی الثانی فی سورة الأعراف وضع اللفظ غير موضعه للفرقان بين ما يؤتى به على الأصل، و بين ما يعدل عنه إلى الفرع.

و أما الثالثة: ففی الإتيان بقوله: رَغَداً فی هذه السورة و حذفها فی سورة الأعراف.

الجواب عنها كالجواب فی الخطايا و الخطيئات؛ لأنه لما أسند الفعل إلى نفسه تعالى كان اللفظ الأشرف للأكرم فذكر معه الإنعام الأجسم، و هو أن يأكلوا رغدا، و لما لم يسند الفعل فی سورة الأعراف إلى نفسه لم يكن مثل الفعل الذی فی سورة البقرة، فلم يذكر معه ما ذكر فيها من الإكرام الأوفر، و إذ تقدم اسم المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة.

و المسألة الرابعة: فی هذه الآية تقديم قوله عز من قائل: وَ قُولُوا حِطَّةٌ فی

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۲

سورة الأعراف، و تأخيره فی سورة البقرة عن قوله: وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً.

الجواب: عن ذلك مما يحتاج إليه فی مواضع من القرآن فی هذه الآية التی قصدنا الفرق بين مختلفاتها، و هو أن ما أخبر اللّه تعالى به من قصة موسى عليه السّلام و بنی إسرائيل، و سائر الأنبياء صلوات اللّه عليهم و سلامه، و ما حكاه من قولهم قوله عز و جل لهم لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، و إنما قصد إلى اقتصاص معانيها، و كيف لا يكون كذلك و اللغة التی خوطبوا بها غير العربية، فإذا حكاية اللفظ زائلة و تبقى حكاية المعنی، و من قصد حكاية المعنی كان مخيرا بأن يؤديه بأی لفظ أراد، و كيف شاء من تقديم و تأخير، بحرف لا يدل على ترتيب كالواو، و لو قصد حكاية اللفظ، ثم وقع فی المحكی اختلاف لم يجز، فلو قال قائل حاكيا عن غيره: قال فلان: زيد و عمرو ذهبا و كان هذا لفظا محكيا ثم قال ثانيا قاصدا إلى حكاية هذه اللفظة من كلامه: عمرو و زيد ذهبا لم يجز له ذلك؛ لأنه غير قوله و أخر ما قدمه، و إن قصد حكاية المعنی كان ذلك مرخصا له.

و المسألة الخامسة: فی هذه الآية إثبات الواو فی قوله: وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فی هذه السورة، و حذفها فی سورة الأعراف منها، و الفرق بين الموضعين المؤثر فی الموضع الذی قصد الفرق فيه دقيق، و هو أن قوله: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ ادخلوا فی موضع المفعول من «قلنا» و المفعول يكون مفردا، و يكون مكانه جملة، و الفاعل عند البصريين لا يكون إلا مفردا، و لا تصح الجملة مكانه، و لذلك يقولون فی قوله تعالى:

ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ «۱» إن فاعل «بدا» هو البداء الذى دل عليه الفعل؛ لأن الفعل دال على مصدر و كذلك قوله: أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا «۲» فاعل «يهد» عندنا مفرد محذوف، و عند الكوفيين تصح الجملة أن تقوم مقام الفاعل فعلى مذهبنا وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا الذى أقيم مقام فاعل «قيل» مفرد لا يصح أن يكون جملة، و لا يجوز أن يكون اسْكُنُوا مكان الفاعل كما كانت مكان المفعول فى قوله: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا فعلى هذا التقدير يكون للقائم مقام الفاعل لفظا مفردا هو القول كما كان البداء فاعل قوله: ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ، و إذا خرج قوله: اسْكُنُوا عن أن يكون فاعلا، و كان لفظه فى موضع الفاعل، و لم يتعلق بالفعل الذى قبله تعلق الفاعل بفعله، و لا تعلق المفعول بفعله الواقع به فى قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۳۵.

(۲) سورة: السجدة، الآية: ۲۶.

صار كأنه منفصل عن الفعل فى الحكم و إن كان متصلا به فى اللفظ، و جواب الأمر الذى هو قوله: اسْكُنُوا قوله: نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ.

الجواب: فى حكم الابتداء ينفصل كما ينفصل، و لا دليل فى اللفظ على انفصاله إلا بفصل ما أصله أن يكون متعلقا به بحرف عطف، و هو سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، و بحذف الواو منه، و استئنافه خبرا مفردا، و هذه المسألة هى التى غلط فيها أبو سعيد السيرافى فى أول ما شرحه من ترجمة الكتاب، و هو قوله: هذا باب علم ما الكلم من العربية، وعده للوجوه التى تحتملها هذه اللفظة، و ذكر فى جملتها: هذا باب أن يعلم ما الكلم من العربية فجعل ما الكلم من العربية، و هى جملة فى موضع الفاعل من يعلم و هذا ما يأباه مذهبه و مذهب أهل البصرة، و قد أومأت إلى غرضى فيما يجوز أن تكون الواو له محذوفة من قوله: سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فى سورة الأعراف، و ثابتة فيه فى سورة البقرة فتأمله فإنه مسألة مشكلة فى النحو تفهمه إن شاء اللّه تعالى.

المسألة السادسة: فى هذه الآية قوله تعالى فى هذه السورة: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ «۱» و فى سورة الأعراف «۲» فى هذه القصة: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ.

للسائل أن يسأل فيقول: هل فى زيادة «منهم» فى هذه الآية فى سورة الأعراف حكمة و فائدة يقتضيانها ليستا فى سورة البقرة؟

الجواب أن يقال: إن قوله: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا و إن لم يذكر فيه «منهم» معلوم أن المراد بالظالمين: الذين ظلموا من المخاطبين بقوله: ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا وَ قُولُوا حِطَّةٌ فالذين ظلموا من هؤلاء هم الموصوفون بالتبديل و المغيرون لما قدم إليهم من القول، إلا أن فى سورة الأعراف معنى يقتضى زيادة «منهم» هناك، و لا يقتضيها هنا و هو أن أول القصة فى الأعراف مبنى على التخصيص و التمييز بدليل لفظة «من»؛ لأنه تعالى قال: وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ «۳» فذكر أن منهم من يفعل ذلك، ثم عدد صنوف إنعامه عليهم، و أوامره لهم، فلما انتهت قال:

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا فأتى فى آخر ما حكى عنهم من مقابلة نعمة اللّه

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۵۹.

(۲) الآية: ۱۶۲.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۱۵۹.

عليهم بتبديلهم ما قدم به القول إليهم بلفظ «من» التى هى للتخصيص و التمييز بناء على أول القصة التى هى، وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى ليكون آخر الكلام لأوله مساوقا و عجزه لصدره مطابقا، فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادين منهم، فهناك ذكر أمة عادلة هادية، و

هنا ذكر أمة جائرة عادية، و كلتاهما من قوم موسى، فاقتضت التسوية فى المقابلة ذكر منهم فى سورة الأعراف، و أما فى سورة البقرة فإنه لم تبن الآيات التى قبل قوله: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا على تخصيص و تبعيض، فتحمل الآية الأخيرة على مثل حالها، أ لا ترى أنه قال: يا بَنِی إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ «۱» ثم كرر الخطاب لهم إلى أن انتهى إلى قوله: وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى «۲» و قوله: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ و تعقبه بقوله: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فلم يحتج إلى «منهم»؛ لأنه لم يتقدمه ما تقدم فى سورة الأعراف مما يقتضيها.

الآية الخامسة

قوله تعالى: فى سورة البقرة «۳»: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ بالألف و اللام، و قال فى سورة آل عمران «۴»: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ نكرة غير معرفة، و كذلك فى هذه السورة وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَواءً «۵».

الجواب عن ذلك: أن الآية الأولى فى سورة البقرة خبر عن قوم عرفوا و عرفت أفعالهم، و مضت أزمنتهم و أحوالهم، فلما شهروا و شهر فعلهم بوقوعه منهم و قيل الحق ما قاله اللّه تعالى: وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ «۶» و الحق هو: أن يكون قتل نفسا مؤمنة يجب عليها القتل، و القاتل مكلف أو أن يرتد أو يزنى و هو محصن، فهذا معلوم يخبر عنه بلفظ المعرفة، و القتل وقع منهم من غير أن كان على الأوجه الثلاثة المعلومة على أن هذه الآية يسأل فيها، فيقال: قد كان فى قوله:

وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ كفاية؛ لأنه لا يقتل نبى؛ لأنه لا يرتكب واحدا من الأوجه الثلاثة التى توجب القتل، و عن هذا أجوبة منها ما ذكرنا، و الآخر أن يقال المعنى: أنهم كانوا يقتلونهم من غير أن وقع منهم ما يوجب عليه القتل عندهم و فى دينهم، و ليس هذا موضع

---

(۱) سورة: البقرة، الآيات: ۴۰، ۴۷، ۱۲۲.

(۴) الآية: ۲۱.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۵۷.

(۵) سورة: آل عمران، الآيتان: ۱۱۲، ۱۱۳.

(۳) الآية: ۶۱.

(۶) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۱.

ذكر هذه الوجوه، و إنما القصد فى هذا المكان التفرقة بين لفظ النكرة و المعرفة فى الآيتين، و الموضع الثانى الذى ذكر فيه حق هو خبر عن قوم يرون ذلك و يعتقدونه و يدينون به، أ لا تراه قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ «۱» هؤلاء قوم لم يمضوا، و لم ينقرضوا، فلذلك قال: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ و قال فى أول الآية: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ و لم يقل: إن الذين كفروا فلما لم تكن هذه الحال واقعة منهم كانت مخالفة للحال الواقعة التى جعلت خبرا عن قوم مضوا على هذه الأفعال فقال فيهم: ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ «۲» و أما قوله تعالى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ «۳» فهو خبر عن قوم كانوا فى عصر النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ «۳» فكان خبرا عن اعتقادهم؛ لأنه لا يجوز أن يعاقبوا و تضرب عليهم الذلة و المسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا منهم، فيصيرون مثل الأولين الذين أخبر عنهم بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ فى تمييزه عن القوم الذين كانوا فى عصر موسى صلى اللّه عليه و سلم فقال لهم: اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ

لَكَمْ ما سَأَلْتُمْ «۵» فاختير لفظ المعرفة فى القصة التى وقعت و وقع الإخبار عنها، و لفظ النكرة فى القصة التى وقع التهديد مقارنا لها ليمنع من وقوعها، و ما كان فى حيز ما لم يقع فالذنب فى حيز المذكور، و العقاب عليه مثله كالمنكور.

الآية السادسة

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ «۶» و قال فى سورة المائدة «۷»:
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ و قال فى سورة الحج «۸»: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

---

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۲۱.

(۶) سورة: البقرة، الآية: ۶۲.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۶۱.

(۷) الآية: ۶۹.

(۳) سورة: آل عمران، الآية: ۱۱۲.

(۸) الآية: ۱۷.

(۵) سورة: البقرة، الآية: ۶۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۶

للسائل أن يسأل فيقول: هل فى اختلاف هذه الآيات بتقديم الفرق و تأخيرها و رفع «الصابئين» فى آية و نصبها فى أخرى غرض يقتضى ذلك؟

الجواب أن يقال: إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها فى موضع آخر من القرآن، و قد غير فيها لفظة كما كانت عليه فى الأولى فلا بد من حكمة هناك تطلب، فإذا أدركتموها قد ظفرتم، و إن لم تدركوها؛ فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم. فأما الآية الأولى فى هذه السورة، فإن فيها مسائل ليس هذا المكان مكانها؛ لأنه يقال: كيف قال اللّه تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أى: من آمن منهم باللّه و اليوم الآخر، و إذا وصفوا بأنهم آمنوا، فقد ذكر أنهم آمنوا باللّه و اليوم الآخر، إلا أن الذى نذكره فى هذا المكان هو أن المعنى: إن الذين آمنوا بكتب اللّه المتقدمة مثل صحف إبراهيم، و الذين آمنوا بما نطقت به التوراة و هم اليهود، و الذين آمنوا بما أتى به الإنجيل و هم النصارى، فهذا ترتيب على حسب ما ترتب تنزيل اللّه كتبه، فصحف إبراهيم عليه السّلام قبل التوراة المنزلة على موسى عليه السّلام، و التوراة قبل الإنجيل المنزل على عيسى عليه السّلام، فرتبهم عز و جل فى هذه الآية على ما رتبهم عليه فى بعثة الرسالة، ثم أتى بذكر «الصابئين» و هم الذين لا يثبتون على دين، و ينتقلون من ملة إلى ملة، و لا كتاب لهم، كما للطائفتين اللتين ذكرهما اللّه تعالى فى قوله: أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا «۱» فوجب أن يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب، و أما بعد هذا الترتيب فترتيبهم فى سورة المائدة و تقديم الصابئين على النصارى و رفعه هنا و نصبه هناك ترتيب ثان، فالأول على ترتيب الكتب، و الثانى على ترتيب الأزمنة؛ لأن الصابئين و إن كانوا متأخرين عن النصارى بأنهم لا كتاب لهم، فإنهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم؛ لأنهم كانوا قبل عيسى عليه السّلام، فرفع: «الصابئون» و نوى به التأخير عن مكانه كأنه قال بعد ما أتى بخبر: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و الصابئون هذا حالهم أيضا، و هذا مذهب سيبويه؛ لأنه لا يجوز عنده، و لا عند البصريين و كثير من الكوفيين: إن زيدا و

عمرو قائمان، و الفراء يجيز هذا على شريطة أن يكون الاسم الأول المنصوب بأن لا إعراب فيه، نحو: إن هذا و زيد قائمان، و هذه من كبار المسائل ذوات الشعب، و يتعلق بالخلاف بين البصريين و الكوفيين فى أن لها عملين النصب و الرفع على مذهب البصريين، و أن لها

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷

عملا واحدا عند الكوفيين و هو النصب، إلا أن المذهب الصحيح ما ذهب إليه سيبويه، و هذه الآية تدل عليه؛ لأنه قدم فيها الصابئون، و النية بها التأخير على مذهب سيبويه، و إنما قدّم فى اللفظ و أخر فى النية؛ لأن التقديم الحقيقى التقديم بكتبه المنزلة على أنبيائه عليهم السّلام، فلذا فعل ذلك فى الآية الأولى، و كان هاهنا تقديم آخر بتقديم الزمان، و جاءت آية أخرى قدم فيها هذا الاسم على ما أخر عنه فى الآية التى قبل، ثم أقيمت فى لفظه أمارة تدل على تأخره عن مكانه كان ذلك دليلا على أن هذا الترتيب ترتيب بالأزمنة، و أن النية به التأخير و الترتيب بالكتب المنزلة، و أما الترتيب الثالث فى سورة الحج: فترتيب الأزمنة التى لا نية للتأخير معه؛ لأنه لم يقصد فى هذا المكان أهل الكتب إذ كان أكثر من ذكر ممن لا كتب لهم و هم: الصابئون و المجوس و الذين أشركوا عبدة الأوثان، فهذه ثلاث طوائف، و أهل الكتاب طائفتان، فلما لم يكن القصد فى الأغلب الأكثر من المذكورين ترتيبهم بالكتب رتبوا بالأزمنة، و أخر الذين أشركوا؛ لأنهم و إن تقدمت لهم أزمنة، و كانوا فى عهد أكثر الأنبياء الذين تقدمت بعثتهم صلوات اللّه عليهم، فإنهم كانوا أكثر من منى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بهم و صلى بجهادهم، و كأنهم لما كانوا موجودين فى عصر النبى صلى اللّه عليه و سلم كانوا أهل زمانه، و هذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين قدم ذكرهم.

الآية السابعة

قوله تعالى فى هذه السورة: وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً «۱» و فى سورة آل عمران «۲»: قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ.

للسائل أن يقول: ما الفرق بين اللفظتين و لم كانت الأولى «معدودة»، و الثانية «معدودات»، و الموصوف فى المكانين موصوف واحد، و هو قوله: «أياما»؟

الجواب عنه أن يقال: إن الجمع بالألف و التاء أصله للمؤنث نحو: مسلمة و مسلمات و صفحة و صفحات و مكسورة و مكسورات، و لا يكاد يجىء الجمع الذى واحده مذكر هذا المجىء إلا ألفاظا معدودة نحو: حمام و حمامات، و جمل سبطر و جمالات سبطرات، و أسد سبطر و أسود سبطرات، أى: تسبطر عند الوثبة، و أما قولهم: كوز مكسور

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۸۰..

(۲) الآية: ۲۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۸

و جرة مكسورة فإن ما فيه هاء التأنيث يجمع على مكسورات فيقال: جرار مكسورات و كيزان مكسورة و ليس قولك: كيزان مكسورات بأصل بل المستعمل المستمر فى ذلك أن يقال: كيزان مكسورة، و ثياب مقطوعة، و سرر مرفوعة، و أكواب موضوعة و نمارق مصفوفة، فالصفة الجارية على جمع مذكر الواحد يستمر فيها التأنيث على الحد الذى بينته و علامة الجمع المؤنث الواحدة الألف و التاء فى الأصل، فلما كان معدودة من المطرد المستمر استعمل لفظها فى الأول، و لما كان الجمع بالألف و التاء فى الأصل قد

يكون فيما واحده مذكرا و إن قل، و كان على سبيل من سبيل المجاز استعمل ذلك فيه كقوله تعالى:

وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ «۱» و قال: فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ «۲» و الأيام جمع يوم و هو مذكر، فيكون هذا على أحد الوجهين: إما أن يكون المراد: اذكروا اللّه فى ساعات أيام معلومات معدودات؛ لأن المراد من اذْكُرُوا اللَّهَ أن يكبروا فى اليوم الواحد فى أدبار الصلوات الخمس المعدودة، فحذفت الساعات، و أقيم المضاف إليها مقامها، و إما أن يكون ألحق بما فى واحده علامة التأنيث، لاستوائهما فى الجمع، و دخولهما فى الفرعية التى يكتسبان لها لفظ المؤنث، فكما قيل: جرار مكسورة و الجرة مؤنثة جاز أيضا كيزان مكسورات حملا على الجمع الذى يساويه فى التأنيث الذى ليس بحقيقى، و إن كان ذلك لذلك فمعدودة المذكورة فى الآية التى فى هذه السورة مستمرة فى بابها و باب غيرها، و الجمع بالألف و التاء ليس بمستمر، و إنما هو على ضرب من التشبيه بما أصله الألف و التاء، فكان استعمالها أولا أولى، و لجواز الألف و التاء على غير طريق الاستمرار استعمل فى الثانى ليشمل الأصل و الجائز بالاستعمال. فأما المعنى فى القلة فسواء فى قوله:

مَعْدُودَةً و مَعْدُوداتٍ و قد يقال أيضا: أيام معلومات على أن الأيام المعلومة فى الأصل تسعة، فكل ثلاثة أيام منها معلومة، فتجمع هذه الثلاثات على الأيام المعلومات؛ لأن الواحد أيام معلومة و المعلومة تجمع على المعلومات.

الآية الثامنة

قوله تعالى: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ «۳» و قال اللّه عز و جل فى سورة الجمعة «۴»: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ.

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۲۰۳.

(۳) سورة: البقرة، الآيتان: ۹۴، ۹۵.

(۲) سورة: الحج، الآية: ۲۸.

(۴) الآيتان: ۶، ۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۹

للسائل أن يقول: هل فى الآية الأولى ما يقتضى «لن» الناصبة، و فى الثانية ما يوجب الاقتصار على «لا» و رفع الفعل بعدها؟

الجواب أن يقال: إن الآية الأولى لما كانت مفتتحة بشرط علقت صحته بتمنى الموت، و وقع هذا الشرط غاية ما يطلبه المطيع، و لا مطلوب وراءه ما ادعوه لأنفسهم، و هو أن لهم الدار الآخرة خالصة من دون غيرهم، و وجب أن يكون ما يبطل تمنى الموت المؤدى إلى بطلان شرطهم أقوى ما يستعمل فى بابه و أبلغه فى معنى ما ينتفى شرطهم به، و كان ذلك بلفظة «لن» التى هى للقطع و البتات، ثم أكد بقوله: أَبَداً ليبطل تمنى الموت الذى يبطل دعواهم بغاية ما يبطل به مثله. أ لا ترى أنه ليس بعد حصول الدار الآخرة خالصة لأمة من الأمم مقترح لمقترح و لا مطلب لمطلب .. و ليس كذلك الشرط الذى علق به تمنى الموت فى سورة الجمعة «۱»، لأنه قال: قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ و ليس زعمهم أنهم أولياء للّه من دون الناس المطلوب الذى لا ـ مطلوب وراءه لأنهم يطلبون بعد ذلك إذا صح لهم هذا الوصف دار الثواب، فلما كان الشرط فى هذا المكان قاصرا عن الشرط فى المكان الأول، و لم تكن الدعوى دعوى غاية المطلوب لم يحتج فى نفيه و إبطاله إلى ما هو غاية فى بابه، فوقع الاقتصار على «لا يتمنونه» و ليس فى لفظه معنى التأبيد و إنما حصل ذلك فيه بما قارنه من قوله: أَبَداً فكان الأول أوكد و أبلغ؛ لأن لفظ الاسم و الفعل للتأبيد فافترق الموضعان.

الآية التاسعة

قوله تعالى: قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِی جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ «۲» و قال فی هذه السورهٔ أيضا: وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِینَ «۳» و قال فی سورهٔ الرعد «۴»: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا واقٍ.

---

(۱) الآيهٔ: ۶.

(۲) سورهٔ: البقرهٔ، الآيهٔ: ۱۲۰ ..

(۳) سورهٔ: البقرهٔ، الآيهٔ: ۱۴۵.

(۴) الآيهٔ: ۳۷.

للسائل أن يسأل فيقول: «ما» فی هذه المواضع بمعنی «الذی» فما الفائدهٔ فی إخراج بعضها علی لفظ «الذی»، و إيقاع الأخری علی لفظ «ما»، و إدخال «من» علی «بعد» فی قوله: ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ و هل بين قولک: مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ و قولک: بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فرق و هل بين «الذی» و بين «ما» فرق؟

الجواب عن ذلك أن يقال تبين أولا: الفرق بين «الذی» و بين «ما» ليصح الفصل، و يظهر موضع كل واحد منهما و المعنی الذی يليق بهما: اعلم أن «ما» إذا كانت بمعنی:

«الذی» فإنها توافقها بأنها تبين بصلتها، و تخالفها بأشياء كثيرهٔ، فتصير «الذی» متضمنهٔ من البيان ما لا تتضمنه «ما». فمن ذلك إنك تدخل علی «الذی» أسماء الإشارهٔ، فتكون «الذی» صفهٔ لها كقوله تعالی: أَمَّنْ هذَا الَّذِی هُوَ جُنْدٌ لَکُمْ «۱» و قوله: أَمَّنْ هذَا الَّذِی يَرْزُقُکُمْ إِنْ أَمْسَکَ رِزْقَهُ «۲» فيكتنف «الذی» بيانان أحدهما: الإشارهٔ قبلها و الآخر: الصلهٔ بعدها و لا يكون ذلك فی «ما»؛ لأنها لا يوصف بها كما يوصف «بالذی»، لا تقول: أمن هذا ما هو جند لكم؟.

و الثانی: أن «ما» تنكر فيجری ما كان صلهٔ لها صفهٔ تبينها، و ليس ذلك فی «الذی» و هو كقوله فی الشعر:

ربما تكره النفوس من الأم ر له فرجهٔ كحل العقال

و الثالث: أن «الذی» تثنی و تجمع و تؤنث، فتلحقها هذه العلامات بيانا لهذه المعانی و «ما» لا يلحقها ذاک، بل هی علی لفظهٔ واحدهٔ فی التثنيهٔ و الجمع و التأنيث.

و الرابع: أن «الذی» قد لزمتها أمارهٔ التعريف و هی: الألف و اللام و لا شیء مما ذكرناه فی «ما»، و لشدهٔ إبهامها خص التعجب بها؛ لأن سبب التعجب إذا استبهم كان أبلغ فی معناه، فإذا تبينت أن «الذی» و «ما» التی بمعناها: اسمان مبهمان ناقصان، و «الذی» تزيد علی «ما» فی وجوه البيان الذی ذكرنا رجعنا إلی الآيات الثلاث، و بينا ما يليق من الاسمين بكل آيهٔ فقلنا قوله تعالی: وَ لَنْ تَرْضی عَنْکَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصاری حَتَّی تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ «۳» أی:

لن ترضی عنك اليهود حتی تتبع ملتها، و لن ترضی عنك النصاری حتی تتبع ملتها، و اتباع

---

(۱) سورهٔ: الملک، الآيهٔ: ۲۰.

(۲) سورهٔ: الملک، الآيهٔ: ۲۱.

(۳) سورهٔ: البقرهٔ، الآيهٔ: ۱۲۰.

الملتین فی عصر النبی صلی اللّه علیه و سلم کفر، و لذلک قال اللّه تعالی: قُلْ إِنَّ هُدَی اللَّهِ هُوَ الْهُدی أی: الإیمان الذی بعثتک به هو الطریق المؤدی إلی رضی اللّه و إلی ثوابه. ثم قال: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِی جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ فمنعه من اتباع الفرقتین بالعلم الـذی حصل له بصـحهٔ الإیمان و بطلان الکفر، «و الـذی» فی هـذا المکان واقعهٔ علی العلم الذی ثبت به الإسـلام و صـح الإیمان، و کما أن هـذا العلم مانع من الکفر الـذی هو أکبر الـذنوب، فالعلم الذی یمنع منه أفضل العلوم، فإذا عبر عنه بأحـد هـذین الاسـمین المبهمین وجب أن یخص منهمـا بالأشـهر، إذ کـان للعلم المحیط بالأکثر و هو جملـهٔ الـدین .. فأما الموضـعان الآخران فلیس القصـد فیما عبر بلفظـهٔ «ما» عنه فیهما مثل القصـد فی الآیهٔ الأولی و ذلک أن قوله: مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ جاء بعد خبر اللّه تعالی عن مخالفهٔ أهل الکتاب للنبی صـلی اللّه علیه و سـلم فی القبلهٔ؛ لأنه قال عز اسـمه: وَ لَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ بِکُلِّ آیَهٍٔ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ إلی قوله: مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِینَ «۱» فمنع عز و جل عن اتباع أهوائهم فی أمر القبلهٔ، و هو بعض الشـرع بما حصل له من العلم بأن القبلـهٔ هی التی أمر النبی صـلی اللّه علیه و سـلم بالتوجه إلیها، فإذا کان ذلک بعض الشـرع کان العلم بصحته بعض علم الشرع، و لم یکن کالعلم فی الآیهٔ الأولی الذی هو محیط بالشرع و کل الإیمان، فلما کان واقعا علی بعض ما وقع علیه الأول لم یشـهر شـهرته، فعبر عنه باللفظ الأقصر لما خص الأول باللفظ الأشهر، و کذلک قوله تعالی فی سورهٔ الرعد «۲»: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا واقٍ إنما جاء بعـد قوله: وَ الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مِنَ الْأَحْزابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ «۳» فنهی اللّه تعـالی عن اتبـاع أهوائهم فی البعض بمـا أنزل اللّه عز و جل إلیه، و هو الـذی ینکره الأحزاب بما ثبت له من العلم بصـحهٔ هذا البعض الذی ینکرونه کما ثبت له بباقیه، فلما کان هذا العلم بعض العلم الذی عبر عنه بلفظـهٔ «الـذی» صـار کالشائع فی أبعاض هی مجموعـهٔ فی الأول الـذی عبر عنه باللفظ الأشـهر، فکان العلم المانع من اتباع أهوائهم فیه مثـل العلم المـانع من اتبـاع أهوائهم فی أمر القبلـهٔ، فعبر عنه بمثـل مـا عبر به عن ذلـک. فإن قال قائل: فکیف خص ما فی القبلـهٔ بلفظهٔ «من»؟ فقال: مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ و لم یکن ذلک فی

(۱) سورهٔ: البقرهٔ، الآیهٔ: ۱۴۵.

(۲) الآیهٔ: ۳۷.

(۳) سورهٔ: الرعد، الآیهٔ: ۳۶.

قوله: بَعْدَ الَّذِی و لا فی قوله فی سورهٔ الرعـد: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ و هل لاختصاص هذا المکان فائدهٔ دون المکـانین الآـخرین؟ .. قلت: هنـا فائـدهٔ تقتضـی «من» و لیست فی الآـیتین الأخریین، و هی أن أمر القبلـهٔ مخصوص بفرائض مضـیقهٔ و أوقات مخصوصـهٔ لها فی الیوم و اللیلـهٔ مؤقتـهٔ، فخص ب «من» التی هی لابتداء الغایهٔ، و القبلهٔ شـرع کان یجوز نسـخه کما نسخ ما هو مثله، فکـأنه قـال هناک: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ من الوقت الـذی جاءک العلم فیه بالقبلـهٔ التی ولیتها و أمرت بالتوجه نحوها صـرت من الظالمین، فلما تخصـص بوقت مضـیق محـدود، لم یکن بـد فی المعنی من العلم بالوقت الـذی نقل فیه عن القبلـهٔ الأولی إلی غیرها، و لیس کـذلک مـا بعـد قوله: قُلْ إِنَّ هُدَی اللَّهِ هُوَ الْهُدی لأـن العلم الـذی وقع التوعـد معه علی اتباع أهواء أهل الکتاب لم یتخصـص وجوب العلم به بوقت دون وقت، إذ کان واجبا فی الأوقات کلها، و لم یکن مما یجوز أن ینسخ؛ لأنه علم بالإیمان و صحهٔ الإسلام، و بطلان الشرک و الکفر، فلما لم یتخصص وجوبه بوقت دون آخر لم یحتج معه إلی لفظهٔ «من» التی هی للحد و ابتداء الغایهٔ. و کذلک الآیـهٔ التی فی سورهٔ الرعـد لمـا کـان العلم المانع من اتباع أهوائهم علما بأن جمیع ما أنزل اللّه حق، و أن قول الأحزاب الـذین ینکرون بعضه باطـل کان هـذا أیضا من العلوم التی لا یتخصـص الغرض فیها بوقت یجب حـده بمن، بل هو واجب فی الأوقات کلها، فلم یکن لـدخول «من» فی الآـیتین مقتض کما کان له فی الآیـهٔ المتوسطهٔ. و مما یبین لک الأغراض التی أشـرنا إلیها فی الآیات الثلاث، و أنها

يجوز أن تكون مقصودة و اللّه أعلم ما اقترن من الوعيد بكل واحدة منها، فالموضع الذى منعه بعلمه عن اتباع أهوائهم فى قوله: وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ هو منع عن الأعظم الذى هو الكفر، فكان الوعيد عليه أغلظ، و هو قوله: ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ و الآية الأخيرة أيضا لما كان العلم بها مانعا من العلم بشطر من الدين، و ترك شطر منه كان مثل الأول فى استحقاق الوعيد، و كان مثله فى الغلظة و هو قوله: ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا واقٍ و أما اتباع أهوائهم فى أمر القبلة فلأنه مما يجوز نسخه، فكان الوعيد عليه أخف من الوعيد على ما هو الدين كله أو بعضه مما لا يصح تبديله و تغييره، فصار الوعيد المقارن له دون الوعيد المقرون بالموضعين الآخرين، و هو قوله تعالى: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ أى إن فعلت ذلك وضعت الشىء فى غير موضعه و نقصت الدين حقه، فهذا الكلام فى الفرق بين المواضع الثلاثة.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ٢٣

الآية العاشرة

قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً «۱» و فى سورة إبراهيم «۲»:

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً.

للسائل أن يسأل فيقول: لم كان فى هذه السورة بلد نكرة، و فى سورة إبراهيم معرفة؟

الجواب: عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: الدعوة الأولى وقعت و لم يكن المكان قد جعل بلدا فكأنه قال: اجْعَلْ هَـذَا الوادى هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً لأن اللّه تعالى حكى عنه أنه قال: رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ «۳» بعد قوله: اجْعَلْ هَذَا الوادى بَلَداً و وجه الكلام فيه تنكير «بلد» الذى هو مفعول ثان، و هذا مفعول أول ..

و الدعوة الثانية وقعت و قد جعلت بلدا فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذى صيرته كما أردت، و مصرته كما سألت ذا أمن على من أوى إليه، فيكون: الْبَلَدَ على هذا عطف بيان على مذهب سيبويه و صفة على مذهب أبى العباس المبرد، و آمِناً مفعولا ثانيا، فعرّف حين عرف بالبلدية، و نكر حيث كان مكانا من الأمكنة غير مشهور بالتميز عنها بخصوصية من عمارة و سكنى الناس.

الجواب الثانى: أن تكون الدعوتان واقعتين بعد ما صار المكان بلدا و إنما طلب من اللّه أن يجعله آمِناً و القائل يقول: اجعل ولدك هذا ولدا أديبا، و هو ليس بأمره بأن يجعله ولدا؛ لأن ذلك ليس إليه، و إنما يأمره بتأديبه، فكأنه قال: اجعله بهذه الصفة و هذا كما يقول: كن رجلا موصوفا بالسخاء و ليس يأمره أن يكون رجلا، و إنما يأمره بما جعله و صفا له من السخاء، فذكر الموصوف، و أتبعه الصفة، و هو كما تقول: كان اليوم يوما حارا، فتجعل يوما: خبر كان و حارا: صفة له، و لم تقصد أن تخبر عن اليوم بأنه كان يوما؛ لأنه يصير خبرا غير مفيد، و إنما القصد أن تخبر عن اليوم بالحر، فكان الأصل أن تقول: كان اليوم حارا و أعدت لفظ يوم لتجمع بين الصفة و الموصوف، فكأنك قلت: كان

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۲۶.

(۲) الآية: ۳۵.

(۳) سورة: إبراهيم، الآية: ۳۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ٢۴

هذا اليوم من الأيام الحارة، و كذلك تقول: كانت الليلة ليلة باردة، فتنصب ليلة على أنها خبر كان، و حكم الخبر أن يتم به الكلام، و لو قلت: كانت الليلة ليلة لم يكن الكلام تاما؛ لأن القصد إلى الصفة دون الموصوف، فكذلك قوله: رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً يجوز أن

يكون المراد: اجْعَلْ هَـذَا البلـد بَلَـداً آمِناً فتـدعو له بالأمن بعـد ما قـد صار بلـدا على ما مثلنا، و يكون مثل قوله: اجْعَلْ هـذا بَلَداً آمِناً و تكون الـدعوة واحـدة قـد أخبر اللّه عنها فى الموضـعين. فأما قول من يقول: إنه جعل الأول نكرة، فلما أعيـد ذكرها أعيد بلفظ المعرفة كما تقول: رأيت رجلا فأكرمت الرجل فليس بشىء، و ليس ما ذكره مثلا لهذا، و لا هذا المكان مكانه.

الآية الحادية عشرة

اشارة

من هـذه السورة مفارقـة الآى التى شـرطنا الفرق بينها، فيما خالفها بلفظ يسير من الآيـة التى بإزائها غير أنها مثلها فى التكرير و الحاجة إلى ذكر الفائدة فى إعادتها و هى قوله تعالى: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ «۱».

للسائل فى ذلك سؤالان:

أحـدهما: أن تقول: مـا فائـدة الآيـة و هى خبر يعلمه المخـاطب قبل أن يخبر به، فلا يسـتفيد بـذكره ما لم يكن علمه قبل؛ لأنه يعلم أن الأمـة التى وصاهـا يعقوب عليه السّـلام قـد مضت و انقضت و لهـا مـا كسبت من أجر، و عليهـا مـا اكتسـبت من إثم، و أن المخاطبين يؤاخـذون بعملهم لاـ بعمل غيرهـم، و لا يسألون عما عمله من تقـدمهم. و إذا كان معنى الآيـة هـذا فهو معلوم لكل مميز لا يحتاج إلى استفادته بإخبار مخبر.

و السؤال الثانى: هو عن تكرار هـذه الآيـة؛ لأنها ذكرت فى صـدر العشـر المفتتحة بقوله تعالى: إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ «۲» ثم أعيدت فى خاتمة هذه العشر التى تنقطع إلى قوله: سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كانُوا عَلَيْها «۳».

---

(۱) سورة: البقرة، الآيتان: ۱۳۴، ۱۴۱.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۱۳۱.

(۳) سورة: البقرة، الآية: ۱۴۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۵

الجواب: عن السؤال الأول و ذكر فائدة الآية مع وضوح معناها لكل ذى معرفة فمن وجهين:

أحـدهما: أن يكون مثـل هـذا الكلاـم يقـال: و إن كان معلوما للإنسان على سبيل التنبيه على العصـيان، و البراءة إليه من فعله، و أنه هو المؤاخـذ به من دون غيره فيخرج الكلام على حد من المعدلة و النصـفة لا مذهب لأحد عنه، و يكون هذا أدعى له إلى التأمل و التدبر و أقرب إليه من التبصـر كما قال تعالى لنبيه عليه السّلام: وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِى عَمَلِى وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ «۱» فهذا أيضا معلوم إلا أنه على سبيل تخليتهم مع النظر لأنفسـهم، و التبرّى مما يعود بسوء العاقبة عليهم. و على هذا الحد لكم دينكم ولى دين و هذا كثير و القصد به مفيد كما بينا.

و الوجه الثانى: من الجواب عن السؤال الأول أن يقال: إن هـذه الآيـة تبكيت للمعاندين من أهل الكتاب الذين ادعوا أن لزوم دينهم و شريعتهم ممـا أوجبه الأنبيـاء صـلوات اللّه عليهم و سـلامه على سـلفهم و خلفهم، فاحتـج عليهم بأن ما يـدّعونه لا يقـدرون فيه على أن يقولوا أنهم سـمعوا ذلك منهم مشاهدة لقوله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى «۲» على معنى: لم يكونوا شـهداء، فإذا لم يثبت ذلك عنـدهم بمشاهـدة ينقطع العـذر و تلزم الحجة؛ لأن تلك الأمة قد خلت و انقضت و أدّت عن اللّه ما تحملت، و هو أن تكون التوراة قـد أخبرت بمجىء عيسـى عليه السّـلام و مجىء النبى صـلى اللّه عليه و سـلم من بعده، فلها

الأجر فى صحة أدائها و إظهارها ما أخذ اللّه به الميثاق عليها فى قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ «۳» و معنى قوله: وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ إثم ما كسبتم لما نبذتم ذلك وراء ظهوركم و اشتريتم به ثمنا قليلا فهذا معنى قوله: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ فتبين لك أنهم إذا لم يعلموا ما يدّعونه من طريق المشاهدة، لم يبق إلا أن يعلموه بخبر مخبر، و المخبر الذى بينهم و بين تلك الأمة ممن يجوز عليه الكذب، و هذا خبر اللّه تعالى و هو الخبر الذى لا يكذب نبيه على ذلك بقوله عند الانتهاء:

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۴۱.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۱۳۳.

(۳) سورة: آل عمران، الآية: ۱۸۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۶

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ «۱» أى إذا لم تعلموا ذلك من طريق مشاهدة لانقضاء تلك الأمة، فاللّه تعالى أعلم منكم، و قبله أصدق من قيلكم، و أنتم تعلمون فتكتمون ما عندكم من الشهادة حسدا و بغيا و طلبا للرئاسة، و اللّه تعالى قد أثبت ببعثة محمد صلى اللّه عليه و سلم أنه رسوله و أن هذا القرآن تنزيله بحجج لائحة و براهين واضحة، و هو عز من قائل يخبر خبرا حقا و قولا صدقا: أن الذى يدعون نقله عنهم ليس بحق، فإذا بطل علم ذلك من طريق المشاهدة و من طريق الخبر لم يثبت لكم من الحجة ما يثبت عليكم، و يكون معنى قوله: وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ لا تسألون عن عملهم؛ لأنه لا حجة لكم فيه بل الحجة عليكم به؛ لأن عملهم إبلاغهم الرسالة، و فيها ما هو حجة عليكم، و قد قاموا به حق القيام، و ثبت لهم صدق هذا المقام، فلا تسألون عن عملهم الذى هو صفتهم و لا يقال لكم: هل أدوا ذلك إليكم؟ لوضوح الحجة به عليكم. و يجوز أن يكون فى ضمن هذه الآية: و هم مسئولون عن عملكم تبكيتا لكم و تثبيتا لحجتهم عليكم، فذكر أحد الضدين، و اكتفى به عن الضد الذى ينافيه كما قال اللّه تعالى: وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ «۲» و معناه: تقيكم الحر و البرد فكذلك قوله: وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ و هم مسئولون عن عملكم لقوله تعالى: وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ «۳» فأخبر عز اسمه أنه يسأل عيسى عليه السّلام عن عمل القوم بعده، و ادعائهم عليه ما لم يقله تبكيتا للقوم، و تثبيتا للحجة عليهم، فكذلك معنى المحذوف من الآية بإزاء المثبت فيها اكتفاء بذكره عنها. و بقى الجواب عن فائدة تكرار الآية فى أول هذه العشر و فى آخرها و فى أنها ذكرت بعد الأول فى قوله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ و معناه: أن إسرائيل عليه السّلام قرر بنيه على عبادتهم التى ثبتت عندهم، و وصاهم بها فقال تعالى لهؤلاء: أ تنفون ما ثبت من وصية يعقوب عليه السّلام بنيه و تقريره إياهم و إقرارهم به و الأمة قد انقضت و حالها فى عبادتها قد ثبتت، و من نفى ما ثبت من الدين فقد دخل فى الكفر، فهذه الآية الأولى عقب ما

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۴۰.

(۲) سورة: النحل، الآية: ۸۱.

(۳) سورة: المائدة، الآية: ۱۱۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷

ثبت من تقرير يعقوب عليه السّلام لبنيه و إقرارهم له، و هذه الآية كررت بعينها بعد قوله تعالى:

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ الآية: أم أنتم مثبتون ما هو منتف؟ و من أثبت فى الدين ما ليس فيه من هذا البهتان العظيم فهو فى الإثم، كمن نفى عنه ما هو منه، ففى الأول: نفى ما هو ثابت من إقرار بنى إسرائيل، و فى الثانى: إثبات ما هو منفى من كون إبراهيم و إسماعيل هودا أو نصارى، و كل واحد من هذين يوجب من البراءة و يستحق به من غلظ الوعيد، و التخويف بالعقاب، و التنبيه على الكبيرة التى تحبط الحسنات مثل ما يوجبه الآخر، فلذلك أعيد فى الدعوى الثانية الباطلة ما قدم فى الدعوى الأولى الكاذبة، فكما استحقت تلك براءة الذمة من قائلها و تنبيه على فساد قوله كذلك استحقت هذه فصارت الثانية فى مكانها، و حقها كما وقعت الأولى فى محلها و مستحقها، فلم يكن ذلك تكرارا بل كان وعيدا عقب كبيرة، كما كان الأول وعيدا عقب كبيرة أخرى غير الثانية.

الآية الثانية عشرة

قوله تعالى فى هذه السورة: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ «۱» و قال تعالى شبيها لهذه الآية فى سورة آل عمران «۲»: قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

للسائل أن يسأل: عن موضعين من هاتين الآيتين.

أحدهما قوله: أُنْزِلَ إِلَيْنا فى الأولى و عَلَيْنا فى الثانية.

و الموضع الثانى: تكرار أُوتِيَ فى الأولى، و تركه فى الثانية فنقول: هل لاختيار: إِلى مع قوله: أُنْزِلَ فى هذه السورة فائدة يوجب اختصاصها؟ و هل لاختيار: عَلى مع: أُنْزِلَ فى سورة آل عمران معنى يقتضيها؟ و لم كرر أُوتِيَ هنا و لم يكررها هناك؟.

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۳۶.

(۲) الآية: ۸۴.

الجواب: المختصر المشار به إلى الفرق بين الموضعين فى: عَلى و إِلى أن أول الآية التى اختصت بها على قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ و أول الآية التى اختصت بها إلى قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ و شرح ذلك أن «على» موضوعة لكون الشىء فوق الشىء و مجيئه من علو، فهو مختص من الجهات الست كلها بجهة واحدة، و «إلى» للمنتهى، و يكون المنتهى من الجهات الست كلها، فإن توجه نحو الشىء شىء من عن يمينه أو عن شماله أو قدامه أو من ورائه أو من فوقه أو من تحته، فإنه إذا بلغه يقال فيه: انتهى إليه فلا يتخصص «إلى» بجهة واحدة كما يتخصص «على»، فقوله تعالى: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ اختيرت فيها «إلى»؛ لأنها مصدرة بخطاب المسلمين، فوجب أن يختار له «إلى»، ثم جعل ما عطف عليه على لفظه بحق الاتباع، و إن صح فيه معنى الانتهاء فالمؤمنون لم ينزل الوحى فى الحقيقة عليهم من السماء، و إنما أنزل على الأنبياء، ثم انتهى من عندهم إليهم، فلما كان قُولُوا خطابا لغير الأنبياء، و كان لأممهم كان اختيار إِلى أولى من اختيار عَلى و لما كانت فى سورة آل عمران قد صدرت الآية بما هو خطاب للنبى صلى اللّه عليه و سلم و هو قوله: قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا كانت عَلى أحق بهذا المكان؛ لأن الوحى أنزل عليه، و فى لفظ أُنْزِلَ دلالة على انفصال الشىء من فوق ثم انتهى من عندهم إليهم أسفل و أن يقرب إليه ما يشاء كله فيما يستحقه من المعنى أولى، و إن كان القرآن قد نطق بجميع ذلك فى الأنبياء و فى غيرهم كقوله عز و جلّ: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ «۱» و أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ «۲» و قال فى موضع آخر: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ «۳» فالمنزل على الأنبياء منته إليهم، فلذلك صحت «إلى»، إلا أن على أصلها- إذا قصد الإيضاح بالمعنى- أن تستعمل فيمن نزل الوحى عليه، و شركة الأمة فى

اللفظ مجاز لا حقيقة، و «إلى» فى ذكر الإنزال المتعلق بأمم الأنبياء صلوات اللّه عليهم و سلامه أشبه بحقيقة معناها «من على»، فلذلك خصنا فى الموضعين باللفظين المختلفين، و جعل ما بعدهما يجرى مجراهما كما يجب فى حكم الاتباع. و أما الموضع الثانى الذى أعيد فيه لفظة أُوتِيَ من سورة البقرة، و لم يعد فيما بإزائها من سورة آل عمران.

الجواب عنه أن يقال: إنما اختص هناك؛ لأن العشر التى فيها مصدرة بقوله:

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ «۴» فقدم ذكر إيتاء الكتاب و اكتفى به عن التكرير فى الموضع الذى كرر فيه من سورة البقرة على سبيل

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۳.

(۳) سورة: المائدة، الآية: ۴۸.

(۲) سورة: آل عمران، الآية: ۷.

(۴) سورة: آل عمران، الآية: ۸۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹

التوكيد. و بيان ذلك أن هذه العشر مبنية على ذكر عهد اللّه إلى الأنبياء صلوات اللّه عليهم و سلامه و ما أخذ عليهم من المواثيق فى تبيين ما أنزله إليهم للناس فقوله: وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ هو قوله: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ فى المعنى فلما تقدم هذا الذكر و جاء: وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى اكتفى عن إعادة وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ بالذكر المتقدم، و لما لم يتقدم فى سورة البقرة ذكر إيتاء النبيين ما أوتوا من الكتب فى هذه العشر لم يكن فيه ما يغنى عن التوكيد بإعادة اللفظ.

هذا الفرق بين الموضعين و اللّه أعلم.

الآية الثالثة عشرة

قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ «۱» و قال بعده فى هذه العشر: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ «۲».

للسائل: أن يسأل عن الفائدة لتكرار هذه الآية فى هذه العشر مع أن فى كل واحدة كفاية.

الجواب عنه أن يقال: إن قوله: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ هو الأمر الأول بالتوجه نحو القبلة التى هى الكعبة، و اللفظ للنبى صلّى اللّه عليه و سلم و ما بعده هو خطاب له و لأمته و هو قوله: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ... و أما الآية الثانية و هى قوله: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فالخروج خروجان. أحدهما:

خروج المصلى من مكان إلى مكان يرى فيه الكعبة، و هو: المسجد الحرام، فكأنه قال:

و من أى باب من أبواب المسجد خرجت فتوخّ استقبال الكعبة بالصلاة. و الخروج الثانى:

خروج من البلد الذى فيه المسجد الحرام و هو: الحرم فكأنه قال: و إن خرجت من البلد من أى باب خرجت فاجعل الكعبة قبلة تتوجه نحوها بصلاتك، فعلى هذا يكون لكل آية فائدة، فالأولى ليس فيها خروج، و الثانية هى خروج من أقرب الأماكن إلى الكعبة، و الثالثة خروج مما عدا ذلك عام فى البلاد، و قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا يثبت مثلها

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۴۴.

(۲) سورة: البقرة، الآيتان: ۱۴۹، ۱۵۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۰

للبعد، فوقعت مظاهرة بالأمر بتولى القبلة فى القرب و البعد، و لفظة خَرَجْتَ لفظة الماضى و هى فى موضع المستقبل؛ لأن المعنى معنى الشرط و الجزاء، «و حيث» و حدها و إن تضمنت معنى الشرط؛ فإنه لا- يجزم بها الفعل المستقبل بل تقول: من حيث تخرج، فترفع الفعل، فإن أردت: من أى موضع يخرج، فأى موضع يجزم الفعل، «و حيث» لا تجزمه إلا إذا قارنتها «ما»، فتقول: حيثما تنزل أنزل، فإن قلت: حيث تنزل أنزل، بطل الجزم و وجب الرفع، فقوله تعالى: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ. كنتم فى هذا المكان فى موضع فعل مجزوم، فكأنه قال: وَ حَيْثُ ما تكونوا فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ و ليس كذلك وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ، إلا أنه لا يخرج عن تضمن معنى الشرط. يبين ذلك دخول الفاء فى الجواب و لو لا هذا المعنى ما احتيج إليها، فلهذا قلنا إن الماضى بعدها بمنزلة المستقبل، كما يكون فى قولك: إن خرجت خرجت، إلا- أن الماضى لا- يجزم كما لا يجزم الفعل فى صلة «الذى» و إن دخله معنى الشرط، إذا قلت: الذى يزورنى فله درهم فأوجبت الدرهم بالزيارة، «و حيث» فى هذا الموضع على غير ما هى عليه فى قولك: قعدت اليوم حيث قعدت أمس؛ لأن تلك شائعة كشياع الأسماء التى تقع بمعنى الشرط و مجازاتها.

الآية الرابعة عشرة

قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۱» و فى هذه الآية موضعان يشابهان موضعين من آيتين أخريين. الأول قوله: ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا و بإزائه فى سورة لقمان «۲»: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا. و الموضع الثانى قوله فى سورة المائدة «۳»: أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ.

للسائل أن يسأل، فيقول: هل لتخصيص الموضع الذى فى البقرة بقوله أَلْفَيْنا دون وَجَدْنا فائدة تخصه؟ و هل لتخصيص الموضع الثانى بقوله: لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً دون قوله لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً فائدة؟ و هل لتخصيص لا يَعْلَمُونَ فى موضعه دون قوله: لا يَعْقِلُونَ فى موضعه فائدة؟

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۷۰.

(۲) الآية: ۲۱.

(۳) الآية: ۱۰۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱

الجواب عن الموضع الأول و هو قوله: أَلْفَيْنا أن «ألفينا» يقصد بها بعض الوجوه التى يستعمل عليه «وجدنا»؛ لأنه يقال: وجدت الشىء، فلا يحتاج إلى مفعول ثان إذا وجدته عن عدم، و لوجدان الضالة تقول: وجدت الضالة و تقول: وجدت زيدا عاقلا، فيكون الوجود متعلقا بالخبر الذى هو المفعول الثانى، و لا بدّ له فى هذا الوجه منه، و لا يكتفى بالمفعول الأول، و أما قولهم «ألفيت» فإنها مخصوصة بهذا الوجه من وجوه «وجدت»، لا يقال: ألفيت درهما بمعنى: وجدت درهما، و لا: ألفيت الضالة بمعنى: وجدتها، و إنما يقال: ألفيت زيدا عاقلا، و ألفيته على الهدى و على الضلالة، فكان فى الموضع الأول استعمال اللفظ الأخص أولى، و تأخير اللفظ المشترك إلى المكان الثانى أولى.

الجواب عن المسألة الثانية من هذه الآية فى قوله عز و جل: لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ مع ما فى سورة المائدة من قوله: أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ أن يقال: إن لقوله: لا يَعْلَمُونَ رتبة ليست لقوله: يَعْقِلُونَ، و إذا وقفت على ما بينهما سهلت عليك معرفة ما أوجب تخصيص كل مكان باللفظ المخصوص به، فقول القائل يعلم معناه يدرك الشىء على ما هو به مع سكون إليه، و قوله

يعقل معناه:

يحصره بإدراكه له عما لا يدركه، لذلك جاز أن يقول: يعلم اللّه كذا، و لا يجوز أن يقول يعقل اللّه كذا؛ لأن العقل يشد، و العاقل الذى يحبس نفسه عما تدعو إليه الشهوات، و لا شهوة للّه تعالى فيحتبس عنها، فلذلك لا يقال للّه عاقل، فيقال: عقل فلان الشىء و هو يعقله بمعنى: حصره بإدراكه له عما لا يدركه و يفيده تمييزه له عن غيره مما لم يدركه، و هذا لا يصح فى حق اللّه تعالى، فإذا كانت رتبة يَعْلَمُونَ زائدة على رتبة يَعْقِلُونَ، و أخبر اللّه عن الكفار فى سورة المائدة «۱»، فقال: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ فبين أنهم ادعوا رتبة العلم بصحة ما كان آباؤهم عليه؛ لأنهم قالوا: حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا و لفظة «حسبنا» تستعمل فيما يكفى فى بابه و يغنى عن غيره، فالمدرك للشىء إذا أدركه على ما هو به و سكنت نفسه إليه فذاك حسبه، فاستعمل لفظة يَعْلَمُونَ و نفى عنهم النهاية؛ لأنهم ادعوها بقولهم حَسْبُنا، فكأنهم قالوا: معنا علم تسكن نفوسنا إليه مما وجدنا عليه آباءنا من الدين، فنفى ما ادعوه بعينه هو و العلم. و الموضع الأول الذى فى سورة البقرة لم يحك عنهم فيه أنهم ادعوا تناهيهم فى معرفة ما اتبعوا فيه آباءهم، بل كان قوله تعالى:

---

(۱) الآية: ۱۰۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا و لم يدعوا أن ما ألفوا عليه آباءهم كان كافيهم و حسبهم، فاكتفى بنفى أدنى منازل العلم لتكون كل دعوى مقابلة بما هو بإزائها مما يبطلها و السلام.

الآية الخامسة عشرة

قوله تعالى فى هذه السورة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۱» و جاء فى ثلاثة مواضع بعده وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ أولها فى سورة المائدة «۲»: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ و فى آخر سورة الأنعام «۳»: قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ و فى سورة النحل «۴»: فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فجاء فى المواضع الثلاثة به مؤخرا، عن قوله: لِغَيْرِ اللَّهِ، و فى الموضع الأول من سورة البقرة مقدما على قوله: لِغَيْرِ اللَّهِ.

للسائل أن يسأل فيقول: لما ذا اختلف الموضع الأول مع المواضع التى بعده؟

الجواب أن يقال: أما الموضع الأول، فإنه جاء على الأصل الذى يقتضيه حكم اللفظ؛ لأن الباء التى يتعدى بها الفعل فى هذا المكان من جملة الباءات التى تجىء كحرف من نفس الفعل تقول: ذهبت بزيد، ثم تقول: أذهبت زيدا، فتصير الباء كالهمزة المزيدة فى بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم، و ما يتعدى إليه الفعل باللام لا يترك، لأنه بمنزلة الحرف من نفس الفعل فصار قوله: أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بمنزلة ذبح لغير اللّه مسمى عليه اسم بعض الآلهة، فلما كان هذا الأصل فى الأول جرت الآية الأولى عليه، و لما كان الإهلال بالمذبوح لا يستنكر إلا إذا كان لغير اللّه كان ما عدا الأصل بتقديم المستنكر أحق و أولى، أ لا ترى أنهم يقدمون المفعول إذا كانوا ببيانه أعنى،

---

(۱) سورة: البقرة، الآيتان: ۱۷۲، ۱۷۳.

(۳) الآية: ۱۴۵.

(۲) الآية: ۳.

(۴) الآيتان: ۱۱۴، ۱۱۵.

فيقولون: ضرب زيدا عمرو، فيقدمون المفعول على الفاعل؛ لأن الاهتمام بأمره أتم؛ لأن هذا ينفى منه ما فيه و هم متوهم، أو قول قائل: ضرب محمد زيدا، فيقع الخلاف فى المفعول لا فى الفاعل، فيقول المنكر لذلك المثبت صحة ما عنده: ضرب عمرا زيد لا محمدا، فإن ترك قوله: لا محمدا كان مكتفيا عنه بتقديم المفعول، و كذلك ما ينكره من الفضلات كالظرفين و الحال، فقال المخاطب إذ توهم: ضرب زيد عمرا اليوم، فقال المنكر: ضرب أمس زيد عمرا، فقدم أمس على الفاعل و المفعول به؛ لأنه هو الذى ينكره و يمنع أن يكون على ما توهمه، و الباقى من الكلام ليس فيه ما يستنكره، فالعناية بتقديم ما يزيل الشك عنه أتم، و هو بالتقديم أحق فذلك قوله تعالى: وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ مع قوله: وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فى الآى الثلاث.

الآية السادسة عشرة

قوله عز و جل: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۱» و قال فى سورة الأنعام «۲»: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و قال فى سورة النحل «۳»: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

للسائل أن يسأل فيقول: هل لاختلاف الألفاظ التى اتبعت قوله: اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ معنى يخصص كل مكان باللفظ الذى اختص به؟.

الجواب أن يقال: قصد اللّه تعالى فى المواضع الثلاثة أن يبين للمضطر ما له أن يتناول من المحرم الذى يمسك به رمقه «۴»، فذكر فى الموضعين الآخرين فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فكان تعريضا بمغفرته لمن اضطر إلى تناول المحرم فى حالته، فالموضع الأول بدأ فيه بصريح اللفظ بإسقاط الإثم، فقال: فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ثم عقبه بما اتصف به من المغفرة و الرحمة، و فى هذه الآى الثلاث سؤال آخر و هو أنه قال فى الأولى: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و فى الثانية فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و فى الثالثة فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فهل لاختصاص الأول و الأخير بذكر اللّه تعالى فائدة،

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۷۳.

(۳) الآية: ۱۱۵.

(۲) الآية: ۱۴۵.

(۴) الرمق: بقية الروح.

و لاختصاصه فى الآية الثانية بقوله: فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و عدوله عن ذكر اللّه إلى ذكر ربك فائدة مخصصة بمكانه.

الجواب عن ذلك أن يقال: لكل موضع معنى يوجب اختصاص اللفظ الذى ذكر فيه، فأما الأول فلأنه لما قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱» و ختم بقوله: إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ «۲» كذا كان بما قدمه مثبتا عليهم إلهيته؛ لأن الإله هو الذى يحق له العبادة بما له من النعمة، فلما قدم ذكر ما رزقهم منها و طالبهم بشكرها أتبعه بقوله: إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ و ختم الآية بأن قال: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أى: من أنعم عليكم غاية النعمة و استحق بها غاية التعبد و التذلل هو الذى يغفر لكم عند الضرورة تناول ما حرمه عليكم فى حال الاختيار رحيم بكم، و كذلك الآية الثالثة مبنية على مثل هذا؛ لأن أولها فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

حَلالًا طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ «۳» فكان مشبها لما قدمنا ذكره، فقال: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و أما الثانية فلأنه قدم عليها ذكر أصناف ما خلقه اللّه لتربية الأجسام فقال: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ «۴» فذكر الثمار و الحب، و أتبعه بذكر الحيوان من الإبل و البقر و الغنم، خص هذا الموضع بذكر الرب؛ لأن الرب هو القائم بمصالح المربوب، فكان هذا أليق بهذا المكان و اللّه أعلم.

الآية السابعة عشرة

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ «۵» و فى سورة آل عمران «۶»: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ.

للسائل أن يسأل فيقول: الإخبار فى الموضعين عن أهل الكتاب الذين كتموا ذكر

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۷۲.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۱۴۱.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۱۷۳.

(۵) سورة: البقرة، الآية: ۱۷۴.

(۳) سورة: النحل، الآية: ۱۱۴.

(۶) الآية: ۷۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵

بعث النبى صلّى اللّه عليه و سلم من كتابهم المنزل عليهم من التوراة و الإنجيل و التوعد فى الموضعين مختلف و الكبيرة واحدة، فهل هناك معنى يوجب اختلاف الوعيد فى المكانين؟.

الجواب أن يقال: الوعيد فى مكان من المكانين على حسب ما ذكر من عظم الذنب و كبر الجرم، فقال فى سورة البقرة: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فوصفهم بأنهم خالفوا اللّه فى أمره و نقضوا ما قدم من عهده إليهم، حيث قال: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ «۱» فهؤلاء لم يبينوا و كتموا، فخالفوا بارتكاب ما نهى اللّه عن ارتكابه و ترك ما أمر اللّه بإتيانه، ثم قال: وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أى: نصيبا يسيرا من الدنيا، فجاء على هذا غلظ الوعيد، و هو قوله: أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ أى: هذا الحظ اليسير الذى نالوه من الدنيا بمطعم و مشرب إنما هو نار فى أجوافهم، ثم قال: وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أى: ليسوا ممن ترجى نجاتهم فيجيئهم من قبل اللّه كلام أو سلام، كما قال فى أوليائه: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ «۲» ثم قال: وَ لا يُزَكِّيهِمْ أى: لا يطهرهم من ذنب الكفر بالعفو عنهم وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ثم قال: أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى «۳» فكرر ذكر سوء اشترائهم و وعيدهم و أنهم باعوا الإسلام بالكفر، و اشتروا عذاب اللّه بالغفران، و اقتحموا عذاب النار فعل من يعجب من صبره عليها، فهذه أنواع كثيرة من التوعد اقترنت بما حصل من الذنب العظيم فى كتمان ما لم يجب كتمانه، و الإعراض عن تبيين ما وجب تبيانه، و الآية التى فى سورة آل عمران لم يذكر فى أولها من الذنوب التى ارتكبوها مثل ما ذكر فى أول هذه الآية، قال:

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا فكان هاهنا ذكر بعض ما ذكر فى الآية الأولى و هو وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فقرن به من الوعيد أقل مما قرن بالآية الأولى، و هو أن قال: لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أى: لا نصيب لهم من الخير وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ كما يكلم

أولیاءه وَ لا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ نظر رحمة وَ لا یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ.

الآیة الثامنة عشرة

قوله تعالی:

---

(۱) سورة: آل عمران، الآیة: ۱۸۷.

(۳) سورة: البقرة، الآیة: ۱۷۵.

(۲) سورة: الأحزاب، الآیة: ۴۴.

وَ لا تُباشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاکِفُونَ فِی الْمَساجِدِ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها «۱» و قال فی آخر هـذه السورة: تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها «۲».

للسائل أن یسأل فیقول: کیف اختص الموضع الأول بقوله: فَلا تَقْرَبُوها و الموضع الثانی بقوله: فَلا تَعْتَدُوها؟.

الجواب أن یقال: الأول خرج علی أغلظ الوعیـد، کما قال: وَ لا تَقْرَبا هـذِهِ الشَّجَرَةَ «۳» و إنما کان نهی عن أکلها لا الـدنو منها، فخرج مخرج قول القائل إذا نهی عن الشیء و شدد الأمر فیه: لا تقرب هذا الشیء، و ما أحسن ما قال النبی صلّی اللّه علیه و سلم فی المنع من مقاربـة الحرام: «من رتع حول الحمی یوشـک أن یقع فیه»، و کمـا یروی عن بعض الصالحین إنی لأحب أن یکثف الحاجز بینی و بین ما حرم اللّه، فلما کانت حالـة هـذه الموضع الأول نهیا: عن مواقعـة النساء فی حالـة الاعتکاف فی المساجـد صار فیه تحذیر من دواعی المواقعـة، فاقتضـی من المبالغـة ما لم یقتضه قوله: فَلا جُناحَ عَلَیْهِما فِیمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها فکأنه قال لا تتجاوزوها یعنی: المرأة إذا افتـدت لمهرها و خالعت زوجها لم یکن علیها إثم، و هذه حدود نهی عن تعدیتها، و الحدود ضـربان: حد هو منع من ارتکاب المحظور، و حـد هو فاصل بین الحلال و الحرام، فالأول ینهی عن مقاربته، و الثانی ینهی عن مجاوزته، و هما المـذکوران فی هذه السورة و حد النهی عنهما و السلام.

الآیة التاسعة عشرة

قوله تعالی: وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّی لا تَکُونَ فِتْنَةٌ وَ یَکُونَ الـدِّینُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُـدْوانَ إِلَّا عَلَی الظَّالِمِینَ «۴» و قال فی سورة الأنفال «۵»: وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّی لا تَکُونَ فِتْنَةٌ وَ یَکُونَ الدِّینُ کُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما یَعْمَلُونَ بَصِیرٌ.

للسائل أن یسأل فیقول: لأی فائـدة قال فی هـذه السورة: وَ یَکُونَ الـدِّینُ لِلَّهِ و لم یؤکد و عقبه بقوله: فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَی الظَّالِمِینَ و فی سورة الأنفال: وَ یَکُونَ الدِّینُ کُلُّهُ لِلَّهِ فوکده و أتبعه قوله: فَإِنَّ اللَّهَ بِما یَعْمَلُونَ بَصِیرٌ.

---

(۱) سورة: البقرة، الآیة: ۱۸۷.

(۴) سورة: البقرة، الآیة: ۱۹۳.

(۲) سورة: البقرة، الآیة: ۲۲۹.

(۵) الآیة: ۳۹.

(۳) سورة: البقرة، الآیة: ۳۵.

الجواب عن ذلك أن يقال: الآية الأولى فى هذه السورة جاءت فى قتال أهل مكة أ لا ترى ما قبلها وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ «۱» ثم قال: وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ «۱» و هذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك و هم نازلة الحرم، فاقتصر على «الدين» من غير توكيد على معنى: حتى يكون الدّين حيث هؤلاء لا فى كل مكان؛ لأنه لا يحصل بقتل مشركى مكة الدّين فى كل البلاد، و قوله:

فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ أى: إن انتهوا عن كفرهم فلا عدوان عليهم، إنما العدوان على من أقام على الضلالة و ظلم نفسه بلزوم الجهالة، و أما ما فى سورة الأنفال فالأمر ورد عاما فى قتال كل الكافرين، أ لا ترى أن قبل الآية: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ «۳» و ليس هذا فى طائفة من الكفار دون طائفة فإذا كان ذلك كذلك، و قال بعده: وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ أى: لا يكون شرك و كفر اقتضى هذا أن يكون بعده وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فأمر بإبطال كل كفر قدروا عليه، و أتبعه قوله: فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أى:

إن انتهوا و انتقلوا إلى الإيمان و كفوكم بما يظهرون من الإسلام عن قتالهم، فاللّه يعلم عملكم و عملهم على القراءتين جميعا، فيكون الخطاب للمقاتلين و لفظ المعاتبة للمقاتلين، و يمكن أن يقال: إن الخطاب فى «يعملون» يشمل الكل؛ لأنه قال: حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فكلهم قد صاروا مؤمنين، فلا جرم أن ضمهم خطاب واحد، و أعلمهم أنه مجاز لهم على عملهم مطلع على سرائرهم يعرف من كان انتهاؤه عن الكفر لرغبة من رغائب الدنيا، و من كان انتهاؤه عنه للتبصر، فسوّى بين السر و الجهر، و اللفظة فى ضمنها إذا وردت من القادر الحكيم غاية التخويف و الوعيد فى العقاب الأليم، و غاية الترغيب فى الثواب العظيم لفرقتى الطاعة و العصيان، فهذا فرق و السلام.

الآية العشرون

قوله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ «۴» و قال فى سورة آل عمران «۵»:

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۹۱.

(۴) سورة: البقرة، الآية: ۲۱۴.

(۳) سورة: الأنفال، الآية: ۳۸.

(۵) الآية: ۱۴۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۸

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ و قال فى سورة التوبة «۱»:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: كيف اختلف اللفظ فى الثلاثة المواضع و هى فيها كلها نعت على الجهاد، و هل صلح ما هو فى الأول للآخر أم اقتضاه مكانه بعينه دون غيره؟.

الجواب أن يقال: بل لكل معنى يقتضى اللفظ الذى خص به، فالآية الأولى من هذه السورة وردت عقيب قوله: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ «۲» ثم قال: وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ «۲» يعنى: الكتاب مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ «۲» فكانت هذه الحالة التى أخبر اللّه تعالى عنها مشبهة حال النبى صلّى اللّه عليه و سلم و المؤمنين معه فيما دفعوا إليه من بغى

المشركين و مقاتلتهم لهم مجاهدين، فقال:

أم حسبتم أن تشتروا الجنة لتسكنوها خالدين فيها و لم تفعلوا أفعال الأمم الماضية فيما دفعت إليه هى و أنبياؤها صلوات اللّه عليهم و سلامه من قتال الكفار من الشدة و المضرة و الانزعاج عن المواطن، حتى استعجلوا النصر لما استنفدوا الصبر، أعلمهم اللّه أن نصره قريب من أوليائه غير بعيد عن حزبه، فكذلك حالكم إذا عرفتم حالهم و عاقبة أمرهم و ما لهم، و معنى قوله: تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ و ما يليه فى قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ «۵» فكان فى ذكر ذلك شحذا لبصائرهم فى الجهاد و حملهم على الاقتداء بفرق الصلاح و أمم الأنبياء قبلهم، و تأنيس لهم بالصبر على ما حل بهم، حتى حمدوا عاقبة أمرهم. و أما الآية الثانية فى سورة آل عمران و هى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ فهى خطاب للمسلمين الذين نالهم من قتال المشركين جراحات، قال فيها: إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ «۶» فقال: أم حسبتم أن تنالوا الجنة و لما تجاهدوا الأعداء من الكفار، فيعلم اللّه ذلك منكم، و لما تصبروا صبرا زائدا على صبرهم فيرى ذلك من فضلكم عليهم، فإن الجنة لمن فعل ما أمر اللّه به فى الوقت من قتال أهل الكفر و توطينهم النفس فيه على الصبر، فيخف عليه ما يجد من الألم بما تحقق من الفوز فى الآجلة و العاجلة، و الحالة

---

(۱) الآية: ۱۶.

(۵) سورة: التوبة، الآية: ۱۱۱.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۲۱۳.

(۶) سورة: آل عمران، الآية: ۱۴۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۹

التى رد فيها هذه الآية، اقتضت البعث على التشمير للقتال و الصبر بعد صبر الأعداء، و قد قيل لبعض العرب: ما كان سبب كثرة ظفركم بأعدائكم؟ فقال: كنا نصبر بعد صبرهم ساعة فيكون ذلك سبب الظفر. و أما الآية الثالثة فى سورة براءة و هى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ فإنها خطاب للمجاهدين من المؤمنين، و توعدا لمن كان منهم يبقى على أقارب له عند الظفر بهم. لقوله بعده: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ «۱» الآية فحذر المنافقين الذين ضاموا المؤمنين فى قتال المشركين أن يعلم اللّه مجاهدتهم أعداءهم، و قد اتخذوا معها وليجة بينهم و بين المشركين «فالوليجة» هى المدخل الذى ذكره اللّه فى الآية بعدها عند وصف المنافقين، فقال: وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ «۲» فقولك و لج بمعنى: دخل «فالوليجة» المدخل و هى الوسيلة التى يدخل بها الإنسان حريم الإنسان كالباب المفتوح له يفعل فعله، فكأنه كان التوعد يقتضى أن يقال لهم: أ ظننتم أن تتركوا و ما تظهرون من مجاهدتكم أعداءكم، و لم يكن منكم جهاد خالص للّه لا تمالئون فيه أبا و لا ابنا، و لا ترعون فيه حميما و لا قريبا، و لا تبقون على ذى معرفة إبقاء تتقربون به رجاء أن يجازوكم عليه، فإن قدرتم أن تتركوا مضامة المسلمين فى القتال من غير أن يعلم منكم باطنا عاريا من هذه الحال، فقد أخطأ ظنكم، و أخلف تقديركم، فإنكم مطالبون بالتوفقة بين سركم و جهركم.

الآية الحادية و العشرون

قوله تعالى: ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ «۳» و قال فى سورة الطلاق «۴»: ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً.

للسائل أن يسأل فيقول: إذا كان الكاف فی ذلک للمخاطب، فيجمع إذا كثروا،

---

(۱) سورة: التوبة، الآيتان: ۲۳، ۲۴.

(۳) سورة: البقرة، الآية: ۲۳۲.

(۲) سورة: التوبة، الآيتان: ۵۶، ۵۷.

(۴) الآية: ۲.

و يقال: ذلكم كما قال فی الآية الأخيرة من الآيتين، و كما قال: ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ و كما قال فی مخاطبة الاثنين: ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِی رَبِّی «۱» و كما قال فی مخاطبة النساء: فَذلِكُنَّ الَّذِی لُمْتُنَّنِی فِيهِ «۲» فيثنی و يجمع علی حسب المخاطب، كما يذكر و يؤنث و ينكر كقوله: قالَ كَذلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَيِّنٌ «۳» فما بال قوله تعالی:

ذلِکَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فی سورة البقرة فوحد الكاف من ذلک مع جمعها فی نظيرها فی سورة الطلاق؟

الجواب عن ذلک أن يقال: إن الكاف تجیء فی الكلام اسما للمخاطب و موضعها نصب، كقولک: رأيتک، و جر كما فی غلامک، و تجیء متصلة بالأسماء المبهمة التی للإشارة، و ليست باسم، و لكنها للخطاب، و يقاربها معنی آخر و هو تبعيد المشار إليه نحو ذاک و ذلک و أولئک، و الدليل علی أنها ليست اسما، قوله: فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ «۴» و لو كان اسما مجرورا لما اجتمعت مع نون التثنية كما لا تجتمع معها فی قولک: غلاماک، فلا تقول: غلامانک، و لا يجوز أن تكون الكاف بعد المبهمة اسما منصوبا لأنه ناصب، و شیء آخر و هو أن هذه المبهمة معارف و لا تصح إضافتها، و الكاف بعدها ليست باسم مضاف إليه، فإذا عريت من الاسمية لم تعر من معنی الخطاب، و المعنی الذی يقاربها مع الخطاب فی المبهم أنک تقول: ذا فيكون إشارة إلی قريب، فإذا قلت ذاک صار بالكاف إشارة إلی بعيد، فلما عريت الكاف من الاسمية قصد بها إلی أحد المعنيين اللذين وضعت لهما، كذلک فی الأسماء المبهمة، لما قصد بها معنيان الخطاب و التبعيد جاز أن يعری من أحدهما، و هو الخطاب، و يقتصر بها علی معنی التبعيد حسب علی حسب قصد القاصد، و إذا جاءت مثناة اللفظ، أو مجموعة علی حسب حال المخاطبين، فهی علی المعنيين، و تبيين الموضع الذی يقصد فيه التبعيد وحده لغرض من الأغراض، دون الخطاب و التبعيد معا يمكن باستقراء كل لفظ من القرآن جاءت فيه ذلک، و المخاطبون عدة، و تأمل موضعها من تأمل المواضع الأخر التی ثبتت فيها و جمعت، و استنباط حكمه يقتضی فی ذلک الموضع استعمالها للتبعيد وحده دون الخطاب، و سنتأمل هذا علی استكمال فی كل مكان إن شاء اللّه تعالی.

و جواب آخر عن المسألة: و هو أن كل موضع أفردت فيه الكاف و الخطاب

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۳۷.

(۳) سورة: مريم، الآية: ۹.

(۲) سورة: يوسف، الآية: ۳۲.

(۴) سورة: القصص، الآية: ۳۲.

لجماعة، فإنما قصد بالكاف المفردة مخاطبة النبی صلّی اللّه عليه و سلم، ثم العدول عنها إلی مخاطبة أمته، كقوله عز من قائل: يا أَيُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ «۱» فلم يمنعه قوله: إِذا طَلَّقْتُمُ و هو خطاب الجماعة عن أن يفرد للنبی صلّی اللّه عليه و سلم خطابا مخصوصا

موحـدا، و هو قوله: يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فكـذلك قوله: ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كـانَ مِنْكَمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تكون الكاف فى ذلك لخطاب النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و الكاف فى منكم لخطاب لأمته، و كذلك كل موضع جاءت الكاف فيه هذا المجىء.

الآية الثانية و العشرون

قوله تعـالى: فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «۲» و قال فى آخر هـذه العشـر: فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِي ما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۳».

للسائـل أن يسأل فيقول: ما الفائـدة التى أوجبت اختصاص المكان الأول بالتعريف و الباء، فقال: بالمعروف، و المكان الثانى بالتنكير و لفظة «من».

الجواب عن ذلـك أن يقال: إن الأول تعلق بقوله: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْـهُرٍ وَ عَشْـراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ أى: لا جناح عليكم فى أن يفعلن فى أنفسـهن بأمر اللّه، و هو ما أباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة، فالمعروف هاهنا أمر اللّه المشـهور، و هو فعله و شرعه الذى شرعه و حث عليه عباده، و الثانى المراد به فَلا جُنـاحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ من جملـة الأفعال التى لهن أن يفعلن من تزوج أو قعود، فالمعروف هاهنا فعل من أفعالهن يعرف فى الـدين جوازه و هو بعض مـا لهن أن يفعلنه، و لهـذا المعنى خص بلفظـة «من» و نكر، فجاء المعروف فى الأول معرف اللفظ لما أشـرت إليه، و هو أن يفعلن فى أنفسـهن بالوجه المعروف المشـهور الـذى أباح الشـرع من ذلك، و هو الوجه الذى دل اللّه عليه و أبـانه، فعرف إذ كـان معرفـة مقصودا نحوه، و كـذلك خص بالبـاء و هى للإلصـاق، و الثانى كان وجها من الوجوه التى لهن أن يأتينه فأخرج مخرج النكرة لذلك.

---

(۱) سورة: الطلاق، الآية: ۱.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۲۳۴.

(۳) سورة: البقرة، الآية: ۲۴۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۴۲

الآية الثالثة و العشرون

قوله تعـالى: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ «۱» و قال فى سورة النساء «۲» فى الموضع الأول: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً الَّذِينَ يَبْخَلُونَ و فى الموضع الثانى: وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً «۳» و قال فى سورة الحديد «۴»: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ.

للسائل أن يسأل عن المواضع الأربعة، عن اختلاف اللفظين فى الموضـعين، و اتفاقهما فى الموضـعين، و اختصاص الموضعين بالواو، و اختصـاص الموضـعين الآخرين بـأن، و أن يسأل فيقول: ذكر فى الآيـة الأولى: «الكفار الأثيم» و فى الآيـة الثانيـة: «الخوان الأثيم» و فى الثالثة: «المختال الفخور» فهل فى كل مكان معنى يوجب اختصاصه باللفظ المستعمل فيه و ما ذلك المعنى؟.

الجواب أن يقال: إن الآية الأولى فى الكفار الذين استحلوا ما حرم اللّه، و عارضوا ما أنزل اللّه فقالوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا «۵» حتى قال: فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ «۵» فعظم كفرهم و سمى كل واحد منهم كفارا على لفظ المبالغة؛ لأن كفارا بعد كافر لمن هو مقيم على الكفر، و الكفر عـادته كضارب و ضـراب و خائط و خياط، ثم اتبعه بقوله: أَثِيمٍ أى: مبالغ فى اكتساب الإثم، و أثيم أبلغ من آثم، فـإذا كفر كفرا بعـد كفر و أقـام عليه، و هو وصف من أخبر عنه بالاسـتحلال للربـا سـماه كفارا، فصار أثيما بـذلك، و سائر أبنية

الأفعال التى تلحقها بالكفر، و أما الوضع الثانى و هو الأول من سورة النساء، فإنه أمرهم بالعبادة و ترك الشرك فقال: وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً «۷» أخبرهم بأنهم عبيد و العبد لا يحسن منه الاختيال و الفخر؛ لأن الرق و الذل يخالفانه، فلذلك عقبه بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً و عقبهما ب الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ لأنه بعد العبادة أمرهم بالإحسان إلى الوالدين و إعطاء ذى القربى و اليتامى و المساكين، فقال: إن اللّه لا يحب العبد المختال الفخور البخيل، و أما الموضع الثالث و هو الثانى من سورة النساء: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۲۷۶.

(۴) الآيتان: ۲۳ و ۲۴.

(۲) الآيتان: ۳۶ و ۳۷.

(۵) سورة: البقرة، الآية: ۲۷۵.

(۳) سورة: النساء، الآية: ۱۰۷.

(۷) سورة: النساء، الآية: ۳۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۴۳

فلأنه ذكر قبله وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً فأخبر عن حالهم فاقتضى تقدم الذكر هذا الوصف.

و الموضع الرابع: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ فى سورة الحديد جاء بعد نهيه عن تمكين الحزن و الأسى من النفس على ما يفوت من أحوال الدنيا، و يفجع به الإنسان من مستفاد النعمى للعلم السابق بأنها عوار مرتجعة، فكذلك إذا خول منه الكثير لا يمرح بحبه و لا يبطر فيه، كما قال: وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً «۱» أى: فعل المختال فذم الإفراط فى الجزع عند المصيبة و الفجيعة و الغلو فى الفرح و المرح عند العطية و كثرة الشبعة، حتى يخرج عن التواضع مما يحول إلى الكبرياء، فيبطر و يمرح و يفتخر، فعقبه بقوله: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ و إنما عقبهم ب الَّذِينَ يَبْخَلُونَ لأن المتقدم عليه إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ «۲» فكأنه حثهم على الصدقة و إقراض اللّه، فإن من لم يفعل ذلك يكون بخيلا، و اللّه لا يحب البخيل، و أما الفرق بين (الواو) و (إن)، فإن الواو فى أكثر الأحوال لا تكون أجنبية مما قبلها بخلاف «إن»، فإنها كلمة أجنبية من الكلمتين وضعت لابتداء الكلام، ففى سورة البقرة و سورة الحديد الكلام متصل بعضه ببعض، فذكره بواو حيث قال: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ فوصلهما بالواو، و كذلك فى الحديد وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ و الاختيال و الفخر إنما يكون من الفرح، فجمع بينهما بواو، و أما الموضعان الآخران فى سورة النساء فقد تم الكلام فيهما؛ لأنه فى الأول أمرهم بالعبادة و ترك الشرك و الإحسان بالوالدين و ذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و الجار و ملك اليمين، و قد تمت هذه الأوامر، ثم ابتدأ بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ كذا و كذا، و كذلك الموضع الثانى؛ لأنه نهى النبى صلّى اللّه عليه و سلم عن المجادلة عن الذين يختانون أنفسهم فأتم الكلام، ثم قال: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً فاختص كل مكان بالوصف الذى لاق به و السلام.

مضى الكلام فيما شابه من سورة البقرة مكانا آخر منها أو من غيرها عن اثنين و ثلاثين موضعا وقع فيها السؤال.

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۳۷.

(۲) سورة: الحديد، الآية: ۱۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۴۴

۳- سورة آل عمران سبع آيات

الآية الأولى منها

قوله تعالى: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ «۱» و قال فی سورة الأنفال «۲»: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ و بعدها بآية كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كانُوا ظالِمِينَ «۳».

للسائل أن يسأل فی هذه الآی عن مسائل، أما فی الآية الأولی، فعن قوله:

كَذَّبُوا بِآياتِنا و العدول بعده عن الإخبار عن النفس بالاسم المضمر إلی الاسم المظهر، و هو قوله: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ و لم يقل فأخذناهم، و هل هاهنا فائدة توجب العدول عن إجراء الكلام الثانی مجری الكلام الأول فی إسناد الفعل إلی ما أسند إليه فيما قبل؟

و المسألة الثانية: أن يسأل عن الكاف فی كَدَأْبِ و وجه اتصالها بما قبلها و موضعها من الإعراب لأنها بمعنی «مثل»، و الكاف التی يصح مكانها «مثل» محكوم علی موضعها برفع أو نصب أو جر.

و المسألة الثالثة: فی الآية الثانية و مخالفتها للآية الأولی فی إجراء الخبر كله علی لفظة واحدة و هی لفظة «اللّه» لأنه قال تعالی: كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ و لم يقل: كفروا بآياتنا كما قال فی الأولی.

---

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۱۱.

(۲) الآية: ۵۲.

(۳) سورة: الأنفال، الآية: ۵۴.

و المسألة الرابعة: فی الآية الثالثة و هی أنه قال: كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ و لم يقل:

بِآياتِنا كما قال فی الأولی، و لا بِآياتِ اللَّهِ كما قال: فی الثانية بل أتی بصفة من صفات اللّه عز و جل و هی الرب.

و المسألة الخامسة: فعن فائدة التكرار فی سورة الأنفال فی موضع لا يحجز بينهما إلا آية واحدة.

أما المسألة الأولی فقوله: كَذَّبُوا بِآياتِنا وقع الإخبار عن النفس كما يجب فی مثله إذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعل فعله فأتی بلفظ المضمر دون المظهر، ثم خالف ذلک اللفظ إلی غيره، فقال: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ.

الجواب عن هذا أن يقال: العدول عن المنهج الأول المستمر فی الإخبار عن النفس إلی لفظ ظاهر هو لفائدة تضمنتها هذه اللفظة من الاحتجاج، و ليست هذه الفائدة فی لفظة الإضمار، و كانت الآية التی قبلها قد وقع فيها مثل هذا العدول إلی هذه اللفظة للاحتجاج الذی من أجله وقع العدول فی هذا المكان إليه، و هو قوله تعالی: رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ «۱» فقوله: رَبَّنا يقتضی أن يكون بعده: إنک لا تخلف الميعاد، كما قال: رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلی رُسُلِکَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ «۲» فلما قال تعالی فی هذا الموضع:

رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ فكان المعنی: إنک خلقت الدار الأولی للتكليف، و مكنت العباد فيها من الطاعة و العصيان، و رغبت المطيع فی الثواب، و خوفت العاصی من العقاب، فوقع منک وعد و وعيد، فرغبت من الوفاء بهما بأنک تجمع الخلائق ليوم الجزاء؛ لأن من خلق و أنعم نعمة حقت بها العبادة، و لزمت من أجلها الطاعة، و هو معنی قولنا: إن اللّه إذا وعد صدق، فلا خلف فی قوله و لا تبديل لكلماته، فلما كان معنی قولنا «اللّه» معنی الإله، و الإله مشتق من أله يأله إلاهة أی: عبد يعبد عبادة، فالإله هو الذی حقت عبادته لما عظمت نعمته، كان العدول إلی هذه اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدة لم تكن لتحصل لو قال: إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ

فلما تقدمت هذه الآية التى وقع العدول فيها عن لفظ إلى لفظ لما قصد من الاحتجاج بمعناه، فكذلك بنيت هذه الآية التى تليها عليها فى مثل هذا الحكم، لما ثبت من مثل هذا المعنى، فقال تعالى:

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۹.

(۲) سورة: آل عمران، الآية: ۱۹۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۴۶

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ فأتى بالضمير الفاعل، و كان يعقل من قوله:

كَذَّبُوا بِآياتِنا أى: إنا عرضناهم للإيمان، و مكناهم من الإسلام، و أزحنا العلة، و نصبنا الأدلة، فكذبوا بها، فالذى حقت له العبادة، و عظمت منه النعمة أخذهم بذنوبهم، و اللّه يعاقب الكفار عقوبة تشتد عليهم، و لا تخفف عنهم لما قدموا من العصيان ما استمر مثله، و لم ينقل عنه قدم و لا عقبه بعد الإصرار عليه ندم. فهذه فائدة العدول إلى لفظة «اللّه» فى قوله تعالى: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ دون قوله: فأخذناهم.

المسألة الثانية أن يسأل عن الكاف فى كَدَأْبِ و وجه اتصالها بما قبلها و موضعها من الإعراب، لأنها بمعنى «مثل»، و الكاف التى يصح مكانها «مثل» محكوم على موضعها برفع، أو نصب، أو جر.

الجواب عنها أن يقال: يجوز أن تكون الكاف متعلقة بقوله: لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ «۱» فيكون موضع الكاف نصبا على معنى المصدر كأنه قال: لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مثل ما لم تغن عن آل فرعون أى: إذا جاء عقاب اللّه لم يدفعه المال و الولد، كما لم يدفع ذلك عن آل فرعون و الدأب أصله الهمز و هو العادة و ما جرى عليه قوم فى معاملة، و يجوز أن تكون الكاف متعلقة بمعنى قوله: وَقُودُ النَّارِ «۱» كأنه قال: و أولئك يصلون النار كما أجرى اللّه حكمه عادة لآل فرعون، و فيه وجه ثالث، و هو أن يكون موضع الكاف رفعا على أنه خبر ابتداء، كأنه قال: حال هؤلاء مثل حال آل فرعون و دأبهم كدأبهم.

المسألة الثالثة فى الآية الثانية هى مخالفتها للآية الأولى فى إجراء الخبر كله على لفظة واحدة، و هى لفظة «اللّه»؛ لأنه قال تعالى: كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ و لم يقل: كفروا بآياتنا كما قال فى الأولى.

الجواب عن ذلك أن يقال: إن الآية التى تقدمت هذه هى قوله: إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۳» فجرى الخبر فى هذه الآية على اللفظ الظاهر و هو وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ثم جاء بعدها:

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۱۰.

(۳) سورة: الأنفال، الآية: ۴۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۴۷

وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ «۱» و لم يكن فيها خبر عن اللّه تعالى، و جاءت الآية التى هى كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ و فيها إخبار عن اللّه، فكان بناؤها على الآية التى قبلها أولى، كما كان فى الآية التى فى سورة آل عمران يقتضى بناؤها على الآية التى قبلها العدول عن لفظ الإضمار إلى لفظ الإظهار، ثم كان لفظ الصريح فى معناه احتجاجا عليهم، كما كان فى اللفظ الذى عدل إليه فى الآيتين المتقدمتين من قوله: إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ و قوله: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ.

المسألة الرابعة فى الآية الثالثة هى أنه قال: كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ و لم يقل بآيتنا كما قال فى الأولى، و لا بايت الله كما قال فى الثانية.

الجواب أن يقال: لما أخبر عن نعمته على عباده، و أن منهم من يغيرها بعصيانه، فيستحق بذلك تغيير النعمة عليه، و هو معنى قوله:

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۲» و المنعم على عباده ربهم؛ لأنهم مربون بنعمه، كان القصد فى هذه الآية إلى ذكر تنعيمهم فى الدنيا، و تغيير النعمة عليهم فيها، إذ لم يقوموا بحقها بعقاب من عقاب الدنيا مثله بما يفعله بعض الناس ببعض، فكذلك قال:

فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ فكأنه قال: كذبوا بآيات من أقام نفوسهم شواهد لربوبيته بتربيته إياهم بصنوف نعمته، و نقل الوليد عن أولى حاليه إلى غيرها مما يبلغ به غاية قوته، و سأشرح ذلك فى جواب.

المسألة الخامسة: و هى السؤال عن فائدة التكرار فى سورة الأنفال فى موضعين لا يحجز بينهما إلا آية واحدة، و هذه المسألة قد أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال:

أخبر اللّه تعالى عن إجراء العادة فيهم بنوعين من العذاب مختلفين، و إذا كان كذلك لم يكن تكرارا؛ لأنه ذكر فى الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت فى البشارة التى أتتهم بعذاب الحريق، و أنه فعل بهم ذلك كما فعله بآل فرعون، و من كان قبلهم من الكفار، ثم ذكر فى الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون، و من كان قبلهم من الكفار، و ما أجرى عليه العادة فى تعذيبه إياهم بعد الموت فى القبور و فى غيرها.

الجواب عندى أنه أخبر فى الأولى عما عاقبهم به من العذاب الذى لم يملك

---

(۱) سورة: الأنفال، الآية: ۵۰.

(۲) سورة: الأنفال، الآية: ۵۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۴۸

الناس إيقاعه، و لم يمكن بعضهم من أن يفعل ببعض مثله، و هو ضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم عند نزع أرواحهم، و إخبارهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم، و فى الثانية أخبر عما أنزله بهم من العذاب الذى مكن الناس من فعل مثله، و هو الإهلاك و الإغراق، لأن ذلك مما أقدر اللّه العباد عليه، فالنوعان هما: العذاب الأول من أحكام الآخرة بعد ظهور أشراط الساعة، و العذاب الثانى من أحكام عذاب الدنيا، و الذى يبين ذلك أنه قال فى الأولى: كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فأخبر عن أعظم ما ارتكبوه و هو الكفر، و ذكر آيات اللّه و هو الاسم الذى يفيد استحقاق العبادة التى هى مضادة للكفر، كما قال فى سورة آل عمران: كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ أى: أخذهم من أنعم عليهم ليشكروا لما عصوا و كفروا بذنوبهم التى ارتكبوها، ثم قال: وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ و المراد به عقاب الآخرة، كما قال تعالى: وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ «۱» و يشهد لذلك قوله فى الثانية:

كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ فذكر هذا الاسم دون غيره؛ لأن فيه معنى أنه نعمهم و ثبتهم و رباهم و قام بمصالحهم، حتى بلغوا حد التكليف المبلغ الذى قدروا فيه على أداء حق الإنعام، فلما غيروا ما أنعم اللّه به عليهم من جهته، و صرفوه إلى معصيته و تقووا بنعمته على مخالفته، سلبهم ذلك فى الدنيا بأن عجل هلاكهم فأغرقهم، و العقاب المؤخر ذكره فى هذه الآية الأخيرة مما يفعله أهل الدنيا بعضهم ببعض، فذكره عقيب إنعامه عليهم، و تغييرهم له بوضع الكفر موضع الشكر، فغير اللّه سابق الأنعام بيد الانتقام. و كما غيروا غير عليهم، فالعقاب الأول أولى أن يكون المراد به عقاب الآخرة؛ لأن فيه الإخبار بالاحتراق، و الثانى هو العذاب بالإغراق. مثل قوله: ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ «۲» و تعقيبه بقوله: كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ و قوله فى سورة آل عمران:

وَ أُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ فذكر أنهم وقود النار و ذلك فى الآخرة، ثم قال: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ فذكر الاسم الذى يفيد ما هو حجة عليهم، كما ذكرنا قبل.

و جواب آخر و هو: أنه يجوز أن يكون الأول خبرا عن عادتهم فى الأشر و البطر و الطغيان عند الاستغناء، و المعنى: جرت عادتهم بمقابلة الإحسان بقبيح العصيان، و يكون الأخير بعد ذكر اللّه معاقبتهم على فعلهم خبرا عما أجرى اللّه به العادة فى عقاب مثلهم.

و كان معنى الأول: عودوا من أنفسهم عادة، و معنى الثانى: عودوا إذا فعلوا ذلك عادة،

---

(۱) سورة: طه، الآية: ۱۲۷.

(۲) سورة: الأنفال، الآية: ۵۰.

و هى سلب نعمة الدنيا، و النقل إلى عذاب الأخرى و اللّه أعلم بالمراد.

الآية الثانية

منها قوله تعالى: وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ رَسُولًا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ «۱» و قال فى سورة المائدة «۲»: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى.

للسائل أن يسأل: فيقول: إذا كان المذكور فى الموضعين كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ و صلح أن يعود الضمير إلى مذكر و إلى مؤنث، فيراد: مثل هيئة الطير و هو مذكر، أو يراد: هيئة كهيئة الطير و هى مؤنثة، فما بال ما فى آل عمران خص بالتذكير و ما فى سورة المائدة خص بالتأنيث؟.

الجواب أن يقال: إن الأول الذى ذكر الضمير فيه إنما هو فى إخبار اللّه عز و جلّ به عن عيسى عليه السّلام و قوله لبنى إسرائيل: أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ و عدد الآيات كلها عليهم منها: أنى آخذ من الطين ما أصور منه صورة على هيئة الطير فى تركيبه، فأنفخ فيه فينقلب حيوانا لحما قد ركب فيه عظم، و خالط دما، و اكتسى ريشا و جناحا كالطائر الحى، و القصد فى هذا المكان إلى ذكر ما تقوم به حجته عليهم، و ذا أول ما يصور من الطين على هيئة الطير و يكون واحدا يلزم به الحجة، فالتذكير أولى به، و التى فى سورة المائدة المخصوصة بتأنيث الضمير العائد إلى ما يلحقه هى فى ذكر ما عدد اللّه من النعم على عيسى عليه السّلام، و ما أصحبه إياه من المعجزات، و ما أظهر على يده من الآيات و ابتداؤها إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى و الإشارة فى هذه الآية ليست إلى أول ما يبديه لبنى إسرائيل من ذلك محتجا به عليهم، و إنما هى إلى جميع

---

(۱) سورة: آل عمران، الآيتان: ۴۸، ۴۹.

(۲) الآية: ۱۱۰.

ما أذن اللّه تعالى فى كونه دلالة على صدقه من قلب الصور التى يصورها من الطين على هيئة الطير، و ذلك جمع، و التأنيث به أولى.

مسألة فى ذلك: قال بعض أهل النظر فى هذه الآية إنما قال: فيصير طائرا بإذن اللّه و أبرئ الأكمه و الأبرص و أحيى الموتى بإذن اللّه، فذكر «إذن اللّه» فى هذين الموضعين، و لم يذكر: «إذن اللّه» فى قوله: أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ و لا فى قوله: فَأَنْفُخُ فِيهِ و لا فى قوله: وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ لأن ما وصفه من هذه الأفعال إنما هى أفعاله، و لم تكن أفعالا للّه تعالى، فلهذا لم يذكر أن ذلك كان بِإِذْنِ اللَّهِ كما ذكر الإذن فيما وصفه من قبل مما فعله اللّه عز و جلّ دونه، و ذلك أنه لم يعن بالإذن أمره له بأن يطيعه فى ذلك، و إنما عنى به أن اللّه تعالى هو الذى فعله، فلهذا جعل ذكر الإذن فصلا بين فعله و فعل اللّه عز و جلّ انتهى

كلامه.

قلت: ذلك سهو منه؛ لأن الذى ذكر أنه لم يذكر معه إذن اللّه لأنه من فعل عيسى عليه السّلام، فقد نطقت سورة المائدة بخلافه و هو قوله: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فسوى بين الفعلين اللذين ذكر من حكيت كلامه أنهما مختلفان، و أن أحدهما فعل عيسى، و الآخر غير فعله، فلهذا لم يذكر معه الإذن، ثم قال تعالى: وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي «۱» فذكر الإذن فى أربعة مواضع لأفعال دل من ذهب إليه من ذكرت كلامه بذكر الإذن فى فعلين من سورة آل عمران على أنهما فعل اللّه، و ما لم يذكر معه الإذن فعل عيسى، و قد رأيت ما اعتد اللّه سبحانه و تعالى به عليه فى سورة المائدة، ينطق أن ما ذكر أنه بغير إذنه هو بإذنه، و إذا كان كذلك وجب أن يكون المعنى فى الآية من سورة آل عمران: أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ أقلبه بعد التركيب على مثال الطائر لحما و دما و عظما، ثم بالنفخ فيه أجعله حيوانا، و كل ذلك بِإِذْنِ اللَّهِ و يكون معنى قوله: فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ راجعا إلى كل ما ذكر أنه يفعله من مبتدإ قوله: أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فجميع تلك الأفعال واقعة بِإِذْنِ اللَّهِ و إذن اللّه عبارة عن إرادته و خلقه على يده، فسهّل ذلك على عيسى عليه السّلام عند الاحتجاج به و إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى ثلاثة أفعال لا تكون إلا بِإِذْنِ اللَّهِ عز و جلّ، و قوله: وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ هذا و إن كان إخبارا من عيسى و فعلا من أفعاله، فإنه لا

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۱۱۰.

يصح أن يكون إلا بِإِذْنِ اللَّهِ و إلا فما يعلم ما يفعلونه فى بيوتهم مما غيب عنه إلا بِإِذْنِ اللَّهِ عز و علا للملائكة فى اطلاعه عليه و باللّه التوفيق.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ «۱» و قال:

فى سورة مريم «۲» مثله و قال فى سورة حم الزخرف «۳» حكاية عمن حكى عنه فى السورتين: إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ فزاد هو فى هذه الآية من هذه السورة.

للسائل أن يسأل عما أوجب اختصاصها بهذا التوكيد دون الموضعين الأولين، و هى كلها فيما أخبر اللّه تعالى به عن عيسى عليه السّلام.

الجواب أن يقال: إنما لم يجب فى الأوليين من التوكيد ما أوجبه اختيار الكلام فى الموضع الثالث لأن قوله عز و جلّ: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ حكاية عن عيسى بعد ما مضت آيات كثيرة فى ذكره و ابتداء أمره من مبتدإ الآية التى نزلت فى شأن مريم و هى: وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ «۴» إلى آخر هذا العشر. فلما تناصرت هذه الآيات المتقدمة فى ذكره، و دلت على إحداثه و خلقه كانت فيها دلالة على أنه مربوب مصنوع بكثرة الأفعال التى أسندت إليه و جعلت آيات له، و أنه عبد من عبيده، و اللّه ربه و مالكه و القائم بمصالحه، و أنه أصحبه معجزات تدل على صدقه فى نبوته، و كذب من قال ببنوته، فصرفتهم تلك الأفعال التى تقدم ذكرها إلى العلم بأنه تعالى ربه، و كذلك فى سورة مريم جاء قوله: وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ بعد ما مضت آيات كثيرة ابتداؤها وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ «۵» و بعد عشرين آية مرت فى قصتها قال: وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فكانت تلك الآية العشرون ناطقة بأن اللّه ربه، فاكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله على حقيقتها عن التوكيد الذى جاء فى سورة الزخرف، لأنه لم يذكر هذه الآية إلا بعد قوله: وَ لَمَّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ «۶» فالموضع الذى

---

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۵۱.

(۴) سورة: آل عمران، الآية: ۴۲.

(۲) الآية: ۳۶.

(۵) سورة: مريم، الآية: ۱۶.

(۳) الآية: ۶۴.

(۶) سورة: الزخرف، الآيتان: ۶۳ و ۶۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۵۲

خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن اللّه تعالى ربه و هو عبده لا ابنه، حسن تأكيد الكلام فيه صرفا للناس عما ادعوه من أنه ابن اللّه إلى أنه عبده، أ لا ترى إلى قوله فى سورة مريم «۱»: ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ و اعلم أن التوكيد بقولك هو فى مثل هذا الموضع يكون لأحد وجهين، إما أن يريد أنه على الصفة التى جعلها خبرا عنه لا على غيرها، و إما أن يريد أن صاحب هذه الصفة التى جعلت خبرا عنه إنما هو فلان لا غيره، إذا قال القائل:

إن زيدا هو أخوك أى: هو صديقك لا عدوك، أو يريد أن يقول: إنه أخوك لا عمرو، فكذلك قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ يحتمل التوكيدين إن يريد أنه هو خالقى و القائم بمصالحى لا غيره من الآلهة التى ترون عبادتها، و إن يريد أنه هو ربى لا أبى كما زعمت النصارى، تعالى اللّه عن أن يكون له ولد.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ «۲» فحذف النون من «أنا» و قال فى سورة المائدة «۳»: وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِى وَ بِرَسُولِى قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ بإثبات النونات الثلاث.

للسائل أن يسأل فيقول: لم خص ما فى سورة آل عمران «بأنا» و ما فى سورة المائدة «بأننا؟» و الحرفان سواء و التخفيف جائز فى الموضعين كما يجوز الإتيان به على الأصل فيهما.

الجواب أن يقال: إن الذى فى سورة المائدة جاء على الأصل غير مخفف بالحذف؛ لأنه جاء أول كلام الحواريين فى هذا المعنى، أ لا تراه خبرا عن اللّه تعالى أنه قال: وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِى وَ بِرَسُولِى قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ و الذى هو فى سورة آل عمران هو حكاية عن عيسى عليه السّلام أنه سألهم عما أقروا به للّه تعالى، فقال: مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

---

(۱) الآيتان: ۳۵ و ۳۶.

(۲) سورة: آل عمران، الآية: ۵۲.

(۳) الآية: ۱۱۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۵۳

فكان ذلك منهم إقرارا ثانيا لرسوله عليه السّلام مثل ما أقروا به للّه تعالى، و الثانى يختار فيه من التخفيف ما لا يختار فى الأول؛ لأن

الأول قد وفّى العبارة حقها، و الثانية معتمدة على ما قبلها و هی مكررة، و العرب تستثقل المعاد ما لا تستثقل غيره، فاختير فی سورة آل عمران ما لم يختر فی سورة المائدة لذلك. ثم أذكر فصلا فی هذه النون (مسألة) اعلم أن النون التی حذفت من «أنا» غير النون التی حذفت من «إنی»، و قد جاء القرآن بهما جميعا، قوله تعالى: إِنِّی آنَسْتُ ناراً «۱» و إِنِّی أَنَا رَبُّكَ «۲» و جاء على الأصل بعده: فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى إِنَّنِی أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِی «۳» و قال إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ «۴» وَ إِنَّا لَفاعِلُونَ «۵» و قال: وَ إِنَّنا لَفِی شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ «۶» فی قصة صالح عليه السّلام، و من لم يرتض بهذا العلم يتوهم أن النون التی خفف بحذفها «إنی» هی التی خفف بحذفها «أنا» و ليس الأمر كذلك؛ لأن التی حذفت من «إنی» هی نون العماد اللاحقة مع الياء بدلالة حذفها من نظائرها إذا قلت: لعلی فی لعلّنی، و أما النون التی فی «أنا» من قولك: أننا؛ فإنها مع الألف اسم المخبرين عن أنفسهم، فلا تسقط سقوط التی تجیء مع الياء، فإذا قلت: «أنا»، فالنون الساقطة هی الأخيرة من «أن» دون النون اللاحقة مع الضمير بها، فاعرفه إن شاء اللّه تعالى.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «۷» و قال فی سورة الأنفال «۸»: وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

للسائل أن يسأل فيقول: ما فی الآية الأولى مما يوجب أن يأتی فيها بقوله:

لَكُمْ و ليس فی الآية الثانية؟ و ما بال قوله: بِهِ قد أخر فی الآية الأولى عن قوله قُلُوبُكُمْ و قدم فی الآية الأخرى عليه؟.

الجواب أن يقال: أما قوله: لَكُمْ فی هذه الآية و حذفه من الثانية مع العلم بأن

---

(۱) سورة: طه، الآية: ۱۰.

(۵) سورة: يوسف، الآية: ۶۱.

(۲) سورة: طه، الآية: ۱۲.

(۶) سورة: هود، الآية: ۶۲.

(۳) سورة: طه، الآيتان: ۱۳ و ۱۴.

(۷) سورة: آل عمران، الآية: ۱۲۶.

(۴) سورة: القصص، الآية: ۷.

(۸) الآية: ۱۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۵۴

اللّه تعالى جعل إخباره بإنزال الملائكة لنصرهم بشارة لهم، و أن (لكم) مضمرة فی سورة الأنفال كما هی مظهرة فی هذه السورة، فلأن الأولى جاءت على الأصل، و الثانية قد تقدمتها لَكُمْ فأغنت عن إعادتها بلفظها و معناها، و هی فی قوله: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّی مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ «۱» فلما قال: فَاسْتَجابَ لَكُمْ علم أنه جعل بشرى لهم فأغنت لَكُمْ الأولى بلفظها و معناها عن الثانية، و فی الآية الأولى لم يتقدم ما يقوم هذا المقام، فأتى بقوله: لَكُمْ على الأصل. و أما تأخير بِهِ بعد قوله: قُلُوبُكُمْ فلأنه لما أخر الجار و المجرور فی الكلام الأول، و هو قوله:

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ و عطف الكلام الثانی عليه، و قد وقع فيه جار و مجرور، وجب تأخيرها فی اختيار الكلام ليكون الثانی كالأول فی تقديم ما الكلام أحوج إليه و تأخير ما قد يستغنی عنه، و أما تقديم بِهِ فی الآية الثانية، فلأن الأصل فی كل خبر يصدر بفعل أن يكون الفاعل بعده، ثم المفعول و الجار و المجرور، و قد يقدم المفعول على الفاعل إذا كان اللبس واقعا فيه و أريد إزالته

عنه كما تقول: ضرب عمرا زيد لا محمدا؛ لأن المخاطب عنده أن المضروب محمد، و لا خلاف بين المتخاطبين فى أن الضارب زيد، فهو يبدأ بما هو أهم، و عنايته ببيانه أتم، و كذلك الجار و المجرور بمنزلة المفعول به فى التقديم و التأخير و شبههما، و فى هذا الموضع إذ لم يعرض فى اللفظ من التوفقة ما يوجب إجراء الكلام على الأصل، كما كان فى سورة آل عمران، فإن المعتمد بتحقيقه عند المخاطبين إنما هو الإمداد بالملائكة، و هو الذى أخبر اللّه تعالى عنه أنه لم يجعله إِلَّا بُشْرى فوجب أن يقدم فى الكلام الثانى، و هو المضمر بعد الباء فى قوله تعالى: بِهِ على الفاعل فقال تعالى: وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ و فى هذه الآية مسألة أخرى و هى أن يقال: كيف اختلف الإخبار عن اللّه تعالى بالعز و الحكمة فى الآيتين؟ فجاء فى سورة آل عمران مجىء الصفة، فقال تعالى: وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ و جاء فى سورة الأنفال بلفظ خبر ثان مستأنف فقال: وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

الجواب أن يقال: القصد إعلام المخاطبين أن النصر ليس من قبل الملائكة، و لا من جهة العدد و العدة و فضل القوة، و لكنه من عند القادر الذى لا يغلب و لا يمنع عما يريد فعله، و الحكيم الذى يضع النصر موضعه، و الآية التى فى سورة الأنفال إنما هى فى

---

(۱) سورة: الأنفال، الآية: ۹.

قصة يوم بدر و بيّن اللّه ذلك فيه بلفظ جعله كالعلة لكون النصر بيده، فكأنه قال فى المعنى: النصر ليس إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الذى لا يمنع عما يريد فعله، و الْحَكِيمِ الذى يضع النصر فى موضعه، ففصل ذلك فى خبرين على الأصل الواجب فى توفية كل معنى حقه من البيان، و الآية التى فى سورة آل عمران هى فى قصة يوم أحد و هو بعد يوم بدر، و كان هذا البيان قد حصل فيما جعل خبرا عن النصر فى اليوم الأول، فاقتصر من ذكر مثله فى اليوم الثانى على خبر واحد يجرى عليه معنى الخبر الثانى مجرى الوصف لاختصار المعنى عن البسط اعتمادا على ما فصل فى الخبر عن الأول، فكان الاختصار بالثانى أليق و كان الثانى له أجمل فخص كل موضع بما رأيت لما ذكرت و اللّه أعلم.

الآية السادسة منها

قوله تعالى: أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ «۱» و قال فى سورة العنكبوت «۲»: خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ.

للسائل أن يسأل عن اختصاص ما فى هذه السورة بالواو من قوله: وَ نِعْمَ و إخلائها فى سورة العنكبوت منها.

الجواب إن الآية من هذه السورة مبنية على تداخل الأخبار؛ لأن أولها: أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ ف. «أولئك» مبتدأ و «جزاؤهم» مبتدأ ثان و «مغفرة» خبر المبتدأ الثانى، و هو مع خبره خبر عن المبتدأ الأول، و الجزاء هو الأجر فكأنه قال: أولئك أجزيهم على أعمالهم محو ذنوبهم و إدامة نعمهم و هذا الأجر مفضل على كل أجر يعطاه عامل على عمله، فنسقت الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التى هديت لرجاء الراجين و أكملت بها منية المتمنين، و الخبر إذا جاء بعد خبر فى مثل هذا المكان الذى تفضل فيه المواهب المرغب فيها فحقه أن يعطف على ما قبلها بالواو، كقولك: هذا جزاء كذا و كذا، أى: هو ترك المؤاخذة بالذنب و التنعيم فى جنة الخلد و تفضيله على كل جزاء جوزى به عامل و ذلك تشريف و كرامة.

و أما الجواب عن الآية التى فى سورة العنكبوت: فإن ما قبلها مبنى على أن يدرج

---

(۱) سورة: آل عمران، الآية: ۱۳۶.

(۲) الآية: ۵۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۵۶

الكلام فيه على جملة واحدة و هى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً «۱» فقوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا مبتدأ و قوله: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فى موضع خبره و هذا الخبر يتصل به مفعولان الأول «هم» و الثانى «غرفا»، و غرفا نكرة موصوفة بقوله: تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ و قوله: خالِدِينَ فِيها حال من التبوئة، فلما جعلت هذه الأشياء كلها فى درج كلام واحد و هى جملة ابتداء و خبر و احتمل نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ أن يجىء بالواو و أن يجىء من دونها اختير مجيئها بغير واو لتشبه ما تقدم من صفة بخبر لا على سبيل عطف و نسق بها، و يحتمل أن يكون فى موضع خبر مبتدأ، كأنه قال: ذلك نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ و يكون قوله «ذلك» إشارة إلى ذكر اللّه سبحانه و تعالى و من إسكانهم الجنة فتجرى بلا واو مجرى ما هو من تمام الكلام الأول كقوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِى رَوْضاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ «۲» فقوله «ذلك» و إن انقطع عن الأول فى اللفظ فإنه متصل به من طريق المعنى و كأنه قال: لهم ما يشاءون عند ربهم مشار إليه بأنه الفضل الكبير. و قوله: نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ أى: ذاك نعم أجر العاملين، و المعنى المشار إليه يتفضل على أجور العاملين، و إذا كان الأمر على ما ذكرت فى الآيتين لم يلق بكل واحدة منهما إلا ما جاءت به فاعرفه.

الآية السابعة منها

قوله تعالى: فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ «۳» و قال فى سورة الملائكة: وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ «۴».

للسائل أن يسأل عن اختلاف الآيتين فى إدخال الباء فى قوله: وَ بِالزُّبُرِ فى موضع و حذفها منها فى موضع فى قراءة الأكثرين.

الجواب أن يقال: إن الزبر و الكتاب فى سورة آل عمران وقعا فى كلام بنى على الاختصار و الاكتفاء فيه بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى، فكان أول ذلك قوله: فَإِنْ كَذَّبُوكَ و التقدير: و إن يكذبوك، فوضع الماضى الذى هو أخف موضع المستقبل الذى

---

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۵۸.

(۳) سورة: آل عمران، الآية: ۱۸۴.

(۲) سورة: الشورى، الآيتان: ۲۲ و ۲۳.

(۴) سورة: فاطر، الآية: ۲۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۵۷

هو أثقل بدلالة «إن» التى للشرط و حصول الخفة فى اللفظ، ثم إن الفعل الذى جاء فى جواب الشرط بنى للمفعول و لم يسم فاعله، فكان الاختيار أن يجعل آخر الكلام كأوله بالاكتفاء بما قل عما كثر منه مع وضوح المعنى، و الآية التى فى سورة الملائكة صدرت بما يخالف ذلك فى الموضعين لأن الشرط جاء فيها على الأصل بلفظ المستقبل و هو وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ و جاء الجزاء أيضا مبنيا للفاعل و لم يحذف منه ما حذف من الأول، فلما قصد توفية اللفظ حقه أتبع آخر الكلام أوله فى توفية كل معمول فيه عامله و هى حروف الجر التى استوفتها المجرورات، فلذلك اختلفت الآيتان و اللّه أعلم.

مضت سورة آل عمران عن سبع آيات و ثلاث عشرة مسألة.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۵۸

۴- سورة النساء

الآية الأولى منها

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً «۱» و قال فى هذه السورة: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً «۲».

للسائل أن يسأل عن فائدة تكرار هذه الآية، و له أن يسأل فيقول: لم كان جواب من يشرك باللّه فى الآية الأولى: فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً و جوابه فى الآية الثانية فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً؟

الجواب عن التكرار فلأن هذه الصورة لما اشتمل صدرها على ذكر الأحكام و انتهى إلى ذكر التيمم ثم انقطع ذلك بقوله: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ «۳» و هم اليهود الذين أوتوا التوراة فحرفوا ما فيه دلالة على صحة نبوة محمد صلّى اللّه عليه و سلم إلى ما يدعو إلى ترك الإيمان به، ثم توعدهم إن أقاموا على الكفر بقوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً «۴» أتبع ذلك ما دل به على عظم الكفر الذى هو شرك و ذلك فى أمر اليهود، و يحتمل أن يقال: إنما سماهم مشركين لما قالوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ «۵» و من ادعى للّه ابنا فهو مشرك، و الموضع الثانى تقدمت فيه آية هى قوله: وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً «۶» و معناه: من عادى الرسول بعد ما ظهرت آياته و تظاهرت دلالاته و اتبع سبيل الكفار فإن اللّه يوليه ما تولى من

---

(۱) سورة: النساء، الآية: ۴۸.

(۴) سورة: النساء، الآية: ۴۷.

(۲) سورة: النساء، الآية: ۱۱۶.

(۵) سورة: التوبة، الآية: ۳۰.

(۳) سورة: النساء، الآية: ۴۴.

(۶) سورة: النساء، الآية: ۱۱۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۵۹

الأصنام التى عبدها بأن يكله إليها ليستنصر بها و لا نصر عندها، و هؤلاء مشركو العرب، فدل على أن من تقدم ذكرهم و إن كانوا أوتوا الكتاب كهؤلاء المشركين الذين لا كتاب لهم كفرهم ككفرهم و سبيلهم كسبيلهم، فأعاد ذكر عظم الشرك توعدا لصنف آخر من الكفار لم يدخلوا فى جملة من تقدم ذكرهم ليعلم أنهم و إن خالفوهم دينا فقد وافقوهم كفرا، فهذه فائدة التكرار، فأما إتباع الأول فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً فلأن من أريد بالآية الأولى قوم عرفوا صحة نبوة النبى صلّى اللّه عليه و سلم من الكتاب الذى هو معهم فكذبوا و افتروا ما لم يكن عندهم، فكان كفرهم من هذا الوجه الذى أضلوا به أتباعهم، و أما إتباع الثانى فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً فلأن من أريد به مشركو العرب و هم لم يتعلقوا بما يهديهم و لا كتاب فى أيديهم فيرجعوا إليه فيما يتشككوا فيه، فقد بعدوا عن الرشد و ضلوا أتم الضلال، فاقتضى المعنيون بالأول ما ذكره اللّه تعالى و المعنيون بالثانى ما أتبعه إياه و إن كان الفريقان مقترفين إِثْماً عَظِيماً و ضالين ضَلالًا بَعِيداً و اللّه أعلم.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ

الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً «۱» و قال بعده: وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً «۲».

للسائل أن يسأل عن مسألتين فى ذلك. إحداهما فى الآية الأولى: وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا و فى الثانية: وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا و الثانية عن ختم الآية الأولى بقوله: فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً و الثانية بقوله: فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً.

الجواب عن الأولى أن معناها: إن خافت امرأة من زوجها ترفعا و نبوّا لملل أو إعراضا لموجدة أو بذل فلا إثم فى أن يتصالحا على أن تترك له من مهرها أو بعض أثاثها ما يتراضيان به، وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ من أن يقيما على التباعد أو يصيرا إلى القطيعة و نفس

---

(۱) سورة: النساء، الآية: ۱۲۸.

(۲) سورة: النساء، الآية: ۱۲۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۰

كل واحد منهما تشح بما لها قبل صاحبها، و قيل: المراد شحّهنّ على النقصان من أموالهن و أنصبائهن من أزواجهن، و هذا يقتضى مخاطبة الأزواج بمجانبة القبيح و إيثار الحسنى فى معاملتهن، فبعث اللّه تعالى فى هذا المكان على فعل الإحسان، فأما الآية الثانية فإنه جاء بعد قوله: وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ فى محبتهن و الشهوة لهن؛ لأن ذلك ليس إليكم و إن حرصتم على التسوية بينهن فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ بأن تجعلوا كل مبيتكم و خلوتكم و جميل عشرتكم و سعة نفقتكم عند التى تشتهونها دون الأخرى فتبقى تلك معلقة لا- ذات زوج و لا مطلقة، فاقتضى هذا الموضع أن يحث الأزواج على إصلاح ما كان بينهم من الانصباب إلى الواحدة دون ضرّاتها بالتوبة مما سلف و استئناف ما يقدرون عليه من التسوية و يملكونه من الخلوة و سعة النفقة و حسن العشرة فقال: وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا.

جواب المسألة الثانية: فقد بان و وضح بما ذكرت و بينت أنه لما قال: إن جافيتم القبيح و آثرتم الإحسان فاللّه به عالم و عليه مجاز و هذا قوله: فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً و لما عذر الأزواج فى بعض الميل، و هو الذى لا يملكون خلافه حثهم على ما يطيقون فعله بما ذكرت و على إصلاح ما سلف منهم بما بينته، فإن اللّه يغفر لمن يقلع منهم عن قبائحه و يؤثر بعدها الحسنى من أفعاله و هذا قوله: فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً حَكِيماً وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا «۱».

للسائل أن يسأل فى هذه الآيات عن مسألتين:

إحداهما عن تكرار قوله: وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ثلاث مرات.

---

(۱) سورة: النساء، الآيات: ۱۳۰- ۱۳۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۱

و الثانية: عما يتبع المكرر فى قوله فى آية: وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً و فى أخرى وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا و الأولى لم يتبعها مثل ما أتبع الوسطى و الأخيرة.

الجواب عن المسألة الأولى و هى التكرار أنه إذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسم تكرارا، فالأول بعد الأذن للرجل و المرأة فى أن يتفرقا بطلاق و تسليتهما على الوصلة بأنه هو الذى يغنى المحتاج منهما، و إن كان قبل ذلك أغنى كل واحد منهما بصاحبه، فإنهما بعد الفرقة يرجوان الغنى من عنده لأنه واسع الرزق و واسع المقدرة فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و أرزاق العباد من جملتها.

و أما الثانى فإنه بعد قوله: وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ أى: اتقوه فإنه واسع النعمة و الفضل و الرحمة و قد أوسعكم منها و وصاكم و من قبلكم بتقواه و الاستجارة بطاعته من عقوبته، فإنكم إن عصيتم و كفرتم لم يكن باللّه حاجة إلى طاعتكم، و إنما أنتم تحتاجون إليها و اللّه غنى حميد، فوجب عليهم طاعته؛ لأن له ما فى السموات و ما فى الأرض و هو غنى بنفسه حميد؛ لأنه جاد بما استحمد به إلى خلقه من الإحسان إليهم و الإنعام عليهم فالمقتضى لذكره (له ما فى السماوات و ما فى الأرض) فى الثانى غير المقتضى له فى الأول.

و أما الثالث فلأنه لما ذكر أنه أوجب طاعته على من قبلهم و عليهم لأنه ملك ما فى السموات و ما فى الأرض، و أنعم عليهم من ذاك ما حقت به العبادة اقتضى ذاك أن يخبرهم عن دوام هذه القدرة له فكأنه قال: و له ذلك دائما و كفى به له حافظا، أى: لا زيادة على كفايته فى حفظ ما هو موكول إلى تدبيره، و الوكيل القيم بمصالح الشىء و قيل:

هو الحافظ و ما قام اللّه بمصالحه فهو حافظه فقد بان أن ذلك ليس بتكرار.

الجواب عن المسألة الثانية من اتباعه قوله: وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً فقد تضمنه الجواب عما ذكرت من التكرار و هو كقوله: إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ «۱» أى: أنتم محتاجون إلى طاعته و لم يقتض ما تقدم غير هذا الوصف، و لما اتصف تعالى بالغنى و كان الغنى إذا لم يجد من غناه مذموما و اللّه تعالى قد عم بعطائه المستحق و غيره من الكفار كان الغنى الحميد .. و أما قوله بعد الثالث: وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا فإنه لما كان المعنى أنه دائم القدرة أخبر أن ما يحفظه مما فى السموات و ما فى الأرض من يكتفى به حافظا إذ ملكه عليه دائم و تدبيره فيه قائم.

---

(۱) سورة: الزمر، الآية: ۷.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً «۱» و قال فى سورة المائدة «۲»: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول ما الفائدة فى تقديم قوله: بِالْقِسْطِ على قوله:

شُهَداءَ لِلَّهِ فى الآية الأولى و تأخيره عنه فى الآية الثانية؟.

الجواب أن يقال: إن الآية الأولى فى الشهادة أمر عز و جلّ من عنده شهادة أن يقوم بالحق فيها و يشهد للّه على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه فقال: قوموا بالقسط، أى: بالعدل فى حال شهادتكم للّه على كل ظالم حتى يؤخذ الحق منه، فقدم القسط لأنه من تمام «قوّامين» إذ فعله يتعدى إلى مفعوله بالباء ... و أما «شهداء» فإنها إذا كانت حالا من الضمير فى «قوامين» فإن حقها أن تجىء بعد تمام «قوّامين»، و كذلك إن كانت خبرا ثانيا و إن كانت صفة لقوامين فإن حقها أن تجىء بعده. و أما قوله: لِلَّهِ بعد

شُهَداءَ فلتعلقه بالشهادة كأنه قال: كونوا شهداء للّه لا للهوى و الميل إلى ذوى القربى، و الدليل على ذلك أنه قال: وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكَمْ و شهادة الإنسان على نفسه أن يقر بالحق لخصمه، أى: افعلوا ذلك للّه و إن كان عليكم أو على الوالدين و ذوى القربى منكم ..

و قوله عز و جلّ: إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً أى: إن يكن من عليه الحق على أحد هذين الوصفين فانتهوا فى أمره إلى ما أمر اللّه عز و جلّ به و لا يحملنكم الإشفاق من فقره على محاباته و لا يدعونكم غنى الغنى إلى مداراته فإن اللّه أولى بالنظر لهما و لجميع عباده منهم لأنفسهم و لغيرهم .. و قوله: فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا أى: كراهة أن تعدلوا، و إن تلووا ألسنتكم بالشهادة و لم تفصحوا بها و لم تقوموا بما يجب عليكم فيها أو تتركوا ما يلزمكم منها فإن اللّه عليم بعملكم و هو مجازيكم على فعلكم .. و قيل: تَلْوُوا بمعنى تمطلوا من لويت الغريم: إذا دفعته، كأنه قال: إن تدفعوا الشهادة و لم تؤدوها وقت الحاجة إليها،

---

(۱) سورة: النساء، الآية: ۱۳۵.

(۲) الآية: ۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۳

و من قرأ «تلوا» بضم اللام و واو واحدة، فالمعنى: أن تلوا أمر الناس من الولاية أو تتركوه، و يجوز أيضا أن يكون الأصل «تلووا»، فأبدلت من الواو المضمومة همزة ثم خففت بإلقاء حركتها على اللام و حذفها، و إن كان هذا مستضعفا فى الهمزة العارضة ..

و أما الآية التى فى سورة المائدة فإن فحواها يدل على أنها للولاة، فقال: كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ لا لنفع و يكون بِالْقِسْطِ متعلقا بقوامين أى: كونوا قوامين لأجل طاعة اللّه بالعدل و الحكم فيه فى حال كونكم شهداء أى: وسائط بين الخالق و الخلق، أو بين النبى صلّى اللّه عليه و سلم و أمته كما قال: وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً «۱» فالقائم بتنفيذ أحكام اللّه بين خلقه إذا و فى بما عليه من حقه فهو شهيد على من وليه و الرسول صلّى اللّه عليه و سلم شهيد عليه بما نقله إليه، و الدليل على أن الخطاب لولاة الأحكام قوله بعده: وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى و ذلك عام فى المخالفين من أهل الأديان و الموافقين ممن حصلت لهم بغضة و عداوة، أى: اعدلوا على الولى و العدو عدلا واحدا، و قيل فى هذه الآية إنها أيضا فى الشهادة بالحقوق و قيل فى الشهادة لأمر اللّه بأنه حق و قيل معناه: قوموا فى كل ما يلزمكم القيام به من الأمر بالمعروف و العمل به و النهى عن المنكر و تجنبه.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً «۲» و قال فى سورة الأحزاب «۳»: إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً.

للسائل أن يسأل عن الآية الأولى: لم خص فيها «خير» و لم عم فى الثانية بلفظ «شىء»؟.

الجواب أن يقال: إنما خص فى هذا الموضع الخير بالابتداء لأنه بإزاء السوء الذى قال فيه: لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ «۴» و المعنى: لا يحب اللّه أن يجهر بالقول السّيّئ غير المظلوم و هو أن يدعو على من ظلمه أو أن يخبر بظلمه له أو أن ينتصر منه بسوء مقاله فيه، فقال: إن أبديتم ثناء و ذكرا جميلا لمن يستحقهما أو

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۱۴۳.

(۳) الآية: ۵۴.

(۲) سورة: النساء، الآية: ۱۴۹.

(۴) سورة: النساء، الآية: ۱۴۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۴

أخفيتموهما أو سكتّم عمن أساء إليكم بالعفو عنه، فإن اللّه مع قدرته كثير العفو عن خليقته، فاقتضت فى هذا المكان المقابلة أن يجعل بإزاء السوء الخير. و أما فى الآية الثانية التى فى سورة الأحزاب فلأن قبلها تحذيرا من إضمار ما لا يحسن إضماره فى قوله عز و جلّ:

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ «۱» و قوله: وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ «۲» فاقتضى هذا المكان العموم فقال تعالى: إِنْ تُبْدُوا مما حذرتكم شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً و لم يزل عليما بما يكون كعلمه بما كان.

انقضت سورة النساء عن خمس آيات و سبع مسائل.

---

(۱) سورة: الأحزاب، الآية: ۵۱.

(۲) سورة: الأحزاب، الآية: ۵۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۵

۵- سورة المائدة

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ «۱» و قال فى آخر سورة الفتح «۲»: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً.

للسائل أن يسأل فيقول: لم رفع مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ فى الآية الأولى و نصبها فى الثانية؟.

الجواب أن يقال: لقوله: لَهُمْ فى الأولى و مِنْهُمْ فى الثانية فائدة، و ذلك أنه لما قال فى الأولى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ علم أنهم و عدوا بما هو حق لهم فعدل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمنت معناه: و الجملة ابتداء و خبر، و هى فى موضع مفرد منصوب كأنه قال: وعد اللّه الذين آمنوا مغفرة، و مثله قول الشاعر:

وجدنا الصالحين لهم جزاء و جنات و عينا سلسبيلا

كأنه قال: وجدنا للصالحين جزاء، و عطف على موضع و جنات و عينا، فاللام فى «لهم» داخلة على ضمير الصالحين فكأنها داخلة عليهم، و كأنه قال: وجدنا للصالحين جزاء، و عطف على موضع الجملة التى هى لهم جزاء منصوبا إذ كان موضع الجملة موضع نصب .. و أما الآية الأخرى فإن منهم فيها متعلقة ب الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ و هى من تمامها و لم يكن هناك ما ترتفع به مَغْفِرَةٌ فتعدى إليها الفعل الذى هو وعد فجرى على الأصل فى نصب المفعول به ... فإن قال: كيف يحتمل أن يبعض

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۹.

(۲) الآية: ۲۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۶

و القوم الذين أخبر اللّه عنهم- بقوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ «۱» مع سائر ما وصفهم اللّه به فأثنى

عليهم بذكره- كلهم و عدا مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً.

الجواب: عن ذلك من وجهين. أحدهما أن يقال: إن «من» فى هذا المكان ليست للتبعيض، إنما هى لتبيين الجنس، كأنه قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ. الذين هم هؤلاء كما قال: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ «۲» أى: الرجس الذى هو الأوثان.

الجواب الثانى أن يكون التقييد للتحذير؛ لأنهم و إن علم اللّه منهم الثبات على ما هم عليه من العمل الصالح، فإنه لا يخليهم من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد على معنى:

دوموا على ما أنتم عليه، فإن من دام منكم عليه فقد وعده اللّه مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً.

فإن قال قائل: فلما ذا خصت الآية الأولى بأن جعل مفعولها الثانى جملة و الآية الثانية مفعولها مفردا؟. قلت: لأن الأولى خطاب لقوم حثهم على توخى العدل فيما يحكمون به، و هو أعم من حث الصحابة الذين ذكرهم فى آخر سورة الفتح و أثنى عليهم بالشدة على الكفار و الرحمة للمؤمنين و ملازمة الركوع و السجود و ابتغاء رضوان اللّه تعالى، و إن مثلهم كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ «۳» إلى آخر الآية، فخص هؤلاء بصريح المغفرة، و ذكر أنه وعدهم ذلك و قال فى الآية الأولى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فكان إخبارا عن وعده إياهم فقط، ثم أتى بخبر ثان فقال: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ على معنى:

إن قاموا بذلك و لم يحبطوه بالسيئات فجوز منهم هذا، و لم يعلق المغفرة بوعد فيعزيه إليها، و فى الآية الثانية حقق المغفرة لهم و عدى الفعل إليها، و كان كالحكم بأنهم يوافون الآخرة بأعمالهم الصالحة، و قد وعدهم اللّه تعالى عنها المغفرة و الأجر العظيم، فلاق بكل آية ما خصت به فاعرفه إن شاء اللّه.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ «۴» و قال تعالى بعده

---

(۱) سورة: الفتح، الآية: ۲۹.

(۳) سورة: الفتح، الآية: ۲۹.

(۲) سورة: الحج، الآية: ۳۰.

(۴) سورة: المائدة، الآية: ۱۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۷

فى هذه السورة: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ «۱».

للسائل أن يسأل فيقول: لم قال فى الأولى يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ و فى الثانية مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ؟ و ما الفرق بين اللفظين و بين الموضعين حتى اختص كل واحد منهما باللفظ الذى خصه.

الجواب أن يقال: إن الآية الأولى فى اليهود الذى حرفوا ما أنزل اللّه من كلامه عما علموه تأويلا له فيكون هذا تحريفا من جهة التأويل، و حرفوا أيضا من جهة التنزيل، كما قال: وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ «۲». فقولك «عن» فى كلام العرب موضوع لما عدا الشيء يقول:

أطعمه عن جوع و كساه عن عرى، و كانوا يعدلون بالكلم تأويله الذى له، و تنزيله الذى جاء عليه إلى غيره مما هو باطل، و «عن» فى

هـذا الموضع تقرب من معنى «بعد»؛ لأنك تقول أطعمه بعد جوع و كساه بعد عرى، إلا أن الأصل فى هذا المكان أن يستعمل «عن»؛ لأن «بعد» قد تكون لما تأخر زمانه عن زمانه بأزمنة كثيرة و بزمن واحد، و «عن» لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقا زمنه لزمنه و المراد إذا قال: أطعمه عن جوع و سقاه عن عطش ليس يراد به إلا أنه لما عطش سقاه و لما جاع أطعمه. و أما الآية الثانية فهى فى قوم من اليهود أخبر اللّه تعالى عنهم بأنهم سَمَّاعُونَ لما تقوله ليكذبوا عليك و يخبروا بخلاف ما تقوله عنك و ينقلوا كلامك إلى قوم آخرين لم يأتوك .. و معنى يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يحتمل أن يكون المراد من بعد موت النبى صلّى اللّه عليه و سلم ليجعلوه على خلاف ما سمعوه منه و هذا موضع بعد لا موضع عن؛ لأنه ليس يعدوه إلى المحرف إليه فينفصل عما جاء عليه إلى الكذب مقارنا له، و إنما ذلك بعده بأزمنة كثيرة يتوقعون مضيها ليسهل كذبهم بعدها و يكون التقدير سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ أى: ناوون تحريفه من بعد وقوعه مواقعه و حصوله مواضعه، فمحرفين بمعنى: ناوين التحريف كقوله:

وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً «۳» أى: ناوين السجود، و كذلك فَادْخُلُوها خالِدِينَ «۴» أى: ناوين الخلود و مقدرين له، و هذا ظاهر فى هذا الموضع لا يصلح فيه إلا ما نطق القرآن به.

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۴۱.

(۳) سورة: يوسف، الآية: ۱۰۰.

(۲) سورة: آل عمران، الآية: ۷۸.

(۴) سورة: الزمر، الآية: ۷۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۶۸

و يحتمل أن يكون المراد ما ذهب إليه أكثر أهل التفسير، و هو أن قوما أرسلوا هؤلاء إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى قصة زان محصن، فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجلد فحدوه و إن أفتاكم بالرجم فلا تقتلوه، و قال قتادة: كان هذا فى قتيل منهم، فقالوا: إن أفتاكم محمد بالدية فاقبلوه، و إن أفتاكم بالقود فاحذروه، و كانوا حرفوا فى القولين حكم اللّه تعالى الذى فى التوراة من بعد أن عمل به فى مواضعه، و لم يحرفوه ساعة نزوله و وجوب العمل به، و هذا معنى قوله عز و جلّ: يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا «۱» و قيل:

إن هذا إشارة إلى دين اليهود أى: إن جاءكم محمد صلّى اللّه عليه و سلم بدينكم فاقبلوه، و إن لم يأتكم به فاحذروه، فقد بان الفرق بين الموضعين بما بيناه و اللّه أعلم.

الآية الثالثة منها

قوله عز و جلّ: يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ «۲» و قال بعده: يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ «۳».

للسائل أن يسأل فيقول: نبه أهل الكتاب بمجيء الرسول فى الآية الأولى، و أخبر أنه يبين لهم كثيرا مما يخفون من الكتاب و يعفو عن كثير، و قال فى الآية الثانية: إنه قد جاء يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ فهل ما ذكر من التبيين فى الثانية كان يجوز أن يقترن بالتنبيه الأول أم وجب لكل ما تبعه من الكلام؟.

الجواب أن قوله تعالى فى الآية الأولى يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ معناه: يبين لكم كثيرا مما فى التوراة و الإنجيل من وصف الرسول صلّى اللّه عليه و سلم، و سائر ما يدعو إلى الدخول فى الإسلام و يترك كثيرا مما حرفتموه فلا يبينه؛ لأنه ليس فى ذكره ما يلزمكم حجته و يجدد لكم ملة، فهذا التبيين حقه التقديم للاحتجاج به، و لذلك ردفه قوله: قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ «۴» يعنى النبى:

أی: يهديكم إلی منافع دينكم كما تهتدون بالنور إلی منافع دنياكم، و أما الآية الثانية التی بعد فمعناها جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكَمْ

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۴۱.

(۳) سورة: المائدة، الآية: ۱۹.

(۲) سورة: المائدة، الآية: ۱۵.

(۴) سورة: المائدة، الآية: ۱۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۶۹

علی حين دروس مما كان الرسل أتوا به مما يلزمكم فی دينكم احتجاجا عليكم و قطعا لعذركم، لئلا تحتجوا بأنه لم يجئكم من يبشركم بالثواب و يخوفكم من العقاب، فالأول احتجاج لنبوة النبی صلّی اللّه عليه و سلم و بعد تثبيته يبين الداعی إلی بعثته و هو ما ذكر فی الآية الثانية.

الآية الرابعة منها

قوله تعالی: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۱» و قال بعدها:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصاری نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ «۲».

للسائل أن يسأل عن شيئين فی هاتين الآيتين المتصلة إحداهما بالأخری، أحدهما عن تكرار قوله: وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما. و الثانی صلة الأول بقوله: يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وصلة الثانی بقوله: وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ .. و له أن يسأل عن قوله: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ فی سورة الفتح «۳» زيادة «لكم» هناك و حذفها هنا.

الجواب أن يقال: إن هذه الآية فی سورة الفتح نزلت فی قوم تخلفوا عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلم من غير عذر و تأخروا عن الجهاد و قالوا: شغلتنا أموالنا و أهلونا، ثم سألوه صلّی اللّه عليه و سلم أن يستغفر لهم يكتمون بذلك نفاقهم و يظهرون وفاقهم و قصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته فقال عز و جلّ: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا «۴» و من يملك لكم ضرا إن أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً «۴» فلما كان فی قوم مخصوصين احتيج إلی «لكم» للتبيين، فأما فی هذه السورة فإنها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق بل عم بها دليله إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فلما سيقت الآية إلی العموم لم يحتج إلی «لكم» التی للخصوص.

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۱۷.

(۳) الآية: ۱۱.

(۲) سورة: المائدة، الآية: ۱۸.

(۴) سورة: الفتح، الآية: ۱۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۷۰

الجواب عن التكرار أن يقال: إن الآية الأولی فی النصاری خاصة، و هم الذين لما قالوا فی عيسی إنه إله و الإله واحد صاروا كأنهم قالوا: اللّه هو المسيح ابن مريم، فرد اللّه ذلك عليهم بما دل به علی أن عيسی عبد مخلوق مملوك للّه ليس هو بابن له و لا بإله؛ لأن

أحدا لا يملك أن يدفع عن المسيح و أمه و سائر من فى الأرض من الخلق ما يريد اللّه إيقاعه بهم من موت أو هلاك، و لا المسيح يملك ذلك، فدل هذا على أنه مخلوق و أن اللّه له مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما و المسيح من جملته مملوك مدبر، و لو كان إلها لكان شريكا للّه و لم يكن للّه مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فالقصد بذكر مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فى الآية الأولى أن يبين أن المسيح مخلوق و مملوك ليس بإله و لا بابن للّه، إذ لو كان إلها كما زعموا لم يكن اللّه مالكا لجميع السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما و لما تهيأ إهلاك المسيح، و كان هذا احتجاجا عليهم خاصة بأنه مملوك مخلوق و أن اللّه يخلق ما يشاء من أمثاله بدلالة أنه قادر على إهلاكه، و فى ذلك جواب عن المسألة الثانية و هى صلة الأولى بقوله: يَخْلُقُ ما يَشاءُ .. و أما الآية الثانية و هى قوله: وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ فروى عن ابن عباس رضى اللّه عنه أن جماعة من اليهود حين حذرهم النبى صلّى اللّه عليه و سلم نقمات اللّه و عقوباته قالوا: لا تخوفنا فإننا أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ و قيل: إن اليهود تزعم أن اللّه أوحى إلى إسرائيل: إن ولدك بكرى من الولد، و قال الحسن: إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد و النصارى تأولوا ما فى الإنجيل من قوله: أذهب إلى أبى و أبيكم، و قيل: بل لما قالوا المسيح ابن اللّه أجرى على القائلين بذلك مثل ما تجرى العرب على الواحد من هذيل إذا قالوا: نحن الشعراء و المراد منا، و كما يجرى رهط مسيلمة هذا الإطلاق عن قبيلتهم فيقولون: نحن الأنبياء لما قال واحد منهم ذلك و تابعه الباقون عليه، فلما كان هذا مقال الفرقتين رد اللّه عليهم قولهم مع اعترافهم بأنهم يعذبون بذنوبهم، إذ لو لم يقولوا ذلك لأباحوا ارتكاب الفواحش فقال: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ و الأب المشفق على ولده لا يعذبه، و كذلك الحبيب لا يعذب من يحبه، فكان هذا احتجاجا عليهم بما يعتقدون صحته من عذاب الآخرة و اللّه تعالى يقول: إنكم لستم بأبنائى و لا أحبائى ثم قال: و هو المنفرد بملك السموات و الأرض و ما بينهما و أنه لا ولد له و لا نظير و لا شريك، له إذ لو ثبت ذلك تعالى اللّه عنه لما كان مالكا لجميعه، فلما احتج على إبطال قولهم بما يعتقدون صحته من عذاب المذنب منهم و ذلك من أحوال الآخرة، ثم احتج ب مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ على ذلك قرن إليه قوله: وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أى: مآل الخلق إلى أن لا يملك أحد لهم نفعا و لا ضرا غيره تعالى، و فى هذا جواب المسألة الثانية

من اقتران ما اقترن بذكره مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فى الآيتين.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ «۱» و قال فى سورة إبراهيم «۲»: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ.

للسائل أن يسأل عن هذا التنبيه فى الآية التى فى سورة المائدة بقوله: يا قَوْمِ هل له فائدة لم يكن مثلها فى الخطاب الواقع من سورة إبراهيم مع تركه؟

الجواب أن يقال: إن تسمية المخاطب بندائه مع الإقبال عليه يفيد مبالغة فى التنبيه له فإذا قال القائل: افعل كذا يا فلان فكأنه قال: أعنيك بخطابى لا غيرك ممن يصح أن ينصرف الخطاب إليه، أ لا ترى أنه إذا عرى من النداء صلح لكل مخاطب فإذا قارن النداء الأمر كان مقصورا على صاحب الاسم الذى دخله حرف النداء، و المبالغة فى التنبيه حقها أن تكون فى الأهم الأعم نفعا .. و قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يصح أن يجاب عنه بجوابين:

أحدهما أن يقال: لما نبههم على ما خصهم به من الإكرام ليشكروه على هذه النعم العظام بأن جعل فيهم أنبياء مقيمين بين ظهرانيهم يدعونهم إلى طاعة ربهم و يثنون أعنتهم عن المحظور من شهواتهم، و أن جعلهم ملوكا حيث أغناهم بما أنزله عليهم من المنّ و السلوى عن الحاجة إلى الناس فى التماس الرزق من أمثالهم و تكليف خدمتهم و أعمالهم و ما ملكهم من المال و العبيد و الإماء الذين كانوا يخدمونهم و يكفونهم ما يحتاجون إلى مباشرته بأنفسهم، و المنة عليهم فى هذا المكان أشرف ما يخوله الإنسان من النبوة

التى لها أشرف منازل الثواب و الملك الذى هو غاية ما تسمو إليه الهمم فى دار التكليف، فنبهوا بأبلغ الألفاظ ليقوموا بشكر ما عليهم من الإنعام، و الآية التى فى سورة إبراهيم عليه السّلام تنبيه على ما صرف عنهم من البلاء، و ليس هو كالتنبيه على تخويل أشرف العطاء من صرف البلاء.

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۲۰.

(۲) الآية: ۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۷۲

جواب ثان: و هو أن الْمَنَّ وَ السَّلْوى «۱» مما لم ينعم به على أحد قبلهم و لا بعدهم، فلذلك قال: وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ فلما نبهوا على شكر نعمة خصوا بها دون الناس كلهم كانت المبالغة فى ذاك أولى.

جواب ثالث و هو أن يقال: لما جعل الخطاب بعد قوله: يا أَهْلَ الْكِتابِ «۲» فى آيتين و صدر المخاطبات نبه فيها المخاطبين بمناداتهم فيما حكى من أقوالهم كقوله تعالى بعده: يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ «۳» و قوله: قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ «۴» و بعده قالوا: يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها «۵» و بعده قوله: رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي «۶» كان الاختيار أن يجرى مجرى نظائره المتقدمة و المتأخرة، و لم يكن شىء من ذلك فى الآية التى فى سورة إبراهيم عليه السّلام فلم يذكر هناك «يا قوم» لهذا .. و قد اختلف الناس فيمن يسمى ملكا، فقال عبد اللّه بن عمرو بن العاص و زيد بن أسلم و الحسن: أقل الحال التى إذا كانت كان الإنسان بها ملكا الدار و المرأة و الخادم، و قال غيرهم: الملك الذى له ما يستغنى به عن تكلف الأعمال و تحمل المشاق للمعاش، و بنو إسرائيل سموا ملوكا لما منّ اللّه عليهم به من المن و السلوى و الحجر و العصا و الغمام، عن ابن عباس و غيره، و قال الحسن: لأنهم ملكوا أنفسهم بالتخلص من القبط الذين كانوا يستعبدونهم، و قال السدى: ملك كل واحد منهم نفسه و أهله و ماله، و قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ... فأما قوله: وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ فيحتمل وجهين أحدهما: أن يريد من عالمى زمانكم كما قال: وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ «۷» أى: على عالمى زمانكم، و يجوز أن يراد هاهنا: آتاكم الْمَنَّ وَ السَّلْوى و هما ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ و قد ذكرته قبل.

الآية السادسة منها

قوله تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ «۸» و بعده:
فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «۹» و بعده فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ «۱۰».

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۵۷.

(۶) سورة: المائدة، الآية: ۲۵.

(۲) سورة: المائدة، الآيتان: ۱۵، ۱۹.

(۷) سورة: البقرة، الآيتان: ۴۷، ۱۲۲.

(۳) سورة: المائدة، الآية: ۲۱.

(۸) سورة: المائدة، الآية: ۴۴.

(۴) سورة: المائدة، الآية: ۲۲.

(۹) سورة: المائدة، الآية: ۴۵.

(۵) سورة: المائدة، الآية: ۲۴.

(۱۰) سورة: المائدة، الآية: ۴۷.

للسائل أن يسأل فيقول: الموضع الـذى وصف فيه من لم يحكم بكتاب اللّه بالكفر هل باين الموضع الـذى وصف فيه تارك حكم اللّه بالظلم و الفسق؟

الجواب أن يقـال إن الآيـة الأـولى قوله: إِنَّا أَنْزَلْنـا التَّوْراةَ فِيهـا هُـدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَـا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هـادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبـارُ بِمَـا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتـابِ اللَّهِ وَ كـانُوا عَلَيْهِ شُـهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ «۱» قال فيها بعض أهل النظر: إن من فيها ليست كمن فى المجازاة، و إنما هى بمعنى «الذين»، و يصـح دخول الفـاء فى جوابها كما تـدخل فى جواب الشـرط لتضـمنها ذلك المعنى، و إن كان لا يجازى بها و هو كقوله: الـذى يزورنى فله درهم، فقـد أوجب له بالزيـارة الـدرهم و إن لم يرد: من يزرنى فله درهم، فقوله: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فى هـذه الآيـة المراد به اليهود الـذين كانوا يبيعون حكم اللّه بما يشترونه من ثمن قليل يرتشونه فيبدلون حكم اللّه باليسير الذى يأخذونه فهم يكفرون بذلك، فأمـا أن يكون الحكم بخلاـف مـا أنزل اللّه كفرا فهو مـذهب الخوارج يـذهبون بمن هنـا إلى الشـياع الـذى يراد فى المجـازاة، و هـذا مخصوص به اليهود الذين تقدم ذكرهم و تبديلهم حكم اللّه ليكذبوا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلم و ذلك كفر .. و أما الآية الثانية فهى فيهم أيضا لقوله: وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ «۲» و معناه:

كتبنـا على هؤلاـء فى التوراة، فرد الـذكر إلى الـذين هـادوا و هم الـذين كفرهم لـتركهم دين اللّه و الحكم بمـا أنزله، ثم وصـفهم بعد خروجهم عن حكم اللّه فى القصاص بين عباده فى قتل النفس و قطع أعضائها بأنهم مع كفرهم الـذى تقدم ذكره ظالمون، و كل كافر ظالم لنفسه، إلا أنه قد يكون كافرا غير ظالم لغيره، فكأنه وصف فى هذه الآية بصـفة زائدة على صـفة الكفر باللّه و هى ظلمه لعباد اللّه بخروجه فى القصاص عن حكم اللّه، وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ فى هذه الآية المراد بها: الذين لا يحكمون من اليهود .. و أما الآية الثالثة فإنه بعد قوله:

وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ «۳» و معنـاه: قيـل لهم فى ذلك الزمان، و أمروا أن يحكموا به وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فيه قـال فيه من حكيت عنه من المتقـدمين أنه بمعنى «الـذى»، و الـذى أذهب إليه أنـا أن «من» هاهنـا بمعنى المجازاة لا بمعنى الـذى كما تقول فيمن لم يحكم بما أنزل اللّه منا أنه لا يبلغ منزلـة الكفر، و إنما يوصف بالفسق، فلذلك قال: فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ فقد بان لك أن كل موضع من

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۴۴.

(۳) سورة: المائدة، الآية: ۴۷.

(۲) سورة: المائدة، الآية: ۴۵.

الآيات الثلاث أخبر فيه عن المذكورين قبل بالكفر و الظلم و الفسق إنما وجب فيه ذلك و لم يحسن فيه غيره هناك فاعلمه.

الآية السابعة منها

قوله تعالى: قالَ اللَّهُ هـذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ «۱» و قال فى سورة براءة «۲»: لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَ

أولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و قال بعده: وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ «۳» و قال فى سورة النساء «۴»: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و كان حقها أن تذكر فى موضعها لكن لم تحضرنى هناك فذكرتها مع أخواتها و إن كان ذكرها متقدما فى القرآن، و قال فى سورة الحديد «۵»: بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و فى المجادلة «۶»: أُولئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و قال فى سورة الطلاق «۷»:

وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً.

للسائل أن يسأل عن مسائل فيقول: لم لم يذكر فى سورة براءة فى الآية الثانية فى قوله: تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لفظة «من» فى قراءة الأكثرين و قد ذكر فى الآى الأخر ...

و الثانى: لم حذف أَبَداً فى بعض المواضع و لم يحذف فى بعضها عنها .. و الثالث: لم

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۱۱۹.

(۵) الآية: ۱۲.

(۲) الآيتان: ۸۸، ۸۹.

(۶) الآية: ۲۲.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۱۰۰.

(۷) الآية: ۱۱.

(۴) الآية: ۱۳.

ذكر فى سورة النساء: وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و فى سورة الحديد: ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و فى غيرها ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ؟

الجواب عنه أن يقال: إن الآية الأولى و هى قوله: يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ و إن كانت عامة فى كل صادق مؤمن فإنها خرجت على ما يبكت اللّه به النصارى من دعاويهم الباطلة و مقالاتهم الكاذبة منسوبة إلى عيسى عليه السّلام فى قوله: وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّىَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ «۱» فانكشف هذا عن صدقه عليه السّلام و كذب القوم لما أجاب و قال: ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِى بِهِ «۲» فلفظة الصادقين فى قوله: هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ و الصادقون يجوز أن يكون منصرفا إلى عيسى و أمثاله من الأنبياء صلوات اللّه عليهم الذين صدقوا فى الدنيا فنفعهم صدقهم لقوله عز و جلّ: بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ «۳» أى: قال هم صادقون فتكون الإشارة بالألف و اللام إليهم صلوات اللّه عليهم، و إن كان كل صادق داخلا فى حكمهم من الانتفاع بصدقهم، و كذلك الآية التى فى آخر المجادلة خرجت على ذكر الرسل لقوله تعالى: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ «۴» ثم قال: أُولئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى «۵» ثم قال:

أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «۵» فكان الذى أخبر عنهم بأن لهم جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ الأنبياء و غيرهم صلوات اللّه عليهم و «من» لابتداء الغاية، و الأنهار أشرف مباديها، و الجنات التى مباديها الأنهار من تحت أشجارها أشرف من غيرها فكل موضع ذكر فيه «من تحتها» إنما هو لقوم عام فيهم الأنبياء، و الموضع الذى لم يذكر فيه «من» إنما هو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء، أ لا ترى إلى قوله فى سورة براءة: وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ

رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً فجعل مبادئ الأنهار تحت جنات أخبر أنها للصادقين و المؤمنين و الذين عملوا الصالحات و منهم الأنبياء عليهم الصلاة و السّلام، لا بل هم أولهم، فالمعتاد أنها أشرف الأنهار، و الآية التى فى سورة براءة قد خرج الأنبياء عنها؛ لأن اللفظ يشتمل عليهم فلم يخبر عن جناتهم بأن أشرف الأنهار على مجرى العادة فى الدنيا تحت أشجارها، كما أخبر به عن الجنات التى جعلها اللّه لجماعة خيارهم الأنبياء عليهم السّلام، إذ لا موضع فى القرآن ذكرت

---

(۱) سورة: المائدة، الآية: ۱۱۶.

(۴) سورة: المجادلة، الآية: ۲۱.

(۲) سورة: المائدة، الآية: ۱۱۷.

(۵) سورة: المجادلة، الآية: ۲۲.

(۳) سورة: الصافات، الآية: ۳۷.

فيه الجنات و جرى الأنهار تحتها إلا و قد دخلتها من سوى الموضع الذى لم ينطق ذكر الموعودين فيه على الأنبياء عليهم السّلام، فهذا الكلام فيمن تحتها اعتبروا بما ذكرت ما فى جميع القرآن.

أما الجواب عن حذف أَبَداً فى بعضها و الإتيان بها فى بعضها: أنها إنما حذفت من أول الآيتين اللتين فى براءة و آخر آية فى سورة المجادلة؛ لأنه ذكر قبل الآية التى فى سورة براءة وَ أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و بعد الآية التى فى آخر المجادلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فلأن فى «خالدين» ما يدل على التأبيد، ثم قد نزل منزلته أخبار هى فى مدحهم و هى قوله: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ فلما تظاهرت هذه الأخبار التى هى ثناء من اللّه جل ذكره عليهم و مدح لهم و طال الكلام بها فاستغنى بذكر خالِدِينَ عن ذكر قوله:

أَبَداً و حسن حذفه، و لم يحسن فى المواضع الأخر التى لم يتظاهر فيها مثل عدة هذه الأخبار الموجبة لهم دار الخلد و دوام النعيم، و أما فى سورة النساء إنما لم يذكر أبدا لأنه ذكر بعده فى مقابله خالِدِينَ و خالِداً فِيها «۱» و لم يقل: أبدا فلو ذكر فيهما «أبدا» لطال الكلام، فاستغنى بقوله: خالِدِينَ و خالِداً فِيها عن أبدا و أما فى سورة الحديد «۲»: لأنه ذكر قبله: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فلما طال الكلام فى مدحهم ذكر بعد ذلك تأكيدا بقوله «هو» استغنى بقوله:

خالِدِينَ عن أبدا و هذا الجواب عن إدخال «هو» بعد «ذلك»؛ لأنه ذكر «ذلك» بدلا و تأكيدا عن «أبدا» و ليس كذلك فى المواضع الأخر، و أما إدخال الواو فى قوله:

وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فى سورة النساء المحذوف أبدا عنه فلإدخال الواو فى قرينة الكافر وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ «۱»، فأدخل الواو فيه أى: و ذلك لهم الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و ليس كذلك فى المواضع الأخر إذا قرأت ما قبلها و ما بعدها تبين لك ما قلت فاعرفه.

---

(۱) سورة: النساء، الآية: ۱۴.

(۲) الآية: ۱۲.

۶- سورة الأنعام

الآیة الأولی منها

قوله تعالی: فَقَدْ کَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ یَأْتِیهِمْ أَنْباءُ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ «۱» و قال فی سورة الشعراء: «۲» فَقَدْ کَذَّبُوا فَسَیَأْتِیهِمْ أَنْبؤُا ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ.

للسائل أن یسأل فیقول: قد ذکر فی إحدی الآیتین «فسوف» و «بالحق»، و فی الآیة الأخری لم یذکر ما کذبوا به و جعل بدل «سوف» السین فهل کان یجوز أحدهما مکان الآخر؟

الجواب أن یقال: إن الآیة الأولی قد و فی المعنی فیها حقه من اللفظ؛ لأنها سابقة للثانیة، و إن کانتا مکیتین فأشبعت الألفاظ الأولی مستوفیة لمعناها، و فی الآیة الثانیة اعتمد علی الاختصار لما سبق فی الأولی من البیان و اقتصر علی «کذبوا»، و هذا اللفظ إذ أطلق کان لمن کذب بالحق، أ لا تری إلی قوله عز و جلّ: وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ «۳» و إذا قید جاز أن یقول: کذب الکذب و کذب الصدق و کذب مسیلمة و کذب النبی صلّی اللّه علیه و سلم، إلا أنه إذا عری من التقیید لم یصح إلا لمن کذب بالحق، فصار قوله تعالی فی الشعراء من هذا القبیل بعد البیان الذی سبق فی سورة الأنعام، و لما بنیت هذه الثانیة علی الاختصار و الاکتفاء بالقلیل من الکثیر جعل فیها بدل «سوف» السین وحدها و هی مؤدیة معناها، و من النحویین من ذهب إلی أنها مأخوذة من «سوف» و إن کان ذلک عندنا غیر صحیح.

الآیة الثانیة منها

قوله تعالی:

---

(۱) سورة: الأنعام، الآیة: ۵.

(۳) سورة: المرسلات، الآیة: ۱۵.

(۲) الآیة: ۶.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۷۸

أَ لَمْ یَرَوْا کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَکَّنَّاهُمْ فِی الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَکِّنْ لَکُمْ «۱» و قال فی سورة الشعراء «۲»: أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الْأَرْضِ کَمْ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ.

للسائل أن یسأل فیقول: ما بال الألف فی الآیة الأولی دخلت علی «لم»، و فی الثانیة دخلت علی «و لم»؟ فکان بین الألف و «لم» واو عطف و لم یکن فی هذه السورة، و ما یفصل بین «أ لم» «و أولم» و هل صلح ما فی الشعراء مکان ما فی سورة الأنعام أم لا؟

الجواب أن یقال: إن الألف تدخل علی واو العطف فی الاستخبار و الإنکار و التقریع علی تقدیر أن تکون الجملة التی فیها معطوفة علی کلام قبلها یقتضیها، و ذلک کقولک للقائل یقول: هل رأیت زیدا ثمة أو زید؟ مما یکون «ثمة» تصوره بصورة من ثبت ذلک عنده أو قاله فاستفهمته، و عطفت علی ما توهمت أنه فی علمه أو وهمه، و کل موضع فیه بعد ألف الإنکار واو ففیه تنکیب علی ما یسهل الطریق إلی ما بعد الواو، فالاعتبار لکثرة أمثاله کقوله: أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الْأَرْضِ کَمْ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ کأن قائلا قال: کذبوا الرسل و غفلوا عن الفکر و التدبر فقال: فعلوا ذلک و لم ینظروا إلی المشاهدات التی تنبه الفکر فیها من الغفلة، و کذلک قوله تعالی: وَ لَقَدْ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَکَیْفَ کانَ نَکِیرِ أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الطَّیْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ «۳» کأنه قال: کذبوا و لم ینظروا إلی ما یردع عن الغفلة من الفکر فی المشاهدات، و کذلک قوله: أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلی ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَیْءٍ یَتَفَیَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْیَمِینِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ «۴» لأن ذلک مشاهد و کل ما فیه واو مثل أَ وَ لَمْ یَرَوْا فهو تنبیه علی ما تقدمه فی التقدیر أمثال له منبهة لکثرتها، فالتبکیت فیه أعظم فهذا کله فی المشاهد و ما فی حکمه، و ما لیس فیه واو مثل أَ لَمْ یَرَوْا فهو ما لم یقدر قبله ما یعطف علیه ما بعده؛ لأنه من

باب ما لا يكثر مثله و ذلك مما يؤدى إلى علمه الاستدلالات كقوله فى سورة الأنعام «۵»: أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً إلى قوله: فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ و هذا ما لم يشاهدوه و لكن علموه و كذلك قوله: أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ «۶» هو مما الطريق إلى العلم به الاستدلال لا المشاهدة، فهذا و نحوه مما لم يكثر فى معلومهم أشباهه فهم ينبهون عليه

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۶.

(۴) سورة: النحل، الآية: ۴۸.

(۲) الآية: ۷.

(۵) الآية: ۶.

(۳) سورة: الملك، الآيتان: ۱۸، ۱۹.

(۶) سورة: يس، الآية: ۳۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۷۹

ابتداء من غير تقديم تنبيه على شىء مثله مما قبله. فإن عارض معارض بقوله تعالى:

أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ «۱» و قال: هذا من القسم الذى يشاهد و حقه أن يكون كقوله: أَ وَ لَمْ كما كان أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ و هما فى شىء واحد فما بالهما اختلفا من حيث وجب أن يتفقا؟ .. و الانفصال أن يقال:

إنا عللنا موضع أَ لَمْ بما يوجب أن يكون هذا الموضع من أماكنها، أ لا ترى أنا قلنا:

هو كل موضع ينبهون عليه ابتداء من غير تنبيه على شىء مثله مما قبله فعللنا المشاهدات بما يخرج هذا عنها؛ لأن قبل هذه الآية: وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ «۲» فبنيت هذه الآية على الآية التى أخبر اللّه فيها عن أول أحوال الإنسان، و أنه أخرجهم أطفالا صغارا من بطون أمهاتهم لا يعلمون منافعهم فيقصدوها و لا مضارهم فيجتنبوها، ثم بصرهم حتى عرفوا و نبههم على ما يشاهده كل حى من تصرف الطير فى الهواء و عجزه عن مثل ذلك، و كان هذا مقرونا بأولى الأحوال و لم يتقدمه أمثال له يقع التنبيه عليها قبله، فيكون فى حكم ما يعطف على ما تقدمه، فإن عارض بقوله عز و جلّ:

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ «۳» و قال: إن ذلك مما يعلم و لا يشاهد و حكمه أن يكون ب «أ لم» .. قيل له: التوسعة فى الرزق و التقتير فيه لما كانت لهما أمارات ترى و تشاهد من أحوال الغنى و الفقير صار أمرهما كالمشاهدات، فكانا مما شوهدت أمثالهما فعطف عليها .. فإن سأل سائل عما جاء بالفاء فى قوله: أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ «۴» و قال: ما الفرق بين هذا المكان الذى جاءت فيه الفاء و بين الأماكن التى جاءت فيها الواو؟ و هل كان يصح فى اختيار الكلام الواو مكان الفاء هاهنا؟.

الجواب أن يقال: الفاء هاهنا أولى لأن قبلها وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ «۵» فكأنه قيل فيهم أنهم كذبوا اللّه و رسوله بما أنكروه من البعث فلم يفكروا

---

(۱) سورة: النحل، الآية: ۷۹.

(۴) سورة: سبأ، الآية: ۹.

(۲) سورة: النحل، الآيتان: ۷۸، ۷۹.

(۵) سورة: سبأ، الآيات: ۷- ۸- ۹.

(۳) سورة: الروم، الآيتان: ۳۶، ۳۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸۰

و لم يخشوا عاقبة هذا المقال نقمة تنزل بهم، فقيل: لم يتفكروا و لم يخشوا أ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أى: هم لا ينفكون من أرض تقلهم و سماء تظلهم، و الذى جعلها تحتهم و فوقهم قادر على أن يخسف الأرض بهم أو يسقط السماء عليهم، فهذا موضع الفاء لا موضع غيرها لما بينا و السّلام.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ «۱» و قال فى سورة النمل «۲»: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ و قال فى سورة العنكبوت «۳»: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ و قال فى سورة الروم «۴»: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ.

للسائل أن يسأل فيقول: التى فى سورة الأنعام جعل ما بين السير و النظر فيها مهلة متراخية عبّر عنها بثم، و سائر الآى جعلت المهلة بينهما أقل فعبر عنها بالفاء فما الذى خصص الأولى بثم و الباقية بالفاء؟.

الجواب عن ذلك أن يقال: إن قوله: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا يدل على أن السير يؤدى إلى النظر فيقع بوقوعه و ليس كذلك، ثم أ لا ترى أن الفاء وقعت فى الجزاء و لم تقع فيه «ثم» فقوله فى سورة الأنعام: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا لم يجعل النظر فيه واقعا عقيب السير متعلقا وجوده بوجوده؛ لأنه بعث على سير بعد سير لما تقدم من الآية التى تدل على أنه تعالى حداهم على استقراء البلاد و منازل أهل الفساد و أن يستكثروا من ذلك ليروا أثرا بعد أثرا بعد أثر فى ديار قد عم أهلها بدمار لقوله تعالى:

أ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ «۵» ثم قال: فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ثم ذكر فى قوله: كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ يعنى: قرونا كثيرة قبلهم أهلكناهم، ثم قال: وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ فدعا إلى العلم بذلك بالسير فى البلاد و مشاهدة هذه الآثار، و فى ذلك ذهاب

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۱.

(۴) الآية: ۴۲.

(۲) الآية: ۶۹.

(۵) سورة: الأنعام، الآية: ۶.

(۳) الآية: ۲۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸۱

أزمنة كثيرة و مدد طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير، كما قال فى المواضع الأخر التى دخلتها الفاء لما قصد من معنى التعقيب و اتصال النظر بالسير، إذ ليس فى شيء من الأماكن التى استعملت فيها الفاء ما فى هذا المكان من البعث على استقراء الديار و تأمل الآثار، فجعل السير فى الأرض فى هذا الموضع مأمورا به على حدة و النظر بعده مأمورا به على حدة، و سائر الأماكن التى دخلتها الفاء علق فيها وقوع النظر بوقوع السير، لأنه لم يتقدم الآية ما يحدو على السير الذى حدا عليه فيما قبل هذه الآية، فلذلك خصت بثم التى تفيد تراخى المهلة بين الفعلين و اللّه أعلم.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۱» و قال فى سورة يونس «۲»: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ.

للسائل أن يسأل فيقول: ما الذى أوجب أن يقرن إلى جملتى الشرط و الجزاء فى الآية الأولى: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ و يجعل جواب الشرط الثانى: فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثم قرن فى الآية الثانية إلى جملتى الشرط و الجزاء وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ و جعل جوابه فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ فخالف الأولى.

الجواب أن يقال: إن السورتين اللتين وقعت فيهما الآيتان مكيتان و الأولى منهما قبل الثانية، فأما التى فى سورة الأنعام و هى: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ فمعناها: إن يمسك اللّه ضرا و هو سوء الحال فلا مزيل له غير اللّه، و لا يملك ما يعبد من دونه كشفه و معنى يمسسك: ينيلك؛ لأن المماسة فى الأعراض مجاز و توسع فى اللغة، فمعنى مسه اللّه بضرّ: أناله ضرا و أوصله إليه .. و قوله: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أى: ينلك خيرا يرج لأكثر منه، فإنه قادر عليه و على أمثاله، و الدليل على أن المعنى هذا أن الجزاء إذا كان جملة ابتداء و خبر فإن معنى الخبر يكون جزاؤه مقدرا فى مكان الفاء كقولك: إن زرتنى فأنا مكرم لك، و إن أحسنت إلىّ فأنا قادر على مقابلتك، التقدير: إن زرتنى أكرمك و إن أحسنت إلىّ قدرت على مقابلتك، و فى قولك: قدرت على

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۷.

(۲) الآية: ۱۰۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸۲

مقابلتك ضمان المقابلة، و أنت إذا قدرت قوله تعالى: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أن ينلك خيرا يقدر عليه لم يستقم الكلام؛ لأن الجزاء حقه أن يكون بعد الشرط، و القدرة على الفعل لا تكون بعده، و المعنى: أن ينلك خيرا يرج لأمثاله؛ لأنه قادر عليه و عَلى كُلِّ شَيْءٍ و كونه تعالى قادرا من صفات النفس و إنالة الخير فعل من أفعاله، فلا يصح أن يكون كونه قادرا متأخرا عنها فالمعنى: أن نقلك إلى سوء حال لم يملك كشفه عنك غيره، و ذلك كشدائد الدنيا من الأمراض و الآلام و النقصان فى الأموال، و إن نقلك إلى حسن حال كان بعده قادرا على أمثاله و مالكا لأضعافه؛ لأنه قادر على كل ما يصح أن يكون مقدورا عليه له، فلهذا وصفه بالقدرة على النفع و الضر. و أما الآية الثانية ففيها نفى أن يغالبه مغالب، و يمنعه عما يريد فعله مانع؛ لأن معناها: إذا أنزل بك مكروها لم يقدر أحد على دفع ما يريد إيقاعه بك، و إن أراد إحلال خير بك لم يرده أحد عنك، و هو معنى:

«لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت» و رتبة هذا الوصف بعد رتبة الوصف الأول؛ لأنه يوصف الفاعل أولا بقدرته على الضدين، و ليس كل من كان كذلك كان ممتنعا عن أن يقهره قاهر فيحول بينه و بين ما يريد فعله، فإذا وصفه بأنه قادر كان وصفه بأنه قادر غالب للقادرين لا يدفعه عن مراده دافع وصفا ثانيا، فلاق بكل موضع ما ورد فيه و نطق القرآن به، فالذى اقتضى هذا الوصف فى الآيتين قوله قبل الأولى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۱» أى: إنى لا أعبد إلها معه فأشرك به و قوله قبل الآية الثانية: وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ «۲» و مثلهما قوله: قُلْ أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ «۳».

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ «۴» و قال تعالى فى سورة يونس «۵»: فَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ.

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۴.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۲۱.

(۲) سورة: يونس، الآية: ۱۰۶.

(۵) الآية: ۱۷.

(۳) سورة: الزمر، الآية: ۳۸.

للسائل أن يسأل عن موضعين فى الآيتين: أحدهما عن الواو فى أول الآية الأولى، و الفاء فى أول الآية الثانية. و الثانى عن اختصاص آخر الآية الأولى بقوله: الظَّالِمُونَ و اختصاص آخر الآية الأخرى بقوله: الْمُجْرِمُونَ.

الجواب عن الأول و عطفه بالواو، فإن ما تقدم من قوله: قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً إلى قوله: وَ مَنْ أَظْلَمُ «۱» جمل عطف صدور بعضها على بعض بالواو، و لم تعلق الثانية بالأولى تعليق ما هو من سببها، فأجرى قوله: وَ مَنْ أَظْلَمُ مجراها و عطف بالواو عليها، أ لا ترى قوله: وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ «۲» و بعده:

وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ «۲» الآية، و أما الثانية فإن ما قبلها عطف بعضها على بعض بالفاء، كقوله: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۴» فتعلق كل ما بعد الفاء بما قبله تعلق المسبب بسببه؛ لأن المعنى: لو أراد اللّه أن لا يوحى إلى هذا القرآن لما تلوته عليكم و لا عرفتكم إياه فى هذا الوقت الذى أخبرتكم أن اللّه بعثنى به إليكم، و هذا يؤديكم إلى أن تعلموا أنى ثويت فيكم قبل هذا كثيرا من أيام عمرى، و لم يتهيأ لى ذلك و لا تلوت عليكم شيئا مما تلوته الآن، فيؤديكم هذا إلى أن تعرفوا صحة ما أقول أنه من عند اللّه لا من فعلى و قولى، فعطف بعض هذا الكلام على بعض بالفاء ... و قوله بعده فَمَنْ أَظْلَمُ أى: إذا عرفتم أنه ليس من قولى لظهوره منى بعد ما لم يكن فيما مضى من عمرى، فليس أحد أشد إضرارا بنفسه منكم فى قولكم على اللّه ما لم يقله. فهذا موضع الفاء و كل موضع فى القرآن يكون بعد هاتين الآيتين بالواو و بالفاء، فاعتبره بما بينته لك، و فى الأعراف «۵» أيضا فَمَنْ أَظْلَمُ بالفاء فالجواب عنه مثل ما مضى .. و الجواب عن السؤال الثانى أنه لما قال فى الآية الأولى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً و كان المعنى أنه لا أحد أظلم لنفسه ممن وصف اللّه تعالى بخلاف وصفه فأوردها العذاب الدائم كان قوله: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ عائدا إلى من فعل هذا الفعل أى: لا يظفر برحمة اللّه، و لا يفوز بنجاة نفسه من كان ما ذكر من فعله، فبناء الآخر على الأول اقتضى أن يكون إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ و أما الآية الثانية فى سورة يونس و تعقيبها بقوله: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ دون قوله: لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ و إن كان الوصفان لفريق واحد فلأنه تقدمها

---

(۱) سورة: الأنعام، الآيات: ۱۹- ۲۱.

(۴) سورة: يونس، الآية: ۱۶.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۱۹.

(۵) الآية: ۳۷.

الآية التى تضمنت وصف هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال: وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ «۱» فوصفهم بأنهم مجرمون عند تعليق الجزاء بهم، و قال بعده: ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي

الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ «۲» إلى الموضع الذى أبطل فيه حجتهم، و دفع سؤالهم و هو: ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هـذا أَوْ بَدِّلْهُ «۳» فقـال تعالى: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ «۴» ليعلم أن هؤلاء سبيلهم فى الضلال سبيل القوم الـذين أخبر عن إهلاكهم، و قال: وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ «۵» ليوقع التسوية بينهم فى الوصف كما أوقع التسوية بينهم فى الوعيد.

الآية السادسة منها

قوله تعـالى: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِى آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ «۶» و قـال فى سورة يونس «۷»: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ.

للسائـل أن يسـأل عن قـوله: مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ فى الآيـة الأولى و توحيـد الضـمير العائـد إلى «من» حملاـ على لفظهـا و عن قوله: مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ فى الآية الثانية و جمع الضمير العائد إلى «من» حملا على معناها. و لما ذا خص الأول بالتوحيد، و الثانى بالجمع؟ و هل كان يجوز فى الاختيار عكس ذلك فى المكانين؟

الجواب أن يقال: لكل من الموضعين ما يوجب اختصاصه باللفظ الذى جاء فيه ..

فأمـا قوله: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنـا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِى آذانِهِمْ وَقْراً فقـد قيـل فيه أنه فى قوم من الكفـار كانوا يستـمعون إلى النبى صـلّى اللّه عليه و سـلم، و إلى قرآنه بالليـل فـإذا عرفوا بهـا مكـانه رجموه و آذوه و منعوه من الصـلاة خوفا من أن يسـمعه منهم من تدعوه دواعى الحق فيسـلم، و هذا فى قوم قليلى العدد يرصدونه عليه السّـلام بالليل، و كان اللّه يمنعهم عنه بنوم يلقيه عليهم و حجاب يحجبه به عنهم لقوله تعالى:

(۱) سورة: يونس، الآية: ۱۳.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۴۰.

(۲) سورة: يونس، الآيتان: ۱۴، ۱۵.

(۶) سورة: الأنعام، الآية: ۲۵.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۱۵.

(۷) الآيتان: ۴۲، ۴۳.

(۴) سورة: يونس، الآية: ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸۵

وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنـا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لاـ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً «۱» فصـار ذلك كالكتاب على قلوبهم و كالصـمم فى آذانهم .. و أما قوله فى الآية التى فى سورة يونس و هى: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ فهو فى كل الكفار الذين يسـمعون مسـموعا هو حجة عليهم و هو القرآن و لا ينتفعون بسـماعه، فكأنهم صم عنه، فلما كانت «من» تصـلح للواحد فما فوقه و يجوز أن يعود الضـمير إلى لفظه، و هو لفظ الواحد و إلى معناه و هو ما يراد به من واحـد أو اثنين أو ثلاثـة، و اختلف هـذان المكانان فى القلـة و الكثرة حملت فى موضع القلـة على حكم اللفظ، و عاد الضـمير إليها بلفظ الواحد فقال: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ و فى موضع الكثرة على حكم المعنى و عاد الضمير إليها بلفظ الجمع، فقال:

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ليفاد بالاختلاف هـذا المعنى فلم يصـح فى كل مكان إلا اللفظ الذى خصه مع القصد الذى ذكرت .. فإن

قال قائل: فعلى هذا وجب فى الاختيار:

و منهم من ينظرون إليك لأنهم هم الأكثرون كالمستمعين .. قلت: إن المستمعين لما كانوا محجوجين بما يستمعونه من القرآن كانوا الأكثرين فى الحجاج، و ليس كذلك المنظور إليه لأن الآيات التى رئيت بالعين لم تكثر كثرة آيات القرآن التى سمعت بالآذان، فباين السامعون الناظرين فى الكثرة عند الحجاج، فلذلك عاد الضمير إليهم بلفظ الواحد.

الآية السابعة منها

قوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۲» و قال بعدها: قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ «۳» فقال فى هذين الموضعين أَ رَأَيْتَكُمْ و قال فى هذه السورة: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ «۴» و قال فى سورة يونس «۵»: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: لأى معنى قال فى الموضعين اللذين قدمنا ذكرهما

---

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۴۵.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۴۶.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۴۰.

(۵) الآية: ۵۰.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۴۷.

أَ رَأَيْتَكُمْ و فى الموضعين الآخرين أَ رَأَيْتُمْ و هل كان فى الاختيار أن يكون أحدهما مكان الآخر أم لا؟.

الجواب أن يقال: إن النحويين فى قوله: أَ رَأَيْتَكُمْ على مذهبين، أحدهما:

مذهب أهل البصرة، و هو أن الكاف فى: أرأيتك زيدا عاقلا للخطاب كالكاف فى ذلك، و ليست باسم، و يقولون للاثنين: أرأيتكما زيدا عاقلا. و للجماعة: أرأيتكم زيدا عاقلا، بمعنى: أعلمته عاقلا، و التاء لا تتغير عن الفتح و هو علامة الضمير دون الكاف، و اكتفى بتثنية الكاف و جمعها عن تثنية التاء. و من مذهب أهل الكوفة فى الاثنين أن التاء اسم، و الكاف اسم مضمر و التقدير: أ رأيتم أنفسكم إن أتاكم عذاب الله فالتاء موحدة اللفظ مع الكاف التى تختلف باختلاف المخاطبين اكتفاء باختلافها عن اختلاف التاء، و لا اختلاف فى ترادف الخطابين التاء و الكاف على المذهبين، و لا يترادفان إلا عند المبالغة فى التنبيه، و المبالغة فيه هو أن يعلم المخاطب أن لا تنبيه بعده و ما يتصل بقوله: أَ رَأَيْتَكُمْ فى الموضعين كلام يدل على ما إذا وقع لم ينفع عنده الزجر و التنبيه أ لا تراه يقول: أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ و عند إتيان العذاب و قيام الساعة لا ينفع الانتباه، و لا ينفع التنبيه، و «أرأيتكم» فعل متعد إلى مفعولين و الجملة التى هى إن أتاكم عذاب اللّه مضمنة مفعولية، و كذلك قوله: قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ معناه: أعلمتم إن أتاكم العذاب مفاجأة من حيث لا يعلم أو عيانا من حيث يشاهد هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ و هم المخاطبون أى هَلْ يُهْلَكُ غيركم فإذا علق ب أَ رَأَيْتَكُمْ جملة تتضمن مفعوليها و معنى الجملة تناهى الأمر فى تخويفهم بالخشونة إلى حيث ينقطع التنبيه عندها كان هذا الموضع أحق المواضع بالمبالغة فيه بمرادفة التنبيه، فلذلك أتى بالتاء و الكاف اللتين لا تخلوان من الخطاب على المذهبين، على أن مذهب الكوفيين فى الآيتين صحيح محتمل، فالآية الأولى تقديرها أ رأيتم أنفسكم داعية غير اللّه إِنْ أَتاكُمْ عذاب اللّه، و الآية الثانية تقديرها أ رأيتم أنفسكم غير هالكة إن أتاكم

عـذاب اللّه بغتـة أو جهرة، و أ رأيتم أنفسـكم هَـلْ يُهْلَـكُ غيرهـا لأنـهم هم الظالمون .. فأما الآيتان الأخريان اللتان اقتصـر فيهما على أ رَأَيْتُم و لم يترادف فى كل واحـد منهما الخطابان الـدالان على أن التناهى فى التنبيه إلى حيث لا تنبيه بعده بذكر غاية ما يفزعون به و ينـذرون قرب حلوله، فلأن الجملتين بعـدهما لم يتضـمنا من المبالغـة فيما يحـذرون ما ينقطع التنبيه عنده، أما الأولى فقوله: أ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أى: أعلمتم-

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸۷

إن سـلبكم اللّه صحة ما تحسون به المشاهدات و تعلمون به المغيبات- إلها غير اللّه يردها عليكم، و ليس هذا استئصالا كما فى الآيتين المتقدمتين ... فأما قوله: أ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ما ذا يَسْـتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ فلأن قبله وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۱» مخبرا أنهم اسـتعجلوا العـذاب و قيام الساعـة، فنزلوا منزلـة من لا يخافون ما أوعـدوا به، و كذلك قال: ما ذا يَسْـتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ فلم يكن فيه صـريح الاستئصـال و الإفصـاح بالهلاـك، فكـان كأن لم يبلغ حـدا لا مزيـد للتنبيه فيه، بل هم فى ذلك الحال أحوج مـا كـانوا إلى الزجر إذ لم يبلغ منتهـاه كمـا بلغ فى الآـيتين الأخريين، و صار التقـدير: أعلمتم أى شـىء يسـتعجل المجرمون من عذاب اللّه أى: هم يسـتعجلون هلاكهم و لا يعلمون، و معناه: أعلموهم طالبين هلاك أنفسهم بما يستعجلونه من نزول عذاب اللّه بهم، فقد بان لك الفرق بين الآيات و ما ترادفت فيه علامتا الخطاب دون غيره مما جرى على أصل الكلام و العلم عند اللّه.

الآية الثامنة منها

قـوله تعـالى: وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْـواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيـاةُ الـدُّنْيا وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَـلَ نَفْسٌ بِمـا كَسَـبَتْ «۲» و قـال فى سورة الأعراف «۳»: قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الـدُّنْيا و قال فى سورة العنكبوت «۴»: وَ مـا هـذِهِ الْحَياةُ الـدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ فقـدم اللهو على اللعب فى هاتين الآيتين، و جاء فى سورة الحديـد «۵»: اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الـدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ فقدم اللعب على اللهو كما قدمه فى سورة الأنعام.

للسائل: أن يسأل فيقول: إذا كانت الواو للجمع بين الشـيئين و الأشياء بلا ترتيب فهل لتقديم أحد الاسـمين على الآخر فى موضع دون موضع، و تقـديم الآـخر عليه فى غير ذلـك الموضع فائـدة تختصه، أم كـان جـائز فى كـل مكـان تقـديم أيهما شاء المتكلم لا لغرض يختصه؟

الجواب: أن يقال: أما الآية الأولى التى فى هذه السورة فإنها فى قوم من الكفار

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۴۸.

(۴) الآية: ۶۴.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۷۰.

(۵) الآية: ۲۰.

(۳) الآيتان: ۵۰، ۵۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۸۸

كـانوا إذا سـمعوا آيات اللّه هزلوا عنـدها، و استهزءوا بها، فهـذا اتخاذهم دين اللّه لَعِباً وَ لَهْواً و هو كما قال فى آيـة أخرى: وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَـمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْـتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ «۱» فقوله عز و جلّ: وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً كقوله: فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ فهؤلاء قوم حضـروا النبى صلّى اللّه عليه و سلم و سمعوا القرآن و عبثوا عنـد سـماعه و تلاعبوا بآياته، و أجروها مجرى أفعال يستروح إليها و لا نفع فى عقباها، ثم شـغلوا بدنياهم عن تدبرها و

ألهتهم بحلاوتها عن الفكر فى صحتها، فأول أفعالهم لعب و ثانيها لهو، و اللعب فعل فى طاعة الجهل تتعجل منه مسرة، و اللهو قال فيه صاحب العين: ما شغل الإنسان من هوى و طرب، فهؤلاء لما فعلوا عند سماع القرآن من الاستهزاء و العبث أطلق على فعلهم اسم اللعب، ثم لما شغلوا عنه باستحلاء الدنيا كان هذا لهوا منهم بعد اللعب، و كان أول دينهم لعبا و ما بعده لهوا، فلذلك قدم «لعب» على «لهو» فى هذه الآية ... و أما قوله تعالى فى سورة الأعراف «۲»: وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا و تقديم اللهو على اللعب فى هذه الآية فلأن الكافرين هنا لعامة الكفار غير مختص بمن سمع الآيات، فقدم فعل أكثرهم على فعل أقلهم، و هم الذين شغلتهم الدنيا و حلاوتها و الولادة و عادتها و استحلاء ما مرت عليه طباعها، و هذا هو اللهو، ثم كانت أفعالهم التى اقتدوا فيها بآبائهم لما طابت لهم و لم يجدوا فى العاقبة نفعا عليهم كاللعب الذى ينطوى على أفعال تبطل فى الآجل و إن سرت فى العاجل، و هذا بعد الأول، و أكثر الكفار داؤهم اللهو و إن شغلهم الحال التى استصحبوها عن الكفر فيما يطرأ عليها. فوجب هنا تقديم ذكر اللهو لوجهين: لتقدمه على ما هو كاللعب، و لأنه فعل أكثرهم. و اللعب الذى أريد فى الآية الأولى فعل أقلهم و هو هناك أول و هو ما ردّ به ما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و سلم .. و أما قوله تعالى فى سورة الحديد:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ و تقديم اللعب فيه على اللهو، فلأن معناه: الحياة الدنيا لمن اشتغل بها و لم يتعب لغيرها من أعمال الآخرة مقسومة من الصبا، و هو وقت اللعب و بعده لهو و هو الترويح عن النفس بملاعبة النساء، و يتبع ذلك أخذ الزينة لهن و تبرجهن و من أجل الزينة نشأت مباهاة الأكفاء

---

(۱) سورة: النساء، الآية: ۱۴۰.

(۲) الآيتان: ۵۰، ۵۱.

و مفاخرة الأشكال و النظر، ثم بعده المكاثرة بالأموال و الأولاد، فترتبت الحياة على هذه الأحوال فوجب تقديم حال اللعب على حال اللهو، و اللهو إذا أطلق فى كلامهم: هو اجتلاب المسرة بمخالطة النساء و لذلك قال امرؤ القيس:

أ لا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت و أن لا يحسن اللهو أمثالى

و قال آخر:

لهونا بمنجول البراقع حقبة فما بال دهر لزّنا بالوصاوص

و قيل فى قوله تعالى: وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ «۱» قيل فى تفسير اللهو: المرأة، و قال قتادة: اللهو بلغة اليمن المرأة، أى: لفعلناه من حيث يختص بعلمنا فلا يطلع غيرنا عليه، تعالى اللّه عن الصاحبة و الولد، فعلى هذا سميت المرأة لهوا باسم الفعل لكثرة ما يقع ذلك بها. أما قوله تعالى فى سورة العنكبوت: وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ فليس المراد به أن الحياة الدنيا كلها لهو و لعب، و ليست شيئا غيرهما كقوله: ما هى إلا همّا لأنه لو كان المراد هذا لكان للقائل أن يقول: ما هذه الحياة الدنيا إلا خوف و حزن فالخوف: ألم القلب لتوقع مكروه، و الحزن: ألمه لفقد محبوب، ثم إن هذه الحياة الدنيا تنطوى على أنواع عبادة اللّه و على تلاوة كتابه و على ما يكسب رضى اللّه عز و جلّ و يوجب ثوابه الدائم، فكيف يقال فيما يتضمن كل هذه الخيرات: ليس هو إلا لهوا و لعبا؟ بل المراد المبالغة فى وصف قصر مدة الدنيا بالإضافة إلى مدة الأخرى، فكأنه قال: ما أمد الحياة الدنيا إلا كأمد أزمنة اللهو و اللعب، و هى أزمنة تستقصر لشغل النفس بحلاوة ما يستعجل كما قال القائل:

شهور ينقضين و ما شعرنا بإنصاف لهنّ و لا سرار

و قال المتأخر:

و ليلة إحدى الليالى الزهر لم تك غير شفق و فجر

و الدليل على أن المراد هذا ما ذكرت قبل ما ذكره اللّه بعد من قوله عز و جلّ: وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ أى: إن حياتها تبقى أبدا و لا تعرف أمدا ... و إنما قدم

(۱) سورة: الأنبياء، الآيتان: ۱۶، ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۹۰

اللهو هنا على اللعب؛ لأن الأزمنة التى يقصرها اللعب؛ لأن التشاغل به أكثر، فلما كانت معظم ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ما هو دونه فى الكثرة؛ لأن ذلك آخذ بالشبه و أبلغ فى وصف المشبه، و لا خلاف أن الناس أزمنتهم المشغولة باللهو أكثر من أزمنتهم المشغولة باللعب، و أن طيبها لهم يخيل قصرها إليهم، و يتفاوت طيبها على حسب تفاوت ميل النفس إلى محبوبها، فمعظم ما ترى الزمان الطويل قصير زمان اللهو بالنساء، و هو الذى نشأت منه فتنة الرجال و هلاك أهل الحب فهذا الكلام فى هذه الآى و السلام.

الآية التاسعة منها

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ «۱» و قال فى سورة أخرى قبلها و بعدها: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ «۲».

للسائل أن يسأل فيقول: لم عطف الاسم على لفظ الفعل و لم يعطف عليه لفظ الفعل كما فى السور الأخر، و إذا عطف عليه بلفظ الاسم و هو «مخرج الميت» هلا ذكر اللفظ الأول بالاسم فيقول: «مخرج الحى من الميت» فما الفائدة فى ذلك و ما الفرق بينها و بين الآخر؟

الجواب: أن يقال: إن أول هذه الآية ذكر بلفظ الاسم، و هو فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى فكان اللائق به أن يقال: و مخرج الحى من الميت، و لكنه لما اجتمع ثلاثة حروف من حروف الصلة دفعة واحدة و هى: الواو من «و النوى»، و الياء من «النوى»، و الواو من «و مخرج» واو العطف، نقل عن لفظ الاسم إلى لفظ الفعل لما كان يخرج و مخرج بمعنى واحد فقيل يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ فجعل الجملة و هى: مخرج الحى من الميت خبر الابتداء كما يقول: إن زيدا ضارب عمرو و مكرم بكرا و مكرم جعفرا، فهذا أفصح من أن يقول: أن زيدا ضارب عمرو مكرم بكرا و مكرم جعفرا هذا أفصح من أن تقول: أن زيدا ضارب عمرو و مكرم بكر و مكرم جعفرا، فلهذا المعنى قال: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ فلما انتهى إلى العاطف من قرينته، و لم يكن فيه تلك

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۹۵.

(۲) سورة: يونس، الآية: ۳۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۹۱

العلة التى كان فى المعطوف عليه، فأجرى على ما أجرى عليه أول الآية: و هو فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى و ما بعده فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً «۱» و عاد إلى لفظ الاسم و هو وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ و عطفه على فالِقُ الْحَبِّ و ليس فى الآى الأخر ما فى هذه الآية قبلها و بعدها من الاسمية فذكر فيها على لفظ الفعل عاطفها و معطوفها، فبان الفرق بينهما على ما بينت و السلام.

الآية العاشرة منها

قوله تعالى: قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «۲» و الآية الثانية بعدها: قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ «۳» و الآية الثالثة: إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «۴».

للسائل أن يسأل فيقول: ما الذى أوجب فى اختيار الكلام أن يقال فى الآية الأولى: قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و فى الثانية: لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ و فى الثالثة:

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ و هل صلح بعض ذلك مكان بعض أم فى كل موضع معنى يخص اللفظ الذى جاء عليه؟

الجواب أن يقال: إن قوله: قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ جاء بعد آيات نبهت على معرفة اللّه تعالى و هى من قوله: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى «۵» إلى قوله:

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ «۶» فكان جميع ذلك دالا على العلم باللّه و بوحدانيته، و هو أشرف معلوم، و لا لفظ من ألفاظ «يعقلون» و «يفقهون» و «يشعرون، إلا و لفظة «يعلمون» أعلى منه و لذلك صحت فى الخبر عن اللّه تعالى و لم يصح فيه غيرها من الألفاظ التى ذكرت، فلما كان المعلوم أشرف المعلومات عبر عن الآيات التى نصبت للدلالة عليه باللفظ الأشرف. و أما ما استعمل فيه «يفقهون» فهو بعد قوله: وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ «۷» فأخبر عن ابتدائه الإنسان و إنشائه إياه نبه بما أراه من تنقله من حال إلى حال: من عدم إلى وجود، و من مكان إلى مكان: من صلب إلى رحم، و من بطن أم إلى وجه الأرض، و من وجه

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۹۶.

(۵) سورة: الأنعام، الآية: ۹۵.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۹۷.

(۶) سورة: الأنعام، الآية: ۹۷.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۹۸.

(۷) سورة: الأنعام، الآية: ۹۸.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۹۹.

الأرض إلى بطنها على أنه كما نقل من موت إلى حياة، و من حياة إلى موت كذلك ينقل من الموت إلى الحياة، و من القبر إلى المحشر و منه إلى إحدى الدارين؛ لأن الاستيداع فى الدنيا و المستقر فى العقبى كما نقل فى التفاسير، فنطقت تلك الأحوال الحادثة لمن يفهمها و يفطن لها و يستدل بشاهدها على مغيبها أن بعد الموت بعثا و حشرا و ثوابا و عقابا، و هذا مما يفطن له ف «يفقهون» أولى به. و أما قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بعد ما عدد نعمه على خلقه و ما وسعه من رزقه من الحب المعد للأقوات و من ضروب الأشجار و صنوف الثمار، و كان هذا مستدعيا للإيمان به المشتمل على شكر نعمته و القيام بما فرض من طاعته و أوجب من عبادته كانت الآيات فى ذلك معرضة لمن آمن باللّه، فلذلك قال فى الأخير: إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

الآية الحادية عشرة منها

قوله تعالى: ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ «۱» و قال فى سورة غافر «۲»: ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: لما ذا قدم فى سورة الأنعام: لا إِلهَ إِلَّا هُوَ على قوله: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ و قدم فى سورة غافر: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ على

قوله: لا إِلهَ إِلَّا هُوَ؟.

الجواب: أن يقال: لأن ما فى هـذه السورة جاء بعد قوله تعالى: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ «۳» فلما قال: ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ أتى بعده بما يدفع قول من جعل له شريكا فقال: لا إِلهَ إِلَّا هُوَ ثم قال:

خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ و فى سورة المؤمن جاء هذا بعد قوله: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۴» فكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان لا على نفى الشريك عنه كما كان فى الآيـة الأولى، فكان تقديم خالق كل شىء هاهنا أولى و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۰۲.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۱۰۰.

(۲) الآية: ۶۲.

(۴) سورة: غافر، الآية: ۵۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۹۳

الآية الثانية عشرة منها

قوله تعالى: وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ «۱» و قال بعده:

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ «۲».

للسائـل أن يسأل فيقول: كيف قـال: وَ لَوْ شـاءَ رَبُّكَ فى الآيـة الأولى و فى الثانيـة: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ و هل فى المكانين ما يوجب اختلاف الاسمين؟

الجواب: أن يقال: إن الأولى قبلها وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً «۳» أى: كـان للأنبيـاء قبلـك أذى من قبـل العـدو من الإنـس و الجن، و لو شـاء من ربّاك و قام بمصالحك لألجأهم إلى موافقتك و ترك مخالفتك- و إن كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضـرتك- و أن يظفروا بمرادهم من عداوتك، فقد تضـمن قوله «ربك» هذا المعنى .. و قوله فى الآية الأخرى:

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ جاء بعد قوله: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِيباً «۴» فأخبر أنهم أقاموا للّه الذى يحق إفراده بالعبادة شريكا، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ أى: و لو شاء من نعمته عليهم نعمـة توجب التأله له أن لا يعبـدوا سواه ما تمكنوا من فعله، فهـذا موضع لم يلق به إلا الاسم الذى يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء، فأفاد كل اسم من الاسمين فى مكانه ما لم يكن ليستفاد بغيره، و اللّه أعلم.

الآية الثالثة عشرة منها

قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ «۵» و فى سورة ن القلم «۶»: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.

للسائل أن يسأل عن الفرق بين اللفظين و حذف الباء و إثباتها، و هل كان يصح اللفظ الذى هاهنا هناك و الذى هناك هنا؟.

الجواب: أن يقال: إن مكان كل واحد يقتضى ما وقع فيه، و بين اللفظين فرق فى

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۱۲.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۱۳۶.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۱۳۷.

(۵) سورة: الأنعام، الآية: ۱۱۷.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۱۱۲.

(۶) الآية: ۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۹۴

المعنى يوجب اختصاص اللفظ الذى جاء له فقوله: إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ معناه: اللّه يعلم أى المأمورين يضل عن سبيله: أزيد أم عمرو، و هذا المعنى يقتضيه ما تقدم هذه الآية، و ما جاء بعدها مما تعلق بها فالذى قبلها وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ يُضِلُّوکَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ «۱» أى: إن تطع الكفار يضلوك عن طاعة اللّه و عبادته.

ثم إنه أخبر أنه يعلم من الذين يغوونه و يضلونه و من الذين لا يتمكنون من إضلاله، و بعد هذه الآية: وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ «۲».

و أما قوله: إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ فمعناه عنى معنى ما فى الآية الأولى. أى: اللّه أعلم بأحوال من ضل كيف كان ابتداء ضلاله، و ما يكون من مآله أ يصرّ على باطله أم يرجع عنه إلى حقه؟ و قبلها فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ «۳» من جعل المفتون بمعنى: الفتون كالمفعول بمعنى الفعل، كان معناه: ستعلم و يعلمون بك أو بهم المفتون و خبال الرأى و فساد العقل، و من جعل المفتون للمبتلى بفساد التميز و هو حكاية معنى قولهم: أنه صلّى اللّه عليه و سلم مجنون كان كما يقال: فى أى الفرقتين المجنون، أى: فى فرقة الإسلام، أو فى فرقة الكفر، و الباء تقارب معنى «فى» كما قال: فيه عيب و به عيب، فينوب كل واحد من الحرفين مناب الآخر فى أداء المعنى .. و يجوز أن تكون الباء معناها على ما يقال: فلان باللّه و بك، أى: ثباته به و بك، معناه أى: سيعلم بأى الطائفتين ثبات الجنون و دوام الفتون .. و إذا كان مدار الكلام على أنه سيبصر بأيكم الخبال و الجنون كان قوله تعالى: إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أى: اللّه أعلم بى و بكم المخبل المجنون منى أو منكم و إذا قال: إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أى: هو أعلم بابتداء ضلاله و انتهاء أمره و هل يقيم على كفره أم يقلع عن غيه لرشده، فقد بان لك أن كل موضع أتى فيه بما اقتضاه المعنى من اللفظ.

الآية الرابعة عشرة منها

قوله تعالى: كَذلِکَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ «۴» و قال فى سورة يونس «۵»: كَذلِکَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: ما فائدة اختصاص المكان الأول بالكافرين، و الثانى بالمسرفين؟

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۱۶.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۱۲۲.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۱۱۹.

(۵) الآية: ۱۲.

(۳) سورة: القلم، الآيتان: ۵، ۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۹۵

الجواب: أن يقال إن الأول قبله: أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها

كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ و المراد بالميت هاهنا: الكافر، و النور: الإيمان، و حياته به، و من فى الظلمات: من استمر به الكفر و لم ينتقل عنه، فكان ذكر الكافرين بعده أولى. و أما المكان الثانى فإن قبله: إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها «۱» و هذا صفة الكفار نعموا أبدانهم و نسوا أديانهم، و اقتصروا على عمارة الحياة الدنيا و لم يتعبوا بطلب الأخرى و هم المسرفون الذين قال اللّه تعالى فيهم: وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ «۲» لأنهم غلوا فى إيثار الدنيا و تعجل نعيمها و تجاوزوا الحد فى عمارتها و الإعراض عما هو أهم منها .. و يجوز أن يكون الكفار سموا المسرفين لمجاوزتهم الحد فى العصيان إذ يقال لمن أفرط فى ظلم: أسرف، فالذين رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و غفلوا عن تدبر آيات اللّه يقال لهم مسرفون على وجهين، أحدهما: المبالغة فى تنعيم النفوس و جعلهم الدنيا حظهم بما عرضوا له من النعم .. و الثانى:
مجاوزتهم الحد فى معصية اللّه. فلما قال: فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ «۳» و أشار إلى من تقدم ذكرهم فى قوله: إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها ثم وصف حال الإنسان فى الشدة و الرخاء، و انقطاعه فى الشدة إلى الدعاء و نسيانه له فى الرخاء فسمى الذين هذه صفتهم مسرفين على أحد الوجهين اللذين ذكرنا لإسرافهم فى الحالين.

الآية الخامسة عشرة منها

قوله تعالى: ذلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها غافِلُونَ «۴» و قال فى سورة هود «۵»: وَ ما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ.
للسائل أن يسأل فيقول: لم قال فى الأولى غافِلُونَ و فى الآخرة مُصْلِحُونَ؟
الجواب: إن ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من العقاب فى قوله: قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها «۶» و بعده:

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۷.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۱۳۱.

(۲) سورة: غافر، الآية: ۴۳.

(۵) الآية: ۱۱۷.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۱۱.

(۶) سورة: الأنعام، الآية: ۱۲۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۹۶
يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا «۱» يعنى: العقاب فى يوم القيامة؛ لأنه لم يكن ربك ليفعله من قبل أن يحتج عليهم برسل يهدونهم و ينذرونهم ما وراءهم من محذورهم و لا يتركونهم فى غفلة من أمورهم، فاقتضى هذا المكان أن يقال: لم يؤخذوا و هم غافلون بل كانوا منبهين بالأعذار و الإنذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة و السلام ..
و أما الموضع الثانى الذى ذكر فيه: وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ فللبناء على ما تقدم و هو قوله تعالى: فَلَوْ لا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ «۲» فدل على أن القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ و كان نقيض الفساد فى الأرض الصلاح فقال: لَمْ يَكُنْ اللّه ليهلكهم و هم مُصْلِحُونَ فاقتضى ما تقدم فى كل آية ما أتبعت من الغافلين و المصلحين.

الآية السادسة عشرة منها

قوله تعالى: قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ «۳» و قال فى سورة هود «۴» فى قصة شعيب: وَ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ و قال فى سورة الزمر «۵»: قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

للسائل أن يسأل عن الآية التى فى سورة هود لم جاءت بحذف الفاء من «سوف» و جاءت الآيتان الآخرتان بإثباتها فقال: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ و هل يصلح ما فيه الفاء مكان ما لا فاء فيه؟

الجواب أن يقال: أمر اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و سلم فى سورة الأنعام بأن يخاطب الكفار على سبيل الوعيد: اعْمَلُوا عَلى طريقتكم و جهتكم أو على تمكنكم فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أنكم أسأتم إلى أنفسكم. و العمل سبب للجزاء الذى عبر عنه بقوله: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فالفاء متعلقة بقوله: اعْمَلُوا أو التقدير: اعملوا، فسوف تعلمون

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۳۰.

(۴) الآية: ۹۳.

(۲) سورة: هود، الآية: ۱۱۶.

(۵) الآية: ۳۹.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۱۳۵.

إِنِّي عامِلٌ فسوف أعلم، فحذف للعلم به، و كذلك ما فى سورة الزمر من خطاب من اللّه تعالى للنبى صلّى اللّه عليه و سلم على هذا الوجه، و أما فى سورة هود فإنه حكاية عن شعيب عليه السّلام لما تجاهل قومه عليه فقالوا له: يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ «۱» فقال لهم: اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ و تعرفون عملى و إن قلتم إنا لا نفقه أكثر ما تقوله، فجعل سَوْفَ تَعْلَمُونَ مكان الوصف لقوله: عامل، فلم يصح على هذا المعنى دخول الفاء، و قصد هذا المعنى لما أظهروا من جهلهم به و أنهم لا يعرفون ما يقوله لهم فقال لهم: إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ عملى و تعرفونه بعد ما أنكرتموه.

الآية السابعة عشرة منها

قوله تعالى: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ «۲» و قال فى سورة النحل «۳»:

وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

للسائل أن يسأل هنا عن مسألتين:

إحداهما: أنه ذكر فى الثانية مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ و لم يذكر فى الأولى، و هل كان يجوز لو وصلت إحداهما بما وصلت به الأخرى؟

و الثانية: توكيد الضمير فى سورة النحل، ثم العطف عليه، و فى سورة الأنعام لم يؤكد و عطف عليه وَ لا آباؤُنا و الفصل الذى يقوم مقام التوكيد فى المكانين حاصل.

الجواب أن يقال: قوله: ما أَشْرَكْنا مستغن عن ذكر المفعول به و إن كان فى الأصل متعديا إليه لقوله: أن تشركوا به شيئا، و إنما لم يحتج إلى ذكر المفعول به كما احتاج إليه عَبَدْنا لأن الإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته و العبادة لا تدل على إثبات معبود لا يجوز إثباته؛ لأنها تدل على معبود هو مثبت لا يصح نفيه فقوله: ما عَبَدْنا غير مستنكر أن يبدو، و إنما المستنكر أن يعبدوا غير

اللّه شيئا، فكان تمام المعنى بذكر قوله: مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ و كذلك: وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ لا بدّ

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۹۲.

(۳) الآية: ۳۵.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۱۴۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۹۸

مع حَرَّمْنا من قوله: مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ لم يحتج إليه بعد قوله: ما أَشْرَكْنا لأن الإشراك دال على أن صاحبه يحرم شيئا من دون اللّه و لا يدل عَبَدْنا على ذلك فوفّى اللفظان فی سورة النحل حقهما من التمام.

الجواب عن السؤال الثانی: و هو: توكيد علامة الضمير فی سورة النحل بنحن، و ترك ذلك فی سورة الأنعام مع أن بعد واو العطف «لا» فی الموضعين: هو أن كل ما أكد معنى الفعل- الذی ضمير الفاعل كالجزء منه إذا وليه، و لم تكثر الحواجز بينهما- قام مقام التوكيد بعلامة الإضمار مثل أنا و نحن، فقوله: ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا أشركنا منه منفی بما و «لا» بعد الواو مؤكد معنى «ما» الداخلة على الفعل، فكأنها مؤكدة للفعل، و إذا أكدت الفعل و علامة الإضمار جزء منه فكأنها أكدتها و مثله: فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ «۱» وَ مَنْ تابَ عطف على المضمر لقوله: فَاسْتَقِمْ و صح لأن قوله: كَما أُمِرْتَ بمعنى استقامة مثل ما أمرت به، ف كَما أُمِرْتَ فی موضع المصدر، و المصدر توكيد للفعل نفسه، فصار مثل توكيد ما هو كجزء منه فكان هذا المؤكد للفعل يليه فی هذا المكان و فی قوله: ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا فأما قوله:

ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ لم يكن الفعل مؤكدا لنفس الفعل كما كان المصدر فی قوله: فَاسْتَقِمْ و كما كانت «لا» بعد واو العطف فی قوله: وَ لا آباؤُنا مؤكدة معنى «ما» التی تنفی الفعل فتصير كأنها مؤكدة ما هو كبعض الفعل؛ لأن الفصل هاهنا بالمفعول به و هو مِنْ شَيْءٍ و بقوله: مِنْ دُونِهِ و معناه: ما عبدنا غيره شيئا، فيكون بمعنى الاستثناء و ليس شیء من هذين مؤكدا لنفس الفعل، فلما لم يؤكداها و جاءت وَ لا آباؤُنا و كانت «لا» مؤكدة إلا أنها لم تل علامة الضمير المعطوف عليها لحجزة بينهما بقوله: مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ و الحواجز إذا كثرت و بعدت ما بين الكلمتين اختير إعادة العامل مع أن فی المتقدم كفاية كقوله عز و جلّ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا «۲» و كقوله: أَ إِذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ «۳» و كقوله: أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ «۴» فلما بعد الخبر و هو مُخْرَجُونَ من أَنَّكُمْ الأولى أعيدت، و إذا كان الاختيار ما ذكرنا فيما طال الفصل به و كان الفصل فی قوله: ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ قد طال بجارين و مجرورين بين علامة الضمير فی «عبدنا» و بين «لا» المؤكدة التی تنفی الفعل الذی علامة الضمير فی تضاعيفه كجزء من أجزائه و كحرف من حروفه احتاج الضمير فی العطف عليه إلى ما

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۱۱۲.

(۳) سورة: النمل، الآية: ۶۷.

(۲) سورة: الكهف، الآية: ۳۰.

(۴) سورة: المؤمنون، الآية: ۳۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۹۹

يؤكده، فلذلك أدخل «نحن» هنا و لم يدخل هناك فی قوله: ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا فافهمه فإنه من دقيق النحو وفقنا اللّه و إياكم لمعرفته و السلام.

الآية الثامنة عشرة منها

قوله تعالى: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ «۱» و قال فى سورة بنى إسرائيل: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ «۲».

للسائل أن يسأل فيقول قوله عز و جلّ: نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ هو ما عليه الاختيار فى كلام العرب من تقديم ضمير المخاطب على ضمير الغائب بناء على قولك:

أعطيتكه، و الآية فى سورة بنى إسرائيل قدم فيها ضمير الغائب على ضمير المخاطب، فكأنها بنيت على قولك: أعطيتهوك، و هذا ليس بمختار، فما الذى أوجب اختصاص الأول بتقديم ضمير المخاطب، و أوجب اختصاص الثانى بتقديم ضمير الغائب؟

الجواب أن يقال: أولا- ليس الضميران إذا اتصلا بالفعل كالضميرين إذا انفصل أحدهما و عطف على الآخر لأن قولهم: أكرمته و إياك، مثل قولهم: أكرمتك و إياه فى أن كل واحد منهما مختار فى مكانه الذى يوجب تقديم ما قدم و تأخير ما أخر، بخلاف ما يختار إذا اتصلا بالفعل فى مثل: ما أعطيتكه. فأما قوله فى سورة الأنعام: نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ فلأن قبله: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ أى: من أجل إملاق و انقطاع مال و زاد و هذا نهى عن قتلهم مع فقرهم و خوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤنة غيرهم، فكأنه قال: الذى يدعوكم إليه من حالكم فى أنفسكم ثم فى غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإنى أرزقكم و إياهم. و أما الآية الثانية فإنه قال فيها: خَشْيَةَ إِمْلاقٍ و الإملاق غير واقع فكأنه قال: خوف الفقر على الأولاد، و كان عقيب هذا إزالة الخوف عنهم، ثم عن القاتلين أى: لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر فاللّه يرزقكم و إياهم، فقدم فى كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه و أخر ما اقتضى الموضع تأخيره.

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۱.

(۲) سورة: الإسراء، الآية: ۳۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۰

الآية التاسعة عشرة منها

قوله تعالى فى الوصية الأولى من هذه السورة: ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۱» و فى الثانية: ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «۲» و فى الثالثة:

ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «۳».

للسائل أن يسأل فيقول: ما الذى اقتضى فى الأولى: تَعْقِلُونَ و فى الثانية:

تَذَكَّرُونَ و فى الثالثة: تَتَّقُونَ و هل صلحت الثانية مكان الأولى فى اختيار الكلام؟

الجواب أن يقال: قدم اللّه تعالى الوصية بالأشرف الأعظم و هو الإيمان بدل الشرك و فيه أداء حق أكبر المنعمين، ثم الإحسان إلى الوالدين و نعمتهما على الولد أكبر النعم بعد نعمة اللّه فحقهما يتلو حقه، ثم الإحسان إلى الأولاد بتربيتهم و ترك ما كانت عليه العرب فى جاهليتها من وأد البنات للفقر و الإملاق، ثم أن لا- يقربوا ما لعله أن يكون سبب ولد لا يصح نسبه و هذا فى النهى عن سبب الإحداث، كالأول فى النهى عن سبب الإهلاك، ثم أن يحقنوا الدماء و لا يسفكوها إلا بحقها و هو أن يقتلوها للقصاص و الزنا بعد الإحصان و الكفر بعد الإيمان. فهذه خمسة تتعلق بأكبر الحقوق و أوكد الأصول، و الشرك اعتقاد مذهب باطل بهوى، و ترك الإحسان إلى الوالدين يكون إما لمحبة مال لا يسمح به لهما، أو اتباع هوى يدعو إلى مخالفتهما، و وأد البنات لخوف الفقر و العار و

الزنا و ما يقبح جدا من المعاصی تحمل عليه الشهوة، و قتل النفس بغير حق يدعو إليه شفاء غيظ النفس الأمارة بالسوء. و كل ذلك قبيح فی العقول محتاج فی ذمّ النفس عنها إلی زاجر من عقل يدفع الهوی فلهذا قال: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أی: تستعملون العقل الذی يحبس نفوسكم عن قبيح الإرادات و فواحش الشهوات، و بعد هذه الخمسة خمسة أخری هی متعلقة بالحقوق فی الأموال دون النفوس، فأولها: حفظ مال اليتيم عليه لأنه لا يقوی علی حفظه و الأطماع تمتد إلی ماله و ذو الولد يفكر فی حاله و ما يكرهه لولده فلا يستجيزه لولد غيره، و بعده التعديل فی الكيل و إيفاء الكيل و الوزن بالقسط، و هو الذی توعد اللّه عليه فی قوله: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَی النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ «۴» و معنی قوله: لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها «۵» أی: إذا اجتهدت فی التحری و توخی القسط

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۱.

(۴) سورة: المطففين، الآيات: ۱، ۲، ۳.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۲.

(۵) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۲.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۱

فقد أسقط عنها ما يتعذر تجنبه من أقل القليل فيما يكال و يوزن، و الرابع: القول بالعدل و هو فی الحكم و الشهادة، و الخامس: الوفاء بعهد اللّه و هو أن يحلف باللّه فی غير معصية، و كل هذه قد دعی فيه الإنسان إلی تذكر حاله و رضاه فی نفسه لو كان هو المعامل بما يعامل هو به غيره، أی: لو كان ولده اليتيم أو كان الذی يكال له و يوزن أو كان الذی يحكم عليه أو تقام الشهادة بما لا يلزمه أو يحلف باللّه علی إذهاب حق له أو يحلف له بما يلزم الوفاء به، فلا يرضين من ذلك لغيره إلا ما يرضاه لنفسه، فذكرهم حالا مرت لهم أو يخافون مرورها عليهم، فلذلك قال: لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. و أما الآية الأخيرة و هی:

وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أی: الشرع الذی شرعته لكم هو طريقی أشرعته إلی نعيمكم الدائم فاسلكوه، و لا تتبعوا الديانات المخالفة له فتبعدكم عن سبيله المؤدی إلی نعيمه لعلكم تتجنبون بلزومه معصيته و تتقون بطاعته عقوبته، فأتبع كل صنف من الوصية ما اقتضاه معناها و باللّه التوفيق.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۲

۷- سورة الأعراف

الآية الأولی منها

قوله تعالی: قالَ ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ «۱» و قال فی سورة الحجر «۲»: قالَ يا إِبْلِيسُ ما لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ.

للسائل أن يسأل فيقول: إذا كان هذا فی قصة واحدة و وقع فی كلام اللّه حكاية عما قال إبليس و عما قيل له عند ما كان يظهر من عصيانه فلما ذا اختلفت الحكايتان و المحكی شیء واحد؟.

الجواب ما قلته فيما قبله و أقوله فيما بعده: من أن اقتصاص ما مضی إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، و إنما المقصود ذكر

المعانى، فإن الألفاظ إذا اختلفت و أفادت المعنى المقصود كان اختلافها و اتفاقها سواء. فقوله عز و جلّ هنا: ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ و قوله فى الحجر: يا إِبْلِيسُ ما لَکَ أَلَّا تَکُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ و قوله فى سورة ص «۳»: يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ الْعالِينَ أقوال ثلاثة فى بعض ألفاظها اختلاف، و فى المعنى اتفاق، و هى: ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ و ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ و ما لَکَ أَلَّا تَکُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ... و أما قوله: لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ الْعالِينَ ففيه زيادة إخبار عن حال لم تکن فى الآيتين المتقدمتين، و لم يقل عندهما أنه لم يکن هناک خطاب إلا ما حکيناه فيهما، فتکون الزيادة

(۱) سورة: الأعراف، الآيتان: ۱۲ و ۱۳.

(۲) الآيات: ۳۲- ۳۴.

(۳) الآية: ۷۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۳

معدودة فى الاختلاف ... و أما قوله و هو حکاية ما کان من جواب إبليس فى سورة الأعراف و فى سورة ص: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ و فى سورة الحجر: لَمْ أَکُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ و فى سورة بنى إسرائيل: قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً «۱» فإنه يحصل للسامع من الآيات الأربع معنى واحد و هو ذکر ما حمله على ترک السجود لآدم عليه السّلام لما کان مخلوقا من النار و آدم مخلوقا من الطين. و رأى أصله أشرف من أصله، و إن کان فى إحداهما ذکر بعض ما دعاه إلى ما فعل، و فى الآخرتين ذکر کله من مقابلة أصله بأصله و توهمه أنه أشرف، و أن سجود الأشرف لما دونه لا يجوز و کذلک ما حکاه اللّه تعالى من قوله فى سورة الأعراف قال: فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَکُونُ لَکَ أَنْ تَتَکَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ الصَّاغِرِينَ لا يخالف قوله فى سورة الحجر «۲»: قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِيمٌ وَ إِنَّ عَلَيْکَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ و لا يخالف أيضا قوله فى سورة ص «۳»: قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِيمٌ وَ إِنَّ عَلَيْکَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ لأنه إذا أمره بالخروج من الجنة أو من السماء فقد أمره بالهبوط إلى الأرض .. و قوله: وَ إِنَّ عَلَيْکَ اللَّعْنَةَ و لَعْنَتِي واحد لأن اللعنة فى الحقيقة إبعاد اللّه من يعصيه عن الخير، ثم لعن الملائکة و الناس من التبع للعنة نعوذ باللّه منه.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ «۴» و قال فى سورة الحجر و سورة ص: قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ «۵».

للسائل أن يسأل عن إدخال الفاء فى قوله: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي فى سورتى الحجر و ص و حذفها منه فى سورة الأعراف.

الجواب أن يقال: إن قوله: فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فى سورة الأعراف وقع مستأنفا غير مقصود به عطف على ما يقع به هذا السؤال عقيبه فلم يحتج إلى الفاء.

الجواب: أيضا: لما لم يکن إجابة له إلى ما طلب لم يکن أيضا معطوفا عليه

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۶۱.

(۴) سورة: الأعراف، الآيتان: ۱۴، ۱۵.

(۲) الآيات: ۳۴ و ۳۵.

(۵) سورة: الحجر، الآيات: ۳۶، ۳۷، ۳۸.

(۳) الآيات: ۷۷، ۷۸. و سورة: ص، الآيات: ۷۹، ۸۰ و ۸۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۴

بالفاء، و إنما سأل تأخير أجله فقال: إنك فى حكمى ممن أخر أجله لا لأجل مسألتك ..

و أما فى الآيتين فى سورتى الحجر و ص فإنه قال عز من قائل: قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی و جاء بعد إخبار اللّه بلعنه له و كأنه قال: يا رب إذ لعنتنى و آيستنى من الخير فأخرّ أجلى إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و هو يوم القيامة، و ليس يوم الإماتة إنما هو يوم البعث و الإحياء فلم تقع الإجابة إلى ما طلب، لأنه قال عز من قائل: فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ أى: إلى الوقت الذى هو آخر أوقات الإحياء، فاقتضى إضمار: «إذ لعنتنى يا رب» أن يأتى بالفاء، فيقول: فَأَنْظِرْنِی و يأتى فى جوابه بها و هو: فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ لأن التقدير: إن طلبت تقدير الأجل و تنفيس المهل من أجل أن لعنت فإنك مؤخر الموت بما حكمت به لك لا لإجابتك إلى مسألتك، فهو معطوف على السؤال عطف الكلام على الكلام الذى يقتضيه لا عطف الإيجاب على السؤال؛ لأن اللّه تعالى لن يجيب عاصيا مثله إلى ما يسأله، فدخول الفاء فى الموضعين لتقدم ذكر اللعن و إن المعنى:

إن آيستنى من رحمتك فأخر أجلى لأنال من عدوى الذى كان سبب ذلك ما أقدر عليه من الإغواء له و لمن يكون من نسله، و أستشفى بذلك لجهله، نعوذ باللّه من طاعة الهوى المؤدى إلى سبيل الردى.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِی لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ «۱» و قال فى سورة الحجر «۲»: قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِی لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.

للسائل أن يسأل فى هذه الآية عن شيئين، أحدهما: اختلاف المحكيات، ففى موضع فَبِما أَغْوَيْتَنِی و فى آخر فَبِعِزَّتِکَ «۳». و الثانى: حذف الفاء فى سورة الحجر من قوله: رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِی و إثباتها فى الآيتين الآخرتين.

الجواب: عن اختلاف الألفاظ المحكية أن يقال: متى حملت الباء على القسم فى قوله: بِما أَغْوَيْتَنِی فى الآيتين بشهادة الآية الثالثة، و هى: فَبِعِزَّتِکَ لم يكن هناك

---

(۱) سورة: الأعراف، الآيتان: ۱۶، ۱۷.

(۲) الآيتان: ۳۹، ۴۰.

(۳) سورة: ص، الآية: ۸۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۵

اختلاف فى المعنى؛ لأن المراد فى قوله: بإغوائك إياى و هو يحتمل وجوها من المعنى أحدها: أن يكون المراد: بتخييبك إياى لأجتهدن فى تخييبهم، و هذا ظاهر الكلام؛ لأن القسم متلقى باللام، و لأن قوله: فَبِعِزَّتِکَ فى مقابلتهما من الآية الأخرى و تخييب اللّه إياه هو بعزته و منه قول الشاعر:

و من يغو لا يعدم على الغى لائما أى: من يخب لم ينل خيرا. يشهد لذلك صدر البيت و هو:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و الثانى: أن يكون المراد بإهلاكك إياى بأن لعنتنى و هذا الفعل أيضا عزة من اللّه، و كذلك إن حمل على معنى الحكم بغوايته، فهو عزة من اللّه تعالى و إذا كان كذلك تساوت فى المعنى و كلّ قسم، و الإغواء الذى هو التخييب أو الإهلاك أو الحكم بالغواية كل ذلك عزة من اللّه تعالى فالقسم به كالقسم بعزته.

الجواب: عن السؤال الثانى: و هو حذف الفاء من قوله: رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِی فلأن الدعاء فى المصدر يستأنف بعده الكلام و القصة غير

مقتضاة لما قبلها كما اقتضاها قوله:

رَبِّ فَأَنْظِرْنِي و الفاء توجب اتصال ما بعدها بما قبلها، و النداء أولا يوجب القطع و استئناف الكلام سيما فى قصة لا يقتضيها ما قبلها فلم تحسن الفاء مع قوله: رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي و الموضعان الآخران لم يدخل الكلام فيهما نداء يوجب استئناف ما بعده، فلذلك وصل القسم فيهما بالأول بدخول الفاء.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كافِرُونَ «۱» و قال فى سورة هود «۲»: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ على رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ.

---

(۱) سورة: الأعراف، الآيتان: ۴۴- ۴۵.

(۲) الآيتان: ۱۸، ۱۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۰۶

للسائل أن يسأل: عن إعادة- «هم»- فى سورة هود و ترك ذلك فى هذه السورة.

الجواب أن يقال: إن الذى فى سورة الأعراف جاء على أصله غير مزيد فيه ما يجرى مجرى التوكيد، و الذى فى سورة هود جاء بعد قوله: وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ فأشير إليهم ثم قال: أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ فأظهر ذكر الظالمين فى موضع الإضمار، و لو أجرى على الحكم فى إضمار الاسم عقيب الذكر لكان أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عليهم؛ لأن المراد بالظالمين هم المشار إليهم بقوله: هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ فلما أظهر مكان الإضمار تضمن معنى قوله:

و هم، أى: الظالمون هم الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ و أشير بالكلام المتقدم إليهم، فلما استمر الكلام على الإضمار بعد ذكر الظالمين صار الظاهر كأنهم غير المشار إليهم بقوله: هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ فأعيد «هم» فى قوله: هُمْ كافِرُونَ لتحقق الكفر عليهم بنسبة الأوصاف المتقدمة إليهم: و أولها كذبهم على ربهم، ثم ظلمهم لأنفسهم، و صدهم عن سبيل اللّه و وصفهم لها بدل الاستقامة بالاعوجاج، فكفرهم فى هذه الأحوال باللّه و استحقاقهم به عقوبة اللّه فى الآية، فلما لم يصرف الخبر الثانى فى سورة الأعراف مصرف ما ليس هو بالأول لم يحتج إلى توكيده، و لما عدل فى سورة هود عن إعادة الضمير إلى الأول و وضع مكانه ظاهرا يحتمل أن يكون غير الأول و عنى به أنهم هُمْ كان الموضع موضع توكيد لتحقيق الخبر عنهم بالكفر و تثبيته عليهم بأوكد لفظ، لأنا لما قلنا: هُمْ هم فهو المعاد فى قوله: وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هم كافِرُونَ إلا أن يتبين بذلك أن المكان مكان توكيد ليفرق بينه و بين الأول.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ «۱» و قال فى سورة الفرقان «۲»:

وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِيَّ كَثِيراً و قال فى سورة الروم «۳»: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۵۷.

(۲) الآيتان: ۴۸، ۴۹.

(۳) الآية: ۴۸.

و قال فی سورة فاطر «۱»: وَ اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ.

للسائل أن يسأل فيقول: هذه الآی الأربع قد خصت اثنان منها بقوله: يُرْسِلُ على لفظ المستقبل، و اثنان بقوله: أَرْسَلَ على لفظ الماضی، فهل فی كل مكان ما يقتضی اللفظ الذی خصه أم كل جائز لو جاء عليه؟

الجواب: أن يقال: بل كل ما يوجب فی الاختيار اللفظ الذی جاء عليه، و إن كان اللّه وصفه بأنه أَرْسَلَ الرِّياحَ فبسط بها السحاب فساقه فأنزل منه الأمطار فأحيا بها البلاد كوصفه بأنه يفعل ذلك فی المستقبل، لأنه قادر كما كان، و قد عود فعل ذلك و أعلمناه مشاهدة، إلا أن الآية التی فی هذه السورة جاء فيها يُرْسِلُ بلفظ المستقبل؛ لأن قبلها ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ «۲» فكان فی ذلك بعث على الدعاء و التضرع و تعليق الخوف و الطمع بما يكون منه من الرحمة و صنوف ما رزق اللّه الخلق من النعمة، فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف و الطمع للداعين و أدعى لهم إلى الدعاء، و أما فی سورة الفرقان «۳» و مجیء هذا اللفظ فيها بلفظ الماضی فلأن قبل الآية: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّياحَ فلما عدد أنواع ما أنعم به و كان إرسال الرياح فی جملته عده بعد ما تقدمه و أخبر منه عما فعله و أوجده .. و أما فی سورة الروم «۴» فلأن قبل الآية: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِیَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ فبنی قوله: اللَّهُ الَّذِی يُرْسِلُ الرِّياحَ على البناء الذی جعل عليه ما هو من آياته فحث على الاعتبار بما يعتاد من فعله تبارك اللّه سبحانه .. و أما فی سورة الملائكة و اختيار اللفظ الماضی فيها على المستقبل فلأن أولها: الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا «۵» بمعنی: فطر و جعل، و خاتمة هذه العشر من مبتدأ

---

(۱) الآية: ۹.

(۴) الآية: ۴۶.

(۲) سورة: الأعراف، الآيتان: ۵۵- ۵۶.

(۵) سورة: فاطر، الآية: ۱.

(۳) الآيات: ۴۵، ۴۶، ۴۷، ۴۸.

السورة اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّياحَ فلما افتتح العشر من أول السورة بالتمدح بما صنع أتبعه ما كان من جنسه مما فعل فكان الاختيار لفظ الماضی هاهنا كذلك، فافهمه فإنه يفتح عليك ما يشتبه إن شاء اللّه تعالى.

الآية السادسة منها

قوله عز و جلّ: لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ «۱» و قال فی سورة هود «۲»: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ و قال فی سورة المؤمنين «۳»: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ.

للسائل أن يسأل: عن حذف الواو من وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فی هذه السورة و الإتيان بها فی سورتی هود و المؤمنين.

الجواب أن يقال: إن الآيات التى تقدمت قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً فى هذه السورة إلى أن اتصلت به فى وصف ما اختص اللّه به من إحداث خلقه و البدائع من فعله من حيث قال: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ «۴» إلى أن ذكر الشمس و القمر و الرياح و النبات و الأمطار و السهل من الأرض الطيب و الحزن منها الصلد، و لم يكن فيها ذكر بعثة نبى و مخالفة من كان له من عدو، فصار كالأجنبى من الأول فلم يعطف عليه و استؤنف ابتداء كلام ليدل على أنه فى حكم المنقطع من الأول، و ليس كذلك الآية فى سورة هود؛ لأن أولها افتتح إلى قصة نوح بما هو احتجاج على الكفار بآيات اللّه التى أظهرها على أيدى أنبيائه و ألسنتهم صلوات اللّه على جماعتهم و توعد لهم على كفرهم، و ذكر قصة من قصص من تقدمهم من الأنبياء الذين جحد آياتهم أممهم فعطف هذه الآية على ما قبلها إذ كانت مثلها، أ لا ترى أن أول السورة: الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِی لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ «۵» و بعد العشر منها: فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ إلى قوله: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ «۶» ثم وصف حال من آمن باللّه و رسله و أخبت إلى ربه و حال من افترى على ربه و حصل على

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۵۹.

(۴) سورة: الأعراف، الآية: ۵۴.

(۲) الآية: ۲۵.

(۵) سورة: هود، الآيتان: ۱، ۲.

(۳) الآية: ۲۳.

(۶) سورة: هود، الآيتان: ۱۲، ۱۳.

خسران نفسه و شبههما فى قوله بحال من انطوى على ذكره: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا «۱» فاقتضى تشابه القصتين عطف الثانية على الأولى .. و أما فى سورة المؤمنين «۲» فإن قبل هذه الآية منها: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثم قوله: وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ «۳» ثم انقطعت الآى إلى قوله تعالى: وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ «۴» فكان ما تقدم فى هذا المكان مثل ما تقدم الآية فى سورة الأعراف إلا أنه باينه بأن كان فيه: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ و قوله: وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ ثم انقطعت إلى قوله: وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ و الفلك التى يحمل عليها مما اتخذه نوح عليه السّلام فدخل واو العطف فى قصة نوح عليه السّلام للفظتين المتقدمتين و هما: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ برءوس الآيتين و للمعنى المقتضى من ذكر الفلك الذى نجى اللّه عليه من جعله أصل الخلق و بذر هذا النسل.

الآية السابعة من هذه السورة

قوله تعالى متصلا بقوله: لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ «۵» و قال فى سورة هود «۶»:

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّی لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ و قال فى سورة المؤمنين «۷»: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ.

للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكيات كقوله بعد: ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ و إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ و فى المؤمنين ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ و القصة قصة واحدة.

الجواب أن يقال: للأنبياء مقامات مع أممهم يكون فيها الإعذار و الإنذار و يرجع فيها عودا على بدء الوعد و الوعيد، و لا يكون دعاؤهم إلى الإيمان باللّه و رفض عبادة ما سوى اللّه فى موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير عن حاله، بل الواعظ يفتن فى مقاله

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۲۴.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۵۹.

(۲) الآية: ۱۲.

(۶) الآيتان: ۲۵، ۲۶.

(۳) سورة: المؤمنون، الآية: ۱۷.

(۷) الآية: ۲۳.

(۴) سورة: المؤمنون، الآية: ۲۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۱۰

و الجاحد المنكر تختلف أجوبته فى مواقفه، فإذا جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب، و قد اختلف فى الأصل باتفاقها، لأنه قال لهم مرة باللفظ الذى حكى، و مرة بلفظ آخر فى معناه كما ذكر، و كذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عددهم و يختلف كلامهم و مقصدهم و صدق الخبر يتناول الشىء على ما كان عليه فلا وجه إذا للاعتراض بهذا و نحوه.

الآية الثامنة متصلة بهذه الآية من سورة الأعراف

قوله تعالى: قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلالَةٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ «۱» و قال فى سورة هود «۲»: فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراکَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا و قال فى سورة المؤمنين «۳»: فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُرِیدُ أَنْ یَتَفَضَّلَ عَلَیْکُمْ.

للسائل أن يسأل فيقول: لأى معنى خلت فى سورة الأعراف من الفاء، و قد جاء مثلها فى السورتين بالفاء و هو فَقالَ؟

الجواب أن يقال: إن الموضعين اللذين دخلتهما الفاء ما بعدهما مما اقتضاه كلام النبى عليه الصلاة و السلام مما رواه الكفار جوابا له، فكان بناء الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء، و ليس كذلك الآية فى سورة الأعراف؛ لأنّهم فى جوابهم صاروا كالمبتدءين له بالخطاب غير سالكين طريق الجواب؛ لأنهم قالوا: إِنَّا لَنَراکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلالَةٌ فكان كلامهم له كالكلام الذى يبتدئ به الإنسان صاحبه، فلذلك جاء بغير فاء مخالفا طريقة ما الكلام بعده مبنى بناء الجواب. و مما أخرج من الأجوبة مخرج الابتداء بالكلام و إن كان فى ضمنه الجواب مثل قوله تعالى: وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِیمَ بِالْبُشْری قالُوا إِنَّا مُهْلِکُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَةِ إِنَّ أَهْلَها کانُوا ظالِمِینَ قالَ إِنَّ فِیها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِیها لَنُنَجِّیَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ کانَتْ مِنَ الْغابِرِینَ «۴» فلم يأت بالفاء فى اللفظين اللذين كان ما بعد كل واحد منهما كالجواب لما قبله ... و مما يؤكد صحة هذا القول قوله تعالى فيما كان من جواب عاد لهود: وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۶۰.

(۳) الآية: ۲۴.

(۲) الآية: ۲۷.

(۴) سورة: العنكبوت، الآية: ۳۱.

قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنرئك فى سفاهة و إنا لنظنك من الكذبين «۱» و لم يقل: فقال الملأ؛ لأن ما بعد «قال» هنا مسلوك به طريق الابتداء بالخطاب إذ رمى بالسفاهة كما رمى نوح عليه السّلام بالضلالة فلم يدخل على واحد منهما الفاء التى تجعل الثانى متعلقا بالأول تعلق الجواب بالابتداء.

الآية التاسعة من سورة الأعراف

قوله تعالى: أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ «۲» و قال فى قصة هود: أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ «۳».

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: وَ أَنْصَحُ لَكُمْ و بين قوله: وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ و ما الذى اقتضى الاسم فى الآخر و الفعل فى الأول و هل كان يصح أحدهما مكان صاحبه؟.

الجواب عن ذلك من وجهين، أحدهما: أن يقال إن معنى كلام نوح عليه السّلام ما نطق به القرآن و معنى كلام هود عليه السّلام ما ذكره اللّه تعالى حاكيا عنه، و ليس لقائل أن يقول: إذا كان القولان صحيحين فى موضعهما فهلا قال أحدهما قول الآخر. و الوجه الثانى: أن يقال إن قول نوح عليه السّلام جواب من ضلل؛ لأنه قيل له: إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ و هود عليه السّلام قيل له: إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ و الضلال من صفات الفعل تقول: ضلّ فهو ضالّ، و السفاهة من صفات النفس و هى ضد الحلم، و هو معنى ثابت يولد الخفة و العجلة المذمومتين، و الحلم معنى ثابت يولد الأناة المحمودة، فكان جواب من عيّب بفعل مذموم نفيه بفعل محمود لا بل بأفعال تنفى ما ادعوه عليه و هى أن قال: لست ضالا و لكنى رسول من رب العالمين أؤدى إليكم ما تحملت من أوامره و أدعوكم بإخلاص إلى صلاح أمركم و أعلم من سوء عاقبة ما أنتم عليه ما لا تعلمون، فنفى الضلال بهذه الأفعال، و هود عليه السّلام لما رمى بالسفاهة و هى من الخصال المذمومة البطيئة و ليست من الأفعال التى ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها فى الزمن القصير مرارا كثيرة فكان نفيها بصفات ثابتة تبطلها أولى كما كان نفى الفعل المذموم بالفعل المحمود أولى .. فقوله ناصح أى: أنا

---

(۱) سورة: الأعراف، الآيتان: ۶۶، ۶۷.

(۲) سورة: الأعراف، الآية: ۶۲.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۶۸.

ثابت لكم على النصح صفة فى النفس لا تنتقل لكم عن النصح إلى الغش و لا تتبدل خيانة بالأمانة و كان جواب كل من الكلامين ما لاق به و اقتضاه.

الآية العاشرة من سورة الأعراف

قوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ «۱» و قال فى سورة يونس «۲»: فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ.

للسائل أن يسأل فيقول: لم اختصت الآية الأولى بقوله: فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ و الثانية بقوله: فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ و زاد فيها وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ.

الجواب أن يقال: السورتان مكيتان جميعا و الآية فى سورة الأعراف و قوله:

فَأَنْجَيْناهُ أصل فى هـذا الباب؛ لأن أفعلت فى باب النقل أصل لفعلت، و هو أكثر تقول: نجا و أنجيته، كما تقول: ذهب و أذهبته و دخل و أدخلته و خرج و أخرجته، فأما فعّلته فمن القلـة بحيث يمكن عـده نحو: فزع و فزّعته و خاف و خوّفته، و قـد يجاء معه بالهمزة فيقال: أفزعته و أخفته و لاـ يجاء مع تشديـد العين بـالهمزة لا تقول: ذهّبته و لا دخلته فى أذهبته و أدخلته، فالآيـة الأولى جاءت على الأصـل الأـكثر و لهـذا أكثر ما جاء فى القرآن جاء على أنجينا كقوله: فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَـةٍ مِنَّا «۳» و كقوله: وَ أَنْجَيْنا مُوسـى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ «۴» و قوله: فَأَنْجـاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ «۵» و ليست الجيم المزيـدة فى «نجّيناه» للكثرة، و إنما هى المعاقبـة للهمزة بدلالة قوله فى ذى النون: فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَّيْنـاهُ مِنَ الْغَمِّ «۶» و لاـ كـثرة هنـاك. و أمـا قوله: وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْـكِ فهو الأصـل «و من» تجىء بمعناهـا و تكونان مشتركتين فى معان، و «الذين» خالصة للخبر مخصوصة بالصـلة فاسـتعمل الأصل فى اللفظتين «أنجينا» و «الذين» و لما كرر هذا الـذكر كان العـدول إلى اللفظين الآخرين اللذين هما بمعناهما و هما «نجينا» «و من» أشـبه بطريقة الفصـحاء و عادة البلغاء. فأما قوله: وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ فى الآية الثانية فإنه زيادة فى الخبر عن الخوالف الذين نجوا

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۶۴.

(۴) سورة: الشعراء، الآية: ۶۵.

(۲) الآية: ۷۳.

(۵) سورة: العنكبوت، الآية: ۲۴.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۷۲.

(۶) سورة: الأنبياء، الآية: ۸۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۱۳

من الغرق فصاروا خلفاء للهالكين و قيل: كانوا ثمانين نفسا و هلك سائر أهل الأرض. فإن قال: فالإغراق قبل أن جعلوا خلائف فكيف قدم عليه. قيل: يجوز أن يكون معنى:

وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ إنما قـدم لأنه من صـفة أنجيناهم، فلما أخبر عنهم بـذلك ضم إليه الخبر الثانى و يجوز أن يكون معنى: وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ أى: حكمنا لهم بـذلك، ثم كان الإغراق بعـده على أن الواو لا ترتيب فيها و لا يمتنع أن يكون المذكور بعدها مقدما على ما قبلها.

الآية الحادية عشرة من سورة الأعراف

قوله تعالى فى قصـة صالـح: قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ «۱» و قـال فى سـورة هود «۲»: وَ يـا قَوْمِ هـذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَـةً فَـذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُـذَكُمْ عَـذابٌ قَرِيبٌ و قال فى سورة الشـعراء «۳»: قالَ هـذِهِ ناقَـةٌ لَها شِـرْبٌ وَ لَكُمْ شِـرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُـذَكُمْ عَـذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف الخبر الواحد فى الأماكن الثلاثة و هو حكاية ما قاله صالح عليه السّلام لقومه لما حذرهم التعرض للناقة.

الجواب أن يقـال: إن هؤلاء سألوا أن يخرج لهم من هضـبة ملساء ناقـة فسأل اللّه تعالى صالـح ذلك، و فى خبر آخر أنه بـدرهم بهـذه الآية لا عن مسألة كانت منهم فانفرجت عن ناقة بعد ما تمخضت تمخض المرأة، و الناقة عشـراء، فنتجت بعد ذلك فصيلا فكانت ترد ماء لهم بين جبلين يوما فتشـربه كله و تسـقيهم اللبن بـدله و للقوم شـرب يوم يخصـهم، فثقل عليهم أمر شـربها و انقطاع الماء يوما عن مواشـيهم بسـببها، و حـذرهم صالـح عليه السّـلام التعرض لها إلى أن عقرها أحمر ثمود فصار سـبب هلاكهم، فالآيـة الأولى من سورة

الأعراف عامة فى جمل ما كان من وعظه لهم؛ لأنه قال: قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ أى: آية تشهد بصحتها نفوسكم أنها من قدرة اللّه المختصة بفعله لا بفعل غيره، ثم قال: هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً أى: هى ناقة ليست ملك أحد منكم، و إنما هى للّه استخرجها

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۷۳.

(۳) الآيتان: ۱۵۵، ۱۵۶.

(۲) الآية: ۶۴.

من الصخرة أو الهضبة إمارة لصدق نبيه عليه السّلام لتؤمنوا عندها، فاتركوها ترع فى الصحارى التى هى أرض اللّه من الكلأ الذى هو من نعمة اللّه، و لا تتعرضوا لها بسوء فيأخذكم عذاب ينال منكم و يؤلمكم، و هذه المعانى المجملة فى الآية الأولى زيدت بيانا فى الآيتين. فالآية الأولى: تحذير للقوم على طريق العموم. فأما قوله فى الثانية: فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ بعد ما قال فى الأولى: أَلِيمٌ، فإنه اختص هذا المكان بقريب لما بعده من قوله: فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ «۱» فذكر المدة التى بينهم و بين هلاكهم و قرب ما توعدهم به من عذاب اللّه لهم، و القريب لا ينافى الأليم بل هو أشد ألما إذ لم يكن بعد مهل، فاختصاص الآية الثانية بقريب دون أَلِيمٌ لما ذكرنا من قرب الميعاد المقرون ذكره إلى ذكره. و أما الآية الثالثة، و اختصاصها بقوله: فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ «۲» فلأن قبلها ذكر اليومين المقسومين بين الناقة و بينهم، كأنه قال لهم: إن منعتموها يومها بعقر تنزلونه بها أخذكم عذاب يوم عظيم، فيوم تؤلمونها فيه فيكون به يوم يؤلمكم اللّه فيه بعذاب الاستئصال و هو يوم عظيم عليكم، و كل ذلك بمعنى واحد، و هو أنهم إن عقروها عوقبوا، فالألفاظ المختلفة دائرة على هذا المعنى و اختلافها لاختلاف مواضعها المقتضية تغيير الألفاظ فيها.

الآية الثانية عشرة منها

قوله تعالى فى قصة صالح عليه الصلاة و السّلام: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ «۳» و قال فيهم فى سورة هود «۴»: فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ و قال فى قصة شعيب عليه الصلاة و السّلام فى سورة الأعراف «۵»:
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا و قال فى هذه القصة فى سورة هود «۶»: وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ.
للسائل أن يسأل عن قوله تعالى: فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ و توحيد الدار فى موضع، و جمعها فى موضع و هل هناك فرقان بين موضع الواحد و موضع الجمع؟.

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۶۵.

(۴) الآية: ۶۵.

(۲) سورة: الشعراء، الآية: ۱۵۶.

(۵) الآيتان: ۹۰، ۹۱.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۷۸.

(۶) الآيتان: ۹۴، ۹۵.

الجواب أن يقال: إذا كان الجمع و التوحيد جائزين كان وجه التوحيد على طريقين، أحدهما: أن يراد بدارهم: بلدهم فيوحد ذهابا إلى

معنى الدار و هو موحدا و يذهب به مذهب الجنس كما تقول: دينارهم شر من درهمهم كما قال:

دينار آل سليمان و درهمهم كنائلين حفّا بالعراقيب

بنى الكلام فى اختصاص موضع بالتوحيد، و موضع بالجمع و أن يقال هل ذلك لفائدة تخصصه به؟ فيقال: إن اللّه تعالى وحد فى كل مكان ذكر فى ابتدائه و إلى وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً. وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً. و لم يذكر إخراج النبى و من آمن معه من بينهم، فجعلهم بنى أب واحد و جعلهم كذلك أهل دار واحدة و رجا أيضا أن يصيروا بالإيمان فرقة واحدة، و كل موضع أخبر عن تفريقه بينهم و إخراج النبى و من آمن منهم معه أخبر عنهم الإخبار الدال على تفرق شملهم و تشتت أمرهم و ذهاب المعنى الذى كان يجمعهم لأب واحد و دار واحدة و أن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة فقال: فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا .... وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ «۱» و قال: وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ «۲» فإن قال: فقد قال فى قصة شعيب عليه الصلاة و السّلام فى سورة الأعراف «۳»: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا فوحد الدار، و قد خرج شعيب عليه الصلاة و السّلام من بين أظهرهم و وقع الحكم بتفرق شملهم، فكان ما ذهب إليه يقتضى أن يجمع الدار فيقال: ديارهم فى هذا المكان.

الجواب أن يقال: إنه لم يتقدم فى هذا الموضع ذكر إخراجه من بينهم مع الذين آمنوا معه كما ذكر فى الموضعين الآخرين فى قصته عليه الصلاة و السّلام فى سورة هود و فى قصة شعيب عليه السّلام فيها، أ لا ترى أنه قال فى قصة صالح عليه الصلاة و السّلام فى سورة الأعراف، و سورة هود قبل أن أخبر أنه نجاه و من آمن معه منهم «لما جاء أمره» مرتين، فوحد الدار فيهما، و فى الموضع الذى ذكره بقصته مع المؤمنين منهم جمع الدار فيهما و كذلك جاء فى قصة شعيب فى موضعين، أحدهما جمع فيه، و فى الآخر وحده، و الجمع حيث ذكر إخراجه منهم مع المؤمنين معه فتدبره إن شاء اللّه تعالى.

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۶۶.

(۳) الآيتان: ۹۱، ۹۲.

(۲) سورة: هود، الآية: ۹۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۱۶

الآية الثالثة عشرة من سورة الأعراف

قوله تعالى فى قصة صالح: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ «۱» و قال فى قصة شعيب: الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ «۲».

للسائل أن يسأل: عن إفراد الرسالة فى قصة صالح و جمعها فى قصة شعيب و ما الفائدة المخصصة لكل واحد من اللفظتين بمكانها؟.

الجواب عن ذلك أن يقال: إن الذى نطق به القرآن من تحذير صالح عليه السّلام قومه بعد أن أمرهم باتقاء اللّه تعالى و طاعته هو أمر الناقة و المنع من التعرض لها، فجعل «الرسالة» جملة لما لم يفصل ما أتى به شعيب حين نهاهم عن عبادة الأوثان بدلالة قوله: قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ «۳» ثم قال: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ «۴» ثم قال: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ «۵» و قال: وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ «۶». قيل فى التفسير: هم العشارون: عن قتادة و السدى، و

قيل: كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا يتوعدونه و يصدونه عن دين اللّه، فهذه التى أمر شعيب بها قومه أشياء كثيرة ليس ما أمر به صالح قومه مثلها كثرة، فلهذا جمع الرسالة فقال: رِسالاتِ رَبِّی، و قال فى قصة صالح عليه السّلام: رِسالَةَ رَبِّی.

و جواب ثان و هو ما يروى: أن أصحاب الأيكة غير مدين، و أن شعيبا بعث إلى أمتين و هذا عن قتادة، و قيل: الأيكة: الغيضة الملتفة، و أصحاب الأيكة هم أهل مدين، فإذا حمل على الأول كان إلى كل واحد من أمته رسالة، فجمع لاختلاف قومه و تخصيص كل منهم برسالة من اللّه ... فإن قال قائل: فبأى عذاب اللّه أهلكوا و قد نطق القرآن بالرجفة فى أمرهم و نطق بالصيحة التى خروا لها و ماتوا و نطق بعذاب يوم الظلة، و هى:

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۷۹.

(۴) سورة: الشعراء، الآيتان: ۱۲۵، ۱۲۶.

(۲) سورة: الأعراف، الآيتان: ۹۲، ۹۳.

(۵) سورة: الشعراء، الآيات: ۱۸۱- ۱۸۳.

(۳) سورة: هود، الآية: ۸۷.

(۶) سورة: الأعراف، الآية: ۸۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۱۷

سحابة أظلتهم فأحرقهم الحر تحتها، و هذه أنواع من العذاب مختلفة و فى كل واحد ما يغنى عن الآخر فى الإهلاك، فإذا أهلكوا بأحدها اكتفى به عن غيرها.

الجواب أن يقال: فى التفسير عن محمد بن كعب، قال: عذب قوم شعيب بثلاثة أصناف من العذاب أصابتهم الرجفة فخرجوا من ديارهم، ثم أصابهم حر شديد ففرقوا من أن يدخلوا البيوت خوف الزلزلة فبعث اللّه عليهم الظلة، و هى: سحابة أنشئت لهم فصاح رجل منهم: هل لكم فى الظلة هل لكم فى الظلة؟ و فى رواية: عليكم بالظلة فما رأيت كاليوم من ظل أطيب و لا أبرد، فلجئوا إليها هربا من الحر الذى أصابهم، فلما اجتمعوا تحتها أمطرتهم نارا فأحرقتهم، و قيل: صيح بهم صيحة واحدة فماتوا منها، فعلى هذا سلطت عليهم الأنواع الثلاثة من العذاب عذاب الاستئصال.

الآية الرابعة عشرة من سورة الأعراف

قوله تعالى: وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ «۱» الآية و قال فى سورة النمل «۲»: وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ و قال فى سورة العنكبوت «۳»: وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِی نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قالَ رَبِّ انْصُرْنِی عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ.

---

(۱) سورة: الأعراف، الآيات: ۸۰- ۸۳.

(۲) الآيات: ۵۴- ۵۸.

(۳) الآيات: ۲۸- ۳۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۱۸

للسائل أن يسأل فى هذه الآى: عن مواضع:

فالأول: قوله فى سورة الأعراف: شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ و قال فيما وقع موقعه من سورة النمل: شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ.

و الثانى: قوله بعد ذلك وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ فى سورة الأعراف بالواو و قال فيما أشبهه من سورة النمل فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ. فما كان جواب قومه بالفاء و هل صلح أحدهما مكان الآخر فى الاختيار؟

و الثالث: قوله فى سورة الأعراف: إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ و قال فى سورة النمل: إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ فأضمر فى الأول، و أظهر فى الثانى.

و الرابع: قوله فى سورة الأعراف: إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ و فى سورة النمل: إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ.

و الخامس: قوله فى الأعراف: أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ و قال فى سورة النمل: أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ.

و السادس: اختلاف المحكيات فإن فى سورتى الأعراف و النمل: وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ و أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ. و قال فى سورة العنكبوت:

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

فأما المسألة الأولى: و هو مجىء بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ فى الأعراف و بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فى النمل فالمسرف يجهل بإسرافه و الجاهل مسرف فى أفعاله، إذ الإسراف مجاوزة الحد الواجب إلى الفساد، فيجوز أن يكون لوط عليه السّلام لما كانت له مع قومه مقامات قال فى بعضها هذا اللفظ، و قال فى المقام الآخر اللفظ الثانى و لم يناف أحدهما صاحبه، ثم اختصاص «مسرفين» بسورة الأعراف فلأن الآيات التى قبلها فواصلها أسماء جمعت هذا الجمع من حيث قال: وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ «۱» فكانت فاصلة هذه الآية الْمُفْسِدِينَ و فاصلة ما بعدها

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۷۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۱۹

مُؤْمِنُونَ و ما بعدها كافِرُونَ و بعدها الْمُرْسَلِينَ و بعدها جاثِمِينَ و بعدها النَّاصِحِينَ، و بعد ذلك إذا انتهى إلى هذه الآية الْعالَمِينَ فكان الاسم أحق بالوضع فى هذا المكان لتتساوى الفواصل، و فى سورة النمل تقدم الآية التى فاصلتها بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ «۱» فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ «۲» فلما تناسبت هذه الأفعال فى هذه الفواصل التى قبل هذه الفاصلة كان بناؤها على ما قبلها على لفظ الفعل أولى بها، فجاء تَجْهَلُونَ فى هذا الموضع و مُسْرِفُونَ فى الأول لهذا القصد و اللّه أعلم.

و أما المسألة الثانية: فى اختصاص الواو فى سورة الأعراف فى قوله: وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ و الفاء فى سورة النمل فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ فلأن قبلها «مسرفون» و هو اسم و إن أدى معنى الفعل و «تجهلون» صريح لفظ الفعل و الأجوبة التى تتعلق بالأول المبتدإ به إنما أصلها فى الأفعال التى تقع و توجد لوجود غيرها، و الواو و الفاء جائزتان فى الموضعين إلا أنه يختار حيث جاء الأصل الذى وضعت الفاء فيه لتوجب ما بعدها لوجود ما قبلها و هو الفعل، و اختيرت الواو حيث كان الملفوظ به الاسم لتفرق بين الموضعين فتختار لكل ما هو به أليق، إذ ليس الاسم أصلا فيما جعلت الفاء الجواب فيه.

و أما المسألة الثالثة و هى إضمار آل لوط فى الأعراف حيث قال: إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ و إظهاره فى سورة النمل لما قال: أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ.

الجواب عنه أن يقال: إن السورتين مكيتان و موجب هذا الإضمار و الإظهار أن يكون ما جاء فيه الإظهار نازلا قبل ما جاء فيه الإضمار، فلما أظهر فى الآية المنزلة قبل اعتمد فى القصة التى هى عند ذكرهم على الإضمار الذى أصله أن يكون بعد تقدم الذكر.

و أما المسألة الرابعة: و هى إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ فى سورة الأعراف و فى سورة النمل: إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ.

الجواب عنه: ما يدل عليه الجواب على المسألة الثالثة و هو أن هذه القصة فى سورة النمل نازلة قبل القصة فى سورة الأعراف، بدليل الإضمار و الإظهار و إذا بنينا على هذا فإن قوله: إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ أى: كتبنا عليها أن تكون من الباقين فى القرية الهالكين مع أهلها، فلما ذكر فى الآية المنزلة أولا أحال فى الثانية على

---

(۱) سورة: النمل، الآية: ۵۵.

(۲) سورة: النمل، الآيات: ۵۲، ۵۳، ۵۴.

الأولى فى البيان فقال: كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ أى: فى تقدير اللّه الذى قدره لها و أخبر فيما قبل عن حكمه عليها.

و أما المسألة الخامسة فعن قوله فى سورة الأعراف: أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ و قال فى سورة النمل: أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ.

الجواب عنها: ما بينا و هو أن ذكر قصة لوط و قومه نزل القرآن به قبل ذكره فى سورة الأعراف، و تبكيتهم على الفاحشة و تعظيم أمرها و فحشهم فيها قبل الإخبار عن سبقهم إليها فكان قوله: وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أى: لا تتكاتمون بها؛ لأنهم كانوا فى مجالسهم لا يتحاشون عنها، و قيل: و أنتم تبصرون فحشها و شناعة قبحها، و هذه صفة ترجع إلى الفعلة نفسها، ثم إنهم لم يسبقوا إليها كما قيل فى الخبر، ما رؤى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط، و هذا وصف حقه أن يجىء بعد توفية الفاحشة حق وصفها فى نفسها فأخر ذكره إلى الحكاية الثانية لهذه القصة، و قد خاطبهم لوط عليه السّلام بذلك و بأكثر منه فى مقامات إنكاره عليهم و دعائه لهم.

و أما المسألة السادسة فعن اختلاف المحكيات: إذ كان فى سورة الأعراف و النمل: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ و أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ و قال فى سورة العنكبوت: فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

الجواب عن ذلك: إن هؤلاء لما كرر عليهم لوط عليه السّلام الإنكار و أعاد إليهم الإعذار و الإنذار قال فى موقف ما حكاه اللّه تعالى، فكان جوابهم له فى ذلك الموقف ما ذكره اللّه تعالى، و الجواب الثانى و إن خالف الجواب الأول فهو من جهتهم، و إذا خالفوا بين الأجوبة تناولت الحكاية مختلفها على أنه لو كان كل ذلك فى موقف واحد لكان جائزا أن يكون جواب طائفة منهم ما ذكر أولا و جواب طائفة أخرى ما ذكر ثانيا و كل من الطائفتين قومه.

فإذا قيل ما كان جواب قومه أى: بعض قومه، فإذا قاله بعض و رضى به الآخرون فكلهم قائلون أو فى حكم القائلين فلا يقدح ما جاء من اختلاف أجوبتهم فى الآيات التى نزلت فى هذه القصة على ما يظنه المعترض، و إنما يتعلق بمثله من جهل للأنبياء عليهم السّلام مواقفها و لم يعرف اللغات و مصارفها، و هذا كثير فى قصة موسى عليه السّلام مع فرعون و حكايتها فى هذه السورة و غيرها مما تقف عليه إن شاء اللّه تعالى.

الآية الخامسة عشرة من سورة الأعراف تشتمل على ثلاثة مسائل

قوله تعالى: تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ «۱» و قال فى سورة يونس «۲»: ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف ما اختلف من الآيتين المتشابهتين و اختصاص ما فى سورة الأعراف بسقوط «به» من قوله تعالى: فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ثم قال: كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ و أثبت «به» فى سورة يونس و هو: بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ.

الجواب عن ذلك: أن سقوط «به» من قوله: «كذبوا» هو للبناء على ما جعل صدرا لهذه الآيات التى نزلت فى الترغيب و الترهيب و هو وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ «۳» فقوله: و لكن كذبوا لم يذكر له مفعول و انساقت الآيات بعد التحذير المتوالى بقوله: أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا «۴» ثم ختمت بقوله: تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ فالمكذبون هنا هم المكذبون فى قوله: وَ لكِنْ كَذَّبُوا «۳» و لكن كذبوا يدل على ذلك بأن أجرى مجراه فى حذف ما يتعدى إليه، و ما يتعدى إليه كذب إذا كان غير مميز يتعدى إليه بالباء كقوله: كَذَّبُوا بِآياتِنا و إذا كان من المميزين فإنه يتعدى إليه بغير حرف إضافة نحو كذبه كقوله تعالى: فَكَذَّبُوا رُسُلِي «۶» فالمحذوف فى هذا المكان هو المفعول به و هو الذى يتعدى إليه الفعل بالباء ... و أما قوله فى سورة يونس «۷»: فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ و إثبات المفعول به هنا فلأن قبله قصة نوح، و هى:

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي ثم بعده فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ثم بعد: وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا «۸» فجاء

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۱۰۱.

(۶) سورة: سبأ، الآية: ۴۵.

(۲) الآية: ۷۴.

(۷) الآية: ۷۴.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۹۶.

(۸) سورة: يونس، الآيات: ۷۱، ۷۳.

(۴) سورة: الأعراف، الآية: ۹۷.

«كذب» أمام القصة المبنية على القصة التى قبلها متعدية إلى ما وجب لها فى موضعها و نوعى تعديها، فلما وقعت الإشارة فى قوله: ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ «۱» إلى تكذيب من كذب من قوم نوح اختير تعدية الفعل المكرر على الفعل الأول ليعلم أن هذا الفعل معنيّ به ما تقدم، فلما جاء ذاك متعديا جاء هذا مثله، و كما لم يجىء فى الآية التى فى سورة الأعراف متعديا لم يجىء فيما بنى عليه إلا محذوف الفعل.

و أما الجواب عن اختلاف قوله: كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ «۲» و كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ «۱» فلأن الآية فى سورة الأعراف مبنية على ما تقدمها من الآيات و هى تنتقل من الإضمار إلى الإظهار و من الإظهار إلى الإضمار أعنى فى إخبار اللّه عز و جلّ عن نفسه كقوله: أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً «۴» أو أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى «۵» و قوله بعده: أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ «۶» فأظهر و لم يقل أ فأمنوا مكرنا فلما وقع هذا الإخبار فى هذا المكان ثم جاء بعده أَ وَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ

عَلى قُلُوبِهِمْ «۷»، فأجرى الفعل على إضمار فاعله، ثم عاد إلى ذكر الطبع فى الآية الأخرى كان إجراؤه على إظهار الفاعل أشبه بما بنيت عليه الآيات المتقدمة من الانتقال من الإضمار إلى الإظهار المختار استعماله فى هذا المكان .. و أما الآية التى فى سورة يونس و هى: كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ فلأن ما قبلها جار على حد واحد و سنن لاحب و هو إضمار الفاعل من حيث أخبر فى قصة نوح قبله و هى من مبتدأ العشر: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إلى أن قال:

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ «۸» فقال بعده:

كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ و لم يتقدمه ما يخالف هذا المنهج و لم يبن على الطريقين فاتبع الأول و حمل عليه فى إضمار الفاعل فيه.

و المسألة الثالثة فى هذه الآية قوله فى سورة الأعراف: عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ «۹» و فى يونس: عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ.

الجواب عنها: أن الآيات التى قد تقدمت فى سورة الأعراف تضمنت وصف

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۷۴.

(۶) سورة: الأعراف، الآية: ۹۹.

(۲) سورة: الأعراف، الآية: ۱۰۱.

(۷) سورة: الأعراف، الآية: ۱۰۰.

(۴) سورة: الأعراف، الآية: ۹۷.

(۸) سورة: يونس، الآيتان: ۷۳ و ۷۴.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۹۸.

(۹) سورة: الأعراف، الآية: ۱۰۱.

الكفار؛ لأنه لا يحذر عذاب اللّه و مجيئه بياتا أو ضحى إلا الكفار، ثم إطلاق «الخاسرين» لا يكون إلا فى «الكافرين»، فلما وقع التصريح بصفات الكفر صرح به عند ذكر الطبع، و لما كانت الآية فى سورة يونس قد تقدمها فى وصف الكفار ما كان كالكناية عنهم، و قال: فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ و ما كل منذر كافر، كنى عن الكفار بعده عند ذكر الطبع بالمعتدين، و ما كل معتد كافر، فمخالفة كل واحدة من الآيتين للأخرى إنما هى لموافقة ما قبل كل واحدة منهما من طرح الكلام و قصد الالتئام.

الآية السادسة عشرة من سورة الأعراف

قوله تعالى فى قصة موسى:

إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ «۱» و قال فى سورة الشعراء «۲» مكان قوله: قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ.

للسائل أن يسأل فى هذه القصة عن مسائل.

أولها: قوله فى سورة الأعراف: قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ.

ثم قال فى سورة الشعراء: قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ فأخبر فى الأولى: أن قائل ذلک الملأ من قومه، و فى الثانية: أن فرعون هو القائل ذلک لملئه، و هذا اختلاف ظاهر فى الخبرين.

الجواب أن يقال: إن قول الملأ- فيما حكاه اللّه تعالى فى سورة الأعراف قول فرعون و رؤساء قومه أدوا عنه ما كان من قوله إلى عامة أصحابه، و الدليل على أن ذلک

---

(۱) سورة: الأعراف، الآيات: ۱۰۶- ۱۱۵.

(۲) الآيات: ۳۴- ۳۸.

قوله: و أنهم فيه مؤدو رسالة عنه قول العامة فى جوابه «أرجه و أخاه» فكان هذا خطابا لفرعون و لم يكن للملإ، إذ لو كان لهم لقيل: أرجوه و أخاه و إذا كان كذلک لم يخالف ما قاله فى الشعراء من أنه قال للملإ حوله بل يكون هو البادى بذلک لمن حوله ليؤدوا إلى من بعد عنه قوله .. فإن قال: فكيف اختصت سورة الأعراف بحكاية ما قال الملأ و سورة الشعراء بما قال فرعون .. قيل: إن أول من رد قول موسى عليه السّلام فرعون ثم مالأه عليه ملأه و هو ما حكاه اللّه تعالى فى سورة الشعراء فاقتضى حاله حيث أخبر عنه بما قاله: أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِکَ سِنِينَ «۱» إلى أن انتهت الآيات إلى القصة المودعة ذكر السحرة فقال فرعون للملإ حوله ما أدوه عنه إلى غيرهم، و سورة الشعراء مكية كسورة الأعراف و ترتيب الاقتصاص يقتضى أن يكون قبلها، و فى السورة الثانية أخبر عما أداه ملأه إلى الناس الذين أجابوه بأن أرجه و أخاه فكان قول فرعون للملإ حوله سابقا قول الملأ الذين أدوا إلى غيرهم فذكر حيث قوله قصد اختصاص أول ما دعاه موسى عليه السّلام إلى طاعة اللّه عز و جلّ.

الآية السابعة عشرة من سورة الأعراف

قوله تعالى: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ «۲» و قال فى سورة الشعراء «۳»: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول ذكر فى الأولى أنه قال: «يريد أن يخرجكم من أرضكم» فحسب، و ذكر فى الثانية أنه قال: «يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره»، و القول واحد فلما ذا اختلف؟.

الجواب أن يقال: لما أسند الفعل فى الأولى إلى فرعون و حكى ما قاله و أنه قال للملإ من قومه: إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ و كان أشدهم تمردا و أولهم تجبرا و أبلغهم فيما يرد به الحق كان فى قوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ذكر السبب الذى به يصل إلى الإخراج و هو بسحره فأشبع المقال بعد قوله: إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ بأن ذكر أنه يريد إخراجكم بسحره، و أما الموضع الذى لم يذكر فيه بسحره فهو ما حكى من قول الملأ فى سورة الأعراف حيث قال: قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ و الملأ لم يبلغوا مبلغ فرعون فى إبطال ما أورده موسى عليه السّلام و لم يجفوا فى الخطاب جفاه فتناولت الحكاية ما قاله فرعون على جهته بتكرير

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۱۸.

(۳) الآية: ۳۵.

(۲) سورة: الأعراف، الآية: ۱۱۰.

لفظ السحر من لفظه بعد ما أخرجه فى صفته حيث قال: إِنَّ هـذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ. فإن قال قائل: فقد ذكر اللّه فى سورة طه «۱» عن الملأ أنهم قالوا: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى قيل له قوله: فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوى قالُوا إِنْ هـذانِ لَساحِرانِ «۲» خبر عن فرعون و ملئه فلما كـان فى جملتهم غلب أمره على أمرهم أ لا ـ ترى أن ابتـداء ذلك: وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَ أَبى «۳» و هـذا خبر عن فرعون ثم قال بعده: أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ «۴» و هو خطاب لفرعون و من تبعه، و يجوز أن يكون له وحـده على ما يخاطب به الملوك من لفظ الجمع كما يخبرون بمثله عن أنفسـهم، فـذكر قوله «بسحره» فيما حكاه من كلام فرعون، فلذلك خلا منه الموضع الذى كان الخبر فيه عن الملأ من قومه فاعلمه إن شاء اللّه تعالى.

الآية الثامنة عشرة من سورة الأعراف

قوله تعـالى: قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَـدائِنِ حاشِرِينَ «۵» و قال فى سورة الشـعراء «۶»: قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَـدائِنِ حاشِرِينَ.

للسائل أن يسأل فيقول: لأى معنى اختلف اللفظان فى الآيتين، فكان فى الأولى «أرسل» و فى الثانية «و ابعث» و هل جاز أحدهما مكان الآخر؟

الجواب: أن يقال: اللفظتان نظيرتان تستعمل إحداهما مكان الأخرى، و قد جاء:

بعث الرسول و أرسله معا، إلا أن أرسل يختص بما لا يختص به بعث؛ لأن البعث لا يتضـمن ترتيبا و الإرسال أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل، و أرسل فى سورة الأـعراف حكايـة قول العامـة للملإ المؤدين كلام فرعون إليهم، فلما تعالى عليهم و لم يخاطبهم بنفسه كان قولهم فى جواب ما استأمرهم فيه و استشارهم فى فعله على الترتيب الذى رتب لهم فى الخطاب، فكانت الحكاية باللفظ الذى يفخم به المخاطب كما فخم فى تحميله ملأه أن يؤدوا كلامه إلى من دونهم، و لما تناولت الحكاية فى سورة الشعراء ما تولاه فرعون بنفسه

---

(۱) الآية: ۶۳.

(۴) سورة: طه، الآية: ۵۷.

(۲) سورة: طه، الآية: ۶۲.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۱۱۱.

(۳) سورة: طه، الآية: ۵۶.

(۶) الآية: ۳۶.

من مخاطبـة قومه بإسـقاط الحجـاب بينهم و بينه و تسويـة قـدرهم بقـدره لقوله: قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ «۱» كان هذا الموضع مخالفا للموضـع الأول فى مقتضى الحال من التفخيم فخص باللفظ الذى ليس فيه ما فى الأول من التعظيم و هو قوله ابعث.

الآية التاسعة عشرة من الأعراف

قوله تعالى بعـد ما قال يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً «۲» و قال فى سورة الشعراء «۳» بعد سَحَّارٍ عَلِيمٍ: فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقـاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً.

للسائل أن يسأل فيقول: المحكى فى الشعراء أكثر من المحكى فى سورة الأعراف بعد قوله: يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ إلى أن انتهى قوله تعالى إلى ما هو خبر عن السحرة من قولهم لفرعون: أ إِنَّ لَنا لَأَجْراً.

الجواب: ما دللنا عليه من أن ما فى سورة الشعراء أشد اقتصاصا للأحوال التى كانت بين موسى و بين عدوه فرعون لاشتماله على ذكر ابتداء مبعثه إليه حيث قال: وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ «۴» فجاء فى هذه الآيات التى فى ذكر السحرة من بيان ما جرى ما لم يجىء فى سورة الأعراف فمنه قوله: فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ «۵» كما قال تعالى فى سورة طه «۶»: قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى فهذا قوله:

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ و فى سورة الأعراف لما لم يبدأ القصة فيها بذكر مبعثه عليه السّلام و ابتداء أمره لم تكن مبنية على ما بينا عليه من اقتصاص معظم حاله و أول ما كان من مبعثه حيث يقول: اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي «۷» فلما كان القصد فى سورة الأعراف ذكر الجمل من بعض ما كان ذكر تفصيله كان الاقتصار بعد ذكر إرسال الحاشرين إلى السحرة و مجيئهم يغنى عن تواعدهم ليوم يظهرون فيه حيلهم

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۳۴.

(۵) سورة: الشعراء، الآية: ۳۸.

(۲) سورة: الأعراف، الآية: ۱۱۳.

(۶) الآيات: ۵۷- ۵۹.

(۳) الآيات: ۳۸- ۴۱.

(۷) سورة: طه، الآيتان: ۲۴ و ۲۵.

(۴) سورة: الشعراء، الآيتان: ۱۰، ۱۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۲۷

و تمويهاتهم، إذ معلوم أن مثل ذلك الخطب العظيم و حشر العدد الكثير ينتهى إلى يوم يتواعد إليه مشهود و على هذا بنى الكلام فى أكثر متشابه هذه القصة.

الآية العشرون من سورة الأعراف

قوله تعالى فى الآية التى قبل: وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ «۱» و قال فى سورة الشعراء «۲»: فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ.

للسائل أن يسأل فيقول: كيف اختلفت الآيتان و كيف جاز: وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا؟ و حق الكلام أن يكون فى «قالوا» واو أو فاء نحو: جاء السحرة فرعون فقالوا: أئن لنا لأجرا؛ أو: و قالوا.

الجواب أن يقال: لما تقدم فى سورة الشعراء ما شرحه أكثر و ما فى سورة الأعراف أوجز و أخصر كان قوله فى الأعراف: وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ بمعنى ما كان بإزائه فى سورة الشعراء فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ فلم يحتج فى جواب «لما» إلى فاء و لا واو، و كذلك هنا فى سورة الأعراف لما قصد هذا المعنى دل بحذف العاطف على هذا القصد، فكأنه قال: فلما جآء السحرة قالوا إن لنا لأجرا.

الآية الحادية و العشرون

قوله تعالی فی سورة الأعراف «۳»: قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ کُنَّا نَحْنُ الْغالِبِینَ قالَ نَعَمْ وَ إِنَّکُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ و قال فی سورة الشعراء «۴»: قالَ نَعَمْ وَ إِنَّکُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ.

للسائل أن یسأل: عن زیادة «إذا» فی سورة الشعراء و خلو سورة الأعراف منها.

و الجواب: أن معنی قوله: إِذاً جواب و جزاء، و کان من قول فرعون لهم: إن غلبتم فجزای أن أجازیکم بإعلاء رتبتکم و تقریب منزلتکم فلأجل ذلک أفعل هذا بکم، فاختصت سورة الشعراء بهذا دون غیرها؛ لأنها موضع بنی علی فضل اقتصاص لما جری لم یبن غیرها علیه من نحو ما تقدم و ما یجیء بعد.

---

(۱) سورة: الأعراف، الآیة: ۱۱۳.

(۳) الآیتان: ۱۱۳، ۱۱۴.

(۲) الآیة: ۴۱.

(۴) الآیة: ۴۲.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۲۸

الآیة الثانیة و العشرون من الأعراف

قوله تعالی: قالُوا یا مُوسی إِمَّا أَنْ تُلْقِیَ وَ إِمَّا أَنْ نَکُونَ نَحْنُ الْمُلْقِینَ «۱» و قال فی سورة طه «۲»: قالُوا یا مُوسی إِمَّا أَنْ تُلْقِیَ وَ إِمَّا أَنْ نَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقی

للسائل أن یسأل: عن اختلاف المحکی فی الموضعین مع أن ذلک فی شیء واحد.

الجواب: أن المقصود معنی واحد و اختیر فی سورة الأعراف: وَ إِمَّا أَنْ نَکُونَ نَحْنُ الْمُلْقِینَ؛ لأن الفواصل قبله علی هذا الوزن و اختیر فی سورة طه: وَ إِمَّا أَنْ نَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقی و مثله قوله: فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ ساجِدِینَ «۳» فی سورة الأعراف و سورة الشعراء لتکون الفاصلة فیها مساویة للفواصل قبلها و بإزاء ساجِدِینَ قوله: فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ سُجَّداً «۴» فی سورة طه کذلک و مثله قوله: قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ رَبِّ مُوسی وَ هارُونَ «۵» فی السورتین للفواصل التی حملت هذه علیها و قال فی سورة طه: قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی «۶» فقدم «هارون» لیکون «موسی» فاصلة مثل الفواصل المتقدمة، فهذا و نحوه مما یراعی فی الفواصل، أ لا تری إلی قوله تعالی: وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا «۷» فَأَضَلُّونَا السَّبِیلَا «۸» فزیدت الألف لا للبدل من التنوین إذ لا تنوین مع الألف و اللام، و إنما ذلک للتوفقة بینهما و بین الفواصل التی قبلهما و بعدهما نحو: تقتیلا و تبدیلا و قریبا و سعیرا و بصیرا و بعدهما: کبیرا و وجیها و سدیدا و عظیما.

الآیة الثالثة و العشرون من الأعراف

قوله تعالی: قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ رَبِّ مُوسی وَ هارُونَ «۵» و قال فی سورة الشعراء مثله و قال فی سورة طه: قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی «۶».

للسائل أن یسأل فیقول: لم کررت «رب» فی السورتین، و لم تکرر فی سورة طه إنما قال: قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی

---

(۱) سورة: الأعراف، الآیة: ۱۱۵.

(۵) سورة: الشعراء، الآیتان: ۴۷ و ۴۸.

(۲) الآیة: ۶۵.

(۶) سورة: طه، الآية: ۷۰.

(۳) سورة: الشعراء، الآية: ۴۶.

(۷) سورة: الأحزاب، الآية: ۶۶.

(۴) سورة: طه، الآية: ۷۰.

(۸) سورة: الأحزاب، الآية: ۶۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۲۹

الجواب أن يقال: إذا قيل: بِرَبِّ الْعالَمِينَ فقد دخل فيهم موسى و هارون و هما دعوا إلى رب العالمين لما قالا: إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ «۱» إلا أنه ذكر فى السورتين رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ ليدل بتخصيصهما بعد العموم على تصديقهما بما جاءا به عليهما الصلاة و السّلام عن اللّه تعالى، فكأنه قيل: آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ و هو الذى يدعو إليه موسى و هارون، و أما فى سورة طه فلم يذكر: بِرَبِّ الْعالَمِينَ؛ لأنه ما كان الكلام يتم به آية كما تم فى السورتين فيكون مقطع الآية فاصلة مخالفة للفواصل التى بنيت عليها فواصل سورة طه فقال تعالى: آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى و ربهما هو رب العالمين، و كان القصد حكاية المعنى لا أداء اللفظ على جهته بما دللنا عليه قبل.

الآية الرابعة و العشرون من سورة الأعراف

قوله تعالى: قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ «۲» و قال فى سورة طه «۳» و الشعراء «۴»: قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ.

للسائل أن يسأل عن موضعين من هذه الآية:

أحدهما: إظهاره اسم فرعون لعنه اللّه فى سورة الأعراف فى هذا اللفظ و إضماره له فى مثله من سورتى طه و الشعراء.

و الثانى: قوله آمَنْتُمْ بِهِ و قال فى الموضعين الآخرين: آمَنْتُمْ لَهُ. و وجه اختلافهما.

الجواب عن الموضع الأول: و هو إظهار الاسم فى سورة الأعراف و إضماره فيما سواها: أن الذكر العائد إلى فرعون بعد فى سورة الأعراف؛ لأنه جاء فى الآية العاشرة من الآية التى أضمر فيها ذكره و هى قوله: قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ «۵» و جاء فى الآية العاشرة من هذه السورة قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ و لم يبعد هذا الذكر فى الآيتين اللتين فى سورة طه و الشعراء؛ لأن فرعون مذكور فى سورة طه فى جملة قومه الذين أخبر عنهم بقوله: قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى «۶»

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۱۶.

(۴) الآية: ۴۹.

(۲) سورة: الأعراف، الآية: ۱۲۳.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۱۱۴.

(۳) الآية: ۷۱.

(۶) سورة: طه، الآية: ۵۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۳۰

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى «۱» و هذا خطابه لفرعون و قومه و ضميرهم منطو على ضميره إلى قوله: فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا «۲» بذكر فى قوله: قالَ آمَنْتُمْ لَهُ إنما هو فى السابع من الآى التى جرى ذكره فيها و كذلك فى سورة الشعراء لم يبعد الذكر بعده فى سورة الأعراف، أ لا ترى أن آخر ما ذكر فيما اتصل بهذه الآية قوله تعالى: قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ «۳» و ذكره بعد ذلك فى الآية الثامنة من الآية التى جرى ذكره

فيها، فلما بعد الذكر فى سورة الأعراف خلاف بعده فى السورتين إذ كان فى إحداهما فى السابعة و فى الأخرى فى الثامنة و هى فى الأعراف فى العاشرة أعيد ذكره الظاهر لذلك.

الجواب عن السؤال الثانى و هو قوله: آمَنْتُمْ بِهِ فى سورة الأعراف و آمَنْتُمْ لَهُ فى السورتين الأخريين: هو أن الهاء فى آمَنْتُمْ بِهِ غير الهاء فى آمَنْتُمْ لَهُ و كل واحدة تعود إلى غير ما تعود إليه الأخرى؛ فالتى فى آمَنْتُمْ بِهِ لرب العالمين لأنه تعالى حكى عنهم قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ «۴» و هو الذى دعا إليه موسى عليه السّلام.

و أما الهاء فى آمَنْتُمْ لَهُ فلموسى عليه السّلام و الدليل على ذلك أنها جاءت فى السورتين و بعدها فى كل واحدة منهما: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ «۵» فالهاء فى «إنه» هى التى فى آمَنْتُمْ لَهُ و لا خلاف أن هذه لموسى عليه السّلام و الذى جاء بعد قوله: آمَنْتُمْ بِهِ قوله: إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ «۶» أى: إظهاركم ما أظهرتم من الإيمان برب العالمين وقع على تواطؤ منكم أخفيتموه لتستولوا على العباد و البلاد، و يجوز أن يكون الهاء فى آمَنْتُمْ بِهِ ضمير موسى عليه السّلام؛ لأنه يجوز أن يقال: آمن بالرسول أى: أظهرتم تصديقه و أقدمتم على خلافى قبل أن آذنت لكم فيه و هذا لمكر مكرتموه و سر أسررتموه لتقلبوا الناس علىّ، فاقتضى هذا الموضع الذى ذكر فيه المكر إنكار الإيمان به، فأما الإيمان له فى الموضعين الآخرين فاللام تفيد معنى الإيمان من أجله و من أجل ما أتى به من الآيات، فكأنه قال: آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدى موسى عليه السّلام من آياته، و فى الموضع الذى ذكر فيه من أجله و عبر عنه باللام هو الموضع الذى قصد فيه إلى الإخبار بأنه كبيركم الذى علمكم السحر، فلذلك خص باللام و الأول خص بالباء، و قد تدل اللام على الإتباع فيكون المعنى: اتبعتموه لأنه كبيركم فى عمل السحر و قد يؤمن بالخبر من لا يعمل عليه و لا يتبع الداعى إليه.

---

(۱) سورة: طه، الآيتان: ۶۰- ۶۱.

(۴) سورة: الشعراء، الآية: ۴۷.

(۲) سورة: طه، الآية: ۶۴.

(۵) سورة: طه، الآية: ۷۱.

(۳) سورة: الشعراء، الآية: ۴۲.

(۶) سورة: الأعراف، الآية: ۱۲۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۳۱

الآية الخامسة و العشرون من سورة الأعراف

قوله تعالى: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ «۱» و قال فى سورة طه «۲»: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ و قال فى سورة الشعراء «۳»: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ.

للسائل أن يسأل فيقول: قال فى الأعراف: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ و لم يقل فى طه، و لم أدخل الفاء فى قوله: فَلَأُقَطِّعَنَّ و أما فى سورة الشعراء فإنه أتى بسوف تعلمون مع اللام فقال: فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فما وجه اختلاف هذه و اختصاص بعض بمكان دون غيره؟

الجواب أن يقال: إن قوله تعالى: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ من الوعيد المبهم المعرض به أى: فعلت بجهل ما تعرف من بعد نتيجته و طرحت بذر شر عند حصده تعلم نهايته، و هذا النوع من الوعيد أبلغ من الإفصاح بعذره على أنه قد قرن إليه بيانه و هو لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ الآية فنطق القرآن بحكاية التعريض بالوعيد و الإفصاح بالتهديد معا ..

فأما اختصاص سورة الشعراء بقوله: «فلسوف» و زيادة اللام فلتقريب ما خوفهم به من اطلاعه عليهم و قربه منهم حتى كأنه فى الحال

موجودا، و اللام للحال و الجمع بینها و بین «سوف» التی للاستقبال، إنما هو لتحقیق الفعل و إدنائه من الوقوع کما قال تعالی: وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِٔ «۴» فجمع بین اللام و بین یوم القیامهٔ کما جمع بینها و بین «سوف» علی ما قاله تعالی: وَ ما أَمْرُ السَّاعَهِٔ إِلَّا کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ «۵» .. و قد بینا أن سورهٔ الشعراء أکثر اقتصاصا لأحوال موسی علیه السّلام فی بعثه و ابتداء أمره و انتهاء حاله مع عدوه، فجمعت لفظ الوعید المبهم مع اللفظ المقرب له المحقق وقوعه إلی اللفظ المفصح بمعناه، ثم وقع الاقتصار فی السورهٔ التی لم یقصد فیها من اقتصاص الحال ما قصد فی سورهٔ الشعراء علی ذکر نقص ما فی موضع البسط و الشرح و هو التعریض بالوعید مع الإفصاح به .. فأما فی سورهٔ طه فإنه اقتصر فیها علی التصریح بما أوعدهم به و ترک فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ و قال: فَلَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ إلا أنه جاء بدل هذه الکلمهٔ ما یعادلها و یقارب ما جاء فی سورهٔ الشعراء التی هی مثلها فی اقتصاص أحواله من ابتدائها إلی حین انتهائها و هو قوله بعده: وَ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ فِی جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَیُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقی «۶» فاللام و النون فی «لتعلمن» للقسم و هما لتحقیق الفعل و توکیده

---

(۱) سورهٔ: الأعراف، الآیهٔ: ۱۲۳.

(۴) سورهٔ: النحل، الآیهٔ: ۱۲۴.

(۲) الآیهٔ: ۷۱.

(۵) سورهٔ: النحل، الآیهٔ: ۷۷.

(۳) الآیهٔ: ۴۹.

(۶) سورهٔ: طه، الآیهٔ: ۷۱.

درهٔ التنزیل و غرهٔ التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۳۲

کما أتی باللام فی قوله: فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لإدناء الفعل و تقریبه فقد تجاوز ما فی السورتین المقصود فیهما إلی اقتصاص الحالین من إعلاء الحق و إزهاق الباطل.

الآیهٔ السادسهٔ و العشرون من سورهٔ الأعراف

قوله تعالی: ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ «۱» و قال فی السورتین طه «۲» و الشعراء «۳»:
وَ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ بالواو.

للسائل أن یسأل: عن اختصاص ما فی سورهٔ الأعراف بثم و الأخریین بالواو.

الجواب أن یقال: إن السورتین اللتین جاءت الواو فیهما بهذا اللفظ منهما هما المبنیتان علی الاقتصاص الأکثر و البسط الأوسع و الواو أشبه بهذا المعنی؛ لأنه یجوز أن یکون ما بعدها ملاصقا لما قبلها کالتعقیب الذی یفاد بالفاء، و یجوز أن یکون متراخیا عنه کالمهلهٔ التی یفاد بثم، لا بل یجوز أن یکون ما بعدها مقدما علی ما قبلها و مجامعا لها إذ هی موضوعهٔ للجمع و لا ترتیب فیها فکانت الواو أشبه بهذین المکانین، «و ثم» تختص بأحد المواضع التی یصلح الواو لجمیعها فلما کانت مقتصرا بها علی بعض ما وضعت له الواو و استعملت حیث اختصرت الحال فاقترن بکل من المکانین ما کان ألیق بالمقصود فیه، فلذلک خصت «ثم» فی سورهٔ الأعراف و الواو فی السورتین الأخریین و اللّه أعلم.

الآیهٔ السابعهٔ و العشرون من سورهٔ الأعراف

قوله تعالی: قالُوا إِنَّا إِلی رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ «۴» و قال فی سورهٔ الشعراء «۵»: قالُوا لا ضَیْرَ إِنَّا إِلی رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ.

للسائل أن يسأل: عن زيادة قوله لا ضَيْرَ على ما ذكر فى سورة الأعراف و اختصاص تلك بها دون هذه.

الجواب أن يقال: إنهم قابلوا وعيده بما يهونه و يزيل ألمه من انتقالهم إلى ثواب

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۱۲۴.

(۴) سورة: الأعراف، الآية: ۱۲۵.

(۲) الآية: ۷۱.

(۵) الآية: ۵۰.

(۳) الآية: ۴۹.

ربهم مع المتحقق من منقلب معذبهم، فجاء فى سورة الشعراء و هى التى قصد بها الاقتصاص الأكبر لا ضَيْرَ أى: لا ضرر علينا فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعم أبدا و تعذب أنت أبدا، فالضرر الذى تحاول إنزاله بنا يكون بك نازلا و عليك مقيما و نحن نألم ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها فكأنه لم يلحقنا ضرر، و فى سورة الأعراف وقع الاقتصار على قوله: إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ و فيه كفاية و إبانة عن هذا المعنى و دلالة نبأ على ما قصد فيها مما بين و شرح فيما سواها.

الآية الثامنة و العشرون من سورة الأعراف

قوله تعالى: قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ «۱» و قال فى سورة يونس «۲»: وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ.

للسائل أن يسأل عن الآيتين و تقديم النفع على الضرر فى الأولى و تأخيره عنه فى الأخرى، و هل ذلك لفائدة أوجبت فى الاختيار تقديم المقدم و تأخير المؤخر؟.

الجواب أن يقال: إن الأولى بعد قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی «۳» و بعده: قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۳» فكان معنى قوله: قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا «۵»: لا أملك تعجيل ثواب و لا عقاب لها إلا ما ملكنيه اللّه فلا أملك إلا ما ملكت، و لا أعلم إلا ما علمت، و الذى تسألون عنه أخفى الغيوب و أنا لا أعلم منها ما هو أقرب إلى رجم الظنون فكيف ما يخص به علام الغيوب؟ و لو علمت الغيب لاستكثرت فى السنة المخصبة ما يدفع كلب المجدبة و قيل: لاستكثرت من العمل الصالح الذى أتحقق أنه أرفع الأعمال عند اللّه تعالى درجة لأن من علم الغيب و عرف الأفضل عند اللّه لم يتركه إلى ما هو دونه و قوله: وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ «۵» أى: ما بى من جنون كما زعم المشركون و قيل: الفقر لاستكثارى من الخير الذى يتدارك به الفقر عند شدة الزمان، و أما الآية فى سورة يونس فإنها فيما كان يستعجله

---

(۱) سورة: الأعراف، الآيتان: ۱۸۷- ۱۸۸.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۱۸۷.

(۲) الآيتان: ۴۸، ۴۹.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۱۸۸.

الكفار من عـذاب اللّه تعالى و قبلها: وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِـدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَـهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ «۱» أى: إن أريناك بعض ما نتوعـد به هؤلاء الكفار من العـذاب فى عاجل الدنيا حتى تراه نازلا بهم فى حياتك أو أخرنا ذلك عنهم إلى بعد وفاتـك و وفـاتهم فإن ذلك لا يفوتهم؛ لأن مرجعهم إلى حيث يجازى فيه العباد، و لا يملك بعضـهم أمر بعض، و يقول الكفار: مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِـى ما وعدكم اللّه من هذا العذاب و لا أن أدفع عنكم سوء العقاب كما لا أَمْلِكُ لِنَفْسِـى ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إلا ما شاء اللّه أن يملكنيه منهما، فتقـديم «ضـر» على «نفع» فى هذه الآية بخروجها على ذكر العذاب الذى قال اللّه تعالى فيه بعدها: أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ «۲» إن اللفظة التى تزاوج لفظة الضر هى لفظة النفع و معناها فى أنه لا يملك إلا ما يملك اللّه منه عباده واحد، فلذلك أتبع ذكره ذكره.

الآية التاسعة و العشرون من سورة الأعراف

قوله تعالى: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «۳» و قال فى سورة حم السجدة «۴»: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

للسائـل أن يسـأل فيقول: لأـى معنى جاء فى الآيـة من سورة الأـعراف سَـمِيعٌ عَلِيمٌ على لفظ النكرة، و فى سورة حم السـجدة معرفتين بالألف و اللام مؤكدتين بهو؟

الجواب أن يقـال: إن الأـول وقع فى فاصـلة ما قبلها من الفواصل أفعال جماعـة أو أسـماء مأخوذة من الأفعال من نحو قوله: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۵» و بعده يخلقون و ينصـرون و يبصـرون و الجاهلين، فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدية معنى الفعل أعنى النكرة و كان المعنى: اسـتعذ باللّه إنه يسمع استعاذتك و يعلم استخارتك، و التى فى سورة حم السجدة قبلها فواصل يسلك بها طريق الأسماء و هى ما فى قوله تعالى:

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ «۶» فقوله: وَلِيٌّ حَمِيمٌ ليس من

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۴۶.

(۴) الآية: ۳۶.

(۲) سورة: يونس، الآية: ۵۱.

(۵) سورة: الأعراف، الآية: ۱۹۰.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۲۰۰.

(۶) سورة: فصلت، الآيتان: ۳۴، ۳۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۳۵

الأسـماء التى يراد بها الأفعال، و كـذلك قوله: إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ «۱» ليس فى الحظ معنى فعل فأخرج سَـمِيعٌ عَلِيمٌ بعـد الفواصل التى هى على سنن الأسـماء على لفظ يبعـد عن اللفظ الـذى يؤدى معنى الفعل، فكأنه قال: إنه هو الـذى لا يخفى عليه مسـموع و لا معلوم فليس القصد الإخبار عن الفعل كما كان فى الأولى: إنه يسمع الدعاء و يعلم الإخلاص فهذا فرق ما بين المكانين.

انقضت سورة الأعراف عن تسع و عشرين آية فيها ثمان و ثلاثون مسألة.

---

(۱) سورة: القصص، الآية: ۷۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۳۶

۸- سورة الأنفال

اشارة

قد مر فى سورة البقرة و آل عمران من الآيات التى تشبه الآيات التى من هذه السورة، و هى الآية التى نذكرها فيها قد سبقت نظيرتها فى سورة الأعراف فذكرناها فى هذا المكان و كرهنا إخلاء هذه السورة من تخصيصها بما خصصنا به أمثالها.

الآية الأولى منها

قوله تعالى: فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ «۱» و قال فى سورة الأعراف «۲»:
فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ.
للسائل أن يسأل فيقول: إن الخبر فى الموضعين عن الكفار فما بال أحدهما اختص بقوله: بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ و الآخر اختص بقوله: بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ؟
الجواب أن يقال: إن التى فى سورة الأعراف خبر عن قوم ذكروا قبل هذه الآية فى قوله: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ «۳» أى: حظهم من العذاب المكتوب عليهم بقدر ما كسبوه من سيئات الأعمال حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أى: يستوفونهم من بين غيرهم ليسوقوهم إلى النار، و هذا عن الحسن، و بين ذلك بعده بقوله: قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ «۴» فأخبر أن أخراهم تسأل اللّه أن يضعف العذاب على أولاهم لأنهم ضلوا و أضلوا فيستحقون العقاب على قدر الاكتساب، فلذلك طلبوا أن يكون عذابهم ضعف عذاب هؤلاء لإثمهم فيما كسبوا بضلالهم فى أنفسهم و إثمهم فيما اكتسبوا من

---

(۱) سورة: الأنفال، الآية: ۳۵.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۳۷.

(۲) الآية: ۳۹.

(۴) سورة: الأعراف، الآية: ۳۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۳۷

إضلال غيرهم، و قالت أولاهم لأخراهم: فما كان لكم علينا من فضل، أى: أنتم مثلنا فى الضلال لم يكن لكم علينا فضل فى تركه أو التقلل منه: فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ أى: يقول اللّه تعالى ذلك: فذوقوا العذاب بقدر ما كنتم تكسبون، فهذا موضع يقتضى ذكر الاكتساب و ما يجب على قدره من العقاب .. و أما قوله فى هذه السورة فى ذكر الكفار الذين قال اللّه تعالى فيهم: وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً «۱» أى: صفيرا و تصفيقا لم تكن صلاتهم تسبيحا و تمجيدا و خضوعا للّه تعالى كما يفعل المؤمنون فيقال لهم فى الآخرة: ذوقوا العذاب بكفركم، و لم تتقدم هذه الآية ما يوجب قدرا من العذاب دون قدر حتى يقال: ذوقوا من العذاب بقدر كسبكم له كما كان فى الآية الأولى و إنما ذكر كفرهم من حيث قال: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ «۲» و ذلك كله فى كفار قريش، فلذلك جاء

فيه: فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ دون بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ.

الآية الثانية من هذه السورة

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ «۳» و قال فى سورة براءة «۴»: الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ.
للسائل أن يسأل فيقول: ما الذى قدم له فى الآية الأولى ذكر «أموالهم و أنفسهم» على قوله: فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثم ماله قدم ذكر فِى سَبِيلِ اللَّهِ فى سورة براءة على ذكر «أموالهم و أنفسهم»؟
الجواب أن يقال: إن الآية الأولى فى سورة الأنفال عقيب ما أنكره اللّه تعالى على من قال لهم: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۵» و هم أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلم لما أسروا المشركين و لم يقتلوهم طمعا فى الفداء فقال اللّه تعالى: لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ «۶» أى: فيما أخذتم من

---

(۱) سورة: الأنفال، الآية: ۳۵.

(۴) الآية: ۲۰.

(۲) سورة: الأنفال، الآيتان: ۳۳ و ۳۴.

(۵) سورة: الأنفال، الآية: ۶۷.

(۳) سورة: الأنفال، الآية: ۷۲.

(۶) سورة: الأنفال، الآية: ۶۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۳۸

هؤلاء الأسرى من الفداء، ثم قال اللّه تعالى لما غفر لهم ما كان منهم من ترك القتل إلى الأسر فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً «۱». أى: استمتعوا بما نلتم من أموال المشركين و بما أخذتم من فدائهم، فعقب ذلك بهذه الآية التى مدح فيها من أنفق أمواله فى سبيل اللّه لا من يجاهد طلبا للنفع العاجل فقال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فقدم بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ على قوله: فِى سَبِيلِ اللَّهِ ليعلموا أن ذلك يجب أن يكون أهم لهم و أولى بتقديمه عندهم صرفا لهم عما حرصوا عليه من فائدة الفداء، و لم تكن كذلك الآية التى فى سورة براءة؛ لأنها بعد ما يوجب تقديم قوله فى سبيل اللّه على ذكر المال؛ لأنه قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ «۲» ثم قال فى إبطال ما أتى به المشركون من عمارة المسجد الحرام و سقاية الحاج مع المقام على الكفر أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ «۳» فكان المندوب إليه فى هذه الآية بعد الإيمان باللّه الجهاد فى سبيله فقال بعده مادحا لمن تلقى بالطاعة أمره الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ «۴» ثم ذكر بأموالهم و أنفسهم لما قدم ذكر ما اقتضى الموضع تقديمه و أن يجعل أهم إليهم من غيره، فخالف هذا المكان قوله فى سورة الأنفال فقدم فيه ما أخر هناك فاعلمه و باللّه التوفيق.
انقضت سورة الأنفال عن آيتين و مسألتين.

---

(۱) سورة: الأنفال، الآية: ۶۹.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۱۹.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۱۶.

(۴) سورة: التوبة، الآية: ۲۰.

۹- سورة التوبة

الآية الأولى منها

قوله عز و جلّ: وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «۱» بعد قوله: أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ و قال بعده: وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ بعد قوله: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ «۲» الآية و قال فى هذه السورة: وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ موصولا بقوله: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ «۳».

للسائل أن يسأل: عن تخصيص بعض هذه المواضع ب «الظالمين» و بعضها ب «الفاسقين» و بعضها ب «الكافرين» و هل ذاك لمعنى يخصه؟

الجواب: أن يقال: «الظالمون» فى الآية الأولى المراد بهم: مشركو العرب الذين قاموا بسقاية الحاج و أنفقوا على المسجد الحرام رجاء الثواب مع المقام على الكفر و العصيان فهم لأنفسهم بالكفر ظالمون و بعملهم الذى يؤملون الانتفاع به مع مصامّة الكفر واضعون الشيء غير موضعه، فلما فعل هؤلاء المشركون ذلك و كان كل مشرك ظالما و كل من وضع شيئا فى غير موضعه ظالما، و إنما يكون غير ظالم إذا أنفق فى حال الإسلام على المسلمين من الحجاج دون الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء و تصدية، عبر عنهم بالظالمين لانطواء هذه الصفة على الكفر و على المعنى الزائد بتضييع المال فى حال الشرك و المعنى: لا يهديهم إلى نيل الثواب الذى له ينفقون و بسببه يعمرون و لا يدلهم على ثمرة ما يؤملون .. و أما الموضع الثانى و هو: وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ فإنه تحذير لمن

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۱۹.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۲۴.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۳۷.

قال فيهم من المسلمين: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ «۱» فعرفهم أن من آثر مراعاة هذه الأبواب التى عدها على طاعة اللّه التى أوجبها من الجهاد فى سبيله فليتربص نازل عقاب اللّه به، و أنه بفعله ذلك من جملة الفاسقين و أن حكمه حكمهم و اللّه لا يهديهم إلى ما أعده للمؤمنين من الثواب لتعرضهم بمخالفة أمر اللّه تعالى للعقاب، فكان ذكر الفاسقين أليق بهذا المكان .. و أما الموضع الثالث و هو: وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ فإنه بعد قوله فى وصف الكفار:

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً «۲» و هو ما كان بعض العرب يأتيه من تحليل بعض الأشهر الحرم و تحريم بدله من الشهر الذى ليس بمحرم ليوفى عدة الأربعة فيكون فى ذلك تحريم ما حلله اللّه و تحليل ما حرمه، فأخبر اللّه تعالى أن ذلك زيادة فى كفرهم ثم عقبه بوصفهم بأنه لا يهديهم فكان أحق الأوصاف فى هذا المكان لفظة «الكافرين» التى اقتضاها المعنى و الذكر المتقدم فى مكانين من الآية و اللّه أعلم.

الآية الثانية من سورة التوبة

قوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ «۳» و قال فى سورة الصف «۴»: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: قال اللّه تعالى فى الآية الأولى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ و قال فى الثانية: لِيُطْفِؤُا فما الذى أوجب اختصاص الأولى بما اختصت به و الثانية باللام دون أن تكون مثل الأولى بأن و هى الأصل فى تعدى الإرادة إليه؟

الجواب أن يقال: إن الإرادة فى الآية الأولى تعلقت بإطفاء نور اللّه بأفواههم، و إطفاء نور اللّه إنما هو بما حاولوه من دفع الحق بالباطل و الحق يسمى: نور اللّه؛ لأن حججه و براهينه تضيء لطالبه فيهتدى بها إليه و الباطل هو قولهم بأفواههم و هو ما أخبر اللّه تعالى به قبل عن اليهود و النصارى

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۲۴.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۳۲.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۳۷.

(۴) الآية: ۸.

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ «۱» أى: هو قول لا حقيقة له و لا محصول و بمثله لا يدفع الحق و بالأفواه لا يطفأ هذا النور كما يطفأ السراج؛ لأن هذا النور و إن أشبهه فى أنه يهدى و يبين الحق من الباطل فهو بخلافه فى الامتناع من الإطفاء كما يتهيأ ذلك فى السراج، و النور يجوز أن تكون الآية المنيرة و الحجة الساطعة و يجوز أن يكون المراد به القرآن و يجوز أن يكون المراد به النبى صلّى اللّه عليه و سلم كما قال: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً «۲» فالسراج المنير يسمى:

نورا و كل واحد من الثلاثة إذا دفعوه جاز أن يقال: حاولوا إطفاءه و الخبر عن اليهود و النصارى الذين قال تعالى فيهم: ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا «۳» من قبل أن يشاكلوا بإثباتهم للّه ابنا و شريكا قول من أثبت مع اللّه آلهة وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۴» و هذا واضح و تعدى الإرادة إلى هذا المراد ظاهر و هو وجه الكلام و الأصل.

فأما الآية فى سورة الصف و تعليق الإرادة فيها بالإطفاء مع زيادة الكفر فإن للنحويين فى ذلك مذهبين أحدهما: أن اللام توضع موضع «إن» لكثرة ما يقال: زرتك لتكرمنى فاللام لما شهرت بنيابتها عن «أن» و قيامها مقامها فى الموقع كان تعدى الفعل إليها مع ما بعدها من الفعل كتعديه إلى «أن» و ما يتضمنه من المستقبل فيقال: قصدت أن تفرح، و قصدت لتفرح و هذا لا يكون إلا على سبيل التوسع دون الحقيقة، فأما المذهب الآخر فللمحققين و هو أن الفعل تعدى إلى مفعول محذوف و اللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون مبينة عن العلة التى لها أنشئ الفعل و اللام فى الآية على هذا التحقيق، و هو أن المراد: يريدون أن يكذبوا ليطفئوا نور اللّه بأفواههم، لأن قبلها وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعى إِلَى الْإِسْلامِ «۵» فقوله: يُرِيدُونَ لم يذكر مفعول ما يريدونه اعتمادا على ما نبه عليه بقوله: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فكأنه قيل: يريدون افتراء الكذب ليطفئوا نور اللّه و على هذا قوله:

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل عادىّ نمته ثمود

أى: أردت أن أنزع سراويلى ليعلم الناس إذا رأوا طولها أنها على عادى القامة

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۳۰.

(۴) سورة: التوبة، الآية: ۳۱.

(۲) سورة: الأحزاب، الآيتان: ۴۵، ۴۶.

(۵) سورة: الصف، الآية: ۷.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۳۰.

ثمودى الخلقة، فلهذا خصت الآية الثانية بدخول اللام على «يطفئوا» و لما كان المراد فى الآية الأولى الإطفاء بالأفواه لما دل عليه مفتتح العشر و هو: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ كانت الإرادة معداة إلى إطفاء نور اللّه بأفواههم و هو ما حكى اللّه تعالى عنهم أنه قولهم بأفواههم أى:

يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم و هذا واضح.

الآية الثالثة من سورة التوبة

قوله تعالى: وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ «۱» و قال فى موضعين آخرين من هذه السورة: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ «۲» و بعدها: وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ «۳».

للسائل أن يسأل: عن الفرق بين هذه الأماكن حتى أعيد فى الأول حرف الجر مع المعطوف و لم يعد فى المكانين الآخرين.

الجواب أن يقال: لما كان الأول فيه إيجاب بعد نفى صار الخبر أوكد و إلى إمارة التوكيد أحوج أ لا ترى أن قوله: ما زيد إلا فاضل أوكد من قولك: زيد فاضل، و كذلك:

ما زيد إلا قائم أوكد من قولك: زيد قائم، فلما كان كذلك احتاج فى المعطوف على قوله «باللّه» إلى توكيد لم يحتج إليه فى قوله: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ إذ ليس واحد من الموضعين الآخرين متضمنا إيجابا بعد نفى كما تضمنه قوله: وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا «۴» الآية و قال بعده:

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۵۴.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۸۴.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۸۰.

(۴) سورة: التوبة، الآيتان: ۵۴، ۵۵.

وَ لا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ «۱».

للسائل أن يسأل فى الآيتين عن أربع مسائل:

أولها: قوله: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ بالفاء فى الآية الأولى و قوله: وَ لا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ فى الآية الثانية.

و المسألة الثانية: تكرار «لا» فى قوله: وَ لا أَوْلادُهُمْ و تركه فى قوله: وَ لا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ.

الثالثة: قوله: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ باللام و قال فی الآية الأخری: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ.

المسألة الرابعة: قوله: فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فی الآية الأولی و فی الآخرة فِي الدُّنْيا من غير ذكر الحياة الموصوفة بها.

الجواب: عن المسألة الأولی فی الفاء و الواو و مجیء أول الآية علی فَلا تُعْجِبْكَ و الآخر علی وَ لا تُعْجِبْكَ و هو أن قبل الفاء قوله تعالی: وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالی وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ «۲» فأخبر عن المنافقين بما يقصدونه بأفعالهم التی يوقعونها فی حالهم و استقبالهم علی معنی: أن يكسلوك عن الصلاة و تتكرهوا الصدقات فإن اللّه ليس يجازيهم بما يسرهم من أموالهم و أولادهم، بل يعجل ذلك عذابا لهم مدة بقائهم بما ينالهم من النقص فی الأموال مما أباح منه للمسلمين بالقتال، و ما يصيبهم فی الأولاد من السبی و الاستعباد، ثم عند الفراق يكون الألم علی قدر محبة الأحباب، هذا سوی سوء الانقلاب و ما أعد لهم من العذاب ليوم المآب، فلما كان الفعل الذی قبل الفاء بمعنی الشرط صار ما بعدها فی موضع الجزاء فخصت بالفاء لذلك، أما الآية التی دخلتها الواو فإن قبلها أفعالا ماضية كقوله: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ «۳» و هذه الأفعال بمضيها و انقطاعها لا تكون شرطا فتعقب بالفاء التی تدل علی الجزاء، فعطفت الآية بعدها علی ما قبلها بالواو لبطلان المعنی الذی يقتضی الفاء، أ لا تری أنه قال: وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ و لا يشترط فعل من قد مات فيعقب بذكر الجزاء، فلذلك اختلفا فی الواو و الفاء.

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۸۵.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۸۴.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۵۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۴۴

الجواب عن المسألة الثانية: و هی توكيد قوله: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ بلا فی قوله: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ و تعرية الثانية منها حيث قال: وَ لا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ هو أن الذی أنبأ عن معنی الشرط فی الفعل الأول و هو: وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالی وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ بنی علی أوكد ما تبنی عليه الأخبار من الإيجاب بعد النفی، فلما علقت الجملة الثانية به تعليق الجزاء بالشرط اقتضت من التوكيد ما قصد به مثله فی الأول فكان ذاك أن وكد معنی النهی بتكرير «لا» فی قوله: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ و أما الآية الثانية فهی مخالفة للأولی فی هذا المعنی؛ لأنه لا شرط ينطوی عليه الفعل الذی قبلها كما انطوی عليه الفعل الذی قبل الفاء و لم يتضمن أيضا من التوكيد المقتضی بناء ما يتعلق به عليه فخلا من الدواعی إلی التوكيد فلم يكرر فيه «لا» لذلك.

الجواب عن المسألة الثالثة: و هی وصل الإرادة باللام فی الأول حيث قال:

لِيُعَذِّبَهُمْ بِها و وصلها بأن فی الثانية حيث قال: أَنْ يُعَذِّبَهُمْ هو أن الأولی معناها:

إنما يريد اللّه أن يزيد فی نعمائهم بالأموال و الأولاد ليعذبهم بها فی الحياة الدنيا، فمفعول الإرادة محذوف و اللام لام الصيرورة، و الآية الأخيرة مخالفة للأولی فی ذلك؛ لأنها فی الإخبار عن قوم قد ماتوا و انقرضوا علی النفاق، فلم تتضمن الآية مفعولا و هو أن يزيد فی نعمائهم لانقطاع الزيادة بالموت عنهم، فعديت الإرادة إلی ما آل إليه حالهم من تعذيبهم فصار المعنی: إنما يريد اللّه فی حال إنعامه عليهم تعذيبهم به فی الدنيا، ففرق بين الخبرين إذ كان أحدهما خبرا عن قوم معرضين لزيادة إنعام اللّه عليهم و الآخر خبرا عمن انقطعت أعمالهم و بلغت نعمة اللّه عليهم غاية لا مزيد فيها لهم و اللّه يريد تعذيبهم بذلك بعد كفرهم و مقامهم علی نفاقهم.

الجواب عن المسألة الرابعة و هی: قوله فی الأولی فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فجعل الدنيا صفة للحياة و قوله فی الأخيرة فِي الدُّنْيا فأغنی بذكر الصفة عن ذكر الموصوف:

هو أن الثانية لما كانت بعد الأولی و قد نبه فيها علی الموصوف كان فی ذكره هناك غنی عن ذكره فی هذا المكان لا سيما و الدنيا

كاسم علم للحياة الأولى و الدار الدنيا فأغنى كل ذلك عن ذكر الحياة و الإتيان بالموصوف و هذه حال الصفة.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۴۵

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ «۱» و قال بعد العشر الذى يلى هذه العشر: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ «۲».

للسائل أن يسأل هنا عن مسألتين:

إحداهما: قوله فى الأولى وَ طُبِعَ بفعل ما لم يسم فاعله و فى الثانية سمى فاعله بقوله: وَ طَبَعَ اللَّهُ.

و المسألة الثانية: قوله فى الأولى: فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ و فى الأخرى:

فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

الجواب عن المسألة الأولى أن قوله: وَ طُبِعَ فى آخر آية افتتحت بقوله:

وَ إِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ «۳» و المعنى: و إذا أنزل اللّه سورة، فلما صدرت الآية فى فعل علم أن فاعله اللّه فيما لا يقتضى ذكر الفاعل بل يقام المفعول به مقامه كان مثل هذا الفعل فى منتهى الآية محمولا عليه؛ لأنه معلوم أن اللّه يطبع كما علم أن اللّه ينزل السورة فكان التوفقة فى ذلك بين آخر الآية و أولها الإخبار، و الآية الأخرى وقعت هذه اللفظة منها فى موضع إشباع و تأكيد أ لا تراها فى قوله: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ فجاءت «إنما» بعد نفى مكرر فى قوله: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ «۴» فنفى الحرج عمن قعد عن الجهاد لإحدى المعاذير التى ذكرها، ثم ألزم الحرج القوم الذين حالهم مضادة لأحوال أولئك فقال:

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ أى: الإثم يتوجه على من يستأذن فى المقام و هو قادر على الجهاد بالغنى و اليسار و صحة الأبدان، رضوا بأن يكونوا مع النساء و الزمنى و الضعفاء و اللّه طبع على قلوبهم فهم لا

---

(۱) سورة: التوبة، الآيتان: ۸۶ و ۸۷.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۸۶.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۹۳.

(۴) سورة: التوبة، الآيتان: ۹۱ و ۹۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۴۶

يعلمون، فلما كان هذا الموضع موضعا يتبين فيه مضادة حالهم لأحوال غيرهم لتخالف بين أحوالهم و أحوال من فسح فى القعود لهم كان موضع تنبيه و تأكيد و تخويف، و تحذير فسمى الفاعل و هو اللّه تعالى ليليق الفعل إذا جاء هذا المجىء بمكانه.

الجواب عن المسألة الثانية هو: إن الذين ذكروا بالطول و هو الفضل فى النفس و المال و القدرة على الجهاد إنما مالوا إلى الدعة و أخلدوا إلى الراحة و أشفقوا من الحر و لم يفطنوا أن الراحة فى تحمل التعب مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و أن الدعة توجد بتحمل المشقة معه فطلبوا ما كان مطلوبهم ضده لو فقهوا له و فطنوا فكان هنا موضع يَفْقَهُونَ ... و أما الآية الأخرى و هى: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ أى العقاب متوجه على هؤلاء و هم لا يعلمون بما أعد اللّه لكل ذى عمل محق عمله ما يعلمه

المؤمنون الـذين يسـتجيبون للخروج و الـذين تفيض مـدامعهم إذا لم يعنهم بالركوب، فلما كان بإزائهم فى الآيتين اللتين قبل ذكر من تحقق بالـدين و علم الثواب و العقـاب علم اليقين و خالفهم هؤلاء نفى عنهم ما أثبته لأولاء و هو العلم، فلـذلك جاء فى هـذا المكان: فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

الآية السادسة من سورة التوبة

قوله تعـالى: قُلْ لا تَعْتَـذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَـدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَ سَـيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ «۱» و قال بعده: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ «۲».

للسائل أن يسأل عن شيئين فى هذا المكان:

أحدهما: ذكره المؤمنين فى الآية الأخرى و تركه فى الأولى؟

و السؤال الثانى قوله فى الآية الأولى: ثُمَّ تُرَدُّونَ و فى الآية الثانية:

وَ سَتُرَدُّونَ و هل لاختلافهما معنى يوجبه و يخصصه بالمكان الذى يختصه؟

الجواب عن الأول: أن يقال: إن المخاطبين فى الآيـة الأولى هم: المنافقون و المخاطبون فى الثانيـة: هم المؤمنون؛ لأنه قال فى الأولى: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ و الثانية:

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۹۴.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۱۰۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۴۷

خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَـلاتَكَ سَـكَنٌ لَهُمْ «۱» و بعـده أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ «۲» ثم قال:

وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَـيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ. و إذا اختلف المخـاطبون بمـا بينـا فى الآـيتين كان قوله: وَ سَـيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ بعـد قوله: قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبـارِكُمْ معنـاه أن اللّه قـد أخبرنـا بأخباركم التى تخفونها فى أنفسـكم و تجاهرون بها من كان من المنـافقين مثلكم و اللّه يرى ما سـيكون منكم بعـد و يرى رسوله باطلاع اللّه له عليه، و أعمالهم التى لأجلها يحكم عليهم بالنفاق يراها اللّه تعالى و يطلع عليها رسوله صـلّى اللّه عليه و سـلم و ما كل مؤمن يعلمها، فلـذلك لم يقل فى هـذا المكان وَ الْمُؤْمِنُونَ بعـد قوله: وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ.

و أما الآية الثانية فإنها فيمن أمر اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم و هو الذى أوجب عليهم الصدقات بأن يقول لهم: اعملوا ما أمركم اللّه به من الطاعـات كالصـلوات و الصـدقات فـإن اللّه و رسوله و المؤمنين يرون ذلك، و هـذه الأعمال مما ترى بالعين خلاف أعمال المنـافقين التى تقتضـى لهم النفـاق لإضـمارهم خلاـف إظهارهم و هو مما لا يرى بالعين، و إنما يعلمه عالم الغيب، فلـذلك لم يـذكر المؤمنون فى الأولى و ذكروا فى الثانية.

الجواب عن المسألـة الثانيـة: إن معنى قوله للمنـافقين: قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبـارِكُمْ وَ سَـيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ أى: سـيعلم اللّه حقيقة عملكم و أنه عن غير صـحة اعتقـاد منكم و أن اعتـذاركم قول بلسـانكم لاـ يطـابقه منطوى ضـميركم، و هـذا ظـاهر بكون الجزاء عليه خلافه، ففصـل بينه و بين ردهم إلى اللّه تعـالى للجزاء عليه بقوله: ثُمَّ تُرَدُّونَ أى: عملكم يعلم اللّه من باطنه خلاف ظاهره، و قـد أمرنا بالرضـاء به و حقن دمائكم له، ثم إن الحكم إذا رددتم إلى اللّه تعالى فى الآخرة بخلافه، فلبعـد ما بين الظاهر من عملهم و ما يجازون به دخلت «ثم» و ليست كذلك الآية الأخيرة؛ لأن قبلها بعثا على عمل الخير لقوله: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ

و هـذا وعـد و الأول وعيـد و بعده «ستردون»؛ لأنه وعد مما يشاكل أفعالهم و يطابق أعمالهم من حسن الثواب و جميل الجزاء، و لم يبعد عنها كبعد جزاء المنافقين عما هو ظاهر من أعمالهم التى يراءون بها و يعلم اللّه تعالى خلافها منهم، فجرى الكلام على نسق واحد فقال: فسيرى اللّه عملكم و ستردون، و لم يدخل «ثم» التى هى للتراخى و التباعد، فاختصاص كل موضع بما اختص به من اللفظ لما ذكرنا.

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۱۰۳.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۱۰۴.

الآية السابعة من سورة التوبة

قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ «۱» و قال بعده:

وَ لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ «۲».

للسائل أن يسأل فى ذلك عن مسألتين.

إحـداهما: قوله تعالى فى الآيـة الأولى: إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ و قوله فى الثانية: إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ فحسب و لم يذكر عمل صالح كما ذكر فى الأولى.

و المسألة الثانية: تعقيبه الأولى بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ و تعقيبه الثانية بقوله: لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ و وجه الاختلاف فى هاتين الآيتين.

الجواب عن المسألـة الأولى: هو أن فى جملـة ما ذكره تعالى مما أوجب لهم الأجر أشياء ليست من أعمالهم؛ لأن الظمأ ليس هو فعل الإنسان و النصب و المخمصة كذلك، فلما تضمن ما نسق بعضه على بعض ما ليس بعمل لهم و ما هو عمل لهم بقوله:

وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا «۳» ألحق أجر مـا ليس بعمـل لهم بما هو عمل لهم فقال: إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ «۴» أى:

أجر عمل صالـح، و ما ذكر فى الثانيـة كله من أعمالهم و هو قوله: وَ لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ أى: لا يخرجون من أموالهم ما دقّ أو جلّ و لا يقطعون فى مسيرهم إلى أعـدائهم واديا إلا كان ذلك محفوظا لهم معلوما مكتوبا أو كـالمكتوب عنـد اللّه ليجزيهم عليه اللّه أحسن الجزاء، فلمـا كان ما فى الثانيـة عملهم كتب على جهته لم يحتـج إلى أن يكتب به عمل صالـح؛ لأنـه هو ... و الأول كـان فيه مـا ليس بعملهم فكتب به أجر مثـل عملهم، فلـذلك كـانت الزيـادة فى الأولى و لم تحتـج إليها الأخرى.

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۱۲۰.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۱۲۰.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۱۲۱.

(۴) سورة: التوبة، الآية: ۱۲۰.

الجواب عن المسألة الثانية و هى تعقيب الأولى بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ هو أن من أخبر عنه بأنه أصابه ظمأ و نصب و جوع فقد أخبر عنه بفعل غيره به و لم يخبر عنه بفعل فعله هو إلا أنه يجب له بما وصل إليه من ألم العطش و الجوع و التعب و النصب الأجر، فلذلك عقبه بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ أى: من أحسن طاعة اللّه و تعرض منها لما يلحقه فيه هذه الشدائد. و أما الآية الثانية و تعقيبها بقوله: لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فلأن جميع ما ذكر كان عملا لهم فوعدهم حسن الجزاء على عملهم، و ذلك ظاهر و اللّه أعلم.

انقضت سورة براءة عن سبع مواضع فيها ثلاث عشرة مسألة.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۰

۱۰- سورة يونس عليه السّلام

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ «۱» و قال فى سورة الفرقان «۲»: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ.

للسائل أن يسأل عن تقديم: يَضُرُّهُمْ على: يَنْفَعُهُمْ فى الآية الأولى و تقديم يَنْفَعُهُمْ على يَضُرُّهُمْ فى الآية الثانية و هل صلح أحدهما مكان الآخر؟.

الجواب أن يقال: إنما قدم يَضُرُّهُمْ على يَنْفَعُهُمْ فى الآية الأولى؛ لأن العبادة تقام للمعبود خوفا من العقاب أولا ثم رجاء للثواب ثانيا و قد تقدم فى هذا المكان ما أوجب تقديم يَضُرُّهُمْ على يَنْفَعُهُمْ فى الآية الأولى و هو قوله: إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ «۳» فكأنه قال: و يعبدون من دون اللّه ما لا يخافون ضررا فى معصيته و لا يرجون نفعا فى عبادته، و قدم ما لا يَضُرُّهُمْ على ما لا يَنْفَعُهُمْ فى هذا المكان لهذا المعنى و لهذا اللفظ المتقدم .. و أما فى سورة الفرقان فقد تقدمت قبلها آيات قدم فيها الأفضل على الأدون كقوله عز و جلّ: وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ «۴» و قوله بعده: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ كانَ رَبُّكَ قَدِيراً «۵» و صلة النسب أفضل من صلة المصاهرة كما أن العذب من الماء أفضل من الملح، و قال بعده وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ أى: يتكلفون المشقة بعبادة ما لا يرجونه لنفع و لا يخشونه لضر، فقدم الأفضل على الأدون لهذا المعنى و للبناء على ما تقدم من الآيات فجاء فى كل موضع على ما اقتضاه ما تقدمه و صح فى المعنى الذى اعتمد له.

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۱۸.

(۴) سورة: الفرقان، الآية: ۵۳.

(۲) الآية: ۵۵.

(۵) سورة: الفرقان، الآية: ۵۴.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۱۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۱

الآية الثانية من سورة يونس

قوله تعالى: فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ «۱» و قال فى سورة المؤمن «۲»: وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ.

للسائل أن يسأل فى هاتين الآيتين عن ثلاث مسائل:

إحداها: دخول الواو على كَذلِكَ فى سورة المؤمن و خلوها منها فى سورة يونس.

و الثانية قوله فى الأولى: عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا و فى الثانية: عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا.

و الثالثة قوله فى الأولى: أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ و فى الثانية أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ و عن الوجه فى اختلاف ذلك.

الجواب عن المسألة الأولى و هى: ترك الواو فى هذا الموضع و إثباتها فى سورة المؤمن أن القصة بعد «كذلك» هى التى قبلها فهى مرتبطة بها بعودها إليها و بكاف التشبيه، فاستغنت بهذين الرباطين عن حرف العطف فهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون هم الذين خوطبوا بقوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ «۳» و ليس كذلك ما فى سورة المؤمن؛ لأنه و إن تعلق به و بكاف التشبيه فإنه ينقطع عنه بأن المذكورين بعد كذلك غير المذكورين قبلها، أ لا ترى قوله: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ «۴» خبرا عن الذين كانوا قبل النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و ما بعد قوله: وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ «۵» إنما هو وعيده من فى عصره عليه الصلاة و السّلام، فلما انقطع ما بعد «كذلك» هنا عما قبلها احتاج إلى الواو ما لم يحتج إليها ما فى سورة يونس «۶» عليه السّلام.

الجواب عن اختصاصه بقوله: عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا فى سورة يونس و اختصاص

---

(۱) سورة: يونس، الآيتان: ۳۲، ۳۳.

(۴) سورة: غافر، الآية: ۵.

(۲) الآيتان: ۵، ۶.

(۵) سورة: غافر، الآية: ۶.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۳۱.

(۶) الآية: ۳۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۲

ما فى سورة المؤمن «۱» بقوله: عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فلأن الأولى فى ذكر قوم أخبر عنهم بقوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ فأخذ إقرارهم بأن اللّه تعالى هو الذى يرزقهم من مطر السماء و نبات الأرض و هو الذى يملك أسماعهم و أبصارهم، فإن أحب سمعوا و أبصروا، و إن لم يرد ذلك صموا و عموا، و هو الذى يخرج الحى من الميت كالفرخ من البيضة و يخرج الميت من الحى كالبيضة من الدجاجة، و إنه هو الذى يدبر أمور الخلق من ابتداء أحوالهم إلى انتهائها و كانوا ممن أخبر عنهم بقوله: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى «۲» فباينوا بإثبات الصانع و ما زعموه من معرفة الخالق من أنكره و جحد بآياته، و فسقوا- بأن عبدوا معه غيره و لم يثبتوا النبى صلّى اللّه عليه و سلم و نبوته- الفسق الذى هو كفر لا ينتفع معه بالإقرار الأول فقال تعالى: هؤلاء الذين أقروا بالصانع و صفات فعلهم هم خرجوا عما دخلوا فيه بإنكار نبوة النبى صلّى اللّه عليه و سلم و بعبادة آلهة مع اللّه تعالى كان ذلك فسقا لخروجهم عن حكم من يقر بما أقروا به ... و الفسق فسقان أحدهما: هو الكفر و تسميته به لهذا الوجه الذى قلناه و هو كقوله تعالى: وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ «۳» و الثانى: فسق ليس بكفر كقوله تعالى: وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ «۴» ليس المراد بهم الكافرين، فأخبر عن هؤلاء بالذين فسقوا فى سورة يونس كذلك .. و أما فى سورة المؤمن فإنه لم

يتقدمه مثل ما تقدم هنا بل قال تعالى قبله: ما يُجادِلُ فِی آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِی الْبِلادِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ «۵» فأخبر عن الكفار الذين فی عصرهم بأنهم كفروا بمجادلتهم فی آيات اللّه فشبههم بالقوم الذين مضوا قبلهم حيث قال: وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ثم قال تعالى: وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ فلما أراد الذين قدم ذكرهم فی أول القصة و هم الذين أخبر عنهم بقوله: ما يُجادِلُ فِی آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِی الْبِلادِ «۵» كان أن يصفهم بما وصفهم به قبل من الكفر أولى و أدل على أن المعنيين بوجوب النار لهم هم الذين قدم ذكرهم.

الجواب عن المسألة الثانية و هی قوله: كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ «۷» و قوله فی سورة المؤمن أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ فلأنه

---

(۱) الآية: ۶.

(۴) سورة: النور، الآية: ۴.

(۲) سورة: الزمر، الآية: ۳.

(۵) سورة: غافر، الآيتان: ۴، ۵.

(۳) سورة: السجدة، الآية: ۲۰.

(۷) سورة: يونس، الآية: ۳۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۳

تعالى أراد أن يبين أنهم و إن أقروا باللّه تعالى و أثبتوه خالقا قادرا صانعا غير مؤمنين، و ما داموا يعبدون غيره لا يؤمنون، فالقصد إلى إبطال ما بذلوه بألسنتهم من الإقرار بخالقهم، و القصد فی الآية التی فی سورة المؤمن توعدهم على كفرهم بالنار إذ لم يتقدم ذكر إقرار يشبه إقرار المؤمنين فيبطل بتركهم سائر ما أمر اللّه تعالى به.

الآية الثالثة من سورة يونس

قوله تعالى: أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ «۱» و قال بعده فی العشر التی تلی هذه العشر: أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ وَ ما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ «۲» و قال بعده فی هذه العشر: قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا «۳».

للسائل أن يسأل فی ذلك عن مسائل:

إحداها: لما ذا كان فی الآية الأولى «ما فی السموات و الأرض» و فی الثانية «من فی السموات و من فی الأرض»؟ و هل صلح «من» فی الآية الأولى «و ما» فی الثانية.

و المسألة الثانية: ما الذی دعا إلى التوكيد فی «من» حتى أعيدت فی قوله:

وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ و لم تعد «ما» فی الآية الأولى عند ذكر الأرض؟

و المسألة الثالثة: عما دعا إلى تكرير «ما» فی قوله: لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ و لم يكررها فی الآية الأولى فی قوله: أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و لم يقل: و ما فی الأرض.

الجواب عن المسألة الأولى: و اختصاص «ما» حيث اختصت و اختصاص «من» حيث اختصت هو أن الأولى جاءت بعد قوله: وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِی الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ «۴» فكان المعنى: أن النفس الظالمة إذا رأت عذاب اللّه لو ملكت جميع ما فی الأرض

لبذلته فداء نفسها، و هى تحرص على اليسير من حطامها فى ظلم أهلها، فكرر

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۵۵.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۶۸.

(۲) سورة: يونس، الآية: ۶۶.

(۴) سورة: يونس، الآية: ۵۴.

على ذلك بقوله: أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى: النفس الظالمة لا تملك ما فى الأرض فتفتدى به و لو ملكته لما قبل فى فدائها و كيف يكون لها ذلك و اللّه مالك ما فى السموات و الأرض و ليس للعبد ذلك و لا محله هنالك، فوجب لهذا المكان ما لقوله:

ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و المراد تقايس ما فى الأرض مما ملكه اللّه العباد. و أما الموضع الذى ذكر فيه من فلم يصح فيه غيرها؛ لأن قبله وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ «۱» و المعنى: لا يحزنك ما يتوعدك به الكفار من القتل و أنواع المكروه فإن القدرة للّه تعالى و هو لا يمنح الكفار قدرة على ما يريدونه منك بل يعطيك العزة عليهم و الغلبة لهم فإنه يملك من فى السموات و من فى الأرض و لا قوة لهم إلا به و لا قدرة لهم إلا من عنده فاقتضى هذا المكان «من» كما رأيت.

الجواب عن المسألة الثانية و السبب فى إعادة «من» فيها و ترك إعادة «ما» فى الآية الأولى فقال: وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ و قال هناك: أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و لم يقل: و ما فى الأرض فهو لأن المقصود بالذكر هو أنه قادر على أن يكفى النبى صلّى اللّه عليه و سلم أمره هو و من فى الأرض من الكفار الذين بعث إليهم و خوفوه أذاهم، فقرن إلى ذكرهم ذكر من فى السموات و هم أكبر شأنا و أعظم أمرا، فإذا ملكوا كان من دونهم أدون، فإعادة «من» مع ذكر الأرض للتوكيد الذى اقتضاه القصد إلى ذكرهم، و أما حذف «ما» فى الآية الأولى عند ذكر الأرض فلأن ذكره قد تقدم و هو وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِي الْأَرْضِ «۲»، فلما قال: أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كان ذكر ما فى الأرض هناك و رجوع هذا إلى ذلك المعنى مثل ذكره فى هذا الموضع فأغنى ذلك عن التكرير.

الجواب عن المسألة الثالثة و هى تكرير ما فى قوله: لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مع حذفها من الآية الأولى هو أن قبله قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ. فنزه نفسه عن الولد، و أخبر أنه غنى عما يجتلب باتخاذه و يستفاد بمكانه إذ كان مالكا لكل ما فى السموات و ما فى الأرض، فكان الموضع موضع تأكيد، فكأنه قال: إذا كان له كل ما فى السموات و كل ما فى الأرض فلما ذا يتخذ الولد؟ و لا يجوز عليه اجتلاب مسرة و انتفاع به؛ لأنه الغنى بنفسه تعالى، فإعادة «ما» فى هذا المكان لهذا الضرب من التوكيد أى: هو غنى لا يحتاج إلى

---

(۱) سورة: يونس، الآيتان: ۶۵ و ۶۶.

(۲) سورة: يونس، الآية: ۵۴.

ولد يعينه على شىء فى السموات و هو مالك له كله، و لا أن يعينه فى شىء ما فى الأرض و هو مالك له بأسره، فلما توكد الكلام فى مثل هذا المكان جاءت «ما» معادة لهذا الشأن و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «۱» و قال فى سورة النمل «۲» فى آخرها: وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

للسائل أن يسأل: عن اختصاص هذا المكان «بالمؤمنين» و اختصاص آخر سورة النمل «بالمسلمين».

الجواب: إن قبل هذه الآية فى سورة يونس قوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ «۳» فقال بعده: و أمرت أن أكون منهم، أما فى سورة النمل «۴» فإن قبل هذه الآية منها وَ ما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ فكأنه قال: أمرت أن أكون ممن إذا سمع بآياته آمن بها و كان من المسلمين الذين مدحوا بأن النبى صلّى اللّه عليه و سلم يسمعهم، أى: ينتفعون بما يستمعونه منه، فلما تقاربت اللفظتان و كانتا تستعملان لمعنى واحد حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذى تقدمها و لائمها.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ «۵» و قال فى سورة النمل «۶»: فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف الموضعين و قوله فى الأولى: وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۱۰۴.

(۴) الآية: ۸۱.

(۲) الآية: ۹۱.

(۵) سورة: يونس، الآية: ۱۰۸.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۱۰۳.

(۶) الآية: ۹۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۶

و فى الثانية: وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ.

الجواب أن يقال: أما الآية الأولى فإنه لما قال فيها: فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ أى: منفعة اهتدائه له و هى دوام النعمة و الخلود فى الجنة و اقتضى هذا فى الضلال ضده فقال: و من ضل فإنما ضرر ضلاله عليه و هو دوام العقاب بأليم العذاب، و ما أنا عليكم بوكيل و ما يلزمنى أن أقيكم ما لا تقونه أنفسكم، كالوكيل الذى يلزمه حفظ ما و كل به مما يضره، و أما الآية التى فى آخر سورة النمل فإنها عدل بها عند ذكر الضلال عما حملت عليه فى الآية التى فى آخر سورة يونس لتحمل على الفواصل التى قبلها و هى مختومة بالواو و النون أو الياء و النون فقال تعالى: وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ أى: ممن يعلمكم ما يلزمكم أن تحذروه و يخوفكم ما يجب عليكم أن تجتنبوه، فاشتمل هذا على معنى: «و من ضل فإنما يضل عليها و ما أنا عليكم بوكيل»؛ لأن فى قوله تعالى: فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها تخويفا و إنذارا و فيه إذا قال: إنما أنا ممن ينذر أى: لست ممن يكره على ما يحميكم من النار و يقيكم حر العقاب كالوكيل الذى يحامى على ما و كل به أن يناله ضرر مثل: وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ فجاء على لفظ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ لتكون الفاصلة مشاكلة للفواصل قبلها مع تأدية مثل المعنى الذى أدته الآية التى شابهتها.

انقضت سورة يونس عن خمس آيات فيها تسع مسائل، فذلك إلى هذه الغاية مائة و آيتان تشتمل على مائة و تسعة و ثلاثين مسألة و

اللّه سبحانه و تعالى الموفق.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۷

۱۱- سورة هود عليه السّلام

الآية الأولى منها

قوله تعالى: لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ «۱» و قال فى سورة النحل «۲»: لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ.

للسائل أن يسأل: عما خصص كل واحد من اللفظين بمكانه دون الآخر.

الجواب أن يقال: الآية التى فى سورة هود قد تقدمها قوله: وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ «۳» و إنما قال: يضاعف لهم العذاب؛ لأنه خبر عن قوم أخبر عنهم بالفعل الذى استحقوا به مضاعفة العذاب فى قوله تعالى: الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ «۴» فإذا صدورهم عن الدين صدودا و صدوا غيرهم عنه صدا استحقوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلوا و أضلوا فهذا موجب الأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى، و هاهنا ما يضاهيه من طريق اللفظ و هو أن ما قبله من الفواصل يُبْصِرُونَ «۳» وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ «۶» فما قبل الواو و النون متحركان لا يعتمدان على ألف قبلهما، و «الخاسرون» ليس قبل نونه و واوه متحركان مستندان إلى مدة قبلهما فاجتماع المعنى الذى ذكرنا و التوفقة بين الفواصل التى بينا أوجبا اختيار «الأخسرين» فى هذا الموضع على «الخاسرين». و أما التى فى سورة النحل فإنها فى آية لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم و إنما قال فيهم: ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ «۷» فلم

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۲۲.

(۴) سورة: هود، الآية: ۱۹.

(۲) الآية: ۱۰۹.

(۶) سورة: هود، الآية: ۲۱.

(۳) سورة: هود، الآية: ۲۰.

(۷) سورة: النحل، الآية: ۱۰۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۸

يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب، ثم كانت الفواصل التى حملت هذه عليها على وزن «الكافرين» و «الغافلين» فاقتضى هذان الشيئان أن يقال: «هم الخاسرون» كما اقتضى الشيئان فى الأولى المخالفان للشيئين هنا أن يقال: «الأخسرون».

الآية الثانية من سورة هود

قوله تعالى فى قصة نوح: قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ «۱» و قال فى قصة صالح عليه السّلام فى هذه السورة: قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي مِنْهُ رَحْمَةً «۲».

للسائل أن يسأل: عن مخاطبة النبيين نوح و صالح عليهم السّلام قوميهما باللفظين اللذين تساويا إلا فيما اختلفا فيه من تقديم المفعول الثانى فى الآية الأولى على الجار و المجرور و تأخيره عنهما فى الآية الثانية.

الجواب أن يقال: إن المعنيين واحد فى الموضعين و قولاهما سواء للأمتين، و إنما اختلفا باختيار اللّه فى موضع خبرا قدم فيه المفعول الثانى على الجار و المجرور لإجراء هذا الفعل و مفعوليه على ما جرى عليه الفعل الذى قبله و هو ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا «۳» ف «بشرا» مفعول ثان من «نراك» و قوله: وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ «۳» فى موضع المفعول الثانى من نراك ثم بعده بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ «۵» فلما تقدمت أفعال ثلاثة كل واحد منها يتعدى إلى مفعولين و المفعول الثانى منها لا يحجزه عن الأول معمول فيه، كان إجراء هذا الفعل الذى هو وَ آتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ مجرى تلك الأفعال التى وقعت «آتانى» فى جوابها و جاءت من كلام نوح عليه السّلام فى مقابلتها أولى، و أما فى قصة صالح عليه السّلام فإنه بإزاء قول قومه له يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا «۶» فوقع خبر كان الذى هو كالمفعول لكان، و قد تقدمه الجار و المجرور فجرى جواب صالح عليه السّلام فيما صار عبارة عنه من العربية مجرى الابتداء فى هذا المعنى، فترجح فى هذا المكان تقديم الجار و المجرور فى قوله: وَ آتانِي مِنْهُ رَحْمَةً على المفعول الثانى كما ترجح هناك تقديم المفعول الثانى على الجار و المجرور و كل جائز إلا أن كلامنا فى الترجيح فى الموضعين و فى هذا القدر كفاية.

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۲۸.

(۵) سورة: هود، الآية: ۲۷.

(۲) سورة: هود، الآية: ۶۳.

(۶) سورة: هود، الآية: ۶۲.

(۳) سورة: هود، الآية: ۲۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۵۹

الآية الثالثة منها

قوله تعالى فى قصة هود عليه السّلام و ذكر قومه: وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ «۱» و قال فى قصة موسى عليه السّلام فى هذه السورة و إرساله إلى فرعون و ملئه: وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ «۲».

للسائل أن يسأل: عن حذف «الدنيا» من الآية الثانية و إثباتها فى الأولى و هل كان يجوز فى الاختيار عكس ذلك؟

الجواب: أن الأولى أتى فيها بالموصوف و الصفة جميعا و هو الأصل الأول، ثم الاكتفاء بالصفة عن الموصوف بعده لقيام الدلالة على الموصوف، فيجوز لذلك حذفه و إقامة الصفة مقامه، و لما جاءت الآيتان فى سورة واحدة وفيت الأولى ما هو أولى بها من الإجراء على الأصل و الإتيان بالموصوف و الوصف فقال تعالى فى هذه «الدنيا» و اكتفى فى الثانية لما قامت الدلالة على الموصوف بالصفة وحدها فقال: وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً.

الآية الرابعة من سورة هود

قوله تعالى فى قصة صالح عليه السّلام: قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَ إِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ «۳» و قال فى سورة إبراهيم «۴» عليه السّلام: وَ قالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ.

للسائل أن يسأل فيقول: لم قال فى الأولى: وَ إِنَّنا لَفِي شَكٍّ على الأصل مِمَّا تَدْعُونا بنون واحدة، و قال فى الثانية: وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ على التخفيف فحذف إحدى النونات و هى المتوسطة، ثم جاء بعده تَدْعُونَنا بنونين؟

الجواب أن يقال: أما «تدعونا» فى الأولى «و تدعوننا» فى الثانية فلا يصح مكانهما

(۱) سورة: هود، الآية: ۶۰.

(۳) سورة: هود، الآية: ۶۲.

(۲) سورة: هود، الآية: ۹۹.

(۴) الآية: ۹.

غيرهما، فلا يجوز فى الأولى إلا نون واحدة و لا يجوز فى الثانية إلا نونان اثنتان؛ لأن الأولى خطاب لصالح عليه السّلام و النون مع الألف ضمير المتكلم، و تدعو فعل واحد لا نون فيه، و ليس كذلك «تدعوننا» فى الثانية؛ لأنه خطاب للرسل و هم جماعة، و لا يقال لهم فى حال الجمع إلا «تدعوننا» عند الرفع و لا تسقط النون إلا لناصب أو جازم نحو: لن تدعونا أو لم تدعونا، فأما إذا وقعت خطاب الجماعة لم تكن إلا «تدعوننا» و هذا من مبادئ هذا العلم و أما «إننا» فى الأولى «و إنا» فى الثانية مع جواز اللفظتين فى كل مكان فلأن الضمير الذى دخلت عليه «إن» فى هذا المكان هو على لفظ ضمير المنصوب المتصل بالفعل فى قوله: أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ و ضمير المنصوب إذا اتصل بالفعل لم يغير له آخره كما يغير إذا اتصل به ضمير المرفوع نحو: ضربنا تسكن الباء لاتصال ضمير الفاعلين بها و لا تسكنها لاتصال ضمير المفعولين بها إذا قلت: ضربنا، فلما أشبه المنصوب بأن المنصوب فى ضربنا و لم ينازعه شبه الفاعل سلم لفظ «إن» عند اتصالها به و لم يلحقه حذف، و لما كانت «إنا» فى سورة إبراهيم- و إن كانت منصوبة- مشبهة للفظ الفاعل إذا قلت: ضربنا بكونها على لفظها و بوقوعها موقع المرفوع المبتدأ و بأن هذا اللفظ المتقدم عليها فى الآية التى قبلها هو ضمير المرفوع خلاف ما تقدم الآية فى سورة هود و هو قوله: كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ و قبل ذلك ضمير مرفوع على غير هذا اللفظ للذين لهم هذا اللفظ و هو الواو فى قوله تعالى: فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ وَ قالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ «۱» ثم قوله تعالى: إِنَّا كَفَرْنا حذفت منه النون تشبيها للضمير بعدها بالضمير المرفوع بعد الفعل، فكما أن الفعل يلحقه حذف حركة عند اتصال هذا الضمير به و كان الضمير الذى يحذف من «أن» النون حذفت ليقتضى لفظها عند اتصاله بما هو كالضمير المرفوع لفظا و معنى و موقعا حملا على ما تقدم، كما يكون عليه إذا لم يواصله و جاءت «تدعوننا» على مقتضى الإعراب الواجب لها بنونين، فهذا فرق ما بين الموضعين.

الآية الخامسة من سورة هود

قوله تعالى فى قصة صالح عليه السّلام: وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ «۲» و قال فى هذه السورة فى قصة شعيب عليه السّلام:

(۱) سورة: إبراهيم، الآية: ۹.

(۲) سورة: هود، الآية: ۶۷.

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ «۱».

للسائل أن يسأل عن اختلاف الفعلين فى اتصال علامة التأنيث بأحدهما و سقوطها من الآخر مع أن الفاعل فى الموضعين شىء واحد و هو «الصيحة» مع أن الحاجز بين الفعل و الفاعل فى المكانين حاجز واحد و هو «الذين ظلموا».

الجواب أن يقال: إن مثل هذا إذا جاء فى كلام العرب سهل الكلام فيه؛ لأنه يقال: حمل على المعنى، و الصيحة بمعنى الصياح كما أن قول الشاعر:

يا أيها الراكب المزجى مطيته سائل بنى أسد ما هذه الصوت

حمل على المعنى، إذ الصوت بمعنى الصيحة، غير أن السؤال الذى بنيت عليه الآيات لازم، و هو أن يقال: فهل كان يجوز مكان «أخذت» «أخذ» فى القرآن؟ و هل لتخصيص قصة شعيب ب «أخذت» فائدة ليست لها فى قصة صالح عليه السّلام؟

الجواب عن هذا الموضع هو أن يقال: إن اللّه تعالى أخبر عن العذاب الذى أهلك به قوم شعيب عليه السّلام بثلاثة ألفاظ منها الرجفة فى سورة الأعراف «۲» فى قوله: وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا و ذكر ذلك قبله فى مكان آخر و منها الصيحة فى سورة هود «۳» فى قوله تعالى: وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ و منها الظلة فى سورة الشعراء «۴» فى قوله تعالى: فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ و فى التفسير أن هذه الثلاث جمعت لهم لإهلاكهم واحدة بعد أخرى؛ لأن الرجفة بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكن إلى البراح، فلما أصحروا نال منهم حر الشمس و ظهرت لهم ظلة تبادروا إليها، و هى سحابة سكنوا إلى روح تحت ظلها، فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاث أشياء مؤنثة الألفاظ فى العبارة عن العذاب الذى أهلكوا به غلب التأنيث فى هذا المكان على المكان الذى لم تتوال فيه هذه المؤنثات، فلذلك جاء فى قصة شعيب وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ.

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۹۴.

(۳) الآيتان: ۹۴ و ۹۵.

(۲) الآيات: ۹۰- ۹۲.

(۴) الآية: ۱۸۹.

الآية السادسة من سورة هود

قوله تعالى: أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ «۱».

للسائل أن يسأل عن صرف ثمود فى قوله تعالى: أَلا إِنَّ ثَمُودَ و منعه الصرف بعد قوله تعالى: أَلا بُعْداً لِثَمُودَ و هل كان يجوز أن يمنع الصرف اللفظ الأول و يصرف اللفظ الثانى؟

الجواب أن يقال: الأول بالصرف أولى و الثانى الامتناع منه أحق؛ لأنه فى الأول ينحى به نحو الأب و الأقربين من أولاده إذ كان أولهم فى الكفر، و إذا قصد هذا القصد انصرف الاسم، و فى الثانى قصد ذكر الإهلاك و كان للقبيلة بأسرها لما أصرت عليه من كفرها فنحى نحو القبيلة منع الصرف للتعريف و التأنيث الحاصلين فيما خرج عن أخف الأصول، أ لا ترى إلى قوله تعالى: أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ «۲» فالكفر من أولهم و الإهلاك قصد به ذكر كلهم فكان معنى القبيلة به أولى و باللّه تعالى التوفيق.

الآية السابعة منها

قوله تعالى: قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ «۳» و قال فى سورة الحجر «۴»: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ.

للسائل أن يسأل عن شيئين فى هذا المكان .. أحدهما: أن يقول أنه استثنى فى سورة هود من قوله تعالى: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ قوله تعالى: إِلَّا امْرَأَتَكَ و لم يستثن ذلك فى سورة الحجر .. و الثانى قوله تعالى فى سورة الحجر: وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ و تركه فى سورة هود.

الجواب عن المسألة الأولى: أن الاستثناء فى سورة الحجر أغنى عنه قوله تعالى فيما حكى عن الرسل: إِنَّا أَرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ

---

(۱) الآية: ۶۸.

(۳) سورة: هود، الآية: ۸۱.

(۲) سورة: هود، الآية: ۹۵.

(۴) الآية: ۶۵.

إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ «۱» فهذا الاستثناء الذى لم يقع مثله فى سورة هود أغنى عن الاستثناء من قوله: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ.

و الجواب عن المسألة الثانية أن يقال: إنه لما اقتص فى هذه السورة بعض ما اقتص فى الأخرى فذكر أن الرسل قالوا له: إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ و المعنى:

لن يصلوا إليك و إلى المؤمنين من أهلك قيد ذلك من قوله: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ بأن أمروه بإخراج أهله من بين أظهرهم ليلا من غير أن يعرج أحد منهم على شىء خلفه يعوقه عن المضى إلى حيث ما أمر به، و لما قال فى سورة الحجر: إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ إخبارا عن الرسل أنهم خاطبوا إبراهيم عليه السّلام به، ثم أخبر عن مخاطبتهم لوطا فى هذه السورة بما يضاهى قولهم لإبراهيم عليه السّلام أردفوا قولهم له فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بقولهم: وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ؛ لأنه إذا ساقهم و كان من ورائهم كان تحقيقا لخبرهم أنهم منجوهم أجمعين فزيد وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ لتجاوب مخاطبتهم لإبراهيم عليه السّلام بسببه.

الآية الثامنة من سورة هود

حكم هذه الآية أن يكون ذكرها فى سورة الأعراف ثم لما تأخرت وجب أن تذكر فى سورة العنكبوت، إلا أنا رأيناها تتعلق بهذه السورة فذكرناها فيها و هى قوله تعالى:

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ «۲» و كذلك قال تعالى فى سورة الأعراف «۳»: وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ و مثله فى سورة العنكبوت «۴» يخالفه بزيادة الفاء و هى قوله: وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ففى كل القرآن وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ و فى سورة العنكبوت خصوصا فَقالَ.

للسائل أن يسأل: عن اختصاص هذا المكان بالفاء و خلو المكانين قبله منها.

الجواب أن يقال: إن مفتتح قصص الأنبياء عليهم السّلام فى سورة الأعراف قوله:

---

(۱) سورة: الحجر، الآيات: ۵۸- ۶۰.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۸۵.

(۲) سورة: هود، الآية: ۸۴.

(۴) سورة: العنكبوت، الآية: ۳۶.

لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ «۱» و بعده: وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً «۲» و بعده: وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً «۳» و بعده: وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ

شُعَيْباً و كذلك فى سورة هود على هذا النسق إلا ـ أن قصة نوح مفتتحة بالواو: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ «۴» و هى فى سورة الأعراف بلا واو، و قد ذكرنا السبب فى ذلك، فلما تساوت هذه المعطوفات مع المعطوف عليها الأول فكان الفعل المضمر للمعطوف مثل المظهر أولا فى التعلق بالمرسل و المرسل إليهم كعاد المرسل إليهم هود، و كثمود المرسل إليهم صالح، و كمدين المرسل إليهم شعيب عليه السّلام، جرى الجميع مجرى واحدا فكان التقدير: و لقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، و أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا، و أرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا، و لم يعترض بين القصص ما أضمر فيه خلاف ما أظهر قبل و هو: لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ و كان الأمر فى ذلك فى سورة العنكبوت مخالفا له بعض المخالفة؛ لأنه افتتحت القصة بقوله:

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً «۵»، و جاءت بعدها قصة إبراهيم و لوط عليهم السّلام فلم يجريا على الفعل الأول فى التعلق بالمرسل و المرسل إليهم كما كان ذلك فى قصة هود و صالح عليهما السّلام فى السورتين بل جاء بعد قوله: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ قوله: وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ «۶» و قوله:

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ «۷»، و لم يكن المعطوف على قصة نوح عليه السّلام فى هذه السورة مثل المعطوف عليها فيما تقدم من سورة الأعراف و هود، و لم يتعد الفعل المضمر تعدى الفعل المظهر، و كان جائزا أن يكون المعنى: و اذكر إبراهيم إذ قال لقومه، و اذكر: لوطا إذ قال لقومه، ثم جاءت قصة شعيب فأجريت مجرى القصة الأولى التى هى قصة نوح عليه السّلام فى تعدى الفعل فيها إلى المرسل و إلى المرسل إليهم، و قد تخلل ذلك ما ليس مثله من الأفعال المضمرة، فجاء وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فأقيمت فيها دلالة على أن هذه القصة مجراة مجرى القصة البعيدة عنها دون القريبة منها، و كانت الأولى يتساوى عطفها على ما قرب منها و بعد عنها لاستواء الفعل المظهر و المضمر، فكانت تلك الدلالة التى تدل على أنها مردودة على القصة الأولى أن تتلقى بما تلقيت به تلك من الفاء مع صحة المعنى، فلما كان وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ «۵» قبل:

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۵۹.

(۵) سورة: العنكبوت، الآية: ۱۴.

(۲) سورة: الأعراف، الآية: ۶۵.

(۶) سورة: العنكبوت، الآية: ۱۶.

(۳) سورة: الأعراف، الآية: ۷۳.

(۷) سورة: الأعراف، الآية: ۸۰.

(۴) سورة: هود، الآية: ۲۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۶۵

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ «۱» تعلق ما بعدها بها بالفاء كما كانت الفاء فى قوله فَلَبِثَ فِيهِمْ لما ذكرناه.

الآية التاسعة منها

قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ «۲» و قال فى سورة حم المؤمن «۳»: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ و قال فى سورة الزخرف «۴»: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ.

للسائل أن يسأل: فيقول: «السلطان المبين» من آيات اللّه فلم جاء فى الآيتين المتقدمتين مع ذكر الآيات ذكر السلطان المبين و لم يجىء

فى الآية الأخيرة إلا الآيات وحدها؟.

الجواب أن يقال: الآيات: الإمارات التى يكتفى بها فى صدق الرسول عليه السّلام و يقوم الحجة على من يبعث إليهم، و السلطان المبين: هى الحجج القاهرة التى تقهر القوم كأنواع العذاب التى أنزلت على قوم موسى عليه السّلام و كانت عند قوله فلما كان القصد فى الآيتين المتقدمتين ذكر جملة أمرهم إلى منتهى حالهم من هلاك الأبد، انطوت تلك الجملة على جميع ما احتج به عليهم إلى أن زال التكليف عنهم و أخبر عن مستقرهم من العقاب الدائم عليهم، أ لا ترى الكلام فى الآية الأولى فى سورة هود ينساق إلى قوله: وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ «۵» و كذلك فى الآية الثانية ينساق الكلام فيها إلى قوله: وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ «۶» فذكر فى الآيتين جميع ما احتج به عليهم من الآيات التى سخروا بها عند رؤيتها و الآيات التى فزعوا إلى مسألته عند مشاهدتها فى كشفها لقوله: وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ «۷» و أما الآية الثالثة التى اقتصر فيها على ذكر «آياتنا» دون «سلطان مبين» و هى التى فى سورة الزخرف: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها «۸»

---

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۳۶.

(۵) سورة: هود، الآيتان: ۹۷، ۹۸.

(۲) سورة: هود، الآية: ۹۶.

(۶) سورة: غافر، الآيتان: ۴۵، ۴۶.

(۳) الآيتان: ۲۳، ۲۴.

(۷) سورة: الأعراف، الآية: ۱۳۴.

(۴) الآية: ۴۶.

(۸) سورة: الزخرف، الآيتان: ۴۶، ۴۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۶۶

عذاب الأخرى بل كان بعده: وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ «۱» فاقتص ما عوملوا به حالا بعد حال إلى أن هلكوا فى الدنيا حيث قال: فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلًا لِلْآخِرِينَ «۲» ... فإن قال فقد قال تعالى: ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ «۳». و لم يذكر فى هذه القصة أحوالهم المنتهية بهم إلى عقاب الأبد. قلت أولا: ليست الآية على سنن الآى التى ذكرنا مما افتتح بقوله: ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ فإنها مثل الآيتين المتقدمتين فى تضمنها ذكر الجملة من ابتداء أحوالهم إلى ما كان من هلاكهم لقوله: فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ «۴» و المهلكون فى الحقيقة هم المعاقبون بالنار و الخلود فيها- نعوذ باللّه منها- فقد صار كل ما ذكر فيه مع «آياتنا و سلطان مبين» هو ما اشتمل على جملة ما عوملوا به إلى أن استقر مقرهم من عذاب اللّه الدائم عليهم، و حقيقة السلطان من السليط: و هو الزيت الذى يضىء به السراج و السلطان الحجة؛ لأنها تضىء فتبين الحق من الباطل، و السلطان الذى يملك الناس ضياء يدفع ظلام الظلمة عنهم إذ كانوا لو لا هو لصاروا من التغاور و التناهب فى ظلام يتزايد و لا يتناقص، كأنه ضياء يجلو ظلام الدنيا، و الآيات التى جاءت بعد التوراة و العصى و اليد جاءت و قد أنارت و أوضحت عندهم الحق حتى سألوا أن يمهلوا ليؤمنوا إذ كشف عنهم ما أظلهم و إن عادوا بعد كشفه جللهم.

الآية العاشرة من سورة هود

قوله عز و جلّ: وَ ما کانَ رَبُّکَ لِیُهْلِکَ الْقُری بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ «۵» و قال فی سورة القصص «۶»: وَ ما کانَ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُری حَتَّی یَبْعَثَ فِی أُمِّها رَسُولًا یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ ما کُنَّا مُهْلِکِی الْقُری إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ.

للسائل أن یسأل عن الفرق بین وَ ما کانَ رَبُّکَ لِیُهْلِکَ الْقُری و بین قوله:

وَ ما کُنَّا مُهْلِکِی الْقُری و کیف اختصت الآیة فی سورة هود بلفظ الفعل فی خبر کان و الأخریان بالاسم و هو «مهلک»؟

---

(۱) سورة: الزخرف، الآیة: ۴۸.

(۴) سورة: المؤمنون، الآیة: ۴۸.

(۲) سورة: الزخرف، الآیتان: ۵۵، ۵۶.

(۵) سورة: هود، الآیة: ۱۱۷.

(۳) سورة: المؤمنون، الآیتان: ۴۵، ۴۶.

(۶) الآیة: ۵۹.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۶۷

الجواب عن ذلک أن یقال: إن هذه اللام تسمی لام الجحود و لا تخلو منه و هی تخالف لام کی بأشیاء منها: أن لام کی یصح إظهار «أن» بعدها إذا قلت: جئت لتکرمنی، و هذه لا یصح فیها ذلک، لا تقول: ما کنت لأن أفعل، و منها «أن» المصدر الواقع موقعه أن مع الفعل یصح اللفظ به فتقول: جئت للإکرام، و لا یصح: ما کنت للإکرام، و منها أن اللام یصح حذفها و الإتیان بأن مکانها، فتقول: جئت أن تکرمنی و لا یجوز ذلک فی لام الجحود، و السبب فی ذلک أن لام کی تدخل علی ما هو عذر فی إنشاء الفعل، و یصح أن یقصد به الماضی فحسب، فتقول: جئتک أمس لتکرمنی فلم تفعل، فهذا و إن کان لفظه لفظ المستقبل، فإنه بمقارنة کان صار بمعنی الماضی کما تقول: کان زید یرکب علی حکایة الحال التی یستأنف فیها الرکوب، و یقول القائل: جئتک الیوم لتکرمنی غدا، فمتی علق بزمان لم یصح فیه الزمان الآخر، و کذلک إن کان زید فاعلا یصلح للماضی و الحال، و علی معنی أنه کان علی أن یفعل فی أقرب الأوقات التی یستقبلها و لیس کذلک معنی «ما کنت لأفعل»؛ لأنه مبالغة فی نفی هذا الفعل فی الأزمنة کلها، و المعنی: کون هذا الفعل مناف لکونی، فإذا جعل السبب فی نفی هذا الحدث کون المحدث و المحدث کونه فیما مضی کونه فیما یستقبل، و فیما هو للحال، فالمعنی لم یکن فیما مضی یقع منی هذا الفعل، و لا یقع فیما یستقبل، و لا فی الحال لسبب ینافی وجوده، و هو کون الفاعل، و لذلک لا یصح من الأفعال فی هذا المکان غیر ما یتصرف لفظه من کان، و إذا کان کذلک، و کان هذا نهایة فیما یخاطب به العرب فی نفی الفعل، و امتناع وقوعه خصه اللّه تعالی بالمکان الذی لا یقع منه ذلک أبدا و لم یقع منه قط، و هو أنه لم یکن فیما مضی یهلک القری ظالما لها مع صلاح أهلها، و لا یفعله و لا یلیق بعدله، و هو یتنزه عنه تعالی اللّه عن ذلک. و أما قوله: وَ ما کانَ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُری حَتَّی یَبْعَثَ فِی أُمِّها رَسُولًا یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ ما کُنَّا مُهْلِکِی الْقُری إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ «۱» فإنه لم یکن فیها صریح ظلم ینسب إلیه، و لم یکن ملفوظا به فیؤتی باللفظ الأبلغ فی نفیه کما کان فی قوله: وَ ما کانَ رَبُّکَ لِیُهْلِکَ الْقُری بِظُلْمٍ «۲» .. فإن قال: فلم ادعیت أن هذا أبلغ فی الانتفاء من الظلم. قلت: أول ما یستدل به أن من عرف کلام العرب یعقل من قول القائل: ما کنت لأظلمک و ما کنت لأشتمک و ما کنت لأوذیک ما لا یعقله من قوله:

ما کنت ظالما لک، و ما کنت شاتما لک، و ما کنت مؤذیا لک؛ لأن ذلک نفی الظلم و الشتم فی وقت دون وقت، و إذا قال: ما کنت لأشتمک، فکأنه قال: ما کنت بضام

---

(۱) سورة: القصص، الآية: ۵۹.

(۲) سورة: هود، الآية: ۱۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۶۸

كونى شتيمة لك. فيجعل كونه منافيا لشتمه ... فإن قال: فلم ذا؟ ألزم لفظة الاستقبال و النصب .. قلت: لأن التقدير: ما كنت فى شىء من الأوقات بمستقبل شتمك، و ما كان كونى بضام شتمك، و هذا مستمر أبدا بينى و بينك، فكما لم أشتمك لكونى كذلك لا أشتمك لكونى .. فإن قال: فلأى معنى لم يجز إظهار «إن» كما جاز فى لام كى. قلت:

لأنها لو ظهرت لوجب أن يصح الاسم مكانها، فلما ألزمت لفظة كنت و أكون وجب أن يكون النفى الداخل عليها خبرا أن كونى ينافى أن أفعل كذا و إنى كما لم أحصل فى حال وجودى على استئناف شتمك، كذلك لا أحصل على هذه الصفة و هى الشروع فى شتمك إذ كان وجودى هو الذى ينافيه وجب أن يحفظ لفظ المستقبل المنصوب، فلم يكن بد من إضمار «أن» .. فإن قال: فهلا جوزت حذف اللام كما كان ذلك فى لام كى .. قلت:

لأن اللام شأنها يسد عن الفعل المنصوب طرق العوامل، فكأنها أقيمت مقام «أن»؛ لأن اللام لا تدخل إلا على الاسم فى المعنى و هذا موضع خبر كان فحفظ لفظ الفعل لما ذكرنا و ألزم الحذف المختص بالاسم ليدل به على أن الموضع موضع الاسم فافهمه .. فإن قال: فهذا الفعل الذى حفظت له لفظ الاستقبال و النصب كيف جاز أن يراد به الأزمنة كلها و هو مختص بزمان واحد؟. قلت: هذا اللفظ يصحب «كان» فى الحال، و فى الاستقبال تقول: قصدت فلانا فكان يصلى تريد به الحال، و تقول: قصدته فكان قد ركب تريد به المستقبل، و لو قلت: فكان ركب لم يحسن حسنه مع «قد» التى تقرب من معنى المستقبل، وعى هذا حمل قوله تعالى: أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ «۱» فى بعض الأقاويل فكان ذلك عائدا إلى لفظ الاستقبال و ما يجوز لقربه منه فى المعنى، فلذلك صلح النفى فى الأول و استمراره فى المستقبل.

الآية الحادية عشرة من سورة هود

قد تأخرت عن مكانها من السورة؛ لأنها سئل عنها بعد ما أملينا ما تقدم منها فذكرناها فى آخرها، لئلا تغير تراجم السائل و ترتيب الآى فيها، فإن قال قائل فى قوله تعالى فى سورة هود «۲»: وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً و فى آخر السورة فى قصّة شعيب:

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً «۳» فعطف «لمّا» على ما قبلها بالواو، و قال فى قصتى صالح و لوط: فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً «۴» و قال:

---

(۱) سورة: النساء، الآية: ۹۰.

(۳) سورة: هود، الآية: ۹۴.

(۲) الآية: ۵۸.

(۴) سورة: هود، الآية: ۶۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۶۹

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها «۱» فعطف «لما» بالفاء دون الواو، و ما الفرق الذى أوجب اختلاف حرفى العطف فى المواضع الأربعة من هذه السورة.

الجواب أن يقال: إن هذا الحرف فى قصة هود بعد خروج من خبر عنه حكاية لقوله إلى ما هو إخبار من اللّه عما كان من فعله، أ لا تراه قال تعالى: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ «۲» إلى قوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً «۳» أن يهلككم و يقيم غيركم مقامكم فينزل بكم أكبر الضرر، و لا تضرونه شيئا بعبادتكم غيره، ثم قال: وَ

لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ «۴» فلم يتقدم تخويف يقرب ما أوعدوا به ليدل على اتصال الثانى بالأول، و اقتضاء العطف بالفاء، فكان الموضع موضع الواو؛ لأن المراد الجمع بين الخبرين من دون ذكر ما يقلل الزمان بين الفعلين، و كذلك قصة شعيب لم يدل فيها على أنهم أوعدوا بعذاب قد أظلهم و قرب منهم، و إنما أخبر عز و جلّ عن شعيب عليه السّلام أنه قال لهم: اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ «۵» فلم يتوعدهم بالاقتراب بل دعاهم إلى الارتقاب فالتخويف قارنه التسويف لقوله تعالى: سَوْفَ تَعْلَمُونَ فكان الموضع موضع الواو لخروج ما قبله عما يقتضى اتصال الثانى به، و ليس كذلك الموضعان اللذان نسقا على الأول بالفاء و هما قوله تعالى فى قصة صالح: فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً «۶» و قوله فى قصة لوط: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها «۷» فكان ذلك بعقبه غير متراخ عنه فاقتضى الفاء التى تدل على التعقب، و اتصال ما بعدها بما قبلها من غير مهلة بينهما، و كذلك جاء فى سورة العنكبوت فى قصة لوط فى موضعين بالواو، و هما على هذه السبيل، فالأول قوله بعد قصة لوط و قوله لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ «۸» إلى قوله:

---

(۱) سورة: هود، الآية: ۸۲.

(۵) سورة: هود، الآية: ۹۳.

(۲) سورة: هود، الآية: ۵۴.

(۶) سورة: هود، الآيتان: ۶۵، ۶۶.

(۳) سورة: هود، الآية: ۵۷.

(۷) سورة: هود، الآيتان: ۸۱، ۸۲.

(۴) سورة: هود، الآية: ۵۸.

(۸) سورة: العنكبوت، الآية: ۲۸.

رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ «۱» فاستنصر اللّه عليهم، و لم يتوعدهم بقرب عذاب منهم، و جاء بعده، وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى «۲»، فخرج عما كان بين لوط و بين قومه إلى قصة هى بين إبراهيم و الملائكة صلوات اللّه عليهم لما أتوه بالبشرى، و بإهلاك من فى قرية لوط، فنزل لوط فيما كان من محاورتهم لإبراهيم منزلة الغائب عنهم، و كان الموضع موضع الواو لاختلاف القصتين، و خلو الأولى عما يقتضى قرب ما بين الحالين، و كذلك قوله بعده: وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً «۳» خبر عن مجىء رسل اللّه عز و جلّ من الملائكة إلى لوط و ارتياعه لهم، و فزعه لمجيئهم، و كان مجيئهم إلى إبراهيم عليه السّلام مجىء المبشرين لما قالوا: سَلاماً قالَ سَلامٌ «۴» فعطفت هذه القصة على الأولى بالواو لاختلاف مورديهما، و أنه لم يكن فى الأولى منهما ما يقتضى التصاق الثانية بها، فتعطف بالفاء عليها.

انقضت سورة هود عن إحدى عشرة آية، و اثنتى عشرة مسألة، فكملت مائة و إحدى و خمسين مسألة و اللّه ولى التوفيق.

---

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۳۰.

(۳) سورة: العنكبوت، الآية: ۳۳.

(۲) سورة: العنكبوت، الآية: ۳۱.

(۴) سورة: الذاريات، الآية: ۲۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷۱

۱۲- سورة يوسف عليه السّلام

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ «۱» و قال فى سورة القصص «۲» فى ذكر موسى عليه السّلام: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً.

للسائل أن يسأل عن الفائدة فى تخصيص موسى بذكر بلوغ الأشد و الاستواء، و إخلاء يوسف من ذلك، و هل كان يصلح أحدهما مكان الآخر أم قصد الحكمة يمنع منه؟.

الجواب: أن يقال إن بلوغ الأشد مختلف فيه قيل: هو أن يبلغ ثلاثا و ثلاثين سنة و قيل: خمسا و عشرين سنة و قيل: من عشرين سنة و إحدى و عشرين؛ لأنه يقال: إن الصبى يثغر لسبع سنين و يبلغ لسبع بعدها، و يتناهى طوله لسبع بعدها، و حجة من قال ذلك أنه قال: آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ «۳» فإيتاء الحكم و العلم مجازاة على إحسان كان منه، و ذلك بعد البلوغ، و قيل: إن بلوغ الأشد هو أن يحتلم، و الأشد جمع شد و هو قوى من العقل يحتمل التكليف، و يجوز أن يكون البلوغ سمى الأشد؛ لأن الغلام إذا بلغ شدت أعماله، و كتبت حسناته و سيئاته بعد أن كانت محلولة عنه غير مشدودة عليه، و قد يأتى قبل البلوغ بحسنات يجازيه اللّه عليها و قيل فى قوله: بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى «۴» أى: أدرك و استوت لحيته، و قيل الاستواء: أن يبلغ أربعين سنة، و هو معنى بيّن فى الآية الأخرى حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً «۵» و الذى يفرق بين

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۲۲.

(۴) سورة: القصص، الآية: ۱۴.

(۲) الآية: ۱۴.

(۵) سورة: الأحقاف، الآية: ۱۵.

(۳) سورة: القصص، الآية: ۱۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷۲

المكانين، حتى لم ينتظر بيوسف عليه السّلام الاستواء بعد بلوغ الأشد هو أن يوسف عليه السّلام أخبر اللّه تعالى عنه أنه أوحى إليه لما طرحه إخوته فى الجب حيث قال: وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ «۱» و أراه عز ذكره الرؤيا التى قصها على أبيه، و موسى عليه السّلام لم يفعل به شىء من ذلك إلى أن بلغ الأشد و استوى؛ لأنه لم يعلم ما أريد به إلا بعد أن استأجره شعيب عليه السّلام، و مضت سنون إجارته و سار بأهله، فهناك أتاه ما أتاه من كرامة اللّه تعالى، و قيل: إنه بعد الأربعين فلم ينتظر بيوسف فى إيتاء الحكم و العلم و التشريف بالوحى ما انتظر به فى موسى، و الحكم هو الفصل بين المتحاكمين المبنى على العلم؛ لأنه يكون بحسب ما يدعو إليه، و قيل معنى استوى: كمل جسده و تمّ طوله و عرضه، و خرج عن جملة الأحداث.

الآية الثانية من سورة يوسف

قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى «۲» و قال فى سورة النحل «۳»: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا

نُوحِی إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ و قال تعالى فى سورة الأنبياء «۴»: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِی إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ ما كانُوا خالِدِينَ.

للسائل أن يسأل فيقول: هل بين قوله: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ و قوله: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ فرق و لأى معنى خص موضع بحذف من، و موضع بإثباتها.

الجواب: أن يقال إن «من» لابتداء الغاية، «و قبلك» اسم للزمان الذى تقدم زمانك، فإذا قال: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فكأنه قال: وَ ما أَرْسَلْنا من ابتداء الزمان الذى تقدم زمانك فيخص الزمان الذى يقع عليه قبل تحديه، و يستوعب بذكر طرفيه ابتدائه و انتهائه، و إذا قال: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ فمعناه: ما فعلنا فى الزمان الذى تقدم زمانك فهو فى الاستيعاب كالأول، إلا أن الأول أوكد للحصر بين الحدين، و ضبطه بذكر الطرفين و الزمان المتقدم قد يقع على بعض ما تقدم فيستعمل فيه اتساعا، فأكثر ما فى

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۱۵.

(۳) الآية: ۴۳.

(۲) سورة: يوسف، الآية: ۱۰۹.

(۴) الآيتان: ۷ و ۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷۳

القرآن: «و ما أرسلنا من قبلك»، و لم يجىء بحذف «من» إلا فى موضعين أحدهما هذا و الآخر وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ «۱» فأما الأول فإنه حذفت منه «من» بناء على الآية المتقدمة و هى: ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ «۲» فلما كان الزمان الذى تقدمهم هو الزمان الذى تقدم النبى صلّى اللّه عليه و سلم المذكور فى قوله: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ و كانت قبل إذا عريت من «من» موضوعة للزمان المتقدم كله صار بناؤه على «قبل» مذكورا كالتوكيد الواقع بمن فى سائر المواضع فأما قوله: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فإنما لم يؤكد بمن؛ لأن المعتمد بالخبر إنما هو الحال التى للمرسلين، و هى أنهم يأكلون الطعام، و ليسوا من الملائكة الذين طلب الكفار أن يبعثوا إليهم، و أخبر اللّه تعالى به عنهم فى قوله: وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا «۳» .. فإن قال فقد جاء قوله: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ «۴» و القصد ذكر حال الرسول و النبى، و هو المعتمد بالخبر فأكد مع ذلك «قبلك» بمن .. قلت: القصد ب «من» فى هذا الموضع توكيد ذكر الرسول و ذكر حاله، أ لا تراه قال: مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ فجمعهما فى نفى ما نفى عنهما إلا ما أثبته لهما بعد قوله: إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فلما كان المكانان معتمدين بالخبر صح التوكيد، و كان المقصود.

الآية الثالثة من سورة يوسف

قوله عز و جلّ: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا «۵» و قال فى سورة الروم «۶»: أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ.

للسائل أن يسأل عما جاء من هذا فى القرآن بالفاء، و ما منه جاء بالواو و المعنى المقتضى لكل واحد من الحرفين.

الجواب: أن يقال: كل موضع تقدم قوله: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فإنه فى

---

(۱) سورة: الفرقان، الآية: ۲۰.

(۴) سورة: الحج، الآية: ۵۲.

(۲) سورة: الأنبياء، الآية: ۶.

(۵) سورة: يوسف، الآية: ۱۰۹.

(۳) سورة: الفرقان، الآية: ۲۱.

(۶) الآية: ۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷۴

موضع يقتضى الأول وقوع ما بعده بالفاء، و كل موضع تقدم أ وَ لَمْ يَسِيرُوا فإنه فى المواضع التى لا تقتضى الدعاء إلى السير و البعث على الاعتبار فيكون ذاك مؤديا إليه، و إنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، و إن كانت الثانية أجنبية من الأولى فقوله فى سورة يوسف: أ فَلَمْ يَسِيرُوا قبله وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى «۱» معناه: كان الرسل من القرى التى بعثوا إليها، فلما طغوا نزل بهم من العذاب ما بقى أثره فى ديارهم من الخسف و الانقلاب، فصار معنى قوله: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى أى: لم يكونوا إلا- رجالا- أرسلوا إليهم فخالفوهم، فاعتبروا أنتم بآثارهم و مشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، و كذلك قوله تعالى فى سورة الحج «۲»: أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها هو بعد قوله: فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَ هِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ «۳» فكأنه قال: إذا كان كذا فسيروا فى الأرض و اعتبروا فأما قوله فى الروم: أ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ فإنه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه، إذ لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها، بل الآية التى قبلها قوله: أ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ «۴» فكان الموضع موضع الواو، و هذا مع أنه معطوف على قوله: أ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا و هو بالواو فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو، و هو الواجب، و قوله فى سورة الملائكة «۵»:

أ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ لم يتقدمه ما يكون هذا كالجواب عنه، فلم يحسن إلا الواو، و لأن الآية التى قبله ليست فى وصف قوم عوقبوا على مخالفة نبيهم و بقيت آثار ما نزل بهم من العذاب فى منازلهم و ديارهم. و كذلك قوله فى سورة المؤمن «۶»: وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ أ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فالآيات التى تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضى أن يكون

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۱۰۹.

(۴) سورة: الروم، الآية: ۸.

(۲) الآية: ۴۶.

(۵) الآية: ۴۴.

(۳) سورة: الحج، الآية: ۴۵.

(۶) الآيتان: ۲۰- ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷۵

هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو، فأما الآية التى فى آخر هذه السورة و هى: أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ «۱» فإن ما قبلها يقتضى الفاء أ لا ترى قوله: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ «۲» فإنه فى وصف من بعث من الأنبياء و مجىء أمر اللّه فيمن خالفهم، و

كيف خسر مبطلهم .. فإن قال: فقوله فى سورة محمد «۳» صلّى اللّه عليه و سلم: أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكافِرِينَ أَمْثالُها لم يتقدمه ما يقتضى الفاء ...
قلت قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ «۴» معناه: أن أولياء اللّه منصورون، و أن الكفار مخذولون، فليعتبروا بمن تقدمهم فى الكفر ليعلموا أنهم صائرون إلى مثل حالهم.

الآية الرابعة من سورة يوسف

قوله تعالى: وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۵» و قال تعالى فى سورة الأعراف «۶»: وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ و كان حق هذه الآية أن تذكر هناك إلا أنا ذكرناها لما انتهينا إلى هذا المكان و قد تقدمت نظيرتها، و هى قوله: وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۷».
للسائل أن يسأل فى الآيتين عن موضعين أحدهما: قوله تعالى فى سورة الأعراف:
وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بوصف الدار: بالآخرة، و فى الآية التى فى سورة يوسف أضاف الدار إلى الآخرة. و الثانى قوله: لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ هناك و فى هذا المكان: خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ.
الجواب عن الأول أن قبله فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى «۸» فقوله: هذا الأدنى إنما يعنى: هذا المنزل الأدنى، و هو و الدار الدنيا بمعنى

---

(۱) سورة: غافر، الآية: ۸۲.
(۵) سورة: يوسف، الآية: ۱۰۹.
(۲) سورة: غافر، الآية: ۷۸.
(۶) الآية: ۱۶۹.
(۳) الآية: ۱۰.
(۷) سورة: الأنعام، الآية: ۳۲.
(۴) سورة: محمد، الآيات: ۷- ۹.
(۸) سورة: الأعراف، الآية: ۱۶۹.

واحد. فلما جعل الأدنى وصفا للمنزل ذكر الدار الآخرة بعده، فجعل الدار موصوفة و الآخرة صفة لها، و كل يؤدى معنى واحدا إلا أنه يختص ببعض اللفظ دون بعض لمشاكلة ما قبله و موافقته له. فأما قوله: وَ لَدارُ الْآخِرَةِ فى يوسف فإن قبله أ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً «۱» و الساعة هى الساعة الآخرة و هى:
القيامة، فلما ذكرت الدار أضيفت إليها، فكأنه قال: و لدار الساعة الآخرة خير، فتقدم كل آية ما كان المذكور بعده أليق به.
الجواب عن المسألة الثانية و هى قوله: لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ فى سورة الأعراف و قوله: لِلَّذِينَ اتَّقَوْا فى سورة يوسف: هو أن القوم دعوا إلى الاعتبار بأحوال الأمم الذين أهلكوا فى أزمنة أنبيائهم بالنظر إلى منازلهم و هى خاوية على عروشها، ليعلموا أن دار الآخرة خير لمن اتقى منهم، و قوله فى سورة الأعراف ترهيب لليهود الذين فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و ارتشائهم على كتمان أمر النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و ترغيب لهم فيما عند اللّه إذا صدقوا عما فى كتاب اللّه عز و جلّ، و الترغيب و الترهيب لا يتعلقان إلا بالآنف

المستقبل، فلذلک قال للذین یتقون: أَ فَلا تَعْقِلُونَ و فی هاتین الآیتین مسألة ثالثة و هی إدخال اللام علی «دار الآخرة» فی سورة یوسف، و إخلاؤها منها فی سورة الأعراف فی قوله: وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ.

الجواب عن ذلک أن قوله: وَ لَدارُ الْآخِرَةِ جاء بعد قوله: فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و معناه: فیعلموا کیف حال من قبلهم، و أن الدار الآخرة خیر لهم. فاللام هی التی تدخل علی المبتدأ فتعلق الفعل، و الفعل هو: فیعلموا لدار الآخرة خیر. کما تقول: علمت لزید أفضل من عمرو، و أما قوله: وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ فی سورة الأعراف، فلم یتقدمه ما یقتضی اللام بل قوله: أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ «۲» من غیر أن یتقدمه ما یجری مجری التوکید، و القسم الذی یتلقی باللام.

انقضت سورة یوسف علیه السّلام، عن أربع آیات و خمس مسائل.

---

(۱) سورة: یوسف، الآیة: ۱۰۷.

(۲) سورة: الأعراف، الآیة: ۱۶۹.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۷۷

۱۳- سورة الرعد

الآیة الأولی منها

قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً «۱» إلی قوله: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «۱» و قال بعده: وَ فِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ «۳» إلی قوله: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۳».

للسائل أن یسأل عن قوله: يَتَفَكَّرُونَ و قوله فی الآیة التی بعدها:

يَعْقِلُونَ هل کان یصح أحدهما مکان الآخر؟

الجواب: أن یقال: أن التفکر هو المؤدی إلی معرفة الشیء و العلم بالآیات التی تدل علی توحید اللّه تعالی، و هو قبل فإذا استعمل علی وجهه عقل ما جعلت هذه الأشیاء أمارة له و دلالة علیه، فبدأ فی الأول بما یحتاج إلیه أولا من التفکر و التدبر المفضیین بصاحبهما إلی إدراک المطلوب، و خص الآخر بما یستقر علیه آخر التفکر من إدراک سکون النفس إلی عرفان ما دلت الآیات علیه، فکان فی تقدیم ما قدم و تأخیر ما أخر إشارة إلیه.

---

(۱) سورة: الرعد، الآیة: ۳.

(۳) سورة: الرعد، الآیة: ۴.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۷۸

۱۴- سورة إبراهیم

الآیة الأولی منها

قوله تعالی: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ «۱» و قال فی سورة النمل «۲»: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها.

للسائل أن يسأل فيقول: قال فى هذه الآية الأولى: وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً و قال فى الثانية: وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فما الذى أوجب ذكر «لكم» فى الثانية، و لم يوجبها فى الأولى؟

الجواب: أن «لكم» فى آخر الآية الأولى مذكورة لأنه قال: فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فأغنى ذكرها هناك عن ذكرها أولا، و الآية الثانية لما لم يكن فى آخرها ذكر أنه فعل ذلك لهم ذكر فى أولها «لكم»؛ لأن بعدها فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ، و ليست «لكم» فى قوله: ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها يكفى من ذكرها فى أولها؛ لأنها فى معنى غير معنى: خلق لكم أصناف النعم.

---

(۱) سورة: إبراهيم، الآية: ۳۲.

(۲) الآية: ۶۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۷۹

۱۵- سورة الحجر

الآية الأولى منها

قوله تعالى: فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ «۱» و قال فى سورة ص «۲»: وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ.

للسائل أن يسأل فيقول: إذا كان المراد باللعنة و بلعنتى شيئا واحدا، فما بال اللفظين اختلفا، فجاء فى سورة الحجر بالألف و اللام، و فى سورة ص مضافا، و هل يصح فى الاختيار أحدهما مكان الآخر؟.

الجواب: أن يقال: إن القصة فى سورة الحجر ابتدئت فى المعتمد بالذكر، و هو خلق الإنسان و الجن باسم الجنس المعرف بالألف و اللام بقوله: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ «۳» ثم قال: ما لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ «۴»، و كان ما استحقه إبليس بترك السجود من الجزاء ما أطلق عليه اللفظ الذى ابتدئت بمثله القصة، و هو اسم الجنس المعرف بالألف باللام، و كان الأمر فى سورة ص بخلاف ذلك؛ لأن أول الآية: إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ «۵» فلم تفتتح الآية بذكر الصنفين من الجن و الإنس باللفظ المعرف بالألف و اللام كما كان فى سورة الحجر، و لما كان موضع ما لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ جاء بدله ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ، ثم قال: لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ فجعل بدل الساجدين «أن تسجد»، ثم قال: لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ فخصصه بالإضافة إليه دون واسطة يأمره بفعله،

---

(۱) سورة: الحجر، الآيتان: ۳۴، ۳۵.

(۴) سورة: الحجر، الآية: ۳۲.

(۲) الآية: ۷۸.

(۵) سورة: ص، الآيات: ۷۱- ۷۵.

(۳) سورة: الحجر، الآية: ۲۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۸۰

أجرى لفظ ما استحقه من العقاب، على لفظ الإضافة كما قال: بِيَدَيَّ فقال: وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي فكان الاختيار فى التوفقة بين الألفاظ الذى افتتحت بها الآية، و استمرت إلى آخرها هذا.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ «۱».

للسائل أن يسأل فيقول: لأى معنى جمع «الآيـة» فى القصـة التى وحـدها فيها بعـد فقال: لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ثم قال: لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ و هل كانت «الآيات» لو ذكرت فى الثانية «و الآية» لو ذكرت فى الأولى مما يكون فى اختيار الكلام؟

الجواب: أن يقـال ذلك فى قوله: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ إشارة إلى ما قص من حـديث لوط، و ضـيف إبراهيم، و تعرض قوم لوط لهم طمعـا فيهم، و ما كان من أمرهم آخرا من إهلاك الكفار، و قلب المدينـة على من فيها و إمطار الحجارة على من غاب عنها، و هذه أشـياء كثيرة فى كل واحد منها آية، و فى جميعها آيات لمن يتوسم أى: لمن يتدبر السـمة و هى: ما وسم اللّه تعالى به العاصين من عباده، ليستدلوا بها على حال من عند عن عبادته فتجنبها، و كان ذكر الآيات هاهنا أولى، و أشبه بالمعنى. و أما قوله:

وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ أى: تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار مقيمة للنظار، فكأنها بمرأى العيون لبقاء آثارها، و هذه واحدة من تلك الآيات، فلذلك جاء عقبها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ.

---

(۱) سورة: الحجر، الآيات: ۷۵- ۷۷.

۱۶- سورة النحل

الآية الأولى منها

قوله تعـالى: يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ «۱».

للسائل أن يسأل عن توحيد «الآية» أولا و آخرا و عن جمعها فى المتوسطة، و لم كان ذلك الاختيار و فى كل ذلك آيات كثيرة، و لم عبر عنها بآية واحدة لدلالتها بمجموعها على واحد؟

الجواب أن يقال: إنما وحد فى الأول؛ لأن جميع ما أخبر عنه أنه خلقه إنما هو فى جنس من صـنعه، و نوع من خلقه، و هو كل ما نجم من الأرض مما فيه قوت الخلق، و الذى ذكر فيه الآيات الليل و النهار و هو إظلام الجو لغروب الشـمس إلى طلوع الفجر، و بدو الضياء مقدمة طلوع الشمس إلى غروبها، و الشمس و القمر النيّران اللذان فى كل واحد منهما آيات كثيرة، ثم النجوم السيارة، و غيرها على ما جعـل اللّه تعـالى لكـل واحـد منهـا من مسير فى فلـك، ثم ما أجرى العادة به من إحـداث ريـح أو مطر عنـد انتهاء أحـدها إلى بعض المجـارى، فكـان ذكر الآيـات هنـا أولى، و ذكر الآيـة فى الأولى أحق؛ لأن الأولى فيما يطلع من الأرض بالماء، و كأنه جمع و جميعها شيء واحد و الثانية بخلافها، و لذلك اختلفا. و أما الثالثة: فهى وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ المعنى و اللّه أعلم: جميع جواهر الأرض كالذهب و الفضة و الحديد و غيرها من الفكر، و التنبيه على ما جعل فيها من المنافع للخلائق، و هى كلها كالشـىء الواحد فى أنها عروق جارية مختلفة فى

---

(۱) سورة: النحل، الآيات: ۱۱- ۱۳.

شيء واحد هو أمها، و هى الأرض، و لذلك قدم الإنعام بالزرع و الثمار لعلم الخاصة و العامة بما فيها من قرب النفع و امتساك الخلق، ثم عقب ذلك بما هو أصله من الهواء، و ماء السماء و الكواكب التى جعلها قواما لتربية ما به ثبات البرية، فلما صرف العقول إلى ما نصب من الأمارات فى أصناف ما بثه فى البر أتبعه بما سخر له من البحر.

مسألة ثانية فى هذه الآيات .. فإن قال قائل: فلم قال فى الأولى: إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ و قال فى الثانية: لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ و فى الثالثة: لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ.

الجواب: أن التفكر أعمال النظر لتطلب فائدة، و هذه المخلوقات التى تنجم من الأرض إذا فكر فيها علم أن معظمها ليس إلا للأكل، و إن الأكل به قوام ذى الروح، و إن المنعم عليه يحتاج أن يعرف المنعم به ليقصده بشكر إحسانه، فهذا موضع تفكر بعث الناس عليه ليفضى بهم إلى المطلوب منهم، و أما تعقيب ذكر الليل و النهار و ما سخر فى الهواء من الأنواء بقوله: لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ فلأن متدبر ذلك أعلى رتبة من متدبر ما تقدم إذ كانت المنافع المجعولة فيها أخفى و أغمض، فمن استدرك الآيات فيها استحق الوصف بما هو أعلى من رتبة المتفكر المتدبر؛ لأنه المنزلة الثانية التى تؤدى إليها الفكرة، و هو أن يعقل مطلوبه منها و يدرك فائدته منها .. و أما الآية الثالثة و هى: لَآیَةً لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ فلأنه لما نبه فى الأولين على إثبات الصانع نبه فى الثالثة على أنه لا شبه له مما صنع؛ لأن من رأى المخلوقات أصنافا مزدوجة مؤتلفة أو مختلفة نفى عنه صفاتها، و علم أن خالقها يخالفها، لا يشبهها و لا تشبهه، و قال فى سورة ق «۱»: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ وَ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ تَبْصِرَةً وَ ذِکْری لِکُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ أى: فعلنا ذلك لنبصركم و لنريكم آياتنا و لنذكركم بازدواجها مخالفة صانعها كما قال: وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ «۲» فيعلم بعد العلم بما تقدم أنه لا صاحبة له و لا ولد و لا شبه له فيما أنشأ و برأ إذا تذكر حاله فيما اتفق فيه و اختلف.

الآية الثانية من سورة النحل

قوله تعالى:

---

(۱) الآيتان: ۷- ۸.

(۲) سورة: الذاريات، الآية: ۴۹.

وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَی الْفُلْکَ مَواخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ «۱» و قال فى سورة الملائكة «۲»: وَ ما یَسْتَوِی الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ کُلٍّ تَأْکُلُونَ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْیَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَی الْفُلْکَ فِیهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ.

للسائل أن يسأل: فيقول: أية فائدة خصت فى الآية الأولى أن تقدم فيها:

مَواخِرَ على قوله: فِیهِ و أن تدخل فيه الواو على: وَ لِتَبْتَغُوا و أية فائدة خصت فى الآية الثانية من سورة الملائكة أن يقدم فيها قوله: فِیهِ على:

مَواخِرَ، و أن تحذف الواو من قوله: لِتَبْتَغُوا.

الجواب أن يقال: لما ذكر اللّه تعالى فى سورة النحل النعم التى سخر البحر من أجلها فقال: وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لكذا و كذا فعد جملا ثلاثا من نيل سمكه، و استخراج حليه و طلب فضله بركوبه. كان وجه الكلام: أن يعطف الثالثة على ما قبلها بالواو، و لأن نعمة التسخير نظمها مع ما تقدمها و المشتركات فى فعل حقها أن يعطف بعضها على بعض لتستوى فى تعلقها به، و اجتماعها فيه، فلما ذكر النعمتين فى قوله:

لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها احتاج ذكر النعمة الثالثة فى عطفها على ما تقدم إلى وصف ما عليه البحر مما وطأه اللّه منه ليتمكن منه من الثالثة، و هى ما يطلب من فضل اللّه تعالى بأنواع التجارات فى البحر، و نقل الأمتعة فيه من مصر إلى مصر إلى سائر ما علق به مصالح الخلق من الأودية المفترقة على وجه الأرض فقال:

وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ؛ لأن الابتغاء من فضل اللّه بتسهيل السير فيه و لا سبيل إليه إلا بالفلك و سيرها بشق الماء يمينا و شمالا لتجرى إلى الجهة المقصودة، و ليس قوله: وَ تَرَى الْفُلْكَ عطفا على «تستخرجون منه»؛ لأنه خطاب واحد و ما قبله و ما بعده خطاب جمع فهو مباين لهما فى ذلك و فى العامل و الإعراب، و لهذه اللفظة اختصاص إذا استعملت يقصد بها كون الشيء على تلك الصفة التى إذا استعمله طالب رآه عليها، و ليس الضمير لواحد مخصوص معين دون غيره لكنه كقوله: يا أيها الرجل و كلكم ذلك الرجل، و كما ترى العراقى أرق طبعا من الجبلى و ترى البصرى أفصح من الواسطى و كما قال الشاعر:

ترى الرجل النحيف فتزدريه و فى أثوابه أسد هصور

(۱) سورة: النحل، الآية: ۱۴.

(۲) الآية: ۱۲.

و على هذا الوجه قوله تعالى: تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ «۱» و كقوله: وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَ تَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ «۲» و قوله تعالى:

وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ «۳» و كقوله تعالى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا «۴» فى سورتى الزمر و الحديد و كقوله:

وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ «۵» و الدليل على ما ذكرنا من الآية أن قبل قوله: وَ تَرَى الْفُلْكَ فعل جماعة و هو: لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها و بعدها أيضا فعل جماعة و هو: وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ و المعنى فى كل ذلك: أنه على هذا الوصف فمن رآه رآه عليه، و إذا كان الأمر فى موقع هذه الجملة من الجملتين المتقدمة و المتأخرة على ما بينا صار ما بعدها محمولا على ما قبلها، فوجب عطف الثالثة عليه بالواو، و لأن حجزها لا يعتد به و لأن الفعل الذى هو:

سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ يقتضى إشراكه فيما دخل فيه ما قبله، و لأن مَواخِرَ قد فصل قوله: فِيهِ بينها و بين قوله: وَ لِتَبْتَغُوا فاجتماع هذه الأسباب أوجب اختيار الواو فى هذا المكان فى قوله: وَ لِتَبْتَغُوا و أما تقديم: مَواخِرَ فى هذا المكان على قوله: فِيهِ فلقوة حكم الفعل الذى اعتد اللّه بذكره على عباده فى هذه الآية؛ لأنها مصدرة بقوله: وَ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ و إذا قوى حكم الفعل فى مكان وجب أن يرتب ما يتعدى إليه على ما يقتضيه فى الأصل و هو أن يقدم فى الفعل المتعدى إلى مفعولين مفعوله الأول: الذى أصله أن يكون معرفة، ثم مفعوله الثانى: الذى أصله أن يكون نكرة، ثم الظرف الذى هو كالفضلة، فجاء على هذا الأصل. فأما تقديم فِيهِ فى الآية الأخرى على مَواخِرَ فلأن الفعل الذى قدم فيها و عطف هذا عليه بولغ فى تقديم الجار و المجرور فيه مبالغة لا مدى وراءها و لا زيادة عليها، أ لا تراهما قدما على الفعل نفسه و هو وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا فلما عرض قوله: وَ تَرَى الْفُلْكَ بعد فعل هذه صفته و قد حصل فيه مفعولان و جار و مجرور قوى تقديم الجار و المجرور فيه على أحد مفعوليه، ليعلم أنه من جملة كلام بنى الفعل فيه على تقديم الجار و المجرور عليه .. و أما حذف الواو من قوله: لِتَبْتَغُوا فلأنه لم تبن الآية على فعل يقتضى استيعاب ينسق به كما كان فى قوله: وَ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لكذا و كذا

(۱) سورة: الشورى، الآية: ۲۲.

(۴) سورة: الحدید، الآیة: ۲۰.

(۲) سورة: الشوری، الآیتان: ۴۴، ۴۵.

(۵) سورة: الزمر، الآیة: ۷۵.

(۳) سورة: الجاثیة، الآیة: ۲۸.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۸۵

و ذکر بعضه إثر بعض ثم صارت مَواخِرَ تلی قوله: لِتَبْتَغُوا و صح تعلق الکلام بمعنی المواخر؛ لأن معناها: التی تشق الماء و تسیر بأهلها، و اللّه سخرها علی هذه الصفة لتبتغوا من فضله فیما جعل الطریق إلیه من المنافع التی لا تنال إلا بها، و قد ذکرنا نبذا منها فلما اتصلت مَواخِرَ بقوله: لِتَبْتَغُوا و لم یحجز بینهما ظرف استغنی عن الواو لذلک، و لأنه لم یتقدم فعل بنیت علیه الآیة دال علی تعلقه بنعم یجب أن ینسق بعضها علی بعض، کما کان فی قوله: وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ إذ أول هذه الآیة: وَ ما یَسْتَوِی الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ فبان الفرق بین الموضعین فیما یختار له إثبات الواو و ترکها.

الآیة الثالثة منها

قوله تعالی: فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ «۱» و قال فی سورة الزمر «۲»: قِیلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ و قال فی سورة المؤمن «۳»: ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ.

للسائل أن یسأل: فیقول: ما بال الآیة فی سورة النحل خصت وحدها بدخول اللام علی قوله: لبئس فیها و إخلاء الآیتین من السورتین مما فیما قبلهما؟

الجواب أن یقال: إن الآیة من هذه السورة فی ذکر قوم قد ضلوا فی أنفسهم و أضلوا غیرهم، و هم الذین أخبر اللّه تعالی عن أتباعهم أنهم سألوهم عن القرآن فقالوا:

لیس من عند اللّه و إنما هو أساطیر الأولین، قال تبارک و تعالی: وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ ما ذا أَنْزَلَ رَبُّکُمْ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ لِیَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ کامِلَةً یَوْمَ الْقِیامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِینَ یُضِلُّونَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ «۴» و هؤلاء أکثر الناس آثاما و أشدهم عقابا و من هذه صفته اختیر عند تغلیظ العقاب له إلی المبالغة فی تأکید لفظه، فاختیرت اللام هنا لذلک؛ و لأن بعدها فی ذکر أهل الجنة قوله: وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَیْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِینَ «۵» فاللام فی «لنعم» بإزاء اللام فی «لبئس»، و لیس کذلک الآیتان فی سورة الزمر

---

(۱) سورة: النحل، الآیة: ۲۹.

(۴) سورة: النحل، الآیتان: ۲۴، ۲۵.

(۲) الآیة: ۷۲.

(۵) سورة: النحل، الآیة: ۳۰.

(۳) الآیة: ۷۶.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۱۸۶

و المؤمن؛ لأنهما فی ذکر جملة الکفار قال اللّه عز من قائل: وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلی جَهَنَّمَ زُمَراً «۱» و قال فی سورة المؤمن: الَّذِینَ کَذَّبُوا بِالْکِتابِ وَ بِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ إلی قوله: ادْخُلُوا «۲» فلما کان المذکورون فی سورة النحل فیمن لزمهم وزران عن ذنوبهم التی أتوها، و عن ذنوب غیرهم التی حملوا علیها، و لم یذکر من سواهم فی الآیتین الأخیرتین یحمل أثقالا مع أثقالهم حسن التوکید هناک فضل حسن، فلذلک خص باللام.

الآية الرابعة من سورة النحل

قوله تعالى: وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ «۳» و قال فى سورة الروم «۴»: وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ و قال قبلها فى سورة العنكبوت «۵»: فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.

للسائل أن يسأل: فيقول: ما بال الآية فى العنكبوت وحدها خصت بقوله:

وَ لِيَتَمَتَّعُوا و جاءت الآيتان الأخريان بلفظ الأمر على معنى التهديد، و هو: فَتَمَتَّعُوا؟

الجواب أن يقال: إن الآية الأولى افتتحت بخطاب الشاهد، فأجرى قوله:

فَتَمَتَّعُوا على هذا اللفظ، و الآية الأخيرة افتتحت بالإخبار عن الغائب، و هو: فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و مر سائر الأفعال فى هذه الآية على ذلك، و لم يكن لها نظيرة فى لفظها ترد إليها، فأجرى قوله: وَ لِيَتَمَتَّعُوا عليه، و الآية التى فى سورة الروم و إن افتتحت بلفظ الإخبار عن الغائب، فإن لها فى لفظها نظيرة ردت إليها، و صارت كالفرع عليها و هى قوله: وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ

---

(۱) سورة: الزمر، الآية: ۷۱.

(۴) الآيتان: ۳۳، ۳۴.

(۲) سورة: غافر، الآيات: ۷۰- ۷۶.

(۵) الآيتان: ۶۵، ۶۶.

(۳) سورة: النحل، الآيات: ۵۳- ۵۵.

سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ «۱» فهذه الآية مفتتحة بمثل ما افتتحت به تلك، إلا أن هذه الآية لواحد من الناس، و تلك للجمع فصارت كالفرع على الأولى، فكان حملها فى هذه اللفظة عليها أولى و السلام.

الآية الخامسة من سورة النحل

قوله تعالى: وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى «۲» و قال فى سورة الملائكة «۳»: وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى.

للسائل أن يسأل عن قوله فى الأولى: بِظُلْمِهِمْ و قوله: ما تَرَكَ عَلَيْها و عن قوله فى الثانية: بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها.

الجواب أن يقال: قد تقدم فى العشر التى تليها وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ الخبر عن الذين نهوا أن يتخذوا إلهين اثنين، و أن يشركوا الأصنام فى عبادته، و أن يجعلوا لها نصيبا من مالهم، و يدعوا الملائكة بنات ربهم، و أن يئدوا بناتهم خوف إملاقهم، و كل ذلك من أفعالهم ظلم منهم لأنفسهم مع ظلمهم لغيرهم، فقال تعالى: و لو يؤاخذهم اللّه بما ظلموا به غيرهم و أنفسهم و أجرى حكمه على معاجلة المذنبين بعقوباتهم، لأتى ذلك على نفس كل إنسان، إذ لا أحد يعد آباءه إلا و يجد فيهم من عصى ربه، فلو اخترم من عند خطيئته لا نقطع نسله و لا طريق إلى ولد لا يصح أصله، فذكر فى هذه الآية التابعة لما أخبر به عن الظالمين أنواع الظلم التى نسقها فى العشر التى تقدمها، ثم قال: ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ يريد على الأرض و ذلك من الإيجاز الذى يقوم مقام الإكثار و الإظهار، تقول

العرب: ما فوقها أصدق من فلان، و لا تحتها أكذب من فلان، يعنون: فوق الأرض و تحت السماء. و قوى إضمار هذا الاسم لشهرة الاستعمال فيه، و لأن المذكور مشاهد لكل متكلم يقدر على الإشارة إليه يجرى مجرى «أنا» «و أنت» فی صحة العلم به و الأمن من لبسه بغيره. فأما قوله فی السورة الأخرى وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا و المراد: ما كسبوا من الآثام، و إن كان «كسب» يستعمل فی الخير و الشر كقوله تعالى:

---

(۱) سورة: الزمر، الآية: ۸.

(۲) سورة: النحل، الآية: ۶۱.

(۳) الآية: ۴۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۸۸

لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ «۱» فلما حذر الإنسان بهذه اللفظة ما تجنيه يداه، و يكون هو المؤاخذ به دون من عداه، و جاء بعده ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها و المراد ظهر الأرض و لم يذكر الظهر فی الآية الأولى لتقدم الظاء فی المبتدأ بعد «لو»، و الظاء تعز فی كلام العرب، أ لا ترى أنها ليست لأمة من الأمم سوى العرب، فلما اختصت بلغتها و تجنبت إلا فيها استعملت فی الآية الأولى فی المبتدأ، و استعملت فی الآية الثانية فی جواب ما بعد لو لهذا، و لم تجیء فی هذه السورة إلا فی سبعة أحرف تكررت نحو:

الظلم و النظر و الظل و ظل وجهه و الظفر و العظيم و الوعظ، و أجريت مجرى ما استعمل من الحروف، فلم يجمع بينهما فی جملتين معقودتين عقد كلام واحد، و هما ما بعد «لو» و جوابها، و حسن التأليف و قصد الحروف مراعى فی الفصاحة لا يخفى على أهل البلاغة.

الآية السادسة منها

قوله تعالى: وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَ إِنَّ لَكُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِی مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِی مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِی سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «۲».

للسائل أن يسأل فی هذه الآی عن ثلاث مسائل:

إحداها: عن توحيد الآية فی جميعها و منها ما فيه آيات.

و الثانية: عن قوله: يَسْمَعُونَ فی الأولى و يَعْقِلُونَ فی الثانية و يَتَفَكَّرُونَ فی الثالثة.

و الثالثة: عن قوله: وَ إِنَّ لَكُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ و قال فی سورة المؤمنين «۳»: وَ إِنَّ لَكُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِی بُطُونِها فأعاد فی أحد الموضعين ذكر المذكر، و فی الآخر ذكر المؤنث و اللفظان سواء، فهل كان يجوز أن يكون

---

(۱) سورة: البقرة، الآية: ۲۸۶.

(۲) سورة: النحل، الآيات: ۶۵- ۶۹.

(۳) الآية: ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۸۹

حيث أعاد الذكر مذكرا يعود مؤنثا، و حيث عاد مؤنثا يعود مذكرا؟.

المسألة الأولى يجاب عنها فيقال: لما كان المذكور فى كل آية صنفا واحدا جعل ما دل منه على الصانع آية واحدة .. فإن قال: فإن فى الأنعام و ثمرات النخيل و الأعناب قد جمعت و ليس جميعها صنفا واحدا، و كان على نظر قضيتك يجب فى الاختيار أن يقال هنا: إن فى ذلك لآيات ... قيل له إن قوله: إِنَّ فِي ذلِكَ إشارة إلى ثمرات النخيل و الأعناب دون الأنعام، و ذلك صنف واحد فلذلك قال: لَآيَةً و أما الأنعام فقد أسند بذكر الآية فيها قوله فى ابتداء آيتها وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً فكأنه قال: لكم فيها آية إذ الاعتبار يؤدى إليها فخلصت «إن» فى ذلك للصنف الواحد من ثمر الشجر.

و أما الثالثة: فمقصود بها النخل خاصة فلذلك قال: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً.

و المسألة الثانية: يجاب عنها فيقال: إنما ذكر يسمعون فى الأولى توبيخا لمن أنكر البعث و استبعد الحياة الثانية، فكأنه قيل له: إن ذلك قبل التدبر مقرر فى أول العقل، حتى إن من يسمعه يعترف به، و هو أن الأرض الميتة يسقيها اللّه بماء السماء، فتعود حية بنباتها، فكذلك لا يستنكر أن يحيى الخليقة بعد موتها، و أما اختصاص الثانية بقوله:

يَعْقِلُونَ فلأنه قال: نسقيكم مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ و قد علمنا أن الفرث لا ينعصر منه ما يسوغ للشارب، و أن الدم أحمر، فيحول بقدرة اللّه لبنا أبيض طيبا بعد بعده مما استحال عنه فى اللون و الطيب، ففيه عبرة لمن اعتبر، و لما قرن إليه ثمرات النخيل و الأعناب و ما يتحول من عصيرهما إلى ما يستلذ، و يجلب ما يسر سوى طيب رطبها و يابسها، احتاج ذلك إلى تدبر يعقل به صنع صانع لا يقدر غيره عليه، فلذلك قال فى الثانية يَعْقِلُونَ. و أما اختصاص الثالثة بقوله: يَتَفَكَّرُونَ فلأن التفكر استعمال الفكر حالا بعد حال، و فى النحل عجائب من صنع اللّه تتبع كل أعجوبة أعجوبة من طاعتها لرئيسها، ثم أشكال ما تبنى من بيوتها التى لو حاول الإنسان مثلها بأمثلة يحتذيها، و تقديرات يقدمها لتعذر عليه، ثم إنها تجنى من أزاهير النبات و الأشجار ما هداها إليه إلهام اللّه لها و أرشدها إليه، ثم تقلس ما يجتمع فى جوفها عسلا، فهذه أشياء تقتضى فكرا بعد فكر، و نظرا بعد نظر، فلذلك عقبت بقوله: يَتَفَكَّرُونَ ..

و المسألة الثالثة: يجاب عنها بأن يقال: إن الأنعام فى سورة النحل و إن أطلق لفظ جمعها فإن المراد به بعضها، أ لا ترى أن الدر لا يكون لجميعها، و أن اللبن لبعض إناثها، فكأنه قال: و إن لكم فى بعض الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه و لهذا ذهب من ذهب إلى أنه رد إلى النعم؛ لأنه يؤدى ما تؤديه الأنعام من المعنى، و المراد و اللّه أعلم ما

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۰

ذكرنا بالدلالة التى بينا و ليس كذلك ذكرها فى سورة المؤمنين «۱»؛ لأنه قال: نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ فأخبر عن النّعم التى فى أصناف النّعم إناثها و ذكورها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان فى الأول ذلك.

الآية السابعة من سورة النحل

قوله تعالى: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ «۲» و قال فى سورة الحج «۳»: ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً.

للسائل أن يسأل فيقول: ما الفرق بين قوله: لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إذا لم يكن فيه «من»، و بين قوله: لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً و لأى معنى اختصت الآية من سورة الحج بمن، و خلت منها الآية فى سورة النحل؟

الجواب: أن يقال: ذكر فى سورة النحل الجملة التى فصلت فى سورة الحج، و كانت لفظة «بعد» لجملة الزمان المتأخر عن الشيء قال: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ فأجمل ما فصل فى السورة الأخرى و بعده ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً أى: يعزب عنه فى حال الهرم ما كان يعلمه قبل من الحكم، و يستدركه من الآراء المصيبة و يرتكبه من المذاهب القويمة كان هذا موضع جمل لا تفصيل معها و لا تحديد، و لم يكن كذلك الأمر فى سورة الحج «۴»؛ لأنه قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ يعنى: أصلكم و هو آدم عليه السّلام ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ أولاده ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ فذكر تفصيل الأحوال و مباديها فقال من كذا و من كذا الابتداء، كل حال ينتقل منه إلى غيره، فبنى ذكر الحال التى ينتقل فيها من العلم إلى فقده على الأحوال التى تقدم ذكرها، فكما حدد أوائلها ب «من» كذلك حدد الحال الأخيرة المنتقلة عما قبلها ب «من» فقال: مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ أى: فقد العلم من بعد أن كان عالما، فباين الموضع الأول لذلك.

---

(۱) الآيتان: ۲۱، ۲۲.

(۳) الآية: ۵.

(۲) سورة: النحل، الآية: ۷۰.

(۴) الآية: ۵.

الآية الثامنة منها

قوله تعالى: أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ «۱» و قال فى سورة العنكبوت «۲»: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: ما بال الآية من سورة النحل زيد فيها هم، و خلت منها الآية من سورة العنكبوت؟

الجواب: أن يقال: إن الكلام فى سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذى يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم و هو قوله: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ «۳» ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص فقال: أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ فأكد الكلام بقوله: هُمْ لئلا يتوهم أن هذا الإخبار خطاب و هو بالتاء دون الياء إذ لا فرق فى الخط بينهما، و لم يكن كذلك الأمر فى سورة العنكبوت؛ لأن الإخبار المستمر فى الآية التى قبل هذه أغنى عما يحصره للخبر دون غيره و هو قوله: فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ «۴» فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على الخبر، و ذلك واضح لمن تدبره.

انقضت سورة النحل عن ثمان آيات و إحدى عشرة مسألة، و اللّه الموفق للصواب.

---

(۱) سورة: النحل، الآية: ۷۲.

(۳) سورة: النحل، الآية: ۷۲.

(۲) الآية: ۶۷.

(۴) سورة: العنكبوت، الآيات: ۶۵- ۶۷.

۱۷- سورة الإسراء

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً «۱» و قال فى هذه السورة: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً «۲» و قال فى سورة الكهف «۳»: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف هذه الآيات فى قلة لفظ الأولى و التقديم و التأخير فى الثانية و الثالثة.

الجواب: أن يقال: إن الأولى جاءت بعد إخبار عن المتمردين من الكفار، و عما آل إليه أمرهم من الزمان من مبتدأ السورة، ثم عما أقامه من الدلائل النيرة، و الآيات البينة، و ما علقه من الحساب بالأهلة و آية النهار المبصرة، إلى ما حذر من حال الآخرة، و اشتمال الكتاب على ما قدم من الحسنة و السيئة و ما بعد ذلك من الأوامر و النواهى، فجاء بعد ذلك كله قوله تعالى: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا فأبهم القول ليحيط بأنواع تصاريف الكلام من الخبر و العبر و ضرب المثل، و الأمر و النهى، و الوعظ و الزجر، إذ كان فيما قبله كل ذلك.

و أما الآية الثانية فإنها جاءت بعد الأولى و بعد أمثال ضربت نحو: وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا «۴» و بعد تخويف النبى صلّى اللّه عليه و سلم و تحذيره

---

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۴۱.

(۲) سورة: الإسراء، الآية: ۸۹.

(۳) الآية: ۵۴.

(۴) سورة: الإسراء، الآية: ۷۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۳

كتحذير الناس كلهم إذ يقول: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ «۱» إلى قوله: إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً «۲» فقال بعده و قدم الناس: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ تنبيها للناس و ليهتموا بتفهمه، و يعنوا بتدبره، و يقفوا عند أوامره، و ينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضى تقديم الناس على عادة العرب فى تقديم ما عنايتهم بذكره أتم .. و أما الثالثة: فإنها وقعت فى السورة التى تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، و ما سأل النبى صلّى اللّه عليه و سلم عن الإخبار به مما لم يقدر عليه إلا بأن يوحى إليه، و كان جميع ذلك من خبر موسى عليه السّلام مع من وعد لقاءه، و قصة ذى القرنين بعدهما مما أودع القرآن، و تضمنه الكتاب فقال فى هذا المكان: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ للدلالة على ما طلبوه من النبى صلّى اللّه عليه و سلم و ما قد أوحى اللّه به إليه فى كتابه، فكان تقديم ذلك فى هذا المكان أولى و اللّه أعلم.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً «۳» و قال بعد ذلك بآيات:

إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً «۴» ثم قال: ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا «۵».

للسائل أن يسأل عن اختصاص خواتم هذه الآى الأربع ثُمَّ لا تَجِدُوا، و ثُمَّ لا تَجِدُ بما خصت به و هل كان يجوز أن تكون هذه مكان تلك و تلك مكان هذه؟.

الجواب: أن يقال إن الأولى بعد قوله: أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ و هو خطاب لمن ينجيهم من ضر البحر و يسلمهم إلى البر، فيعرضون عن ذكر ما كانوا فيه من المخافة عند الأمن، و يكفرون ما أنعم به عليهم من النجاة، فقال: الذى خفتموه من عذاب اللّه فى

البحر لا تأمنونه فی البر؛ لأن الغرق الـذی خفتموه هناك بإزائه الخسف، و إرسال الرياح الحاملة للحصباء، فلا يعجزه الآن ما أمكنه إذ ذاك ثم لا تجدوا من يقوم

---

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۷۳.

(۴) سورة: الإسراء، الآية: ۷۵.

(۲) سورة: الإسراء، الآية: ۷۵.

(۵) سورة: الإسراء، الآية: ۸۶.

(۳) سورة: الإسراء، الآيتان: ۶۸ و ۶۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۴

مقامكم و يعصـمكم مما يريـد إنزاله بكم، و هـذا أول ما يطلبه من أشـرف على هلكة لينقله إلى نجاة، و أما قوله: أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تـارَةً أُخْرى يعنی: فی البحر فيغرقكم بمـا كفرتم، ثم لا تجـدوا من يتبعنا إذا أهلكناكم بمطالبـة بـدمائكم، أو بإنكار ما أنزلناه بكم، فالذی يلجأ إليه إذا لم يغن الوكيل فی دفع الضـرر و وقوع الهلكة من يتبع ذلك بإنكار و انتصار و هذا أيضا مما لا تجدونه، و أما قوله للنبی صلّى اللّه عليه و سلم: إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ أی: لأنزلنا بك عند قليل الركون إلى الكفار ضعف عذاب الـدنيا و ضـعف عذاب الآخرة، ثم لا تجد لك عزا تمتنع به مما نريد إحلاله بك و هذا هو النصـير و كذلك قوله: وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْكَ «۱»: لأنسيناكه و لمحونا من القلوب و الكتب ذكره ثم لا تجد من يتوكل لك برد شیء منه إليك، لكنی دبرتك بالرحمـة لك فأوليتك من النعم و الألطاف ما ثبت به على الإيمان، و سـلمت به من الركون إلى ما دعاك إليه أهل الشـرك، و كانوا قـالوا له: لاـ نتركـك تسـتلم الحجر حتى تلم بآلهتنا فقال فی نفسه: ما على أن أفعل ذلك و اللّه يعلم ما فی نفسـی فأتمكن من اسـتلام الحجر، و قيـل: إنهم قـالوا له: اطرد عنـك سـقاط النـاس و مواليهم و الـذين رائحتهم رائحـة الضأن- لأنهم كانوا يلبسون الصوف- إن كنت قد أرسـلت إلينا لتجلس معنا و نسـمع منك، فهمّ أن يفعل ما يستدعی به إسلامهم، فنزل هذا الوعيد؛ لأن اللّه أمره بغير ذلك فی قوله:

وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ «۲» و قـال: وَ لاـ تَـدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ «۳» و لـذلك قـال: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِیَ عَلَيْنا غَيْرَهُ «۴» و هذان البابان اللذان همّ بأحدهما من غير عزم منه عليه، هما غير ما أوحى اللّه إليه، فقد تبين أن خاتمة كل آية واقعة موقعها، لا يصلح سواها مكانها و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۸۶.

(۳) سورة: القصص، الآية: ۸۸.

(۲) سورة: الأنعام، الآية: ۵۲.

(۴) سورة: الإسراء، الآية: ۷۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۵

۱۸- سورة الكهف

الآية الأولى منها

قوله تعالى: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ «۱» بالواو. للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ بلا واو و بين قوله: سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ بالواو و قد سوى النحويون بين الجملة التى تجرى صفة للنكرة أو حالا للمعرفة إذا كان فيها ذكر الأول فى أن دخول الواو عليها، و حذفها منها جائزان، قال الزجاج: دخول الواو هاهنا، و إخراجها من الأول واحد. فإن قال السائل: هل فى اختصاص سبعة و عطف الجملة عليها فائدة تختصها ليست فيما قبلها؟.

الجواب: عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن الفرقة التى قالت: كانوا ثلاثة كانت بعدها فرقتان أخريان، و كذلك الثانية: التى قالت: خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ و أما السبعة فانتهت عندها العدة و انقطعت بها القصة و لم يكن هناك فرقة رابعة تذكر قولا رابعا، و الشىء إذا تم و انتهى، و كانت الجملة فيما لم ينته يتصل بالأول اتصال الشىء منه كانت الواو فيها دليلا على انقضائها، و الآخر فى كلام العرب فى حكم المنقطع منها فى اللفظ، و إن كان اتصالها بها فى المعنى كاتصال الأولين.

و الثانى: أن السبعة لما كانت أصلا للنهاية فى تركيب العدد؛ لأن أصل الجمع واحد، و الواحد فرد و التركيب بعده بأن تضم فردا إلى فرد، فيصيران زوجا فيحصل بضمهما إلى الواحد السابق ثلاثة، فرد لم يضم إليه شىء و فرد ضم إليه فرد، ثم ضما إلى

---

(۱) سورة: الكهف، الآية: ۲۲.

فرد، فحصل به ضم زوج إلى فرد، و بلغت عدة المركبات ثلاثة و بقى أن يضم زوج إلى زوج، و هو اثنان يضمان إلى اثنين فتصير أربعة فإذا ضمت الأربعة إلى الثلاثة تكاملت التركيبات، فلا ترى بعدها تركيبا خارجا عن ذلك، فصارت السبعة أصلا للمبالغة فى العدد، و لهذا خصت السموات بسبع من العدد و الأرضون مثلها و الكواكب و الأسبوع و قال:

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۱» و قال: فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ «۲» و للمفسرين فى ذلك جواب ثالث و هو أن العرب تقول: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة و ثمانية فإذا بلغت الثمانية لم تجرها مجرى الأخوات التى لا يعطف بعضها على بعض كما يقال فى الحروف المقطعة:

ألف با تا ثا و احتجوا بآيات من القرآن كقوله: التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ «۳» فعطف الناهين على ما قبله و لم تدخل واو العطف على غيره و كذلك قالوا فى قوله: حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها «۴»؛ لأن أبواب جهنم سبعة و قال: حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها «۵» فى أبواب الجنة لأن أبوابها ثمانية، و قالوا مثل ذلك فى قوله: مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً «۶» و إن كان هذا مخالفا لما تقدم إذ الثيبات لا توصف بالإبكار، و كانت الواو هنا من جهة أخرى لا يجوز تركها .. قلت:

و يمكن أن ينصر هذا القول و يعضد بطريق من القياس يختص بثمانية و هو أن الياء فى ثمانية و ثمانى ياء النسب التى فى قولك: يمان و شآم و تهام و رباع فى الفرس الرباعى و كان الأصل ثمانى و شآمى و تهامى و رباعى و ثمانى، فقلبت إحدى الياءين ألفا و قدمت على لام الاسم و بقيت الياء الأخيرة ساكنة، و ياء النسب من خصائص الأسماء التى لا تكون فى غيرها، و هى إذا دخلت على ما خرج من الاسم عن بابه كمدين و طلحة إلى باب ما لا ينصرف إعادته إلى باب الاسم، و أبطلت عنه شبه غيره الموجب لمنع الصرف، فتقول:

مدانى و طلحى فتصرفه، و إن صار بالياء أثقل مما كان، فلما دخل على ثمانية ما يخصصها بباب الاسم أجريت على حكم الاسم، و أزيل عنها حكم الحروف، فعطفت على ما قبلها بالواو .. فإن قال: إن هذا يلزمك فى ثلاثة؛ لأن التأنيث من خصائص الاسم .. قلت:

هذه العلامة- أعنى أمارة التأنيث- تتصل بالفعل فى نحو: قامت و قعدت و تتصل بالحرف

---

(۱) سورة: التوبة، الآية: ۸۰.

(۴) سورة: الزمر، الآية: ۷۱.

(۲) سورة: الحاقة، الآية: ۳۲.

(۵) سورة: الزمر، الآية: ۷۳.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۱۱۲.

(۶) سورة: التحريم، الآية: ۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۷

فى نحو: ربة و ثمة، فيزول عنها الاختصاص .. فإن قال: فالتثنية ليس إلا فى الاسم، فوجب فى قولك اثنان أن يقول: واحد و اثنان .. قيل: لا- يختلف البصريون فى أن الكاف من ذلك ليست اسما و هى تثنى و تجمع فى قولك: ذاكما و ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي «۱» و ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ «۲»، فيزول بما ذكرناه اختصاص ما عارض به فى المختص بالاسم دون غيره.

الآية الثانية من الكهف

قوله تعالى: قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً «۳» و قال فى سورة حم «۴» السجدة: وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى

للسائل أن يسأل عن قوله فى الأولى: رُدِدْتُ و قوله فى الثانية: رُجِعْتُ، و هل كان يجوز إحدى اللفظتين مكان الأخرى فى الاختيار؟

الجواب أن يقال: إن الأولى بقوله: رُدِدْتُ إِلى رَبِّي أولى، و ذلك لما تقدم من وصف الجنتين اللتين حوتا مراده و اشتملتا على ما أراده و تقديره فيهما أنهما يدومان له، و الرد عن الشيء يتضمن معنى كراهية للمردود تقول: قصد فلان فلانا فرد عنه، و قصد فلانا فرجع عنه، فلما كان الأول ينقل عن جنته، و هو خلاف محبته كان استعمال اللفظ الذى يدل على الكراهة فيه أولى، و الثانية لم يتقدمها مثل ما تقدم هذه لأن قبلها لا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى «۵» و ليس فى «رجع» ما فى «رد» من كراهة، و هو أن يلحقان المردود، و لا يلحقان المرجوع فافترقا لذلك.

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۳۷.

(۲) سورة: الطلاق، الآية: ۲.

(۳) سورة: الكهف، الآيتان: ۳۵، ۳۶.

(۴) سورة: فصلت، الآية: ۵۰.

(۵) سورة: فصلت، الآيتان: ۴۹ و ۵۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۸

الآية الثالثة من سورة الكهف

قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ «۱» و قال فى سورة السجدة «۲»: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ.

للسائل أن يسأل: عن استعمال الفاء فى سورة الكهف فى قوله: فَأَعْرَضَ عَنْها و استعمال: ثُمَّ فى سورة السجدة.

الجواب أن يقال: إن الفاء «و ثم» مشتركان فى أن ما بعدهما فى اللفظ متأخر عما قبلهما فى المعنى، و مختلفان فى أن الفاء قرب ما بعدها مما قبلها، و فى «ثم» تراخيا عنه و بعدا، فكان استعمال الفاء فى سورة الكهف أولى و استعمال «ثم» هناك أحق و أحرى، و ذلك أن ما فى سورة الكهف فى ذكر قوم يستدعون إلى الإيمان، و لم تختم أعمالهم بالكفر لقوله تعالى: وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً «۳» فكأنهم عقبوا التذكير بآيات اللّه الإعراض و قبولهم للدين و إقبالهم عليه مرجوان منهم، و ليس كذلك قوله: ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها الآية فى وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة لقوله: وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ «۴» إلى قوله:

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها «۵» أى: ذكر مدة عمره بآيات ربه، و تطاول الأمر بزجره و وعظه، ثم ختم ذلك بترك القبول، و بالإعراض، فكان هذا قولا يقال فيهم عند الانتقام منهم كما حكى فى قولهم: رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ «۶» و قد بان بما ذكرنا أن «ثم» هنا مكانها، و الفاء هناك مكانها.

الآية الرابعة من سورة الكهف

قوله تعالى فى الحكاية عن موسى عليه السّلام لما خرق الخضر عليه السّلام السفينة: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً «۷» و لما قتل الغلام لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً «۸».

---

(۱) سورة: الكهف، الآية: ۵۷.

(۵) سورة: السجدة، الآيتان: ۲۱ و ۲۲.

(۲) سورة: السجدة، الآية: ۲۲.

(۶) سورة: السجدة، الآية: ۱۲.

(۳) سورة: الكهف، الآية: ۵۶.

(۷) سورة: الكهف، الآية: ۷۱.

(۴) سورة: السجدة، الآية: ۱۲.

(۸) سورة: الكهف، الآية: ۷۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۱۹۹

للسائل أن يسأل: عن الأمر و النكر، و هل كان يصلح أحدهما فى موضع الآخر أم لكل واحد معنى يخصصه بمكانه؟.

الجواب أن يقال: قيل فى الأمر: إنه الداهية و قيل: إنه العجب، و النكر: ما تنكره العقول و لا تعرفه و لا تجوزه، و روى عن قتادة أنه قال: النكر أعظم من الأمر؛ لأن الأمر إن حمل على الداهية، فهى التى تدهى الإنسان مما لم يخشه، فيحترز من وقوعه، و العجب قد يكون غير منكر، و النكر لا يستعمل إلا فى المذموم الذى يخرج عن المعروف فى العقل أو الدين، فاختص الأول بالأمر؛ لأن خرق السفينة التى لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذى قد هلك، و قيل: الأمر أعظم من النكر؛ لأن تغريق عدد من فى السفينة أنكر من قتل نفس واحدة، و ليس كذلك؛ لأن الغرق لم يقع و القتل قد حصل.

الآية الخامسة من سورة الكهف

قوله تعالی فی الحكاية عن الخضر عليه السّلام بعد قوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً «۱» و بعد قوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً «۲».

للسائل أن يسأل عن زيادة لک فی الثانية و إخلاء الأولی منها.

الجواب أن يقال: إنه فی الأولی لما قرر موسی صلّی اللّه عليه و سلم، و ذكره ما كان قد قدم القول فيه: من أن الصبر علی ما يشاهده منه يثقل عليه فقال: أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً و هذا معناه فی غالب ظنی: أنک تعجز عن احتمال ما تری، حتی تبادر إلی الإنكار، فلما رأی قتل الغلام، و عاد إلی الإنكار أكد التقرير الثانی بقوله: لَکَ كما يقول القائل: لک أقول و إياک أعنی فيقدم لک و إياک، و لو قال: أقول لک و أعنيک بكلامی لاستويا فی المعنی إلا فی تأكيد الخطاب بالتقديم، فكأنه قال: أ لم يكن خطابی لک دون من سواک؟ و هذا وجب فی الثانی لا فی الأول الذی لم تتأكد حجة الخضر فيه عليه السّلام كتأكدها فی الثانية.

الآية السادسة من سورة الكهف

قوله تعالی: فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً «۳».

---

(۱) سورة: الكهف، الآية: ۷۲.

(۳) سورة: الكهف، الآية: ۹۷.

(۲) سورة: الكهف، الآية: ۷۵.

للسائل أن يسأل عن: «اسطاعوا» فی الأول لم خصت بحذف التاء دون الثانية فی جل القرآن.

الجواب: أن يقال: الثانية تعدت إلی اسم، و هو قوله: نقبا فخفف متعلقها فاحتملت أن يتم لفظها، فأما الأولی فإنها تعلق مكان مفعولها بأن و الفعل بعدها و هی أربعة أشياء: أن و الفعل و الفاعل و المفعول الذی هو الهاء، فثقل لفظ استطاعوا، و كان يجوز تخفيفه حيث لا يقارنه ما يزيده ثقلا، فلما اجتمع الثقيلان، و احتملت الأولی التخفيف ألزم فی الأول دون الثانی الذی خف متعلقه و احتمل.

انقضت سورة الكهف عن ست آيات، و ست مسائل.

۱۹- سورة مريم عليها السلام

الآية الأولی منها

قوله تعالی: فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ «۱» و قال فی سورة الزخرف «۲»: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ.

للسائل أن يسأل فيقول: هل فی اختلاف لفظی كفروا و ظلموا من الآيتين ما يخص أحدهما بمكانه؟ و الآخر بالموضع الذی جاء فيه.

الجواب: أن يقال: كلتا الآيتين فی قصة عيسی عليه السّلام، و توعد من أثبته للّه تعالی ولدا لقوله تعالی فی سورة مريم: ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «۳» و قال فی سورة الزخرف «۴»: وَ لَمَّا جاءَ عِيسی بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِی تَخْتَلِفُونَ إلی قوله: فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا «۵» و الكفر أعظم من

الظلم، و إن كان كل كافر ظالما لنفسه، فلما قالوا فى عيسى عليه السّلام أنه ابن اللّه و كفروا بذلك، و ظلموا أنفسهم أخبر اللّه تعالى عنهم فى القصة التى شرح فيها ابتداء أمره بالوصف الذى يتضمن لفظ أكبر الذنوب، و هو الكفر، و لما أجمل فى السورة الثانية ما فصله فى الأولى، وصفهم بالوصف الذى يدل على أنهم حرموا أنفسهم ما عرضوا له من الثواب، و أوجبوا عليها أليم العقاب، فبذلك ظلموها أعنى بالكفر الذى كان منهم، لما دعوا للرحمن ولدا تقدس اللّه عنه.

الآية الثانية منها

قوله تعالى:

---

(۱) سورة: مريم، الآية: ۳۷.

(۴) الآية: ۶۳.

(۲) الآية: ۶۵.

(۵) سورة: الزخرف، الآية: ۶۵.

(۳) سورة: مريم، الآية: ۳۵.

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً «۱» و قال فى سورة الفرقان «۲»: وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ.

للسائل أن يسأل فيقول: ما بال الفعل فى الآية الأخيرة أكد بذكر المصدر معه من دون الفعل فى الآية الأولى؟

الجواب: أن يقال: أما الأول فإنه بعد قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً «۳» فكان موضع إيجاز لذكر المعاصى فبنى الكلام عند ذكر التوبة على ما بنى عليه عند ذكر المعصية، و لم يكن كذلك الموضع الثانى؛ لأنه بدئ بقوله: وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحاً «۴» فلما ذكر الكبائر و أن أولياء اللّه يجتنبونها، و أن من أتاها ضوعف له العذاب إلا أن يتوب و يعمل عملا صالحا كان الموضع موضع توكيد؛ لأنه لم يعمل العمل الصالح بعد ارتكاب الكبائر التى عدها، فلما أكد الكلام هناك وجب تأكيده هنا أعنى عند محو السيئات المتقدمة بالحسنات المستأنفة، فاختلاف الآيتين فى التوكيد، و اللّه أعلم لما ذكرنا.

---

(۱) سورة: مريم، الآيتان: ۵۹ و ۶۰.

(۳) سورة: مريم، الآيتان: ۵۹ و ۶۰.

(۲) الآيات: ۶۸ و ۶۹ و ۷۰.

(۴) سورة: الفرقان، الآيات: ۶۸ و ۶۹ و ۷۰.

۲۰- سورة طه عليه السّلام

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي «۱» إلى قوله: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى قالَ هِيَ عَصايَ «۲» و قال فى سورة النمل «۳»: إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ أَلْقِ عَصاكَ.

للسائل أن يسأل فيقول: قال اللّه تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «۴» و هل الاختلاف إلا هذا الذى جاء فى سورة فى الأخبار عن قصة واحدة مرة أنه قال لأهله: لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً و فى الآية الأخرى سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ و قال فى سورة القصص «۵»: لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ثم قوله: فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً «۶» إلى قوله:

وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى فأخبر عن أشياء قيلت لموسى عليه السّلام ثم جاء إلى ذكر العصا فقال: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى و فى السورة الثانية:

---

(۱) سورة: طه، الآيات: ۹- ۱۴.

(۴) سورة: النساء، الآية: ۸۲.

(۲) سورة: طه، الآيتان: ۱۷، ۱۸.

(۵) الآية: ۲۹.

(۳) الآيات: ۷- ۱۰.

(۶) سورة: طه، الآيتان: ۱۱، ۱۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۰۴

فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ أَلْقِ عَصاكَ «۱» و كذلك جاء فى سورة القصص «۲»: فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ.

الجواب: أن يقال: إن اللّه تعالى لم يخبر أنه خوطب موسى عليه السّلام باللغة العربية بألفاظ إذا عدل عنها إلى غيرها مما يخالف معناها كان اختلافا فى القرآن قادحا فيه، بل معلوم أن الخطاب كان بغير هذه اللغة، و أنه تعالى أخبر فى بعض السور ببعض ما جرى، و فى أخرى بأكثر مما أخبر به فى التى قبلها، و ليس يدفع بعضها بعضا، فأما قوله تعالى:

لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً فهو معنى قوله: سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ؛ لأن الخبر الذى يأتيهم به هو أن يجد على النار ما يهديه، و بخبره أن الطريق هو ما عليه أو غيره، و وجود الهدى و أن يخبر بخبر اهتدائه فى طريقه أو غيره شىء واحد لا اختلاف فيه. فأما قوله: فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ فهو مما جرى و لم يخبر اللّه تعالى به فى سائر السور و أخبر به فى هذه، و كذلك القول فى العصا و سؤاله و تقريره على ما وصف من حالها حيث يقول: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها إلى قوله: سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى هو من ذلك.

الآية الثانية من سورة طه

قوله تعالى: اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِی یَفْقَهُوا قَوْلِی وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی هارُونَ أَخِی اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی «۳» إلی قوله: قالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی «۴» و قال فی سورة الشعراء «۵»: وَ إِذْ نادی رَبُّکَ مُوسی أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا یَتَّقُونَ قالَ رَبِّ إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ وَ یَضِیقُ صَدْرِی وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی فَأَرْسِلْ إِلی هارُونَ وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ و قال فی سورة القصص «۶»:

(۱) سورة: النمل، الآیات: ۸- ۱۰.

(۴) سورة: طه، الآیات: ۲۴- ۳۶.

(۲) الآیتان: ۳۰، ۳۱.

(۵) الآیات: ۱۰- ۱۴.

(۳) سورة: طه، الآیات: ۲۴- ۳۲.

(۶) الآیات: ۳۲- ۳۵.

اسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما بِآیاتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغالِبُونَ.

للسائل: أن یسأل عما حکی اللّه تعالی من قول موسی صلّی اللّه علیه و سلم لما بعثه إلی فرعون، و اختلافه فی السور الثلاث؛ لأن ما فی سورة طه سوی ما فی سورة الشعراء و ما فی سورة القصص.

الجواب: عن ذلک أن قوله: رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی طلب أمان له من أن یقتل بمن قتله و هذا معنی قوله: أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ وَ یَضِیقُ صَدْرِی؛ لأنهم لو صدقوه ما خاف أن یقتلوه، و کذلک قوله فی السورة الثالثة: قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ و قوله: وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی؛ أی: سهله حتی أؤدی رسالتک، و إذا أمن من القتل فقد فعل ما طلبه، و أما قوله: وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِی یَفْقَهُوا قَوْلِی فهو معنی قوله: وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی فَأَرْسِلْ إِلی هارُونَ و کذلک فی سورة القصص: وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ فطلب أن یحل عقدة من عقد لسانه و أن یؤید بأخیه فأجیب إلیهما، و لم یطلب حل کل عقد لسانه لما حکاه اللّه تعالی من قول فرعون أَمْ أَنَا خَیْرٌ مِنْ هذَا الَّذِی هُوَ مَهِینٌ وَ لا یَکادُ یُبِینُ «۱» و سائر ما ذکره فی سورة و لم یذکر فی الأخری لیس من الاختلاف الذی یعاب .. و أما قوله: اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی و قوله فی الشعراء «۲»: أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا یَتَّقُونَ و قوله فی القصص «۳»: إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ ففی الآیة الأولی: ذکر فرعون وحده؛ لأن قومه تبع له، و کأنهم مذکورون معه، و فی الآیة الثانیة: ذکر قوم فرعون من دونه و معلوم أنه منهم، و مخاطب بمثل خطابهم، فإذا اتقوا و آمنوا کان فرعون وحده لا یقدر علی مخالفتهم، فترک ذکره؛ لأنه فی هذه الحالة فی حکم التابع لهم، و خطابهم خطابه .. و أما الموضع الثالث: فإن الحکایة أتت علی فرعون و ملائه فبینت ما انطوت علیه الآیات قبل من ذکر بعض و الاکتفاء

(۱) سورة: الزخرف، الآیة: ۵۲.

(۳) الآیة: ۳۲.

(۲) الآیتان: ۱۰- ۱۱.

به عن بعض، و هذا كما قال فی موضع لموسی وحده: اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ و فی موضع آخر: أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ؛ لأن هارون تابع له و داخل فی حكمه و أبان ذلک فی موضع فقال: فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ «۱» و قال بعده: فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّکَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِی إِسْرائِيلَ «۲».

الآية الثالثة منها

قوله تعالی: أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِی مَساكِنِهِمْ «۳» و قال فی سورة السجدة «۴»: أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ.

للسائل أن يسأل فی هذه الآية عن موضعين:

أحدهما اختصاص الأولی بالفاء، و الثانية بالواو.

و الثانی: أنه قال فی السجدة: أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ.

فأدخل «من» علی «قبلهم» هنا، و لم يدخلها هناک مع تساوی المعنيين و المكانين فقال للسائل عن ذلک: لما كانت هذه الآية مفتتحة بقوله: أَ فَلَمْ و تلک مفتتحة بقوله: أَ وَ لَمْ اختلفتا من هذه الجهة فكان ما دخلته الفاء؛ لأنه يتعلق بما قبله تعلق الجواب بالمبتدإ و الجزاء بالشرط، فتكون جملة تمامها بجملة قبلها يثقل يختار فيه التخفيف، و ما دخلته الواو لا يقتضی ما تقتضيه الفاء بنفسها، بل حقه الانقطاع عما قبله، و لذلک يجوز أن يكون المؤخر بعدها فی اللفظ مقدما فی المعنی. و أما دخول مِنْ و حذفها فقد بيّناه فی قوله: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ «۵» و فی موضع آخر بَعْدَ ما جاءَکَ «۶»، و هو أن القائل إذا قال: كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ فكأنه قال: فی الزمن المتقدم علی زمانهم، و إذا قال:

مِنْ قَبْلِهِمْ، فكأنه قال: من مبتدأ الزمان الذی قبل زمانهم، و الزمان من أوله لآخره ظرف للإهلاک، لا يختصّ به بعضه دون بعض. فإن قال: فلم جاء فی سورة طه:

أَ فَلَمْ يَهْدِ بالفاء .. قلت: لأنه تقدم قوله: قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمی وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِکَ أَتَتْکَ آياتُنا فَنَسِيتَها «۷»، و معناه: فتركت الاهتداء بها، ثم قررهم علی

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۱۶.

(۵) سورة: البقرة، الآية: ۱۴۵.

(۲) سورة: طه، الآية: ۴۷.

(۶) سورة: الرعد، الآية: ۳۷.

(۳) سورة: طه، الآية: ۱۲۸.

(۷) سورة: طه، الآيتان: ۱۲۵، ۱۲۶.

(۴) الآية: ۲۶.

ما نصبه لهدايتهم، و احتجّ عليهم بتركهم الاهتداء به فقال: أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ و التقدير: من تأته آياتنا فعليه الاهتداء بها و أنتم أتتكم آياتنا فلم توفوها حقها فهل فعلتم ما لزمكم فيها، فالذی أوجب الفاء فی هذا المكان هذا المعنی، و لم يكن مثله فی سورة السجدة من تعلق ما بعد أَ وَ لَمْ بما قبله تعلق هذه الآية بما تقدمها؛ لأن هناک وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَی الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِی مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِيلَ وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

أ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ «۱» فلما انفصل جاء بالواو، و لما جاء بالواو و لم يكن من شرطها تركيب جملتين يكونان كلاما واحدا فخف، و أدخل عليه «من» التى حذفت من الآية الأولى لتحد ابتداء الزمان فيكون أبلغ فى الاستيعاب.

---

(۱) سورة: السجدة، الآيات: ۲۳- ۲۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۰۸

۲۱- سورة الأنبياء عليهم السلام

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ إِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَ هذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ «۱» و قال فى سورة الفرقان «۲»: وَ إِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا.

للسائل أن يسأل عن: إظهار الفاعلين فى رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا من سورة الأنبياء و إضمارهم فى سورة الفرقان.

الجواب أن يقال: إن ما قبل الآية فى سورة الأنبياء «۳»: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ فلم يجر للكفار ذكر فى الآية التى قبل هذه، فكان الاختيار الإظهار، و أما فى سورة الفرقان فإن قبل الآية: أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً «۴»؛ أى: أ لم ير الكفار فى زمانك القرية التى أمطرت مطر السوء فيحذروا، فلما كان الذكر متقدما فى أقرب الكلام إليها كان الاختيار الإضمار.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ «۵» و قال فى سورة الشعراء «۶»: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ.

---

(۱) سورة: الأنبياء، الآية: ۳۶.

(۴) سورة: الفرقان، الآية: ۴۰.

(۲) سورة: الفرقان، الآية: ۴۱.

(۵) سورة: الأنبياء، الآيتان: ۵۲، ۵۳.

(۳) الآية: ۳۵.

(۶) الآيات: ۶۹- ۷۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۰۹

للسائل: أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بقوله: بَلْ وَجَدْنا و خلو المكان الأول منها.

الجواب: أن يقال: إن الآية الأولى وقع السؤال فيها على وجه لا يقتضى بل فى الجواب؛ لأنه قال: ما هذه الأصنام التى نحتموها تماثيل و عكفتم عليها؛ فكأنه سفه آراءهم و قال لهم: لم تفعلون ذلك و تعبدون ما تنحتون؟ فقالوا: وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ فاقتدينا بهم، و فى سورة الشعراء تقدم سؤال أضربوا عنه و نفوا ما تضمنه؛ لأنه قال: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ «۱» فقالوا

مضربين عن هذه الأشياء التى وبخوا عليها من عبادتهم ما لا يسمع و لا ينفع و لا يضر، و ما يعلمون أنه جماد لا حياة فيه، و لا نفع و لا ضرر عنده، فكأنهم قالوا: بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ فلأن السؤال هنا يقتضى فى جوابهم أن ينفوا ما نفاه صلّى اللّه عليه و سلم أضربوا عنه إضراب من ينفى الأول و يثبت الثانى، فاختصاص المكان ب «بل» لهذا.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ «۲» و قال فى سورة الصافات «۳»: فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ.

للسائل أن يسأل فيقول: هذا فى قصة واحدة جاء فى موضع الْأَخْسَرِينَ، و فى موضع الْأَسْفَلِينَ فهل فى كلّ من المكانين ما يختص باللفظ الذى خص به؟.

الجواب أن يقال: ما فى سورة الأنبياء فإن اللّه تعالى أخبر فيها عن إبراهيم عليه السّلام أنه قال: وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ «۴»، ثم أخبر عن الكفار لما ألقوه فى النار و أرادوا به كيدا فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ و الكيد: سعى فى مضرة ليورد على غفلة، فذكر مكايدة بينهم و بين إبراهيم عليه السّلام فكادهم و لم يكيدوه فخسرت تجارتهم، و عادت عليهم مكايدتهم؛ لأنه كسر أصنامهم و لم يبلغوا من إحراقه مرادهم فذكر: الْأَخْسَرِينَ؛ لأنهم خسروا فيما عاملهم به و عاملوه من المكايدة التى أضيفت إليهما. و أما التى فى سورة الصافات، فإن اللّه تعالى أخبر عن الكفار فيها بما اقتضى من الْأَسْفَلِينَ و هو أنه قال:

---

(۱) سورة: الشعراء، الآيتان: ۷۲، ۷۳.

(۳) الآية: ۹۸.

(۲) سورة: الأنبياء، الآية: ۷۰.

(۴) سورة: الأنبياء، الآية: ۵۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۰

قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ «۱» فبنوا له بناء عاليا و رفعوه فوقه ليرموا به من هناك إلى النار التى أجّجوها، فلما علوا ذلك البناء و حطّوه منه إلى أسفل عادوا هم الأسفلين؛ لأنهم أهلكوا فى الدنيا و سفل أمرهم فى الآخرة و اللّه تعالى نجى نبيه و أعلاه عليهم، فانقلب عالى أمرهم فى صعود البناء و سافل أمر إبراهيم عليه السّلام لما حط إلى النار أن صار ذاك سافلا و أمر النبى صلّى اللّه عليه و سلم عاليا فلذلك اختصت هذه الآية بقوله: فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: وَ أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ «۲». و قال فى سورة ص «۳»: وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ.

للسائل: أن يسأل عن الفرق بين موضعى قوله: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا و رَحْمَةً مِنَّا و قوله: وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ و هل فى كل مكان من المكانين ما يختص ذلك دون غيره؟

الجواب: أن يقال: أخبر اللّه تعالى فى سورة الأنبياء عن أيوب عليه السّلام بأنه نادى ربه و شكا إليه ما مسه من الضر و سوء الحال بالمرض الذى طالت به أيامه، حتى تآكل جسمه، و تساقط لحمه، ثم بالفقر الذى ناله و اجتاح ماله، و كان اللّه تعالى ابتلاه بجميع ذلك، و أحدث فيه المرض الذى أضعفه عن تعهد حاله حتى زال جميع ماله ليعطيه على صبره الثواب العظيم الجزيل، و ليعوضه من

نعيم الجنة ما هو خير له مما سلبه من ماله و صحة بدنه، و كأنه لما قال: مَسَّنِيَ الضُّرُّ قال: مسنى من عندك يا رب ما تعلم و أنت الأكرم الأرحم فقال: وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا، أى:

كما كان الضر من عندنا كان كشفه و الرحمة مكانه من عندنا، و معنى: من عندنا، أى: من حيث لا تناله قدر العباد، و كل مكان اختص بقدرة اللّه وحده يطلق عليه عند اللّه .. و أما

---

(۱) سورة: الصافات، الآية: ۹۷.

(۲) سورة: الأنبياء، الآيتان: ۸۳ ۸۴.

(۳) الآيات: ۴۱- ۴۳.

قوله: وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ فالمعنى: فعلنا به ما فعلنا رحمة له منا، و تذكرة لمن عبد اللّه وحده بإخلاص منه، فلا يحول عن حمده و طاعته مع ما تصرف عليه من شدائد الدنيا و مصائبها التى ينزلها اللّه به؛ بل يثبت معها على إدامة العبادة و إمدادها بالزيادة كما فعله أيوب عليه السّلام.

و أما فى سورة ص فإن اللّه تعالى لما أخبر فيها عنه بأنه قال: وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ و شكايته إلى اللّه تعالى ما يلحقه من أذى الشيطان بوسوسته إليه، و فنون احتياله عليه، ليضيق صدره و ينقص حمده و شكره، فهان عليه المرض الذى ينقص من الأبدان فى جنب ما يؤثر فى الأديان و يخل بالطاعات، و يشغل من الزمان بمدافعة الوسواس، فلما كان هذا له أهم، و خاف من جهته الضرر الأشد أعانه اللّه برحمة منه مضافة إليه مختصة بإرادته، إذ كانت أفعال اللّه تعالى منها ما يختص به و يضيفها إلى نفسه كقوله تعالى: أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ «۱» و منها ما يأمر به بعض ملائكته و إن أخبر أنه من فعله و مختص به كقوله تعالى: فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا «۲» يقال أنه أمر جبريل عليه السّلام فنفخ الروح فى فرجها، و خلق اللّه عيسى عليه السّلام فى رحمها، فلما كانت شكوى أيوب عليه السّلام فيما أخبر اللّه تعالى به فى سورة ص أعظم، و البلوى به أكبر، أخبر أنه رحمه رحمة و أنعم عليه نعمة لا يجرى أمثالها على أيدى خلقه بل هى مما يختص بفعله، و لا يوليه مقربا من ملائكته، و إن كان ما يقدرهم عليه من مثل ذلك مضافا إلى قدرة اللّه تعالى، فهذا فرق ما بين قوله: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا و رَحْمَةً مِنَّا. و أما قوله: وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ فلأن أولى الألباب أعم من العابدين، و استدفاع وساوس الشيطان أعم من الاستشفاء للأبدان، فخصّ بكل آية ما اقتضاه صدر الكلام، و تعرض أيوب عليه السّلام بالسؤال.

الآية الخامسة من سورة الأنبياء

قوله تعالى: وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا «۳» و قال فى سورة التحريم «۴»: وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا.

---

(۱) سورة: ص، الآية: ۷۵.

(۳) سورة: الأنبياء، الآية: ۹۱.

(۲) سورة: الأنبياء، الآية: ۹۱.

(۴) الآية: ۱۲.

للسائل أن يسأل فيقول: هل كان مختارا أن يعود ضمير المذكور فى الآية من سورة الأنبياء فيجىء فَنَفَخْنا فِيهِ كما جاء فى الآية الأخيرة أم لكل مكان ما يختص اللفظ الذى جاء عليه؟.

الجواب: أن يقال: لما كان القصد فى سورة الأنبياء إلى الإخبار عن حال مريم و ابنها و أنهما جعلا آية للناس، و كان النفخ فيها مما جعلها حاملا، و الحامل: صفة الجملة، فكأنه قال: و التى أحصنت فرجها فصيّرها النفخ حاملا حتى ولدت، و العادة جارية أن لا تحمل المرأة إلا- من فحل و لا- يولد الولد من غير أب، فلما كان القصد التعجب من حالتها، و أنها بالنفخ صارت حاملا ردّ الضمير إلى جملتها إذ كان النفخ فى فرجها نفخا فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفة ترجع إلى جملتها دون بعضها كان قوله: فَنَفَخْنا فِيها أولى من قوله: فَنَفَخْنا فِيهِ ... و أما قوله فى سورة التحريم:

وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا فلما لم يكن القصد فيه إلى التعجب من حالها بالحمل عن النفخ و ولادتها لا عن ضراب الفحل لم يكن ثم من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة التى كانت عليه قبلها ما كان فى الآية الأولى، فجاء اللفظ على أصله، و المعنى: فنفخنا فى فرجها، و لم يسق الكلام إلى ما سيق إليه فى سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ، فاختلفا لذلك.

الآية السادسة من سورة الأنبياء

قوله تعالى: إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ «۱» و قال فى سورة المؤمنين «۲»: وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ.

للسائل أن يسأل عن اختلاف فَاعْبُدُونِ و قوله: فَاتَّقُونِ فى الآيتين و عن الواو و الفاء فى قوله: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ.

الجواب أن يقال فى قوله تعالى: وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تكون الإشارة بهذه إلى أمم الأنبياء صلوات اللّه عليهم و سلامه،

---

(۱) سورة: الأنبياء، الآيتان: ۹۳، ۹۴.

(۲) الآيتان: ۵۲، ۵۳.

و يكون المعنى أنهم أمتكم فى حال كونهم جماعة واحدة و على دين واحد فى أصول الشرع، كالتوحيد و صفات اللّه تعالى، و إثبات النبوات، و المقام على طاعة اللّه، فمتى تفرقوا فى طرق الباطل لم يكن بينكم و بينهم نسبة.

و الثانى: أن يكون المعنى: و أن هذه أمتكم مقصودا بها دين واحد و الأمة كل جماعة يسلك بها مقصد واحد من أم إذا قصد أى: أممكم و إن تفرقت أزمنتها فإنها يقصد بها دين واحد فهى أمتكم مقصود بها التوحيد، و هو إفراد اللّه تعالى بالعبادة، و الإخلاص له فيها.

و الثالث: أن تكون الأمة: الملة و هى: الدين أى: هذه ملتكم ملة واحدة؛ لأنها الإسلام و قوله: وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ أى: و ربكم القائم بمصالحكم من ابتداء كونكم إلى انتهاء أحوالكم هو أنا فأخلصوا إلى العبادة وحدى.

و قوله: وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ جاء بالواو؛ لأنه لم يكن ما بعد الواو كالجواب لما قبلها كما كان ذلك فى الفاء؛ لأنه يجوز أن يكون تقطعهم أمرهم قبل أن خوطبوا بقوله:

فَاعْبُدُونِ فلا تصلح الفاء، أ لا ترى أن تفرقهم فرقا و تقطعهم أمرهم قطعا فصار بعضهم يعبد اللّه وحده، و بعضهم يعبد معه غيره، و بعضهم لا يعبده كان قبل إخبار اللّه جميع الأنبياء صلوات اللّه عليهم و سلامه أن هذه الأمم أممهم جماعة واحدة غير جماعة متفرقة، و

هو الـذى دعا إلى أن نبههم فقال: خالقكم واحـد و الـذى يربكم هو، فاقصـدوه بالعبادة دون من سواه، و إذا كان كذلك كان قوله: وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ أى:

تقطعوا أمر دينهم قطعا، و افترقوا فيه فرقا خبرا غير متعلق بما قبله تعلق الجواب بالابتـداء بل ذلك هو ما بعـد الفاء فى عقيب هـذه الآية فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ «۱» أى: تفرقوا فرقا فمن كان من فرقهم يعمل الصالحات و هو مؤمن فإن سعيه مقبول، و هو على عمله مثاب، و من عمل صالحا و لا إيمان معه مثل معونـة الضـعيف، و إغاثة اللهيف، وصـلة الرحم، و إفاضة النعم و الكف عن الظلم لم يقبل سعيه، و هو فى ضمن قوله: وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها «۲» ... و أما قوله فى الآية الأولى: وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ و اختصاصـها بهـا دون قوله: فَاتَّقُونِ فلأنه خطاب للفرق التى تفرقت فى طرق الباطل و لم تخلص العبادة للّه فنبأهم إلى أن يعبـدوه، و التى فى

---

(۱) سورة: الأنبياء، الآية: ۹۵ ..

(۲) سورة: الأنبياء، الآية: ۹۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۴

سورة المؤمنين إنمـا هو خطـاب للرسـل لقوله تعـالى: يـا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّى بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَ إِنَّ هـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ «۱» و قد جاء فى خطاب الأنبياء صلوات اللّه و سلامه عليهم و المؤمنين و الصالحين بعد: ثم اتقوا اللّه، قـال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ «۲» و قـال: يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «۳» و قـال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ «۴» فلما كان أكثر من خوطب فى السورة الأخيرة الأنبياء و المؤمنين و هم يعبـدون اللّه جل ذكره و ضم إليهم غيرهم من الفرق و غلبوا عليهم، فخوطبوا بمـا يخـاطب به المؤمنون، و هو: اتقوا اللّه إذ كـان أكـثرهم له عابـدين، و معنى اتقوه: احترزوا بطاعته مما أعده لأهل معصيته، و امتنعوا بموجبات الثواب عن موجبات العقاب، فكان هذا موضع فَاتَّقُونِ، و فى الأولى موضع فَاعْبُدُونِ .. و أما الفاء فى سورة المؤمنين فى قوله:

فَتَقَطَّعُوا فلأنـه ذكر الـذين صـار قوله فَتَقَطَّعُوا كـالجواب لمـا قبله؛ لأنـهم قطعوا أمر دينهم كتبـا منزلـة من اللّه عز اسـمه، فمنهم من دان بالتوراة و كفر بما سواها من الإنجيل و القرآن، و منهم من دان بالإنجيل و كفر بالتوراة و القرآن، فلما كان ما قبل الفاء خطابا للرسل و أممهم، و قال: كونوا جماعـة واحـدة ذات دين واحـد صار كأنه قال: أمرتهم بالائتلاف و الاتفاق فى الدين فتقطعوا أمرهم فيه قطعا، و افترقوا فيه فرقـا، و كـل يقـدر أنه على الصواب و متمسـك بمـا فى الكتاب فهو فرح بما لـديه، و معوّل عليه، فكان ما بعـد الفاء هنا فى تعلقه بالأول تعلق الجواب بالمبتدإ كما بعد الفاء فى قوله فى الآية الأولى، و هو:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ «۵» فى أنه متعلق بما قبله تعلق الجواب دون قوله: وَ تَقَطَّعُوا و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة: المؤمنون، الآيتان: ۵۱، ۵۲.

(۴) سورة: الحشر، الآية: ۱۸.

(۲) سورة: الأحزاب، الآية: ۱.

(۵) سورة: الأنبياء، الآية: ۹۴.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۱۱۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۵

۲۲- سورة الحج

الآية الأولى منها

قوله تعالى: كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ «۱» و قال فى سورة السجدة «۲»: كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

للسائل أن يسأل عن قوله: مِنْ غَمٍّ فى سورة الحج و خلو الآية التى فى سورة السجدة منه.

الجواب أن يقال: أنه تعالى لما وصف من أحوال أهل النار فى هذه السورة فى الآية المتضمنة لهذه اللفظة بقوله: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ ما فِى بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ «۳» فأخبر أن النار تشتمل عليهم من جوانبهم كاشتمال الثياب. و قيل: ثياب نحاس من النار، و هى النهاية فى الإحماء و الإحراق، ثم خصص الرءوس بصب الماء المغلى عليها، و قيل فى التفسير: إنه ينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها و يذوب ما فى بطونهم من الشحوم، و يتساقط ما عليهم من الجلود مع زبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رءوسهم إذا حاولوا الخروج من النار، فلما وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم صاروا بإحاطة ذلك بهم و سد أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالغمامة التى تسد منفسه، فلا يجد فرجة، و الطبق المغموم المستور، و قال القطامى:

إذا رأس رأيت به طماحا شددت له الغمائم و الصقاعا

---

(۱) الآية: ۲۲.

(۲) الآية: ۲۰.

(۳) سورة: الحج، الآيات: ۱۹- ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۶

و ليس الغم هاهنا الحزن، و إن كان أصله من ذلك لكنه تغطيتهم بالعذاب و الأخذ بكظمهم، فلما تقدمه وصف ما أحاط بهم ذكر هذا الغم أى: كلما أرادوا من الكرب الذى أخذ بكظمهم أن يخرجوا من النار التى جلبت عليهم كل ذلك أقبلت الزبانية نحوهم بما يدق رءوسهم .. و الآية التى فى سورة السجدة لم تشتمل من إحاطة العذاب بهم من ذكر الثياب من النار وصب الحميم و إذابة الشحوم ما ذكر فى هذه الآية قال: وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها «۱» فلما لم يتقدم ذكر ما يطيف بهم و يغمهم و يصير كما يسد مخارج أنفاسهم لم يذكر أنهم يحاولون الخروج من أجل الغم الذى اقتضت الآية فى الحج ذكره، و لم يقع مثله فى سورة السجدة من مقتض، فلم يقع المقتضى لذلك.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَ هِىَ ظالِمَةٌ فَهِىَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها «۲» و قال بعده بآيات: وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَ هِىَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ «۳».

للسائل أن يسأل عن قوله فى الأولى: أَهْلَكْناها و قوله فى الثانية: أَمْلَيْتُ لَها و هل لكل واحد ما يوجب اختصاصه بمكانه دون الآخر؟

الجواب أن يقال: إن قوله: فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها جاء بعد قوله:

وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ «۴» إلى قوله: وَ كُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ «۵» فلما جاء عقيب ما وصف من إهلاكهم وصفهم بذلك و الثانية بعد قوله: وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها «۶» فذكر عقيب استعجالهم العذاب و اللّه يريد غيره من الإملاء لهم، و تأكيد الحجة

عليهم، فكل لفظة فى مكانها الذى تليق به.

---

(۱) سورة: السجدة، الآية: ۲۰.

(۴) سورة: الحج، الآية: ۴۲.

(۲) سورة: الحج، الآية: ۴۵.

(۵) سورة: الحج، الآية: ۴۴.

(۳) سورة: الحج، الآية: ۴۸.

(۶) سورة: الحج، الآيتان: ۴۷ و ۴۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۷

الآية الثالثة من سورة الحج

قوله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ «۱» و قال بعده بآيات: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ «۲».

للسائل أن يسأل فيقول: هل كان يجوز فى الأولى فى جنات النعيم؟ و فى الثانية:

لهم مغفرة و رزق كريم، و ما المعنى الذى خصص كلّا من اللفظين بمكانه؟

الجواب: أن الأول خبر عن حال القوم فى الدنيا لقوله: قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ «۳». ثم قال: فالذين آمنوا و عدوا الغفران و الرزق الكريم، و لم يجز هنا أن يقال: هم فى جنات النعيم إلا على ضرب من المجاز أنهم مستحقون لها فكأنهم فيها، و ليس كذلك الآية الأخيرة؛ لأنها خبر عن الحال فى الآخرة لقوله: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ «۴» أى: يوم القيامة يكونون فى دار الثواب، فلما اختلف المقتضيان فذكر كل واحد فى المكان الذى لاق به.

الآية الرابعة من سورة الحج

قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ «۵» و قال فى سورة لقمان «۶»: ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

للسائل أن يسأل عن تخصيص الآية من سورة الحج بالتوكيد فى قوله: وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ و إخلائه منه فى سورة لقمان.

و الجواب: أن الأولى وقعت فى مكان تقدمت فيه توكيدات مترادفة فى ستة مواضع و هى قوله:

---

(۱) سورة: الحج، الآية: ۵۰.

(۴) سورة: الحج، الآية: ۵۶.

(۲) سورة: الحج، الآية: ۵۶.

(۵) سورة: الحج، الآية: ۶۲.

(۳) سورة: الحج، الآية: ۴۹.

(۶) الآية: ۳۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۸

وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً «۱» فاللام و النون مؤكدتان، و بعده: وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ «۲» و اللام مع هو مؤكدان، و بعده لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ «۳» و اللام و النون سبيلهما تلك السبيل، و بعده وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ «۴» اللام التى فى خبر «إن» كذلك، و بعده لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ «۵» فلما ترادفت التوكيدات، و جاء فى هذا الموضع، و جاء بعده خبر بين خبرين أكد و هو ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، و قوله:

وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ «۶» اقتضت أشباهه مثله، فجاء الخبر الثانى الواقع بين الخبرين، و بعد الأخبار المؤكدة مؤكدا بقوله «هو» فقال: وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ و ليس كذلك ما جاء فى سورة لقمان؛ لأنه لم تتقدمه التوكيدات التى تستتبع أمثالها كما تقدمت فى الأولى.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ «۷» و قال فى سورة لقمان «۸» عليه السّلام: لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.

للسائل أن يسأل عن إعادة ما فى الآية الأولى فى قوله: لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و إخلاء الثانية منها و هو قوله تعالى: لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و عن قوله فى الأولى: وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فأدخل اللام على «هو» و لم يدخلها فى سورة لقمان.

الجواب عن ذلك نحو الجواب الأول و هو شاهد يحقق ما أجبنا به من اختيار التوكيد حيث يقصد بناؤه على الكلام المتقدم له؛ لأن هذه الآية تالية لتلك، لا يحجزها عنها إلا قوله: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ «۹» فحملت على نظائرها المذكورة قبلها، و خالفت التى فى سورة لقمان تلك لموقعها، فلم تؤكد كما و كدت الأولى كذلك.

---

(۱) سورة: الحج، الآية: ۵۸.

(۶) سورة: الحج، الآية: ۶۲.

(۲) سورة: الحج، الآية: ۵۸.

(۷) سورة: الحج، الآية: ۶۴.

(۳) سورة: الحج، الآية: ۵۹.

(۸) الآية: ۲۶.

(۴) سورة: الحج، الآية: ۵۹.

(۹) سورة: الحج، الآية: ۶۳.

(۵) سورة: الحج، الآية: ۶۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۱۹

۲۳- سورة المؤمنون

الآية الأولى منها

قوله تعالى فى قصة نوح عليه السّلام: فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ «۱» و قال بعد هذه

القصة: وَ قالَ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ «۲».

للسائل أن يسأل: عن تقديم «من قومه» فی الآية الأخيرة، و تأخيره فی الآية الأولی، و هل کان يصلح أحدهما مکان الآخر.

الجواب أن يقال: لما انقطعت صفة الملإ فی الآية الأولی إلی المحکی من قولهم، قرن الوصف ب «الذين» إلی الموصوف، ثم جیء بالجار و المجرور، فکان منتهی بيان فاعل قال، و لم يکن کذلک القصد فی الآية الآخرة؛ لأنه عددت أفعال عطفت علی الفعل الذی هو صلة «الذی»، فقدم الجار و المجرور، لئلا يحال بين الصفة و ما عطف عليها، فقال: وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا، فکان کل ذلک مما أتبع قوله: كَفَرُوا و لو قال و قال الملأ: الذين کفروا من قومه و کذبوا بلقاء الآخرة لم يکن علی النظم المرتضی فيما يستفصح من الکلام، و إن کان جائزا فلذلک قدّم الجار و المجرور فی الأخيرة و أخّر فی الأولی.

الآية الثانية من سورة المؤمنين

قوله تعالی: فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ «۳» و قال فی سورة هود «۴»، و کان حق ذلک أن يذکر هناک:

---

(۱) سورة: المؤمنون، الآية: ۲۴.

(۳) سورة: المؤمنون، الآية: ۲۷.

(۲) سورة: المؤمنون، الآية: ۳۳.

(۴) الآية: ۴۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی کتاب الله العزيز، ص: ۲۲۰

حَتَّی إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.

للسائل أن يسأل فيقول: لم اختلف فی الآيتين قوله: قُلْنَا احْمِلْ فِيها و قوله:

فَاسْلُكْ فِيها و هل کان يصلح کل واحد منهما مکان الآخر أو هناک معنی يخصص کلا بمکانه؟

الجواب أن يقال قوله: قُلْنَا احْمِلْ إخبار عما کان من اللّه تعالی إلی نوح عليه السّلام من الأمر بحمل ما يحمله فی السفينة و من يحمله من المؤمنين، و تقدم إليه بإعدادهم للرکوب معه، و منع من حظر عليه استصحابه، ثم بعد ذلک أمره بقوله: ارْكَبُوا فِيها «۱» فالأول: أمر بتهيئة ما يستبقی من الحيوان، و ما يستبقی من المکلفين، و الثانی:

أمر برکوب السفينة، و الثالث: أمر بالهبوط منها بقوله: قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ «۲» فالذی جاء فی سورة هود جاء علی مقتضی أوامر اللّه المفصلة إعداد من يرکب معه و من الرکوب و من النزول. و أما قوله فی سورة المؤمنين: فَاسْلُكْ فِيها فإنه مجمل علی ما فصل فی الآية الأولی إذ کان الشرح و البيان مقصورين عليها، و کانت الثانية مشتملة علی بعض ما اشتملت عليه الأولی، و هو قوله: فَاسْلُكْ ما يتضمن احمل و ارکب و اعبر، و من ذلک سمی الطريق: مسلکا، و سلکه ينابيع فی الأرض أی:

أجراه، و سلک الطريق أی: نفذ فيه، فکان موضع الاختصار أولی بالمجمل من الکلام، و موضع البيان أولی بالبسط، فقصة نوح فی سورة هود قد شغلت بها خمس و عشرون آية، و هی فی سورة المؤمنين واقعة فی ثمان آيات، فاقترن بکل من المکانين ما اقتضاه القصد من زيادة بيان، أو اختصار کلام.

الآية الثالثة من سورة المؤمنين

قوله تعالی: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «۳» و قال بعده فی ذکر القرون: فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ «۴».

للسائل أن یسأل: ما الذی أوجب فی الأولی: لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، و فی الثانیة:

لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ؟

(۱) سورة: هود، الآیة: ۴۱.

(۳) سورة: المؤمنون، الآیة: ۴۱.

(۲) سورة: هود، الآیة: ۴۸.

(۴) سورة: المؤمنون، الآیة: ۴۴.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۲۲۱

الجواب أن یقال: إن القصة الأولی و إن خرجت عن لفظ التنکیر فقال: ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ «۱» فإنه معلوم من المراد بالرسول و بالمرسل علیهم، فدل علی ذلک بأن قال: أهلکتهم الصیحة، و هم قوم صالح علیه الصلاة و السّلام، فلما کان فی أقوام معلومین أتی بذکرهم معرفة فقیل: بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ و خص وصفهم بالظلم؛ لأنه شیء عاملوا به غیرهم، و عاملوا به أنفسهم لتکذیبهم الرسل، و ظلمهم لهم بنسبتهم إلی ما هم منزهون عنه، ثم هم ظالمون لأنفسهم إن منعوها ما عرضوا له من نعیم الأبد و الثواب السرمدی. و أما قوله: فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ فإنه جاء بعد خاتمة قوله تعالی: ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ «۲» فلم یبین بالمعنی من المراد کما بین فی الأولی، و کانوا منکورین للمسلمین، فلما أمرهم بلفظ الدعاء علیهم استعمل فیهم ما استعمل فیمن لم یتعین و لم یشتهر فنکر اللفظ، فقال: لقوم لا یؤمنون أی: أهلک اللّه کل قوم لا یؤمنون عند ظهور آیات اللّه لهم، و وجوب حجة اللّه تعالی علیهم، و المعنی: بعدا لکل قوم ألیق بقوله: كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ «۳» فأخبر خبرا عاما و أمر أن یدعی علیهم دعاء عاما، فوجب فی کل موضع ما جاء فیه دون الآخر.

الآیة الرابعة منها

قوله تعالی «۴»: بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ قالُوا أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ و قال فی سورة النمل «۵»: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

للسائل أن یسأل عن تقدیم توکید المضمر المرفوع بقوله: «نحن» و تأخیر المفعول و هو «هذا» فی الآیة الأولی، و عکس ذلک فی الآیة الثانیة، و هل لذلک فائدة تقتضی لکل مکان ما خص به؟.

الجواب أن یقال: لما کان الأول فی حکایة تظاهرت فیها أفعال أسندت إلی فاعلیها

(۱) سورة: المؤمنون، الآیتان: ۳۱، ۳۲.

(۴) سورة: المؤمنون، الآیة: ۸۱- ۸۳.

(۲) سورة: المؤمنون، الآیة: ۴۲.

(۵) الآیتان: ۶۷، ۶۸.

(۳) سورة: المؤمنون، الآیة: ۴۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۲

متصلة بها، و هى: بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ فهذان فعلان تعلق بهما هذا المحكى، و كل واحد منهما جاء بعده فاعله مواصلا له غير منفصل عنه، ثم بعده قالوا:

أ إذا مِتْنا فكل هذه الأفعال قصد بها حكاية ما جاء بعدها، فلما قال: لَقَدْ وُعِدْنا وجب فى البناء على الأفعال المتقدمة أن يتمم حكم الفاعل، و هو توكيده و العطف عليه، فقدم «نحن و آباؤنا» على المفعول الثانى و هو «هذا»، لذلك و لأن الأصل إذا جرى عليه الشىء أولى من غيره .. و أما الآية الثانية: من سورة النمل فإن الذى تقدمها وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أ إذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا فأخر المعطوف على اسم كان الذى هو كالفاعل لها و هو قوله: وَ آباؤُنا عن المنصوب الذى هو كالمفعول لها و هو قوله: تُراباً فصار ما هو كالمفعول مقدما على ما هو معطوف على الفاعل، فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول، ثم العطف على الفاعل المضمر، فجاء لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ لذلك.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ «۱».

للسائل أن يسأل: عن خاتمة الآية الأولى بقوله: أ فَلا تَذَكَّرُونَ و خاتمة الآية الثانية بقوله: أ فَلا تَتَّقُونَ و خاتمة الآية الثالثة بقوله: فَأَنَّى تُسْحَرُونَ و ما الذى خص كلا بمكانه؟

الجواب أن يقال: إن هذه الآى جاءت بعد ما أخبر اللّه عن الكفار من إنكار البعث، و هى فى الآية التى تكلمنا فيها و اتصلت هذه بها، فأمر نبيه صلّى اللّه عليه و سلم بأن يسألهم لمن الأرض و من فيها أى: من يملكها و يملك الناس الذين فيها، فإنهم يقرون أن جميع ذلك لخالقها، و هو اللّه تعالى، و إذا أقروا بذلك فقل لهم: أ فَلا تَذَكَّرُونَ إذا قلنا لكم إنه ينشئ نشأة ثانية ما كان من النشأة الأولى كما قال: وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ «۲»؛ أى: عندكم و فى تقديركم الفاعلين منكم، فخصت بالتذكرة؛ لأنهم إذا

(۱) سورة: المؤمنون، الآيات: ۸۴- ۸۹.

(۲) سورة: الروم، الآية: ۲۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۳

أثبتوا الخلق الأول لزمهم الخلق الثانى .. و أما قوله تعالى: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ «۱» فإنما معناه: من الذى به قوام السموات السبع و العرش العظيم، و لا يستغنى عنه و هذه الأشياء من أكبر ما يرى من خلق اللّه تعالى، و ما ثبت بالصدق من الخبر عندنا فمن كان مالك السموات و الأرض و العرش العظيم و أقررتم له بذلك، فلم لا تجتنبون معصيته و لا تتقون عقوبته؟ إذا كانت هذه الأجرام العظيمة لا تستغنى عنه ساعة، فأنتم فى ضعفكم أحوج إلى أن يربكم، و أن تقوموا بحق ربانيته لكم، فتمتنعوا بطاعته من موجب عقابه، فهذه لائقة بمكانها حالّة فى موضعها .. و أما الثالثة:

و هى: فَأَنَّى تُسْحَرُونَ فإنها جاءت بعد تقرير ثالث و هو: قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ «۲»؛ أى: من الذى ملكه على الأشياء أتمّ ملك، و هو يمنع و لا يمتنع منه؟ أى: يمنع من المكروه من شاء، و لا يملك أحد منع من أراده بسوء، و هذا أعظم ملك و أبلغه، فإذا أقروا بذلك فقل لهم: كيف تخدعون عن عقولكم حتى تتخذوا الأوثان و الأصنام آلهة و هى لا تسمع و لا

تبصر مع القادر العليم الذى قد أقررتم له بأتم الملك و بكل الخلق الذى يشهدكم و الذى يغيب عنكم و قوله: فَأَنَّى تُسْحَرُونَ؛ أى: من أين يأتيكم ما يغلب على عقولكم، فيخيل الباطل إليها حقا و القبيح عندها حسنا، أمّن علمكم بأن اللّه مالك الأرض و من فيها، أم من علمكم بأنه رب السموات السبع و رب العرش العظيم، أم من علمكم بأن له الملك الأغلب و العز الأغلب و أنه يمنع و لا يمنع منه و يحمى من عقابه و لا يحمى منه و ليس فى شيء من ذلك ما يرى الفاسد صحيحا و المعوج قويما، فهذا الذى ختم به الثالثة ناظم معناه بخواتيم ما قبله، و كل فى مكانه اللائق به، و اللّه أعلم بالصواب.

---

(۱) سورة: المؤمنون، الآية: ۸۶.

(۲) سورة: المؤمنون، الآية: ۸۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۴

۲۴- سورة النور

الآية الأولى منها

قوله تعالى فى آخر العشر من أول السورة: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ «۱» و قال فى آخر العشرين من السورة: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۲».

للسائل أن يسأل: عن خاتمة العشرين و اختلافهما بقوله فى الأولى: تَوَّابٌ حَكِيمٌ و فى الثانية: رَؤُفٌ رَحِيمٌ مع حذف جواب لو لا فى الآيتين.

الجواب: أن يقال: لما ذكر فى أول السورة حد الزنا و القذف، و ختم ذلك بقذف الرجل امرأته و الحكم فيه، اعتد عليهم بأن أمهلهم ليتوبوا، و لم يعاجلهم بالعقوبة على ما قارفوا فقال: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ و أنه يرجع إلى من رجع إليه، و أن من تاب تاب اللّه عليه لعجل إهلاككم، و رمى بكم إلى العقاب الدائم، و العذاب الواصب، و هذا الجواب المحذوف قد ذكر فى الآية التى فى أهل الإفك و هى: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ «۳» فهذا معنى: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ و معنى حكيم: أن أفعاله مبنية على الحكمة، و من الحكمة إن لم يعاجل كل مذنب بعقوبته عند وقوع خطيئته .. و أما خاتمة العشرين بقوله: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فإن معناه: لو لا أن اللّه أنعم عليكم و رحمكم، و قد أجرى حكمه بأن يرحم أمثالكم و يرأف بكم لما بقّاكم عند هذا الذنب الكبير و الإفك العظيم، فهذا موضع ذكر الرحمة لما تخولهم بالعظة فقال: يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «۴» و الأول مطلق غير محصور على قوم

---

(۱) سورة: النور، الآية: ۱۰.

(۳) سورة: النور، الآية: ۱۴.

(۲) سورة: النور، الآية: ۲۰.

(۴) سورة: النور، الآية: ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۵

بأعيانهم، و إنما المراد: من فعل منكم ذلك فحدّه كذا و حدّه كذا فى الدنيا و عذاب دائم فى الآخرة، و مخاطبة أهل الإفك لأقوام معينين أكبر لعظم ذنبهم، و أنهم لم يهلكوا لرأفته بهم، فكان كل موضع من الموضعين مقتضيا لما اختص به من الآيتين.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَما اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «۱».

للسائل أن يسأل فيقول: لم قال فى الأولى: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ و قال فى الثانية: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ؟

الجواب: أن فى الأولى إشارة إلى ما تقدم ذكره فيما أوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ إلى قوله: ثَلاثُ عَوْراتٍ «۲» و جعل الأوقات الثلاثة آيات لهم، و علامات للمنع من دخول المماليك و الأطفال على النساء، و جوازه فيما سواها، و عبّر عنها بالآيات لما لم يكن تبيين الأوقات من الأفعال التى تتخصّص بقدرته، و لما كان بلوغ الحلم مما يختص بفعله، و لم يقدر فاعل على مثله إضافة إلى نفسه فقال: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ و يبين ذلك قوله فى العشر الأخير بعد قوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ «۳» إلى قوله: أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ «۴» بعد القربات التى أجاز تناول طعامها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۵» فلم يضفها إلى نفسه؛ لأنها آيات مثل الأول التى تقدمت فى أنها لا تتخصص بقدرته أى: يبين لكم العلامات التى ينصبها على ما يبيح و ما يحظر و ما يضيق فيه و ما يوسع و مثله قوله تعالى: يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «۶» لما أشار إلى حد الزانى و القاذف و الفرق بين المكانين واضح، فاعرفه إن شاء اللّه.

---

(۱) سورة: النور، الآيتان: ۵۸، ۵۹.

(۴) سورة: النور، الآية: ۶۱.

(۲) سورة: النور، الآية: ۵۸.

(۵) سورة: النور، الآية: ۶۱.

(۳) سورة: النور، الآية: ۶۱.

(۶) سورة: النور، الآيتان: ۱۷، ۱۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۶

۲۵- سورة الفرقان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً «۱» و قال قبله فى سورة الرعد، و كان حكم هذه الآية أن تذكر هناك: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَ النُّورُ «۲».

للسائل أن يسأل: عن تقديم «نفع» على «ضر» فى سورة الرعد، و عكس ذلك فى سورة الفرقان، و ما الذى أوجب هذا الاختلاف؟

الجواب: أن يقال: أما فى سورة الرعد، فإنه قدم فيه الأفضل على الأنقص؛ لأن اجتلاب النفع أشرف من استدفاع الضر، و هو رتبة فوقه فمن فاته كمال ذلك طلب دفع الضرر فهو على وجهه فى الترتيب، و أما فى سورة الفرقان فإنه بنى على ما قبله، و هو لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ و قوله: لا يَخْلُقُونَ نفى وَ هُمْ يُخْلَقُونَ إثبات؛ فقدم النفى على الإثبات، و كان الضر نفيا و النفع إثباتا؛ أى: النفع إثبات المصالح و إيجادها و الضر نفيها، فكما قدم فيما قبله ما نفى على ما أثبت حمل المعطوف عليه، ليكون مشاكلا له.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً «۳» و كذلك فى سورة يونس، و كان هناك يجب أن تذكر الآيتان:

---

(۱) سورة: الفرقان، الآية: ۳.

(۳) سورة: الفرقان، الآية: ۵۵.

(۲) سورة: الرعد، الآية: ۱۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۷

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ «۱».

للسائل: أن يسأل فى هاتين الآيتين عن مثل ما سأل فى الأوليين.

الجواب أن يقال: أما فى سورة يونس، فإنه بدأ بما هو أبلغ إذا ابتدئ به؛ لأن امتلاك الضر أسهل من امتلاك النفع، فالواحد منا يقدر لغيره من الضر على ما لا يقدر عليه من نفعه، و يتسهل عليه ضره ما لا يتسهل على الفاعلين فكيف ما يتعذر، ثم ذكر بعده، وَ لا يَنْفَعُهُمْ لاستيعاب ما فى الباب.

و أما فى سورة الفرقان، فإنه تبع لما قدم فيه الأفضل على الأنقص لقوله تعالى:

وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ «۲» و قوله بعده: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً «۳» فقدم خلطة النسب على خلطة السبب، و هى: المصاهرة، ثم جاء بعد ذلك وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ، فقدم النفع على الضر اتباعا لما تقدم.

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۸۱.

(۲) سورة: الفرقان، الآية: ۵۳.

(۳) سورة: الفرقان، الآية: ۵۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۲۸

۲۶- سورة الشعراء

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ «۱» و قال فى سورة الأنبياء «۲» و هو ما وجب ذكره هناك: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ.

للسائل أن يسأل: ما الذى خصص ذكر «الرحمن» بسورة الشعراء، و ذكر «ربهم» بسورة الأنبياء؟

الجواب: أنه إنما خص هذين الوصفين من صفات اللّه تعالى فى هذين الموضعين؛ لأن الرب هو القائم بمصالح الخلق من ابتداء التربية إلى آخر العمر، و الرحمن هو المنعم عليهم فى الدنيا بما خلق فيها، و المعرض للنعيم الدائم بعدها، و إيتائهم بالذكر من عنده و هو القرآن العظيم مما يصلحهم فوق ما تصلحهم الأغذية المخلوقة لهم، فذكر أن الرب الذى أصلح بأنواع ما خلق أجسادهم أصلح بما صرفهم عليه من طاعته أديانهم، فهو ما يقتضيه الوصف بالرب و الوصف بالرحمن ... و أما اختصاص سورة الشعراء بالرحمن، فلأن

السورة مقصود بها ذكر الأمم الذين بعث إليهم الأنبياء عليهم السّلام، و ختم على كل قصة من قصصهم بقوله: إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ و أولها قصة موسى عليه السّلام، وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى «۳»، فاتّصف تعالى بالعزيز الرحيم لما يوجبانه من الخوف و الرجاء اللذين بهما لزوم الطاعات، و الرغبة فيما علا من الدرجات، و أراد بالرحمة: أن هذه الأمة أمهلت لتقلع عن تمردها، و تعود إلى ربها و تتوب

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۵.

(۲) الآية: ۲.

(۳) سورة: الشعراء، الآية: ۱۰.

من ذنبها، فلما لم تفعل، عوقبت فی الدنيا سوى ما أعدّ لها فی الآخرة. و قال فی أول هذه السورة: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ «۱» إلا أنه أراد أن لا يكونوا كالملجئين فی دينهم إلى اعتقاد ما يعتقدونه، و أمهلهم رحمة منه بهم، فقال: وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ، فاختص هذا الوصف هنا لذلك .. و أما قوله فی سورة الأنبياء: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ، فلأنه عدّ إصلاح أديانهم من جملة إصلاح أبدانهم، و الرب القائم بما يصلح العبد، و الدين أبلغ فی إصلاحه مما يغذوه من طعامه، و خص هذا الموضع بذكر ربهم؛ لأنه قال: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَ هُمْ فِی غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ «۲»، و لا يغفلون إلا إذا كانوا فی رغد من عيشهم، و لا سبيل إليه إلا بمظاهرة النعمة من اللّه تعالى، و فعله هذا بهم، يقتضی وصفه بربهم.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ «۳» و قال فی سورة الصافات «۴»: وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ. للسائل أن يسأل: عن زيادة ذا فی قوله فی الصافات: ما ذا تَعْبُدُونَ، و إخلاء ما فی الشعراء منها.

الجواب أن يقال: إن قوله: ما تعبدون معناه: أی شیء تعبدون، و قوله «ما ذا» فی كلام العرب على وجهين: أحدهما: أن تكون «ما» وحدها اسما، و «ذا» بمعنى: الذی، و المعنى: ما الذی تعبدون، و تعبدون صلة لها. و الآخر: أن تكون «ما» مع «ذا» اسما واحدا بمعنى: أی شیء، و هو فی الحالين أبلغ من «ما» وحدها إذا قيل: ما تفعل، فما تعبدون فی سورة الشعراء إخبار عن تنبيهه لهم؛ لأنهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهم، فأجابوه و قالوا: نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ، فنبه ثانيا بقوله: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، و أما ما ذا تَعْبُدُونَ فی سورة الصافات، فإنها تقريع، و هو حال بعد التنبيه، و لعلمهم بأنه يقصد توبيخهم و تبكيتهم لم يجيبوا كإجابتهم فی الأول ثم أضاف تبكيتا إلى تبكيت، و لم يستدع منه جوابا فقال: أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ، فلما قصد فی الأول التنبيه كانت «ما» كافية، و لما بالغ و قرع استعمل اللفظ

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۴.

(۳) سورة: الشعراء، الآيات: ۶۹- ۷۱.

(۲) سورة: الأنبياء، الآية: ۱.

(۴) الآيات: ۸۳- ۸۷.

الأبلغ، و هو «ما ذا» التى إن جعلت «ذا» منها بمعنى: «الـذى» فهو أبلغ من «ما» وحدها، و إن جعلا اسـما كان أيضا أبلغ، و أوكد مما إذا خلت من «ذا».

الآية الثالثة من سورة الشعراء

قوله تعالى: الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَ يَسْقِينِ وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَ الَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ «۱».
للسائـل أن يسأل فيقول: ما الـذى أوجب إدخال هُوَ فى قوله: وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَ يَسْقِينِ، و قوله: فَهُوَ يَشْفِينِ، و إخلاء قوله: وَ الَّذِى يُمِيتُنِى منها، و لم يقل: و الذى هو يميتنى كما قال: وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى؟
الجواب: أن يقال: لو جاء: و الذى يطعمنى و يسقين و إذا مرضت فهو يشفين، لكان معلوما أن مراده هو اللّه تعالى، و ذكر «هو» توكيدا لمعنى الكلام، و تخصيصا للفعل به دون غيره، و احتاج ذكر الإطعام و الشفاء إلى هـذا التوكيد؛ لأنهما مما يدعى الخلق فعله، فيقال: فلان يطعم فلانا و الطبيب يـداوى و يسبب الشفاء، فكان إضافة هذين الفعلين إلى اللّه تعالى محتاجة إلى لفظ التوكيد، لما يتوهم من تضيفه إلى المخلوق إلى مـا لاـ يحتاج إليه إضافة الموت و الحياة؛ لأن أحـدا لا يـدعى فعلهما كما كان يـدعى الأولين، فافترقا لهـذا الشأن.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى فى قصة صالح عليه السّلام: قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ «۲» و قال فى قصـة شـعيب عليه السّـلام: وَ اتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ «۳».
للسائل أن يسأل: عن الواو فى قصة شعيب فى قوله: وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا، و حذفها من مثله فى قصة صالح عليه السّلام.

---

(۱) سورة: الشعراء، الآية: ۷۸– ۸۱.

(۳) سورة: الشعراء، الآيات: ۱۸۴– ۱۸۶.

(۲) سورة: الشعراء، الآيتان: ۱۵۳، ۱۵۴.

الجواب أن يقـال: إن قوم صالـح فى حـال هـذا الخطـاب، لم يـدفعوا أمره كمـا دفع أمر شـعيب قومه، فيمـا حكى اللّه تعالى من قولهم لصالح عليه السّلام، إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا، ثم لم يطلبوا منه ما ليس لهم طلبه؛ لأنهم قالوا: فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، و هذا لا شـطط فيه، و لا فى قولهم: أَنْتَ مِنَ الْمُسَـحَّرِينَ، و قولهم: ما أَنْتَ إِلَّا بَشَـرٌ مِثْلُنا؛ لأن اللّه تعالى يقول لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم: قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ «۱»، و المسحرون فيه أقوال أحدها: الذين لهم سحر و روية و قيل:
المعللون بالطعام و الشراب كما قال امرؤ القيس:
أرانا موضعين لحتم غيب و نسحر بالطعام و بالشراب
و قال لبيد:
فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر
و قيـل: المسـحرون: المسـحورون، كـأنه سـحر مرارا حتى خبل و فسـد عقله و اضـطرب رأيه، عن مجاهـد و قتادة، و قيل: المسـحرون: المخلوقون؛ عن ابن عباس، فالموضع الـذى لا واو فيه هو بدل من الجملة التى قبله، ثم قال: فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، و لهم أن

يقولوا ذلك، و أما قوم شعيب فإنهم فى خطابهم المحكى عنهم مشطون و مبالغون فى رده و تكذيبه فقالوا: إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا، على خبرين عطف أحدهما على الآخر، و قالوا بعده: وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکاذِبِینَ على معنى: و إنا لنظنك كاذبا أى: الغالب فى أمرك عندنا أنك كاذب، فلم يجعلوا الخبرين خبرا واحدا، بل جعلوها أخبارا ثلاثة قولهم: إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ؛ أى: لست من الملائكة الذين هم رسل اللّه إلى خلقه، فلا يطعمون و لا يشربون، بل أنت من المغتذين بالطعام و الشراب، و قولهم: وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا أى: لا فضل لك علينا، فهو خبر ثان، و قوله: وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکاذِبِینَ خبر ثالث، ثم طلبهم إسقاط كسف من السماء تكون أمارة لصدقه خلاف ما طلبته ثمود حين قالت: فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، و لم تقترح بالحالة التى كانت فيها عند مخاطبة نبيها لها، و لم يقارنها من التمرد ما قارن حال قوم شعيب حين ردوا عليه فى خبر بعد خبر، فكان موضع الواو فى قصتهم لذلك، و لم يكن لها موضع فى الأول لما بينا من إبدالهم الجملة الثانية من الأولى، و اقتصارهم على بعض ما انبسط فيه غيرهم.

---

(۱) سورة: الكهف، الآية: ۱۱۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۲

۲۷- سورة النمل

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ «۱» و قال فى سورة القصص «۲»: فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِينَ اسْلُکْ يَدَکَ فِي جَيْبِکَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

للسائل أن يسأل فيقول: فى سورة النمل ما ليس فى سورة القصص، و المحكى شىء واحد، و الزيادة قوله: إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ، و فى سورة القصص أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِينَ اسْلُکْ يَدَکَ فِي جَيْبِکَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

الجواب أن يقال: الحكايات ليس يشترط فيها إذا أديت معانيها دون ألفاظها استيعاب جميعها فى مكان واحد؛ بل يجوز أن تفرق فى أماكن كثيرة، فهذا وجه، و يكون معنى إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِينَ أى: من المرسلين الذين لا يخافون، و يجوز أن يكون إِلَّا مَنْ ظَلَمَ خارجا عن الحكاية، و يكون خبرا من اللّه تعالى يخبر به نبينا عليه السّلام، فيعترض بين جمل ما يحكى كما قال اللّه عز و جلّ فيما حكى من كلام صاحبة سبأ: إِنَّ الْمُلُوکَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ كَذلِکَ يَفْعَلُونَ «۳» فيكون وَ كَذلِکَ يَفْعَلُونَ غير محكى، و إنما يكون خبرا من اللّه تعالى معترضا بين ما حكى تصديقا لها ثم قال عائدا إلى حكاية قولها: وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ «۴»، و يجوز فى هذا المكان

---

(۱) سورة: النمل، الآيتان: ۱۰، ۱۱.

(۲) الآيتان: ۳۱، ۳۲.

(۳) سورة: النمل، الآية: ۳۴.

(۴) سورة: النمل، الآية: ۳۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۳

معنى: وَ كَذلِکَ يَفْعَلُونَ من الحكاية على معنى أن الملوك تأثيرهم فى القرى التى يدخلونها تخريبها و كذلك يفعل هؤلاء يعنى:

سليمان عليه السّلام و خيله، و معنى قوله فى الآية إِلَّا مَنْ ظَلَمَ محمول على وجهين:

أحدهما: أن يكون استثناء من متصل لا من منقطع، فيكون مستثنى مما يدل عليه لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ، و هذا يدل على أن غيرهم يخافون، فترك ذكرهم لقوة الدلالة عليه كما قال: وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ «۱»، فحذف البرد لعلم المخاطبين به، و إذا كان «لكن غير المرسلين يخافون» مقدرا إثباته كان الاستثناء منهم؛ أى: أنهم يخافون إلا من محى ظلمه بتوبة.

و الوجه الثانى: أن يكون استثناء منقطعا تقديره: لكن من ظلم من غير المرسلين، ثم بدل سيئة بحسنة، و محى خطيئته بتوبة، فاللّه غفور رحيم.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۲».

للسائل أن يسأل عما ختمت به هذه الآيات بعد قوله: أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ و هل تقدم ما يوجب اختصاص ذلك به دون غيره؟

الجواب: أن يقال قوله تعالى: خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ بنيت عليه هذه الآيات

---

(۱) سورة: النحل، الآية: ۸۱.

(۲) سورة: النمل، الآيات: ۵۹- ۶۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۴

و تكلم أهل النظر فى قولك: هذا أفضل من هذا، و هذا خير من هذا، فقال بعضهم يقال فى الخير الذى لا شر فيه و الشر الذى لا خير فيه إذا كان يتوهم بعض الجهال الأمر على خلاف ما هو به هذا الخير: خير من الشر، و أنكر على من خالف هذا و علم ذلك عند أهل الأعراب، و هو: أن الأصل فى باب أفعل من كذا للتفضيل، فإذا قيل: هذه الأسطوانة أطول من تلك، فقد وصفها بالطول، إلا أنه يزيد فى طول إحداهما على طول الأخرى، و ألزم أفعل من ابتداء الغاية، كأن المعنى ابتداء زيادة طولها منتهى الأسطوانة الأخرى، فلا يقال: أفعل من كذا إلا و المفضل عليه فيه ذلك المعنى الذى زاد به المفضل عليه .. فأما قوله تعالى بعد وصف النار: إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً «۱» إلى قوله: وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً «۲» قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ «۳»، و لا خير فى الأول فإنما المعنى أن هؤلاء الكفار يحرصون على ما يكسبهم النار كأنهم يرونها خيرا لهم، ثم وصف ما يختارونه بصفته، و أتبعه الخير الذى لا شر فيه، فقال: فعلكم فعل من يرى النار خيرا له من الجنة فانظروا هل هى كذلك أم لا؟ و كذلك قوله: فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ «۴»؛ أى: يتعرضون لها، و يكتسبونها، ففعلهم فعل من يصبر عليها، و كذلك قوله: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ، أى: هم مشغولون بعبادة الأوثان عن عبادة الرحمن، و فعلهم ينبئ أنها تنفعهم فوق ما ينفعهم خالقهم، فكأنهم قالوا: إن تلك أنفع لهم منه تبارك و تعالى، ثم قررهم فقال: آلله أنفع لكم أم الأوثان؟ و فصل عظم المنافع التى أنعم اللّه بها و لم يشاركه غيره فيها فقال:

أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً أى: إذا اعترفتم بأن اللّه سنى لكم المصالح، و يسر لكم المنافع، و خلق السموات و الأرض اللتين بهما أمسك الخلق، و أنزل المطر من فوق، و أنبت به قوام الناس من تحت من بساتين ذوات المناظر الحسنة

سوى المآكل الطيبة، ثم قال: أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ أى: أ يحتاج من يفعل هذا إلى عضد و معين؟ بل الكفار قوم يعدلون عن الحق، و قيل: يعدلون بمن يفعل هذا غيره، تعالى اللّه عن ذلك، فهذا موضع، بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ؛ لأن أول الذنوب: العدول عن الحق و قبوله و أن يثبت إلها مع اللّه، تعالى اللّه، فيعدله به، و قوله: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً «۵» وصف ما أظهره اللّه من قدرته فى البر و البحر مما به إمساك الأرض، ثم قال: أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ أى: أ مع اللّه من يفعل مثل فعله، بل أكثرهم لا يعلمون ما لهم

(۱) سورة: الفرقان، الآية: ۱۲.

(۴) سورة: البقرة، الآية: ۱۷۵.

(۲) سورة: الفرقان، الآية: ۱۴.

(۵) سورة: النمل، الآية: ۶۱.

(۳) سورة: الفرقان، الآية: ۱۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۵

فى عبادة اللّه تعالى و إخلاصها، و ما عليهم فى إشراك غيره فيها أى: لو علموا ما تنتهى إليه عواقب هذين لما عدلوا عما هو لهم أنفع إلى ما هو لهم، أضر و هذا مكانه بعد قوله: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، و قوله بعد ذلك: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ «۱» ذكرهم بما لا يكاد يخلو منه أحد إذا دفع إلى شدة و اضطر إلى الانقطاع إلى اللّه تعالى فدعاه و كشف شدته، و قوله: وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ؛ أى: يقيم المظلوم مقام الظالم فى أرضه، و يجعل من فى العصر الثانى خلفا ممن فى العصر من قبله، و هذا موضع ينسى فيه الإنسان سالف شدته براهن نعمته فقال: قليلا تذكركم ما مر فى ذكركم من بلائكم و شركم، و هذا موضع يليق به ما جاء فيه و هو قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ، و قوله: أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۲» قوله: يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ معناه: ينجيكم منها بهدايته، و ما نصب لكم من آياته بالنجوم التى تعولون عليها فى الماء و فى البر إذا لم تهتدوا فى الظلمات و هو مثل قوله: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ «۳» فلما كانت هدايته فى البر و تسييره جوارى الفلك بالريح ضم إليه الريح الأخرى المبشرة بالقطر، فلما ختم الآية التى هى فى معناها بقوله:

ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ختم هذه بقوله: تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ؛ لأن المذكورين فى هذه الآية هم المذكورون فى تلك .. و أما قوله: أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۴»؛ أى: من لابتداء كونكم و هو خلقكم و من لانتهائه و هو بعثكم لمجازاتكم- «و من» للحال المتوسطة بين هذين، و هو حفظ حياتكم بأقواتكم و أرزاقكم من السماء و الأرض- أ إله مع اللّه هاهنا من يعدل رب العالمين، هلموا برهانكم و ما يظهر فى النفوس أن ما تقولونه حق و أن ما عداه باطل، فإنكم لا تقدرون إلا على ضده مما يدل على أن ما تقولونه باطل و ما عداه مما تخالفونه حق، فقد بان و وضح أن كل خاتمة لائقة بمكانها و السّلام.

(۱) سورة: النمل، الآية: ۶۲.

(۳) سورة: الأنعام، الآيتان: ۶۳، ۶۴.

(۲) سورة: النمل، الآية: ۶۳.

(۴) سورة: النمل، الآية: ۶۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۶

۲۸- سورة القصص

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۱» و قال فى حم عسق: فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ «۲».

للسائل أن يسأل فى هذا المكان عن مسألتين.

إحداهما: وَ ما أُوتِيتُمْ فى الأولى بالواو، و فى الثانية بالفاء، و ما الذى خصص كل مكان بما جاء فيه.

و الثانية: قوله تعالى فى الأولى: فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها، فذكر الزينة فى الأولى، و لم يذكرها فى الأخرى.

الجواب عن ذلك أن يقال: هذه الآية جاءت بعد قوله: وَ ما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ «۳»، ثم خاطب الذين أوعدهم بمثل ما أهلك به من قبلهم، و أنه ليس لكم فيما تؤتونه فى الدنيا عوض مما يفوتكم فى الأخرى؛ لأن جميع ذلك لا ينفك مما تنتفعون به انتفاعا منقطعا، و إن تطاول أمده، أو تتزينون به، فجميع أغراض الدنيا مستوعب بهذين اللفظين، إما ما لا يستغنى عنه الحى من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح، و يرى العاقل المتعة بها قليلة و إن كانت طويلة لانقطاعها بالموت و انتهائها إلى حسرة الفوت، و إما ما لا حاجة به إليه من فضول العيش مما يتزين به من الملابس الفاخرة، و الآلات الحسنة، و الدور المزوقة المنجدة و الخيل و البغال و الحمير، ما ركب منها للحاجة إليها، و ما

---

(۱) سورة: القصص، الآية: ۶۰.

(۲) سورة: الشورى، الآية: ۳۶.

(۳) سورة: القصص، الآية: ۵۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۷

اتخذ زينة يتجمل عند الأكفاء بها، فما كان محتاجا إليه فهو متاع أيام قليلة، و ما فضل عن ذلك فهو ما يقتنى لعدة و زينة، و الدليل على أن الخطاب خارج على هؤلاء و إن صلح عظة لجميع الناس التفصيل الذى جاء بعده فى قوله: أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ «۱». أى: يحضرون العقاب لتقدم ذكر من يعطى الثواب، فلم يكن لعطف هذه الجملة على الجملة المتقدمة غير الواو، إذ لا معنى هاهنا من معانى الفاء .. و أما ذكر زينتها فلاستيعاب جميع ما بسط فيه الرزق للكفار ... و الآية الثانية قبلها: وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ «۲» و لفظ ذلك عام، و معناه خاص إذ كانت المصائب تصيب من لم يذنب و لا عقاب عليه، فالمراد به: بعض المصابين و بعض المصائب ثم تبعه قوله: وَ مِنْ آياتِهِ الْجَوارِ فِي الْبَحْرِ «۳» إن يشأ يفعل، أو لا يفعل أى: إن شاء أنجى أهلها، و إن شاء أهلكهم بذنوبهم، و قد لا يهلكهم فيعفو عمن يستحق العفو، و يمهل من علم منه الصلاح الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا «۴» و هم الكفار، يعلمون و هم فى السفن أنهم لا منجى لهم إلا باللّه و لطفه ثم خاطبهم، فقال: و إن أوتيتم السلامة و رزقتم بعدها العافية، فذلك قليل البقاء، و إن امتد أياما، فليس القصد فى هذا المكان استيعاب جميع ما يتوهم فى دنياهم، بل هو مطلوبهم فى تلك الحال من النجاة و الأمن فى الحياة، فلم يحتج إلى ذكر الزينة و لم يكن إلا موضع الفاء لأن تعلق ما بعدها بقوله: وَ يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ «۵»؛ أى: يغلب على ظنونهم ذلك، فإن أنجاهم اللّه و أعطاهم مرادهم فى تلك الحال، فإن ذلك سريع الزوال عنهم قليل البقاء معهم، و الذى أعده اللّه تعالى للمؤمنين خير و

أبقى، ثم وصف المؤمنين بصفات ترغبهم فى الكون عليها فى قوله:
وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ «۶» إلى آخر القصة، كما زهدهم فى التمسك بالدنيا الفانية، فالمراد بما يؤتونه إنما هو مطلوبهم من السلامة و النجاة من تلك الهلكة، و الأمن من أمثالها من الورطات، و ذلك عقيب ما أشرفوا عليه من الغرق، و لا موضع لهذا الكلام يحسن غير العطف على ما قبله بالفاء؛ لأنه عقب ما نالهم من المخافة بما أوتوه من الأمنة و حال السلامة إلى سائر ما للّه من النعمة، فقد تضمن ما ذكرنا الجواب عن المسألتين.

---

(۱) سورة: القصص، الآية: ۶۱.

(۴) سورة: الشورى، الآية: ۳۵.

(۲) سورة: الشورى، الآية: ۳۰.

(۵) سورة: الشورى، الآية: ۳۵.

(۳) سورة: الشورى، الآية: ۳۲.

(۶) سورة: الشورى، الآية: ۳۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۸

الآية الثانية منها

قوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ «۱».
للسائل أن يسأل: عن تقديم الليل على النهار، و أنه لو قدم النهار هل كان على مقتضى الحكمة؟ و قوله عقيب هذا أَ فَلا تَسْمَعُونَ و عقيب الآخر أَ فَلا تُبْصِرُونَ؟
الجواب عن ذلك أن يقال: إن نسخ الليل بالنهار الأعظم أبلغ فى المنافع بما ضمن من المصالح من نسخ النهار بالليل، أ لا ترى أن الجنة نهارها دائم لا ليل معه؛ لأن الليل فى دار التكليف للاستراحة و الاستعانة بالجمام و الراحة على ما يلزم من الكلف المتعبة، و المشاق المنصبة، و دار النعيم يستغنى فيها عن ذلك؛ لأنها مقصورة على نيل المشتهى، و على ما تلتذ به النفس و تهوى. فتقديم ذكر الليل لانكشافه عن النهار الذى يمكّن من التصرف فى المعايش و السعى فى المصالح إلى ما لا يحصى كثرة من المنافع المتعلقة بالشمس أحق و أولى .. و قوله: أَ فَلا تَسْمَعُونَ أى: أ فلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل، و يحيط بأكثر ما جعل اللّه فى النهار من المنافع، أم أنتم صمّ عن سماع ما ينفعكم، و قوله: يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ أى: أ فلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه، فإن عقيب السماع استدراك المراد بالمسموع إذا كان هناك تدبر له و تفكر فيه و لم يجعله السامع دبر أذنه.

---

(۱) سورة: القصص، الآيتان: ۷۱، ۷۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۳۹

۲۹- سورة العنكبوت

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداکَ لِتُشْرِکَ بِی ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «۱» و قال فی سورة لقمان «۲»: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَيْنِ أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَيْکَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَ إِنْ جاهَداکَ عَلى أَنْ تُشْرِکَ بِی ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و قال فی سورة الأحقاف «۳»: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّيَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَيْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

للسائل أن يسأل عن اختلاف هذه الآيات الواردة فی الوصاة بالإحسان إلى الوالدين و البر بهما إلا إذا دعوا إلى الشرك و بعثا على الكفر، و عن موقعها، و هل كان يصلح إحداها مكان الأخرى؟

الجواب أن يقال: أما موقع هذه الآية من سورة العنكبوت، فمشبه مواقع الآيات التی قبلها و التی بعدها، و ذلك أنه أجمل فيها الإحسان لقوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِی کانُوا يَعْمَلُونَ «۴» اشتمل هذا على جميع معاملة المؤمنين فی الدنيا و الآخرة و هی فی الدنيا إيمانهم و صالحات أعمالهم التی يكفر بها السيئات، فلا يؤاخذ بها من ضمن جزائه على أحسن عمله، و هو طاعة اللّه

---

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۸.

(۳) الآية: ۱۵.

(۲) الآيتان: ۱۴، ۱۵.

(۴) سورة: العنكبوت، الآية: ۷.

تعالى التی أخلصها له، و لم يقصد أن يعملها خلقه ثم قال: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً «۱»؛ أی: ألزمناه حسنا فی أمر والديه و قياما بحقوقهما عليه، ثم قال: و إن أراداك على الشرك فلا طاعة عليك لهما، فهذه جملة لم تتضمن ذكر السبب الذی أكد الحق بل اقتصر فيها على ما لا غنى عن علمه، و لا يعذر أحد فی جهله، و أما الآية فی سورة لقمان فإنها ذكرت بعد ما حكى اللّه تعالى عن لقمان من وصية ابنه إذ يقول: يا بُنَيَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ «۲»، فذكر اللّه تعالى عقيب ذلك وصية الإنسان بهما و نبّه على السبب الذی له عظم حقهما فقال: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ؛ أی:

ضعف حمل مضافا إلى ضعف المرأة، و قيل: ضعفا يتزايد على ضعف كما يتزايد ثقل الجنين، و أرضعته عامين، و هذان و إن انفردت بهما الأم فإن الأب يتحمل الشدائد فی القيام بأمر الأم و الولد حتى يقدر على تربيته، و ربما ضيّق على نفسه فيما يصرف إليهما من نفقته، فقال: أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَيْکَ، و المعنى: و وصيناه بأن اشكر لی و لوالديك، و أن بمعنى «أی» و هو تفسير الوصية و التنبيه على عظم النعمة، و وجوب شكر اللّه على قدر ما أولاه، إذ كان هو خلقه و سوى أعضاءه، و نفخ الروح فيه، و أنعم عليه قبل استحقاقه، ثم عرضه النعمة الشريفة و الدرجة العلية، و شكر بعض ذلك يستغرق الجهد و يفنی الطوق، فأما شكر الوالدين، فهو أن يحسن إليهما و يبرهما و يكرمهما و يطيعهما، إلا إذا أمراه بمعصية اللّه تعالى، فتسقط عنه طاعتهما؛ لأنه مع إسقاط حق الخالق لا يثبت حق الوالدين لأن اللّه تعالى عقد شكرهما بشكره، فإذا دعواه إلى معصيته، فقد أبطلا به شكره، فانحل شكرهما المعقود معه، و قيل: إن هذه الآية نزلت فی سعد بن مالك و هو سعد بن أبی و قاص، و روی عنه أنه قال: «كنت برا بأمی، فلما أسلمت قالت لی: يا سعد ما هذا الدين الذی أراك قد أحدثت، و اللّه لا آكل و لا أشرب، حتى أموت فتعير بی فيقال: قاتل أمه، فلم تأكل و لم تشرب يوما و ليلة فأصبحت و قد جهدت، فلما كانت القابلة لم تأكل و لم تشرب فأصبحت و قد اشتد جهدها، فقلت لها: يا أمه تعلمين و اللّه لو كان

لک سبعون نفسا، فخرجت نفسا نفسا ما ترکت دینی هذا لشیء، فلما رأت ذلک أکلت و شربت، فأنزل اللّه هذه الآیهٔ فیّ»، فهذه الآیهٔ قد تضمنت من البیان و التفصیل ما لم تتضمنه الأولی؛ لأن تلک مذکورهٔ مع الحمل، و هذه مذکورهٔ لقصهٔ مشروحهٔ فیما بین آیات تضمنت الواجبات و المستحسنات فیما حکی اللّه عز اسمه فی وصیهٔ لقمان لابنه، ثم کان فی ذکر

---

(۱) سورهٔ: العنکبوت، الآیهٔ: ۸.

(۲) سورهٔ: لقمان، الآیهٔ: ۱۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۴۱

أب وصی ابنه بمجانبهٔ الشرک، و قرن إلیه ما کان من خلاف ابن لأم بعثته جهدها علی الکفر، و مما روی عن لقمان فی معنی الوصیهٔ أنه قال: یا بنی إن اللّه رضینی لک، فلم یوصنی بک، و لم یرضک لی فأوصاک بی، و هذا کلام شریف له وقع کبیر ذکرناه لیتدبر معناه.

و أما الآیهٔ الثالثهٔ: فإنها وردت فیمن أوصی بوالدیه و هما مؤمنان لا یمنعانه عن الإیمان، و هو من طاب نفسا و أصلا و رغب إلی اللّه أن یطیب فرعا؛ لأنه قال تعالی حکایهٔ عنه: رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی «۱» و بعد هذه الآیهٔ ذکر ولد کافر استغاث اللّه والداه لإصراره علی کفره و لما أعیاهما من مداراهٔ أمره ... فأما قوله: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً «۲» فالمراد: أقل حمله و هو ستهٔ أشهر.

و یروی أن عثمان بن عفان رضی اللّه عنه أتی بامرأهٔ ولدت لستهٔ أشهر، فشاور الناس فی رجمها فقال ابن عباس رضی اللّه عنه: إن خاصمتکم إلی کتاب اللّه خصمتکم، قال اللّه تعالی:

وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ، و قال: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً، فالحمل ستهٔ أشهر، و الفصال عامان، فخلی سبیلها و أما معنی قوله: وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ أی: فی انقضاء عامین؛ لأن الفصال هو الفطام: إذا فصل الولد عن الأم، فکانت الوصیهٔ الأولی فی سورهٔ العنکبوت وصیهٔ مجملهٔ عامهٔ للناس، و الثانیهٔ فیمن منعه أحد والدیه عن الإیمان، و الثالثهٔ فیمن آمن و آمن أبواه، و سأل اللّه أن یصلح أولاده، و کان هذا مذکورا مع آیهٔ فی ذکر ولد کافر یجتهد والداه فی دعائه إلی الإیمان، و الثالث فی مؤمن أبواه مؤمنان، و الثانی فی مؤمن أحد أبویه یمنعه من الإیمان، فالأول عام کما تری، و قد استوعبت القصهٔ ما یحتاج إلی ذکره فی دعاء من یدعو ولده إلی کفره.

الآیهٔ الثانیهٔ من سورهٔ العنکبوت

قوله تعالی: وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ «۳» و قال فی سورهٔ حم عسق «۴»:

---

(۱) سورهٔ: الأحقاف، الآیهٔ: ۱۵.

(۳) سورهٔ: العنکبوت، الآیهٔ: ۲۲.

(۲) سورهٔ: الأحقاف، الآیهٔ: ۱۵.

(۴) الآیتان: ۳۱، ۳۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۴۲

وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ فِی الْأَرْضِ وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ وَ مِنْ آیاتِهِ الْجَوارِ فِی الْبَحْرِ کَالْأَعْلامِ.

للسائل أن یسأل عن فائدهٔ قوله: وَ لا فِی السَّماءِ فی سورهٔ العنکبوت و الاقتصار علی ذکر الأرض فی هذه، و هل کان یصلح أحدهما

مكان الآخر؟

الجواب أن يقال: إن الآية التى فى سورة العنكبوت تحكى قول إبراهيم عليه السّلام لكفار قومه و فيهم نمرود بن كنعان الذى حاجّه، و فى كثير من الأخبار أنه رام الصعود إلى الجو يوهم أنه يحاول السماء كما قال فرعون لهامان فى بناء الصرح ما حكاه اللّه تعالى فى كتابه فى موضعين، فقال لهم إبراهيم عليه السّلام: لا تفوتون اللّه فى الأرض كنتم أو فى السماء، و لا سبيل لكم إليها كما قال اللّه تعالى: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۱». و أما الآية فى سورة حم عسق «۲» فإنها بعد قوله: وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ و هذا عام فى المصائب و المراد به الخصوص؛ لأنه ليس مصيبة مستحقة باجترام إذ قد يصاب من لا جرم له، و من لم يبلغ حد التكليف، فيجب عقابه على ذنب يكون منه، و المخاطبون مخصوصون بالمعنى و إن عموا باللفظ، و قوله: وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ أى:

عن ذنوب يتجاوز عنها و لا يؤاخذ بها، و لا يكون ذلك للكفار؛ لأن العفو مبذول لمستحقه، و إذا صح أن هذا الخطاب متوجه على المسلمين و تبعه قوله: وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ «۳» علم أنه وعيد لهم، و ليسوا من القوم الذين يخاطبون بقوله: وَ لا فِي السَّماءِ، و معناه: لا تسلكون مسلكا تلتجئون إليه من عقاب اللّه إذا وجب عليكم، و قد جاء هذا بغير لفظ الأرض و السماء و هو قوله: وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ «۴» فيكون هذا مطلقا فى كل ملجأ و مهرب. و قد قيل فى قوله: وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ؛ أى: لا تفوتون من فى الأرض من الإنس و الجن و لا من فى السماء يعنى: من الملائكة، و هم خلق اللّه، فكيف تعجزون الخالق تعالى عن ذلك ..

و قول ثالث و هو أن يكون المراد: لا تفوتون أنفسكم ما يحق من عقاب اللّه عليكم إن هربتم فى الأرض كل مهرب، و إن صعدتم فى السماء كل مصعد لو استطعتموه كما قال:

---

(۱) سورة: الرحمن، الآية: ۳۳.

(۳) سورة: الشورى، الآية: ۳۱.

(۲) الآية: ۳۰.

(۴) سورة: الزمر، الآية: ۵۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۴۳

فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ «۱»؛ أى:

لا يكون ذلك أبدا، و فى الجواب الأول كفاية فى الفرق بين الموضعين، و ما يختار لكل واحد منهما.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «۲» و قال بعده: خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ «۳».

للسائل أن يسأل فيقول: قال فى إنجاء إبراهيم عليه السّلام من النار: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، و قال فى خلق السموات و الأرض: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فوحّد الآية هنا و جمعها هناك. و الآيات فى خلق السموات و الأرض أكثر منها فى تخليص إبراهيم عليه السّلام من النار.

الجواب أن يقال: إذا أخبر اللّه تعالى عن المؤمنين فى كتابه فهو متناول من كان فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و سلم و هم محدودون، و إذا قال: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، فهو لأقوام لم يتناهوا، فكل من يؤمن إلى يوم القيامة منهم و داخل فيهم، و لكل دلالة و

أمارة بينة فجمعت لعدتهم التى لم تتناه، و لما قال فى خلق السموات و الأرض آية للمؤمنين و هم جماعة واحدة محصور عددهم و الآية الواحدة تجمعهم باين الخبر عنهم الخبر عمن وجد و عمن لم يوجد أكثرهم، فاختلفت بهم الدلالات و جمعت لهم الآيات لانتشار أعدادهم و تباين أمدادهم، فاختلف الموضعان لذلك.

الآية الرابعة منها

قوله تعالى: وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ «۴».

---

(۱) سورة: الأنعام، الآية: ۳۵.

(۳) سورة: العنكبوت، الآية: ۴۴.

(۲) سورة: العنكبوت، الآية: ۲۴.

(۴) سورة: العنكبوت، الآيات: ۴۷- ۴۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۴۴

للسائل أن يسأل: عن تسمية الجاحدين فى الآية الأولى بالكافرين، و فى الثانية بالظالمين، و أولئك ظالمون كما أن هؤلاء كافرون فلما ذا اختصاص الأولى بتلك الصفة و الثانية بهذه الصفة؟

الجواب: أن من جحد آيات اللّه فقد كفر نعمته و هذا أول ما يفعله؛ لأن ذلك متعلق بما قبله ممن تولى خلقه و أنعم عليه بما استوجب به شكره، فأول فعله كفر نعم اللّه، ثم إنه مسىء إلى نفسه ظالم بأن أبدلها من النعيم الذى عرض له عذابا لا يطيقه، فكفره أول فى الذكر، و ظلمه ثان؛ لأنه فوت نفسه عظيم الأجر آخرا فى العمل، فقدم الكافرين على الظالمين لذلك.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ «۱» و قال فى سورة آل عمران «۲»: أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ.

للسائل أن يسأل عن اختصاص ما فى سورة آل عمران بالواو فى قوله: وَ نِعْمَ و إخلائها فى سورة العنكبوت منها.

الجواب أن يقال: إن الآية من سورة آل عمران مبنية على تداخل الأخبار؛ لأن أولها: أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ، ف «أولئك» مبتدأ «و جزاؤهم» مبتدأ ثان، «و مغفرة» خبر المبتدأ الثانى، و هو مع خبره خبر المبتدأ الأول، و الجزاء: هو الأجر فكأنه قال: أولئك أجرهم على أعمالهم محو ذنوبهم و إدامة نعيمهم، و هذا الأجل مفضل على كل أجر يعطاه عامل على عمله، فنسقت الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التى هدفت لرجاء الراجين، و أكملت بها منية المتمنين، و الخبر إذا جاء بعد خبر فى مثل هذا المكان الذى تفضل فيه المواهب المرغب فيها، فحقه أن يعطف على ما قبله بالواو، و كقولك: هذا الجزاء كذا و كذا أى: هو ترك المؤاخذة بالذنب، و التنعيم فى جنة الخلد، و تفضيله على

---

(۱) سورة: العنكبوت، الآيتان: ۵۸، ۵۹.

(۲) الآية: ۱۳۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۴۵

كل جزاء جوزى به عامل، و ذلك تشريف و كرامة .. و أما الآية التى فى سورة العنكبوت فإن ما قبلها مبنى على أن يدرج الكلام فيه على جملة واحدة و هى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً فقوله: الَّذِينَ آمَنُوا مبتدأ و قوله:

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فى موضع خبره فهذا الخبر يتصل به مفعولان الأول: هم، و الثانى قوله:

غرفا، و غرفا نكرة موصوفة بقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ و قوله: خالِدِينَ فِيها حال من التبوء، فلما جعلت هذه الأشياء كلها فى درج كلام واحد و هو جملة ابتداء، و خبر، و احتمل قوله: نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ أن يجىء بالواو و أن يجىء من دونها اختير مجيئها بغير واو ليشبه ما تقدم من عقد بخبر لا على سبيل عطف و نسق، و يحتمل أن يكون فى موضع خبر مبتدأ، فكأنه قال: ذلك نعم أجر العاملين، و يكون قوله «ذلك» إشارة إلى ما ذكر اللّه تعالى من إسكانهم الجنة، فيجرى بلا واو مجرى ما هو من تمام الكلام الأول كقوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ «۱» فقوله: ذلِكَ و إن انقطع عن الأول فى اللفظ فإنه متصل به من طريق المعنى، و كأنه قال: لهم ما يشاءون عند ربهم مشار إليه بأنه الفضل الكبير و قوله:

نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ أى: ذلك نعم أجر العاملين مشار إليه بالتفضيل على أجور العاملين، و إذا كان الأمر على ما ذكرنا فى الآيتين لم يلق بكل واحدة منهما إلا ما جاءت به فاعرفه.

الآية السادسة من سورة العنكبوت

قوله تعالى: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «۲» و قال فى سورة القصص «۳»: وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا ... و قال فى سورة حم عسق: لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «۴» و كذلك فى سورة الرعد «۵»: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا.

للسائل أن يسأل عن الآية الأولى، و تخصيصها بالذكر بقوله: مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ من دون قوله: «له» عن الأخريين و مجيئهما من اللفظتين عاريتين، و هما «من عباده» «و له».

---

(۱) سورة: الشورى، الآيتان: ۲۲، ۲۳.

(۴) سورة: الشورى، الآية: ۱۲.

(۲) سورة: العنكبوت، الآية: ۶۲.

(۵) الآية: ۲۶.

(۳) سورة: القصص، الآية: ۸۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۴۶

الجواب عن ذلك أن يقال: أما الأولى فى سورة العنكبوت فإنها جاءت بعد قوله:

وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُها وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «۱» فلما ذكر: أن اللّه تعالى هو رازق جميع الحيوانات ما ادخر منها كالنمل، و ما لم يدخر كالطير تغدو خماصا و تروح بطانا، فبيّن اللّه أنه كما كان فى غيرنا من الحيوان ما هو موسع عليه، و ما هو مضيق عليه كذلك الأمر فينا ثم قال: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ و كان بعد القسمة الأولى من يبسط له الرزق فى حال، و يضيق عليه فى أخرى فقال: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ فالهاء فى «له» ترجع إلى ما شاء من عباده، و من يشاء مفعول ببسط، فكان من يقدر له هو من يبسط له فى وقتين مختلفين، فاقتضى هذا المكان اللفظ الذى جاء فيه بالمعنى الذى هو

غير الأول من جمع البسط و القبض لواحد فى حالين، و كذلك قوله: قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ «۲»، و أما قوله فى سورة القصص «۳»: وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ و المعنى: انتبهوا لأن اللّه يوسع الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما وسع على قارون، و يضيقه على من يشاء لا لهوانه كما ضيق على كثير ممن آمن به، ثم قال تعالى حكاية عنهم: لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا «۳»؛ أى: لو لا منّ اللّه علينا بأن صرف عنا الغنى الذى يقع الكفر معه لكفرنا نحن مثل كفره، و لخسف بنا كما خسف به فقوله: لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ أى: يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له، و يقدر لمن يشاء قدره عليه، فأضمر الفعل الثانى مثل ما تعدى إليه الفعل الأول و هو «من يشاء» لعلم المخاطب به، و أنه فى المعنى غير الأول و إن كان فى اللفظ مثله .. و أما الآيتان فى سورة حم عسق و سورة الرعد، فإنهما مقصورتان على ذكر البسط و القبض فحسب، و التى فى الرعد «۵» جاءت مع قوله: وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا و فيه دليل على أنهم موسع عليهم فى الرزق لقوله: وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا و لما قال لهم سُوءُ الدَّارِ أى: وسع عليهم فى الدنيا ليس لكرامتهم، و أن من ضيق عليه فيها ليس ذاك لهوانه، فاقتضى المكان هذا لأجل المعنى، و وقع اختصار فى اللفظ فى الفصل الثانى؛ لأن ما تعدى إليه مثل ما

---

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۶۰.

(۳) الآية: ۸۲.

(۲) سورة: سبأ، الآية: ۳۹.

(۵) الآيتان: ۲۵ و ۲۶.

تعدى إليه المفعول الأول من المذكور بعده ... و كذلك قوله فى سورة حم عسق: لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ أجمل القول فى التوسعة و التضييق، لما أخبر أنه خلق لنا من أنفسنا أزواجا؛ أى: من أجناسنا أشكالا ذكورا و إناثا و من الأنعام مثلها، فإنه ينشئنا فى هذا الخلق، فلا يزال الآخر مخلوقا فى الأول فى ظهور الآباء و بطون الأمهات إلى الوقت المعلوم، و هو يملك أرزاق هذا الجمع من السماء بالمطر و النبت «فواد خطا و واد مطر» على ما يشاء رب العالمين، فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

الآية السابعة من سورة العنكبوت

قوله تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ «۱». و قال فى سورة الجاثية «۲»: وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها و قوله فى سورة البقرة «۳»: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها.

للسائل أن يسأل عن الآية من سورة العنكبوت لما ذا خصت ب «من» فى قوله:

مِنْ بَعْدِ مَوْتِها و أخلى الموضعان الآخران منها؟

الجواب أن يقال: إن التقرير يؤثر فيه من تحقيق الكلام ما لا يؤثر فى غيره، و الظروف إذا حدت حققت، تقول: سرت اليوم فإن قلت: من أوله إلى آخره كان الحد تحقيقا؛ لأنه قد يطلق لفظ اليوم و إن ذهبت ساعة أو ساعتان من أوله، و إن بقيت ساعة أو ساعتان من آخره، فإذا وقع الحد زال هذا الوهم، فقوله: مِنْ بَعْدِ مَوْتِها تحقيق؛ لأنه محدود بمن، و خص به التقرير؛ لأنه من أماكنه، و قوله تعالى فى الآيتين الأخيرتين:

فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ليس فيه تقرير كما كانت الأولى و إن كان يؤدى معنى المحدود إلا أنه ليس له لفظه فاختلف الموضعان بما ذكرت.

الآية الثامنة من سورة العنكبوت

قوله تعالى:

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۶۳.

(۳) الآية: ۱۶۴.

(۲) الآية: ۵.

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ «۱» و قال فى سورة لقمان «۲»:

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

للسائل أن يسأل: عن اختصاص الأولى بقوله: لا يَعْقِلُونَ و الثانية بقوله:

لا يَعْلَمُونَ.

الجواب أن يقال: إن الأولى فى التنبيه على البعث و الإحياء بعد الموت، فاستعمل فيه لا يَعْقِلُونَ؛ أى: لا يفهمون عن هذا الفعل مثله و فى مثل هذا يقال: عقلت من كلامه كذا؛ أى: استدركت و فهمت، و من تنبه على الشىء علمه بعد أن لم يكن منتبها عليه يستعمل فيه مثل فطرته و عقله و إدراكه و شعوره، و إن صحب كل ذلك العلم إلا أنه علم على وصف، و كذلك لما فصل الآيات التى أقامها فى السماء و الأرض، و فى أصناف الخلق ذكرها فى سورة الروم، و عقب بعضها بقوله: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «۳» و إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ «۳» و إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ «۳» و قال فيما معناه ما ذكرنا: وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۶» فخص ذلك بقوله: يَعْقِلُونَ دون ما تقدم من الآيات المختومة بغيره من الألفاظ، و ليس كذلك الآية من سورة لقمان؛ لأن الكفار فيها مقرّون بأن اللّه وحده خالق السموات و الأرض و هم يعلمون ذلك و يثبتون معه آلهة فكأنهم لا يعلمون، فلذلك قال:

وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ فإذا عبدوا الأصنام العبادة التى تحق لمن خلق السموات و الأرض بإقرارهم، فكأنهم لم يعلموا ما أقروا به و ثبت معلوما لهم.

الآية التاسعة منها

إنه حضر ذكرها فى سورة العنكبوت بعد الفراغ مما جاء فيها فذكرناها آخرها قوله تعالى فى سورة العنكبوت «۷»: وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ فأكد «لما» بأن قرن إليها «أن» و هى فى سورة هود «۸»:

(۱) سورة: العنكبوت، الآية: ۶۳.

(۶) سورة: الروم، الآية: ۲۴.

(۲) الآية: ۲۵.

(۷) الآية: ۳۳.

(۳) سورة: الروم، الآيات: ۲۱- ۲۳.

(۸) الآية: ۷۷.

وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ فلم يؤكد «لما» فيها ب «أن» توكيدها فى سورة العنكبوت، و ما الفرق بينها و بين ذكرها فى سائر القرآن خالية من التوكيد بأن؟

الجواب أن يقال: اقتران «أن» بها فى سورة العنكبوت تكملة لمعناها فى نفسها ليدل بذلك على أنه قد قارن جوابها متصلا به ما يكمله، و يخلصه لتحقيق أو بطلان، فالتى فى سورة العنكبوت قد اتصل بجوابها، سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ما يكمله و يخلصه لبطلان الذرع السابق إليه، و مثله: فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً «۱» فقوله: فَأَلْقِهْ جواب: لما، و قوله متصلا به: فَارْتَدَّ بَصِيراً تكملة للجواب و كذلك قول الشاعر:

و لما أن رأيت بنى سميط و جوابه فى البيت الثانى:

تجللت العصا و تكملته قوله متصلا به:

و علمت أنى رهين مجلس أن يدركونى و كذلك قوله:

فلما أن تنشى قام خرق فهذا جواب «لما»، و بعده ما يدل على أنه عرقب ناقة سمينة له، فكان تكملة لجواب «لما» و هى فى قوله فى سورة هود لم يتصل بجوابها ما يخلصه لتحقيق أو بطلان إلا فى الآية الخامسة عند قوله: قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ «۲» فبعد هذا عن الجواب و لم يتصل به ما يكون من تمامه.

---

(۱) سورة: يوسف، الآية: ۹۶.

(۲) سورة: هود، الآية: ۸۱.

۳۰- سورة الروم

الآية الأولى منها

قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها «۱» و قال فى سورة فاطر «۲»: أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ.

و قال فى سورة المؤمن «۳»: أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ. و قال فى آخر هذه السورة: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ «۴».

للسائل أن يسأل: عن اختلاف ألفاظ هذه الآيات، و اختصاص كل ما خالف منها الآخر بمكانه.

الجواب عن ذلك: أن يقال: أما التى فى سورة الروم فإنها وقعت فى سورة أجملت فيها القصص فى ذكر الآيات، و المواعظ و الفرائض، فبنيت هذه الآية على ذلك أ لا ترى أن قبلها أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ

وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ «۵» و قال:

---

(۱) سورة: الروم، الآیة: ۹.

(۴) سورة: غافر، الآیة: ۸۲.

(۲) الآیة: ۴۴.

(۵) سورة: الروم، الآیة: ۸.

(۳) الآیة: ۲۱.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۲۵۱

أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ إلى قوله: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ «۱» و قال فی تنزیه اللّه سبحانه و تعالی و تسبیحه فی الصلوات: فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ للصلاتین إذا أمسی وَ حِينَ تُصْبِحُونَ لصلاة الفجر، وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا لصلاة العصر وَ حِينَ تُظْهِرُونَ «۲» لصلاة الظهر، فأجمل القول فیما فسره علی لسان الرسول صلّی اللّه علیه و سلم، فلما کان الموضع موضعا قصد فیه ذکر الجمل قال: أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و معنی «من قبلهم» «و قبلهم» واحد و العامل فی الظرف کون محذوف؛ لأن الکون المذکور هو لکیفیة العاقبة و هذا لکونهم قبلهم، و قد أظهر فی سورة المؤمن حیث قال: كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ثم استأنف الإخبار عنهم بأفعال فعلوها قدم ذکر أحدها، و نسق الباقی علیه فقال: كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها إلی آخر أمرهم، فکان حذف الواو الاختیار فی هذا المکان؛ لأن التقدیر لما قال: كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ صار کأن سائلا سأل فقال: کیف کانوا؟ و بما ذا عوملوا؟

فجاء كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً مجیء الجواب المتضمن لأفعالهم ثم ذکر بعده ما تضمن الجزاء علی أعمالهم، و إذا کان کذلک لم یحتج إلی الواو کما احتاج إلیها ما فی سورة الملائکة؛ لأن تلک تضم ما بعدها إلی ما قبلها، کأنه قال: انظروا کیف أذلوا و کانوا أعز منکم عزة؟ و کیف أضعفوا و کانوا أشد منکم قوة؟ أی: لحقهم ذلک فی حال متناهیة بهم من أحوال الدنیا فأبدلوا بأحوال غیرها و قبل ذلک فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا «۳»؛ أی لیس الکفار ینتظرون إلا الهلاک المستأصل لهم کما حکم اللّه به علی الأمم قبلهم، و اللّه سنّ ذلک فی أمة کل نبی بعده نبی آخر و حکم فی هذه الأمة بأن لا تستأصل کما استؤصل غیرها، فلا الأمة التی حکم علیها بالهلاک یبدل حکمه فیها و یجعل مکان الاستئصال الاستبقاء، و لا التی حکم علیها بغیر الاجتیاح تجتاح فیحول إلیها الحکم الذی سنه فی غیرها، و هؤلاء الذین بعث علی تدبر حالهم هم الذین أهینوا بعد عزة، و أضعفوا بعد قوة فبدلت حالهم، فکأنه قال:

أضعفوا و کانوا أشد منکم قوة، فکان وجه الکلام هنا الواو إذ لم یکن فی ابتداء خبر ینسق علیه إخبار یخبر بها عن الکفار کما کان فی الآیة الأولی.

و أما التی فی سورة المؤمنون أولا: فإنها فی موضع بسط و شرح، أ لا تری أنها

---

(۱) سورة: الروم، الآیة: ۱۰.

(۳) سورة: فاطر، الآیة: ۴۳.

(۲) سورة: الروم، الآیتان: ۱۷، ۱۸.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۲۵۲

افتتاح قصة موسی علیه السّلام مع فرعون، و فیها نحو ثلاثین آیة فاقتضی ذلک فی هذه الآیة الشرح الذی لم یکن فی غیرها فقال: أَ وَ

لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ فأظهر الكون الذى صار من قبلهم ظرفا له ثم قال: كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً «و هم» للفصل توكيد للخبر، فاختصّ التوكيد و الشرح بموضعهما ...

و أما التى فى آخر هذه السورة، و هى: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ فقد تكلمنا فى الفاء مكان الواو فى «أولم» و هى: أنها فى موضع جمل كالآية فى سورة الروم؛ لأن قبلها وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ «۱» فبنيت الآية على الإيجاز الذى بنيت عليه تلك فقال:

أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً فحذفت الواو من كانوا؛ لأنها استئناف أخبار، كأنه قال: كانوا أكثر منهم و كانوا أشد قوة و كانوا أكثر آثارا فى الأرض، و مثله مما أجمل فيه القول:

أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكافِرِينَ أَمْثالُها «۲» و قوله: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها «۳» و كانت لقريش رحل إلى الشام يجوزون فيها بديار عاد و ثمود فيرون آثارهم و يشاهدون ديارهم، فاستدعت هذه الآيات اعتبارهم فما اعتبروا و حاق بهم ما كانوا به يستهزءون.

الآية الثانية من سورة الروم

قوله تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۴».

للسائل أن يسأل: عما ختمت به هذه الآيات، فجاء فى الأولى:

---

(۱) سورة: غافر، الآية: ۷۸.

(۳) سورة: الحج، الآية: ۴۶.

(۲) سورة: محمد، الآية: ۱۰.

(۴) سورة: الروم، الآيات: ۲۱- ۲۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۵۳

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. و فى الثانية: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ. و فى الثالثة: لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. و فى الرابعة: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

الجواب أن يقال: أما اختصاص الأولى بقوله: يَتَفَكَّرُونَ فإن الاختصاص بما ذكر قبله يؤدى الفكر فيه إلى معناه، و هو قوله: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها؛ أى: خلق لكم من جنسكم و شكلكم نساء، و هذا أدعى إلى الألفة و المحبة لوجود المشاكلة، و قوله: لِتَسْكُنُوا إِلَيْها؛ أى: جعلها على حال تعظم المسرة بها، و يطمئن القلب إليها، فإذا فكر الإنسان فى خلقها و نعمة اللّه على الرجال بها سوى أنهن أوعية الأولاد الذين إذا بروا فمن أكبر نعم اللّه على العباد فالفكر فى ذلك و فى المعانى التى لها خلقن يؤدى إلى العلم بقادر عليم، و صانع حكيم، و واحد قديم لا يقدر أحد كقدرته و لا يعرف حكيم حدا لحكمته، فحثنا بالتفكر على العلم بهذا كله .. و قوله: وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً؛ أى: ميل نفس بالمجانسة و رقة قلب تبعث على التعاطف، ليتكامل سرور كل منهما بصاحبه، و ذلك من فضل اللّه تعالى و نظره لخلقه ...

و أما قوله: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ فلأنه جاء بعد قوله: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ «۱» و لا أحد إلا و السماء تظله و الأرض تقله فلا ينفك منهما و لا يخلو من كونه بينهما يعلم ذلك باضطرار، و أما اختلاف الألسنة فالمراد: أن آلات الكلام متقاربة و أجناس الأصوات و النغم مختلفة، حتى يرى كل واحد من الناطقين مختصا بلطيفة من اللّه فى صوته و فى جرس لسانه لا- يخفى بها على من عرفه إذا سمع كلامه، و المستمع يميز بينه و بين من سواه قبل أن يراه و يعلم هذا كله من نفسه و ممن يحاوره و يعاشره و يناطقه، حتى لا يكاد يرى اثنين فى الدهر العظيم و العدد الكثير يتشابه صوتاهما، و يلتبس كلامهما، و هذه اللطيفة لا- سبيل إلى وصفها، حتى يتهيأ وصف كل صوت بما يحصره على صاحبه، و يخصه بناطقه تبارك اللّه أحسن الخالقين، و كذلك قوله: وَ أَلْوانِكُمْ ليس المراد بها: السواد و البياض و السمرة و الحمرة و الأدمة و الصفرة، و إنما المعنى اختصاص كل واحد من الناس بخلقة، و انفراده بصورة يقارنها لفظ تدبير من اللّه تعالى يجعله على لون و نوع من التصوير يتميز به عن سائر أمثاله، حتى لا يلتبس بواحد من أشكاله، فلا تكاد تجد فى بلد تحوى من لا يحصر بعدد اثنين يتشابهان

---

(۱) سورة: الروم، الآية: ۲۲.

تشابه لبس، بل كلّ مخصوص بخصوصية فى وجهه يعرف بها من غيره، و هو أيضا مما يعجز عنه بالنعت، و لا يمكن إبانة واحد من الآخر بالوصف، حتى يستغنى به عن المشاهدة، و يقوم من جهة الواصف له مقام الرؤية، فهذه آيات يشترك فى معرفتها الناس كلهم، و إن استمرت الغفلة بهم، و وقع على تأمله سهو منهم فلذلك قال: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ؛ أى: لجماعات الناس و كل جماعة منهم عالم.

و أما قوله: وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ «۱» فهو من باب لف الخبرين المعنى: مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ بالسكون وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ بالنهار كما قال قبله: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ «۲» أى: لتسكنوا فى الليل، و لتبتغوا من فضله بالنهار، و كل من سمع هذا علم أن النوم عجيبة من فعل اللّه تعالى لا يقدر الإنسان اجتلابه إذا امتنع و لا على دفاعه إذا ورد، ثم إنه بالنهار لا بدّ له من تصرف لمعاش و طلب قوت و طعام به قوام الأجساد، فلذلك قال:

يَسْمَعُونَ و قيل معنى قوله: يَسْمَعُونَ يستجيبون لما تدعوهم إليه الآيات و يصرفون أفكارهم إليها.

و أما قوله: يَعْقِلُونَ فقد ذكرناه فى سورة العنكبوت حيث قال تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ «۳».

الآية الثالثة من سورة الروم

قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «۴» و قال فى سورة الزمر «۵»: أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

للسائل أن يسأل: عن الموضع الذى ذكر فيه: أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا و الموضع الذى ذكر فيه: أَ وَ لَمْ يَرَوْا و ما الذى أوجب اختصاص كل واحد من المكانين باللفظ الذى خص به.

---

(۱) سورة: الروم، الآية: ۲۳.

(۴) سورة: الروم، الآية: ۳۷.

(۲) سورة: القصص، الآية: ۷۳.

(۵) الآية: ۵۲.

(۳) سورة: العنكبوت، الآية: ۶۳.

الجواب أن يقال: قوله تعالى فى سورة الروم: أَ وَ لَمْ يَرَوْا جاء عقيب قوله:

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ «۱». و المعنى: إذا أنعمنا عليهم نعمة ترى عليهم، و تملأ مسارحهم و مراحهم، و تعمر أفنيتهم و آنيتهم ملكهم الفرح و استولى عليهم البطر، و إن أصابتهم عقوبة على ما قدموا من معصيته، و نالتهم شديدة من جدب و قحط يصفر لها الإناء و يفرغ منهما الفناء، حتى لا ترى لهم ثاغية و لا راغية لم يعتبروا، و لم يقلعوا عما أتوا مما جر عليهم تلك الشديدة، و فعلوا فعل من ييأس من أن يأتيه اللّه بعد ذلك بنعمة إن تدارك سيئة بتوبة، فكان الأليق بهذا المكان: أولم يروا أموال من بسط اللّه له الرزق فيعلموا أنه يوسع لمن يشاء و يضيق على من يشاء، و كلتا الحالتين مرئيتان عندهم مشاهدتان لديهم، فإن من بسط له الرزق رؤى ماله، و لم يخف على المشاهد حاله، و من انقلب أمره و انقطع خيره أدركت العين منه خلاف ما كان قبل، فلما جاءت هذه الآية بعد ذكر النعمة إذا وهبت و حال الإنسان فيها إذا سلبت و النعمة مرئية لاق بهذا المكان أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ.

و أما الآية فى سورة الزمر فإن قبلها «۲»: فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ فقوله: فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا و الضر: سوء الحال من مرض فى النفس، و نقص فى المال، و هو الذى شكاه أيوب عليه السّلام بقوله: مَسَّنِيَ الضُّرُّ «۳» و قوله: ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا؛ أى: إذا أعطيناه بعد العلة صحة و بعد القلة ثروة ادعى أنه أوتى ما أوتى بعلمه، و أنه جلب العافية لنفسه بظنه، و أنه لم تعاوده الصحة من قبل ربه، و يقول فيما يحسن من حاله: إنى افتقرت قبل لأنى قصرت، و الآن علمت كيف التأتى للاكتساب و استعادة الغنى بعد الافتقار، و تلك النعمة من اللّه و هى فتنة له أى: تشديد فى التكليف عليه؛ لأنه مطالب بمعرفتها التى ذهب عنها و عن حكمها، و غفل عن شكر واهبها، و ألهاه الانغماس فى لذتها عن حمد من تفضل بها، و أكثر الناس يعلم بموجبها و كأنه لا يعلمه فهذا معنى: و لكن أكثر الناس لا يعلمون، ثم قال:

---

(۱) الآية: ۳۶.

(۳) سورة: الأنبياء، الآية: ۸۳.

(۲) الآيات: ۴۹- ۵۲.

قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ؛ أى: قد كفر مثل كفرهم من كان من قبلهم فلما نزل عذاب اللّه بهم لم يملكوا دفعه بعلمهم و لا بمالهم، و لكن أصابتهم عقوبات ما ساء من أعمالهم، و الظالمون فى عصرك يا محمد سيصيبهم عقوبة ما عملوا، ثم قال: أولم يعلموا أن اللّه يوسع على الفقير حتى يستغنى و يفتح له أبواب الرزق حتى يثرى، و أنه يضيق على من يشاء أن يضيق عليه، و يسقم من شاء إسقامه، و يصح من شاء صحته، فقابل ما ادعوه من العلم لما قال كافرهم: إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ فرد عليهم بأن قال: هلا علمتم ما هو واضح من أحوالكم فتعلموا أن الخصب و الجدب ليسا بأيديكم، و كذلك المرض و الشفاء ليسا إليكم و إنما ذلك مما تعلمونه من بسط اللّه الرزق إذا أرسل السماء عليكم مدرارا و ما تتألمون منه إذا ضن السحاب بقطره و ابتلى أحدكم بفقره، فكان أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أولى بهذا المكان من قوله: أَ وَ لَمْ يَرَوْا كما كانت أَ وَ لَمْ يَرَوْا فى سورة الروم أولى، و اللّه أعلم.

الآية الرابعة من سورة الروم

قوله تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «۱» و قال فى سورة الجاثية «۲»: اللَّهُ الَّذِی سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

فإن سأل سائل عن زيادة قوله: فِيهِ فى سورة الجاثية و تركها فى سورة الروم.

كان الجواب قريبا على من له أدنى معرفة، و هو أن الهاء فى قوله: فِيهِ عائدة إلى البحر و قد ذكر فى سورة الجاثية، فعاد إليه الضمير و هو قوله: اللَّهُ الَّذِی سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ و لم يتقدم للبحر ذكر فى الآية التى ذكر فيها جرى الفلك فى سورة الروم، و إنما نبه على النعمة بالرياح و إظهار آياته فيها فقال: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ؛ أى: باجتلاب السحاب و اعتصاره للأمطار، و هو الذى يذيقنا من رحمته مع ما يلقح منه الأشجار فى وقته لوقته، و قال: وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ؛ أى: بالرياح إذا أذن اللّه تعالى لها، و هذا مما لا إشكال فيه.

---

(۱) سورة: الروم، الآية: ۴۶.

(۲) الآية: ۱۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۵۷

۳۱- سورة لقمان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «۱» و قال فى سورة الزمر «۲»: يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى.

للسائل: أن يسأل عن اختصاص ما فى سورة لقمان بقوله: يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى و ما سواه إنما هو يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى.

الجواب أن يقال: إن معنى قوله: يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يجرى لبلوغ أجل مسمى، و قوله: يَجْرِي إِلى أَجَلٍ معناه: لا- يزال جاريا حتى ينتهى إلى آخر وقت جريه المسمى له، و إنما خص ما فى سورة لقمان بإلى التى للانتهاء و اللام تؤدى نحو معناها؛ لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى؛ لأن الآيات التى تكتنفها آيات منبهة على النهاية و الحشر و الإعادة فقبلها: ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ «۳» و بعدها: يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ «۴» فكان المعنى: كل يجرى إلى ذلك الوقت، و هو الوقت الذى تكور فيه الشمس و تنكدر فيه النجوم كما أخبر اللّه تعالى، و سائر المواضع التى ذكرت فيها اللام إنما هى فى الإخبار عن ابتداء الخلق و هو قوله: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ

---

(۱) سورة: لقمان، الآية: ۲۹.

(۳) سورة: لقمان، الآية: ۲۸.

(۲) الآية: ۵.

(۴) سورة: لقمان، الآية: ۳۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۵۸

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها «۱» فالآيات التى تكتنفها فى ذكر ابتداء خلق السموات و الأرض و ابتداء جرى الكواكب، و هى إذ ذاك تجرى لبلوغ الغاية، و كذلك قوله فى سورة الملائكة إنما هو فى ذكر النعم التى بدأ بها فى البر و البحر إذ يقول: وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ إلى قوله: وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ «۲» فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها، و اختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التى يقع الفعل من أجلها.

---

(۱) سورة: الزمر، الآيتان: ۵ و ۶.

(۲) سورة: فاطر، الآيتان: ۱۲ و ۱۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۵۹

۳۲- سورة السجدة

الآية الأولى منها

قوله تعالى: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ «۱» و قال فى سورة سأل سائل: تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ «۲».

للسائل أن يسأل فيقول: هذا اليوم جعل مقداره فى السورة الأولى ألف سنة، و جعله فى السورة الثانية خمسين ألف سنة، و قد قدره بألف سنة فى موضع آخر من سورة الحج «۳»، فقال: وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فكيف يجمع بين هذه الأخبار!.

الجواب عن ذلك من وجوه:

أحدها: أن يكون المعنى: أن اللّه يدبر أمر أهل الأرض فى السماء من دعائهم إلى الطاعات و تكليفهم أنواع العبادات، فينزل به من يأمره من ملائكته ليبعث بذلك رسله، و يضم إليه آياته و كتبه، ثم يصعد الملك الذى جاء به إلى المكان الذى نزل منه فى يوم من أيام الدنيا، و هذه المسافة التى قطعها الملك فى النزول و الصعود مقدارها مسيرة ألف سنة من غيره؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، فيقع النزول و الصعود فى يوم تستغرق أوقاته سير ألف سنة من السنين التى يعدها أهل الأرض فى الدنيا، و هذا التدبير الذى يدبر فى السماء لأهل الأرض هو ما يكلفون من العبادات، و ما يقدر من مدد أعمارهم، و ما يحدث فى اللوح المحفوظ مما يدل الملائكة على أنهم مأمورون بأن ينزلوا به إلى المصطفين من عباده بالرسالة، ثم يعودون إلى أماكنهم فى يوم

---

(۱) سورة: السجدة، الآية: ۵.

(۳) الآية: ۴۷.

(۲) سورة: المعارج، الآية: ۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۶۰

بقدر ألف سنة من أيام الدنيا.

و أما قوله فى سورة الحج: وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ؛ أى: يقع فى يوم تنعيم المطيعين و تعذيب العاصين قدر ما يناله المنعم فى ألف سنة من أيام الدنيا، و يعذب العصاة فى يوم مقدار ما يعذب به الإنسان فى ألف سنة لو بقى فيها، فعذابه فى يوم واحد

عذاب ألف سنة، و ذلك لما يتضاعف عليهما من الآلام و الملاذ، و يصل إليهما من الغموم و السرور، و الدليل على أن المراد فى هذه الآية ذلك:

قوله قبله: وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فجهلهم باستعجالهم العذاب الذى هذا وصفه.

و أما قوله فى سورة سأل سائل: تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أى: تصعد الملائكة و جبريل عليهم السّلام إلى حيث يعطى اللّه فيه الثواب أهل طاعته، و يحل فيه العقاب بأهل معصيته، و إن ذلك فى يوم هو يوم القيامة، و يفعل اللّه تعالى فيه من محاسبة عباده و تبليغ كل منهم حقه ما لا يكون مثله فى الدنيا إلا فى خمسين ألف سنة.

و جواب ثان و هو: أنه يجوز أن يكون يوم القيامة يوما بلا آخر، و فيه أوقات مختلفة طولا و قصرا، كما كان فى أيام الدنيا، كان الوقت بين صلاة الفجر و صلاة الظهر أطول مما بين الظهر و بين العصر، و كما كان ذلك بين صلاة العشاء الأولى و عشاء الآخرة، فبعضها ألف سنة، و بعضها خمسون ألف سنة.

و جواب ثالث و هو: أن يكون اليوم الذى أخبر اللّه تعالى عنه فى السجدة و الذى فى الحج هما من الأيام التى عند اللّه، و هى التى خلق فيها السموات و الأرض، و كل يوم منها ألف سنة من سنى الدنيا.

و أما فى سورة سأل سائل فإن المراد به أن لثقله على الكافرين، و استطالتهم له و صعوبته و هو له عليهم يصير بخمسين ألف سنة، و فى كل واحد من الأجوبة التى ذكرنا ما يكفى فى جواب السائل.

الآية الثانية من سورة السجدة

قوله تعالى: وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا

فِيها وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ «۱» و قال فى سورة سبأ «۲»: فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ.

للسائل أن يسأل فيقول: ما الذى أوجب فى سورة السجدة أن يعود الوصف ب الَّذِي إلى العذاب الذى هو مذكر، و يعود مثله فى سورة سبأ إلى النار الَّتِي هى مؤنثة و هل كان اختيارا لو جاء هذا على العكس، و كان ما فى سورة السجدة يرجع الوصف فيه إلى النار، و ما فى الأخرى يرجع الوصف فيه إلى العذاب؟.

الجواب أن يقال: إن النَّارِ فى قوله فى سورة السجدة ظاهر موضع المضمر لتقدم ذكره فى قوله: وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها فأضمرت أُعِيدُوا فِيها و أظهرت وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ؛ أى: عذابها، فوقعت مظهرة مكان المضمر، و التى فى سورة سبأ لم تجىء هذا المجىء؛ لأنها فى مكانها مظهرة، فلما كان المضمر لا يوصف بعد عن الوصف ما حل محله؛ لأنه سد مسده، فوصف ما أضيف إليه و هو العذاب، فجاء عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ و لما لم يتقدم ما فى سورة سبأ ما منزلته منزلة المضمر، صح الوصف له، فأجرى عليه، و جاء عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ أ لا ترى أن أوله، وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ.

الآية الثالثة من سورة السجدة

قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ «۳» فأتى بالنون فى: تَكُنْ و قال تعالى فى سورة هود فى موضعين: فَلا تَكُ و كان حق ذلك أن يذكر هناك بغير نون، و هو قوله: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ

مِنْ رَبِّکَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ «۴» و قال

(۱) سورة: السجدة، الآية: ۲۰.

(۲) الآية: ۴۲.

(۳) سورة: السجدة، الآية: ۲۳.

(۴) سورة: هود، الآية: ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۶۲

فى آخرها: إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ فَلا تَکُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ ما يَعْبُدُونَ إِلَّا كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ «۱».

للسائل أن يسأل: عن حذف النون حيث حذفت، و إثباتها حيث أثبتت، و ما الذى خصص كلا بمكانه؟

الجواب أن يقال: إن هذه النون فى قوله: فَلا تَكُنْ لما أشبهت بسكونها حروف المد و اللين ثم كثرت استجيز حذفها للسببين جميعا، فإن تحركت خرجت عن شبهها، نحو: لم يكن الرجل منطلقا، لا يجوز: لم يك الرجل منطلقا، فأما إذا سكنت و تحرك ما بعدها، فلك أن تأتى بها، و لك أن تحذفها كما جاء فى الموضعين، ثم إنه يختار فيها الحذف إذا تحرك ما بعدها متى تعلقت بالجمل الكثيرة، و يختار إثباتها إذا تعلقت بالقليلة؛ لأن الكثرة أحد سببى جواز حذفها، و هذه الكثرة- أعنى أنها فى أم الأفعال التى هى كان، و يعبر بها عن كل فعل، أ لا ترى أنه لا يجوز: لم يه زيد، و لم يص زيد فى «لم يهن» «و لم يصن»، و كثرة الجمل هى التى تثقلها- تعلقت بها من قبلها أو من بعدها، فقوله فى سورة هود: فَلا تَکُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ جاء بعد أن تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته، و هى: أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً أُولئِکَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَکُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ «۲» فقد تقدمته جمل جاء عقيبها متعلقا بها، فثقل من أجلها، فاختير تخفيفها بحذف نونها، و كذلك قوله:

وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَيْئاً «۳» جاء بعد قوله: قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قالَ كَذلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَيْئاً «۴» وقع فى جواب اللّه تعالى له، بعد الكلام الذى كان منه لما بشر بالولد، فطال الكلام جدا، و خفف بالحذف فى موضعه اختيارا. و كذلك قوله تعالى: أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَکُ شَيْئاً «۵» تعلق هذا بقوله: وَ يَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَکُ شَيْئاً «۶» فأما قوله:

(۱) سورة: هود، الآيتان: ۱۰۸ و ۱۰۹.

(۴) سورة: مريم، الآيتان: ۸ و ۹.

(۲) سورة: هود، الآية: ۱۷.

(۵) سورة: مريم، الآية: ۶۷.

(۳) سورة: مريم، الآية: ۹.

(۶) سورة: مريم، الآيتان: ۶۶ و ۶۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۶۳

قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِکَ رَبِّ شَقِيًّا «۱» فإنه قلت الجمل قبله، و لم يتعلق بما تقدمه تعلق ما ذكرنا به، فلم يثقل، فاختير الإتمام على الأصل، و كذلك قوله: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ لم يتقدمه ما

يثقله من الجمل ما تقدم غيره مما ذكرنا، و هذه النون حذفها فى حال سكونها لشبهها بحروف المد و اللين، إذ كانت صوتا جاريا فى هواء الأنف، كما أن تلك أصوات تجرى فى هواء الفم، ثم انضاف إلى هذا السبب كثرتها فى الكلام، و هى: أنها تدخل على كل فعل، فيقال: كان زيد فاعلا، و لم يك زيد فاعلا، فلما كانت الكثرة أحد سببى حذف النون فى الأصل، صارت كثرة المتعلقات أحد سببى اختيار حذفها، فإن سأل عن قوله:

فَلا تَکُ فِی مِرْیَةٍ مِمَّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ «۲» و قبله عَطاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ «۳» و قد انقطع الكلام، و لا تعلق لقوله: فَلا تَکُ فِی مِرْیَةٍ مِمَّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ بما قبله.

قلت: لم يثقل بمتعلقات الجمل التى فيها تكن بما قبلها دون ما بعدها، و هذه و إن لم تثقل بتعلقها بما قبلها، فإنها ثقلت بتعلقها بما بعدها، لقوله: فَلا تَکُ فِی مِرْیَةٍ مِمَّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ ما یَعْبُدُونَ إِلَّا کَما یَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصٍ «۲»؛ أى: لا تشك فيما يعبد هؤلاء الكفار من الأصنام، إنهم يعبدونها بحجة، فإنهم لا يعبدونها إلا تقليدا لآبائهم الذين كانوا يعبدونها من قبل، و كل يجزى بمستحقه، و هو خطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلم، و المراد به هو و من آمن به، فقد تعلقت فَلا تَکُ فِی مِرْیَةٍ بهذا الكلام كله.

۳۳- سورة الأحزاب

ليس فيها شىء من ذلك.

---

(۱) سورة: مريم، الآية: ۴.

(۲) سورة: هود، الآية: ۱۰۹.

(۳) سورة: هود، الآية: ۱۰۸.

۳۴- سورة سبأ

الآية الأولى منها

قوله تعالى: عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ «۱» و قال بعده فى هذه السورة: قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا یَمْلِکُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِیهِما مِنْ شِرْکٍ وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِیرٍ «۲» و قال فى سورة يونس «۳»: إِذْ تُفِیضُونَ فِیهِ وَ ما یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرَ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ.

للسائل أن يسأل عن تقديم السموات على الأرض فى الموضعين من سورة سبأ، و عن تقديم الأرض على السماء فى سورة يونس، و كان موضع ذكر هذه الآية هناك، إلا أنها تأخرت إلى هذا المكان.

الجواب عنه أن يقال: إنما قدم ذكر السموات على الأرض فى سورة سبأ؛ لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة، و هو: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی الْآخِرَةِ «۴» فقدم ذكر السموات؛ لأن ملكها أعظم شأنا و أكبر سلطانا، و كذلك الآية التى بعدها فى سورتها.

و أما التى فى سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: وَ ما تَکُونُ فِی شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا کُنَّا عَلَیْکُمْ

شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، و ذلك فى الأرض، فأتمه بقوله:

---

(۱) سورة: سبأ، الآية: ۳.

(۳) الآية: ۶۱.

(۲) سورة: سبأ، الآية: ۲۲.

(۴) سورة: سبأ، الآية: ۱.

وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ و استوعب جميع ما فى الأرض، ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها و ما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ «۱» و قال فى سورة بنى إسرائيل «۲»: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لا تَحْوِيلًا.

للسائل أن يسأل: عن إظهار اسم اللّه تعالى فى سورة سبأ فى قوله: مِنْ دُونِ اللَّهِ و إضماره فى سورة بنى إسرائيل فى قوله: مِنْ دُونِهِ و قد جرى الذكر قبل فى الموضعين؛ لأن قبل هذه الآية: وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ «۳» و هناك: وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ «۴».

الجواب أن يقال: إنما اختير الإضمار فى سورة بنى إسرائيل لقوة الذكر قبل، أ لا ترى أنه يكون فى عشرة مواضع مضمرا و مظهرا لقوله: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ «۵» فربكم واحد، و فى: أَعْلَمُ ضميره، و قوله: أَوْ إِنْ يَشَأْ فيه ضمير فاعل وَ ما أَرْسَلْناكَ النون و الألف ذكر له تعالى، وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ اسمان، وَ لَقَدْ فَضَّلْنا قوله: نا: اسمه، و كذلك وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً فكان الإضمار تلو الإضمارات أولى بهذا المكان، فلذلك قال: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ.

و أما فى سورة سبأ، فإن الذى تقدمه: وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ «۶» فالذكر تقدم فى ثلاثة مواضع، و هناك فى أكثر من عشرة مواضع، فحسن الإظهار هنا، و قوى الإضمار هناك، فلذلك اختلفا.

---

(۱) سورة: سبأ، الآية: ۲۲.

(۴) سورة: الإسراء، الآيتان: ۵۵، ۵۶.

(۲) سورة: الإسراء، الآية: ۵۶.

(۵) سورة: الإسراء، الآية: ۵۴.

(۳) سورة: سبأ، الآية: ۲۱.

(۶) سورة: سبأ، الآية: ۲۱.

۳۵- سورة فاطر

الآية الأولى منها

قوله تعالى: هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ فَمَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ «۱» و قال فی سورة الأنعام «۲»، و کان حکم هذه الآیة أن تذکر هناک: وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ فأضاف خَلائِفَ إلی الْأَرْضِ بغیر واسطة فی، و هناک نکرها و أضافها ب فِی.

للسائل أن یسأل عن التعریف أولا، و التنکیر ثانیا و عما خصص کل مکان بما اختص به.

و الجواب: أن الـذی فی سورة الأنعام أجری مجری المعرفة؛ لأنه بعد ذکر متکرر، و خطاب متردد، مبتدأ من مبتدأ قوله: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ «۳» فلما خوطبوا بألفاظ المعارف، أتبع ما فی هذه الآیة من ذکرهم فی موضع النکرة، و هو المفعول الثانی من جَعَلَکُمْ ذکر المعرفة، فکسی لفظها، فصار التقدیر:

و هو الذی جعل کل واحد منکم الخلیفة فی الأرض التی ورثها عمن تقدمه، فمنکم الأعلی، و منکم الأوسط، و منکم الأسفل، و لیس کـذلک الأمر فی سورة الملائکـة؛ لأن ما تقدم هـذه الآیـة منها ذکر أهل النار من مبتدأ قوله: وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا یُقْضی عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا وَ لا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ إلی قوله: فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِینَ مِنْ نَصِیرٍ إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَیْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ «۴» ثم قال:

هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ فأخرج لفظ: خَلائِفَ مخرج النکرة، کأنه قال:

---

(۱) سورة: فاطر، الآیة: ۳۹.

(۳) سورة: الأنعام، الآیة: ۱۵۱.

(۲) الآیة: ۱۶۵.

(۴) سورة: فاطر، الآیات: ۳۶، ۳۷، ۳۸.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۲۶۷

جعلکم خلفا لمن تقدمکم غیر معلوم، إلا عند الله ما یکون من أمرکم، فأنتم مجهولون عند أشباهکم و أمثالکم، فمن کفر منکم فضرر کفره راجع علیه، فکان التنکیر أولی بهذا المکان؛ لأنه لم یتقدمه من الأسماء المضمرة التی للخطاب المعرفة بحکم الإضمار ما تقدم فی سورة الأنعام، ثم نزلهم منزلة قوم مجهولین لا یتوقع ما یکون من أمرهم من إیمانهم أو کفرهم، فلم یجعلوا فی حکم الخطاب الأول فی قوم بأعیانهم للانقسام الواقع علیهم، فهذا فرق ما بین المکانین.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۲۶۸

۳۶- سورة یس

الآیة الأولی منها

قوله تعالی: وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِینَةِ رَجُلٌ یَسْعی قالَ یا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِینَ «۱» و قال فی سورة القصص «۲»: وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِینَةِ یَسْعی قالَ یا مُوسی إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ.

للسائل أن یسأل عن تقدیم قوله: مِنْ أَقْصَا الْمَدِینَةِ علی رَجُلٌ الذی هو الفاعل فی سورة یس، و تأخیره فی السورة التی قبلها.

و الجواب أن یقال: إن الفاعل فی الموضعین لما کان نکرة، و المعنی: جاء جاء، و قد دل الفعل علی جاء، و لا یکون الجائی من

أقصى المدينة فى الأعم الأغلب إلا رجلا، و كان الذى يفاد المخاطب أن يعرف أنه جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس فى القرية، و حيث لا يقرب من مجارى القصة، و لا يحضر موضع الدعوة و مشهد المعجزة، فقدم ما تبكيت القوم به أعظم، و التعجب منه أكثر، فقال: وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، و لا ينصح لهم أقربوهم، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه، و لم يشهد من كلام الأنبياء ما يشهدونه، فبعثهم على اتباع الرسل المبعوثين إليهم، و قبول ما يأتون به من عند مرسلهم.

و أما الآية الأولى من سورة القصص، فإن المراد: جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل و المكان الذى جاء منه، فقدم ما أصله التقديم، و هو الفاعل إذ لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ كما كان ذلك فى الآية المتقدمة.

---

(۱) سورة: يس، الآية: ۲۰.

(۲) الآية: ۲۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۶۹

الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ «۱» و قال فى سورة الفرقان «۲»: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ.

للسائل أن يسأل: عن إظهار اسم اللّه تعالى فى سورة يس و سورة مريم «۳» فى قوله: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا و إضماره فى سورة الفرقان حيث قال: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً.

الجواب عن ذلك أن يقال: أنه لما قال فى سورة الفرقان فأخبر عن نفسه، لا كإخبار المتكلم بلفظ التاء و النون و الألف فى مثل فعلت و فعلنا، بل كما يخبر المخبر عن غيره، فقال: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً إلى قوله:

وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً «۴» كان ذكر اللّه تعالى قد تقدم فى الآيتين، فأجرى ذكره فى الثالثة مجراه فى الأوليين، على مقتضى كلام العرب فى الإضمار بعد الذكر، و لم يكن كذلك الأمر فى الآيتين فى سورتى يس و مريم؛ لأن الذكر المتقدم إنما هو على لفظ المخبر عن نفسه لقوله: كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ وَ يَأْتِينا فَرْداً «۵» ثم قال: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً؛ أى: اتخذوا من دون من تحق له العبادة أصناما يعبدونها و لا تحق عبادتها، فأظهر اسمه تعالى إذ كان لم يتقدم ظاهر يقع الإضمار بعده، و جهلوا بأن أشركوا باللّه ما ليس بإله، فقابلوا الحق بباطلهم، و أروا أن هذا الفعل من فاعلهم، و كذلك كان الأمر فى سورة يس، حيث قال: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ إلى قوله: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً «۶».

---

(۱) سورة: يس، الآية: ۷۴.

(۴) سورة: الفرقان، الآيتان: ۱ و ۲.

(۲) الآية: ۳.

(۵) سورة: مريم، الآيتان: ۷۹، ۸۰.

(۳) الآية: ۸۱.

(۶) سورة: يس، الآيات: ۷۱- ۷۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۰

۳۷- سورة الصافات

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ قالُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ «۱» و قال فى هذه السورة: قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّی كانَ لِی قَرِينٌ يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ «۲».

للسائل أن يسأل: عن قوله: لَمَبْعُوثُونَ أولا، و فيما بعده: لَمَدِينُونَ، و لما ذا اختلفا فى المكانين؟ و إن كانا فيما يراد من تحقيق الإحياء بعد الموت سواء.

الجواب أن يقال: الأول حكاية ما قاله الكفار من إنكار البعث، و المبعوث: هو الذى يبعث من قبره و يحيا بعد موته، و المدين: هو المجازى بما كان من كسبه، و البعث قبل الجزاء، و هو يفعل من أجله، و حكاية الآخر الذى قال: أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ إنما هى عند حصوله فى النار، و هو الجزاء الذى أنكره لقوله تعالى: قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِی سَواءِ الْجَحِيمِ «۳» فهذا المؤمن الذى حكى اللّه تعالى عنه قوله، و أنه أخبر عن قرينه فى الدنيا بأنه كان ينكر أن يحيا و يدان بما صنع، هو الذى رآه فِی سَواءِ الْجَحِيمِ قالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّی لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ «۴» فالتفريع على ما أنكر يقع إذا تحقق و حصل فيه من كفر، نعوذ باللّه من عقابه.

الآية الثانية من سورة الصافات

قوله تعالى فى أواخر قصص الأنبياء عليهم الصلاة و السلام:

---

(۱) سورة: الصافات، الآيتان: ۱۵، ۱۶.

(۳) سورة: الصافات، الآيتان: ۵۴، ۵۵.

(۲) سورة: الصافات، الآيات: ۵۱- ۵۳.

(۴) سورة: الصافات، الآيات: ۵۵، ۵۶، ۵۷.

سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِی الْعالَمِينَ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ «۱» و قال فيما بعدها فى قصة موسى و هارون: وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِی الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ «۲» و بعدها فى قصة إلياس: وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِی الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلى إِلْ‌ياسِينَ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ «۳» فكل ذلك ختم بقوله: إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ إلى قوله: وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِی الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ «۴» فجاء كَذلِكَ من دون إِنَّا فى هذا الموضع وحده.

للسائل أن يسأل: عما أوجب اختصاص هذا المكان بسقوط إِنَّا منه، و إثباتها فيما سواه من الآيات التى أنهيت بها قصص الأنبياء عليهم السّلام.

الجواب عن ذلك أن يقال: إن قوله: إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ لما جعل أمارة لانتهاء كل قصة، و كانت قصة إبراهيم عليه السّلام متضمنة ذكره و ذكر ولده الذى رأى فى المنام ذبحه، فقيل له بعد ما: تَلَّهُ لِلْجَبِينِ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ فجاء: إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ «۵» فى هذا المكان، و قد بقيت من القصة آيات، و هى: إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ «۶» ثم جاء ما جعل خبرا فى آخر كل قصة من قصصهم وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِی الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ فلم يذكر

(إنا) هنا لشيئين: أحدهما: تقدم ذكرها فى هذه القصة، حيث قال: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ و الآخر: أن يخالف بين منتهى هذه الآية؛ لأنها من القصة الأولى التى ختمت ب إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ، و بين منتهى قصة يس؛ لأن ما قبلها منها فكأن: إِنَّا كَذلِكَ لما ذكرت فى هذه القصة مرة اكتفى بها، و لم يكن منقطعا لها، فخالفت ما تقدمها و ما تأخر عنها لذلك.

---

(۱) سورة: الصافات، الآيتان: ۷۹ و ۸۰.

(۲) سورة: الصافات، الآيات: ۱۱۹- ۱۲۲.

(۳) سورة: الصافات، الآيات: ۱۲۹- ۱۳۲.

(۴) سورة: الصافات، الآيات: ۱۰۷- ۱۱۱.

(۵) سورة: الصافات، الآية: ۱۰۵.

(۶) سورة: الصافات، الآيتان: ۱۰۶، ۱۰۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۲

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ «۱» و قال بعده: وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ «۲».

للسائل أن يسأل: عن تعدية الفعل الأول و هو: وَ أَبْصِرْهُمْ و حذف ما تعدى إليه وَ أَبْصِرْ فى الثانية، ثم عن تكرير وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ.

الجواب أن يقال: إن هذا بعد ما بشر اللّه به عباده، حيث قال: وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ «۳» و معناه أن المرسلين و من تبعهم من المؤمنين إذا حاربوا أعداء اللّه بأمر اللّه، فإن اللّه قد حكم لهم بالظفر و النصر فى عاقبة أمورهم، و إن كان بعد مدة، فقوله: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ «۴»؛ أى:

أعرض عن محاربتهم إلى الحين الذى يعلم اللّه أنه يظفرك بهم، و أبصرهم فى الوقت الذى تنصر فيه عليهم فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ قهركم لهم و ذلهم، فأما حذف «هم» من «أبصر» فى الثانية، فلذكرها فى الأولى، و لأن هناك معانى أخر تنضم إلى ذكرهم، فيترك ذكر المفعول ليشرع الفعل إلى تلك المعانى كلها، و يبين ذلك فى الجواب عن فائدة تكرار العامل و هى أن قوله: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ إنما يراد به: الحين فى الدنيا، و هو: الوقت الذى ينصر فيه المسلمون عليهم، و يقهرون بأيديهم، و قوله ثانيا: وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ؛ أى: بعد أن تنصر عليهم فيهلكوا فى الدنيا، توقع ما يحل بهم فى الأخرى، وَ أَبْصِرْهُمْ هناك، و أنواع العذاب التى تصب عليهم، و عمل النار فيهم، ثم ما لهم فيها من البقاء و الخلود مع تبديل الجلود، و سائر ما أعد اللّه من عذاب النار، فقوله: وَ أَبْصِرْ مودع كل ذلك فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ تهدد لهم؛ أى: سوف يلقون ما أوعد اللّه به أهل معصيته من أليم عقوبته.

---

(۱) سورة: الصافات، الآية: ۱۷۵.

(۲) سورة: الصافات، الآية: ۱۷۹.

(۳) سورة: الصافات، الآيات: ۱۷۱- ۱۷۳.

(۴) سورة: الصافات، الآية: ۱۷۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۳

۳۸- سورة ص

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ «۱» و قال فى سورة ق «۲»: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ.

للسائل أن يسأل: عن اختصاص وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ بالواو فى سورة ص، و اختصاصها بالفاء فى سورة ق.

الجواب أن يقال: إن التى فى سورة ق خبر عن عجبهم فى أنفسهم، و اتصال قولهم به، فقال: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ فكان آخر الكلام راجعا إلى أوله الذى هو خبر عن ضميرهم من حصول العجب فيه، و قولهم عقيبه: هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ و ليس كذلك ما فى سورة ص؛ لأن قوله هنا: وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ خبر عن عجبهم قولا و فعلا، و قولهم بعد ذلك ليس هو راجعا إلى قوله: وَ عَجِبُوا رجوع ما فى سورة ق إليه؛ لأنه أخبر عنهم أنهم قالوا: هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ، فلم يرجع ساحِرٌ كَذَّابٌ إلى قوله: وَ عَجِبُوا رجوع قولهم إليه: هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ فيقع عقيبه، و يقتضى إلغاء اقتضاءه إذ لم يكن قولهم: هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ من مقتضى عَجِبُوا كما كان قولهم: هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ منه.

الآية الثانية من سورة ص

قوله تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ أُولئِكَ الْأَحْزابُ

---

(۱) سورة: ص، الآية: ۴.

(۲) الآية: ۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۴

إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ «۱» و قال فى سورة ق «۲»: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوانُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ.

للسائل أن يسأل عن اختلاف الترتيب فى هاتين الآيتين، و عن قوله فى خاتمتهما:

فَحَقَّ عِقابِ فى سورة ص، و قوله: فَحَقَّ وَعِيدِ فى آخر سورة ق.

الجواب أن يقال: إن سورة ق مبنية فواصلها على أن يردف آخر حرف منها بالياء أو بالواو، و على ذلك جميع آياتها، و سورة ص بنيت فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف، فكانت الآية التى من هذه العشر مختومة الفاصلة بوصف فِرْعَوْنُ بذى الْأَوْتادِ و بعدها أُولئِكَ الْأَحْزابُ فَحَقَّ عِقابِ و جاء بإزاء ذلك فى سورة ق وَ أَصْحابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ و مكان: فَحَقَّ عِقابِ فَحَقَّ وَعِيدِ و كذلك فى هذه السورة:

وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ «۳» و فى سورة و الصافات «۴»: وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ؛ لأن فواصل الآيات التى من سورة و الصافات مردفة أواخرها بالياء أو بالواو، و القصد: التوفقة بين الألفاظ مع صحة المعانى، كما قالوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ فى الشعراء «۵»، و فى سورة طه «۶»: بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى فاعرف ذلك، فإنه مما يكثر إن شاء اللّه تعالى.

---

(۱) سورة: ص، الآيات: ۱۲- ۱۴.

(۴) الآيتان: ۴۸، ۴۹.

(۲) الآيات: ۱۲- ۱۴.

(۵) الآيتان: ۴۷، ۴۸.

(۳) سورة: ص، الآية: ۵۲.

(۶) الآية: ۷۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۵

۳۹- سورة الزمر

الآية الأولى منها

قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ «۱» و قال أيضا فى هذه السورة: إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَکِيلٍ «۲».

للسائل أن يسأل عن المكان الذى خص بقوله: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ دون قوله: إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ. و ما الفائدة المخصصة كل واحد من اللفظين بمكانها التى استعملت فيه؟.

الجواب أن يقال: قد تقدم قولنا فى الفرق بين أَنْزَلْنا إِلَيْکَ و أَنْزَلْنا عَلَيْکَ، و أن «على» يتضمن معنى فوق، و أن يكون الوحى جاءه من تلك الجهة، و أن «إلى» للنهاية، فلا تختص بجهة دون جهة، و كذلك كان أكثر المواضع الذى ذكر فيها إنزال القرآن على النبى صلّى اللّه عليه و سلم عدّى بعلى، كقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْکِتابَ «۳» و كقوله تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ «۴» و قال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِکَ «۵» و قال: وَ نَزَّلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ تِبْياناً لِکُلِّ شَيْءٍ «۶» و أكثر ما جاء ذكر إنزاله على الناس جاء معدى بإلى، كقوله:

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکُمْ نُوراً مُبِيناً «۷» ثم كل موضع قيل فيه: أَنْزَلْنا إِلَيْکَ فقد شدد فيه التكليف عليه، و نزل منزلة أمته فيما يجب على

---

(۱) سورة: الزمر، الآيتان: ۲، ۳.

(۵) سورة: الشعراء، الآيتان: ۱۹۳، ۱۹۴.

(۲) سورة: الزمر، الآية: ۴۱.

(۶) سورة: النحل، الآية: ۸۹.

(۳) سورة: الكهف، الآية: ۱.

(۷) سورة: النساء، الآية: ۱۷۴.

(۴) سورة: النحل، الآية: ۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۶

عالمهم تبيينه لمتعلمهم، كقوله فى أول هذه السورة: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ فقد أمر بإخلاص العبادة، و المراد: هو و أمته، و كقوله:

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الذِّکْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «۱» فكان المراد فى المواضع التى استعملت فيها «إلى» أنه تناهى إلى حيث لا متعدى

وراءه من عالم سنة مقصورة عليه، فكل موضع عدى فيه الإنزال بعلى، فإن المراد به: أنه شرفك و أعلى بذلك ذكرك لتؤدى ما عليك، فتنذر و تبشر فمن قبل فحظه أصاب، و من أعرض فنفسه أوبق، و يكون فيه تهديد لمن ترك القبول، لقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ ثم قال:

لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ «۲» و كما قال فى هذه السورة: إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ فقد أسقط عنه فى ظاهر اللفظ القصد إلى الوعيد، ما ألزمه عند قوله فى الآية التى فى سورة النساء «۳»: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً فمن عرف حقيقة اللفظين و تخصيص كل مكان بواحد منهما، علم أن ما جاء عليه فى أول هذه السورة هو مميز عما جاء عليه فى وسطها، و لم يخف عليه الفرقان بينهما و السلام.

الآية الثانية من سورة الزمر

قوله تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ «۴».

للسائل أن يسأل فيقول: لأى معنى عدى وَ أُمِرْتُ الأولى إلى قوله: أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ىدعو وَ أُمِرْتُ الثانية باللام، فقال: وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ؟ و ما فائدة اللام؟ و لو قال: وَ أُمِرْتُ أن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ لكان الكلام مستغنيا عن اللام.

الجواب أن يقال: إن القصد فى الأمر الثانى غير القصد فى الأمر الأول، و ذلك أن الأمر الأول يتعدى إلى العبادة، و الثانى معناه: و أمرت أن أعبد اللّه لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ؛ أى: إنما أمرت بإخلاص العبادة للّه، و بعثت رسولا؛ لأن أكون أول من يبدأ بطاعة اللّه و عبادته على الإخلاص المطلوب، فاللام ليست مقحمة على ما ذهب إليه كثير

---

(۱) سورة: النحل، الآية: ۴۴.

(۳) سورة: النساء، الآية: ۱۰۵.

(۲) سورة: الكهف، الآية: ۳.

(۴) سورة: الزمر، الآيتان: ۱۱، ۱۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۷

من النحويين، و إنما معناه ما ذكرنا من الأمر بالعبادة لأجل أن يفعل أولا ما أمر به، ثم يحمل الناس على مثله، و هذا واضح، فاعرفه إن شاء اللّه تعالى.

الآية الثالثة من سورة الزمر

قوله تعالى: لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ «۱» و قال فى سورة النحل «۲»: ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

للسائل أن يسأل عن الموضع الذى استعمل فيه الَّذِي فى قوله: أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ و ما فى قوله: بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

الجواب أن يقال: إن كل واحدة من الآيتين تقدم فيها ما اقتضى حمل هذين المختلفين عليه، أعنى: «الذى» و «ما»، و هما إذا كانتا موصولتين بمعنى، إلا فى تصور «ما» عما يتبع له «الذى»؛ لأنك إذا قلت: رأيت ما عندك، لم يدخل تحتها المميزون، و إذا قلت: رأيت الذى عندك، دخل، فإنه يصلح للمميزين و البهائم و الجماد، ثم إنه يحسن حذف المبتدأ من صلة «الذى» إذا كان ضميرها،

كقوله فى قراءة من قرأ: ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ «۳» و المعنى: على الذى هو أحسن، و كما جاء: ما أنا بالذى قائل لك شيئا، و لا يحسن ذلك فى «ما»، و لا فى «من» لو قلت:

رأيت ما عامر، تريد: ما هو عامر، و رأيت من هو عاقل، تريد: من هو عاقل، لم يحسن كحسنه فى صلة «الذى»، لمزية «الذى» على «من» و «ما» فى اللفظ و التصرف، و لوقوعها على الجنس، كقوله تعالى: وَ الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ «۴» و قوله فى سورة الزمر «۵»: أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا و بِأَحْسَنِ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ

---

(۱) سورة: الزمر، الآية: ۳۵.

(۲) الآيتان: ۹۶، ۹۷.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۱۵۴.

(۴) سورة: الزمر، الآية: ۳۳.

(۵) الآية: ۳۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۸

إنما هو للبناء على ما تقدم و هو قوله: وَ الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ فافتتحت الآية التى قبلها بالذى، و وصلت بفعل تعلق به قوله: لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا و قصد جنس عملهم السيئ و جنس عملهم الحسن، فكان استعمال «الذى» فى هذا المكان أولى، ليلتئم اللفظان المتعلق أحدهما بالآخر كما التأم معناهما.

و أما الآية التى فى سورة النحل، فإن الأمر فيها على مثل ما فى سورة الزمر من حمل اللفظ على نظيره مع مطابقة المعنى له، و ذلك أن أول الآية هناك: وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ «۱» فقال فى الذى عند اللّه: ما عِنْدَ اللَّهِ ثم قال: ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ و المعنى: الذى عندكم، فاستعمل «ما» فى قوله: وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ فلما جاء ذكر الجزاء و هو ما عند اللّه، كان استعمال اللفظ الذى يرجع إلى ما تقدم أولى من استعمال غيره، فقال: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ و أحسن ما كانُوا يَعْمَلُونَ هو ما عند اللّه مما أعد الأجر له، ثم قال بعده: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فاستعمل «من» و هى للمميزين عامة فيهم و بإزائها فى غيرهم «ما»، فلما استعملت «من» هنا شرطا، كان استعمال «ما» التى هى قرينتها فيما يتعلق بجزاء شرطها أولى مما لا يلائمها، فلما كانت الَّذِى فى سورة الزمر أحق بمكانها، كانت ما فى سورة النحل أحق بموضعها، و السبب واحد فيهما.

الآية الرابعة من سورة الزمر

قوله تعالى: وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ «۲» و قال فى سورة الجاثية «۳»: وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ.

للسائل أن يسأل عن اختصاص سورة الزمر بقوله: كَسَبُوا و سورة الجاثية بقوله: عَمِلُوا و عن الفائدة فى ذلك؟.

---

(۱) سورة: النحل، الآيتان: ۹۵، ۹۶.

(۲) سورة: الزمر، الآية: ۴۸.

(۳) الآية: ۳۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۷۹

الجواب أن يقال: إنما جاء قوله: كَسَبُوا فى هذه السورة بناء على ما وقع الخبر به عن الظالمين فى الآية التى قبل هذه، حيث يقول: أ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ «۱» ثم اعترضت آيات تؤكد ما على الظالمين من الوعيد و تقوى ما للمصدقين من الوعد إلى أن انتهت إلى ذكر هؤلاء الظالمين الذين قيل لهم: ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ فقال تعالى: وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ «۲» فكان المعنى: وَ لَوْ أَنَّ للظالمين الذين تقدم ذكرهم ما فِي الْأَرْضِ وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ ثم قال:

وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا أى: الجزاء على ما كسبوا من سيئاتهم كما قيل لهم:

ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ؛ أى: جزاؤه، ثم أتبعه ذكر الكسب فى الآيات التى بعدها فى قوله: قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ «۳» و أما الآية فى سورة الجاثية، فالطريق فى اختيار: عَمِلُوا فيها كالطريق فى اختيار:

كَسَبُوا فى سورة الزمر؛ لأن قبلها قوله تعالى: وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «۴» و بعده: إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ «۵» و تبع ذلك قوله: وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ «۶» عَمِلُوا فبنى على ما سبق كما بنى هناك كَسَبُوا على ما تقدمه، فاعرفه إن شاء اللّه تعالى.

الآية الخامسة منها

قوله تعالى فى حال أهل النار: حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ «۷» و قال فى أهل الجنة: حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ «۸»

---

(۱) سورة: الزمر، الآيتان: ۲۴، ۲۵.

(۵) سورة: الجاثية، الآيتان: ۲۹، ۳۰

(۲) سورة: الزمر، الآيتان: ۴۷، ۴۸

(۶) سورة: الزمر، الآية: ۴۸

(۳) سورة: الزمر، الآيتان: ۵۰، ۵۱

(۷) سورة: الزمر، الآية: ۷۱

(۴) سورة: الجاثية، الآية: ۲۸

(۸) سورة: الزمر، الآية: ۷۳

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۰

للسائل أن يسأل: عن الواو فى قوله: وَ فُتِحَتْ و تركها فى الأول و هل كان يجوز حذفها من الثانى و إثباتها فى الأول؟

الجواب عن ذلك: ما ذهب إليه بعض المفسرين أن فى ذلك دلالة على أن أبواب جهنم كانت مغلقة ففتحت لما جاءوها، و أن أبواب الجنة كانت مفتوحة قبل مجيء المؤمنين إليها، و هذا محتاج إلى بيان، و هو أن قوله: وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها جواب لقوله:

حَتَّى إِذا جاؤُها؛ لأن فى إذا معنى الشرط، و فى جوابها معنى الجزاء، و لا بد لها منه، و أنت تقول إذا جئت زيدا: فتح لى الباب، أردت: أن الباب كان مغلقا ففتح لمجيئك، و تقول: إذا جئت زيدا: و فتح لى الباب، أردت: أن الباب كان مغلقا، فإن ما بعد الواو لا يقوم مقام الجزاء، و المخاطب متوقع عند سماع ذلك ما يتم به الكلام، فإن أراد المتكلم إضمار الجزاء و اكتفى بدلالة الشرط عليه و

ذلک إذا کان لفظاهما واحد جاز حذفه و عطف ما بعده، فیکون المعنی: حَتَّی إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها فیحذف جاءوها الثانیهٔ لدلالهٔ الأولی علیها، و علی هذا قول امرئ القیس:

فلما أجزنا ساحهٔ الحی و انتحی بنا بطن حقف ذی رکام عقنقل

معناه: فلما أجزنا ساحهٔ الحی أجزناها و انتحی بنا. فإن قال: و هل یختلف المعنیان إذا حذفت الواو و إذا أثبتت؟ قلت: یختلفان بأن الفتح یقع عند مجیء أهل النار؛ لأن قوله: فُتِحَتْ جزاء للشرط، و حقه إذا کان فعلا أن لا یدخله واو و لا فاء و یکون عقیب الشرط، و إذا حذف الجزاء و عطف فعل علیه فقیل: حَتَّی إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ و التقدیر: حتی إذا جاءوها و أبوابها مفتحهٔ، و هذا حکم اللفظ .. فأما حکم المعنی، فإن جهنم لما کانت أشد المحابس، من عادهٔ الناس إذا شددوا أمرها أن لا یفتحوا أبوابها إلا لداخل و خارج، و کانت جهنم أهولها أمرا و أبلغها عقابا أخبر عنها الأخبار عما شوهد من أحوال الحبوس التی تضیق علی محبوسها، فوقع الفتح عقیب مجیئهم لیتطابق لذلک اللفظ و المعنی و لم یکن هناک حذف، و أما الجنهٔ فلأن من فیها یتشوقون للقاء أهلها و من رسم المنازل إذا بشر من فیها بإتیان أربابها إلیها أن تفتح أبوابها استبشارا بهم و تطلعا إلیهم، و یکون ذلک قبل مجیئهم، فأخبر عن المؤمنین و حالهم علی ما جرت به عادهٔ الدنیا فی أمثالهم، فیکون حذف الجزاء و إدخال الواو علی الفعل المعطوف علیه لذلک، فاعرفه.

درهٔ التنزیل و غرهٔ التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۲۸۱

۴۰– سورهٔ غافر

الآیهٔ الأولی منها

قوله تعالی: إِنَّ السَّاعَهَ لَآتِیَهٌ لا رَیْبَ فِیها وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یُؤْمِنُونَ «۱» و قال فی سورهٔ طه «۲»: إِنَّ السَّاعَهَ آتِیَهٌ أَکادُ أُخْفِیها.

للسائل أن یسأل عن اللام الداخلهٔ علی: لَآتِیَهٌ فی سورهٔ المؤمن، و خلوها منها فی سورهٔ طه علیه الصلاهٔ و السلام.

الجواب أن یقال: إن اللام التی تقع فی خبر إن أو اسمها إذا حلّت محل الخبر تؤکد الکلام، و العرب تحرض علی التوکید فی موضعه، و ترکه فی غیر موضعه، قال اللّه تعالی: وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّاعَهَ لَآتِیَهٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِیلَ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِیمُ «۳» و قال قبل الآیهٔ فی سورهٔ غافر: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ «۴» ..

و المعنی: أن القادر علی خلق السموات و الأرض قادر علی خلق الناس، و من قدر علی خلق الناس أولا قادر علی خلقهم ثانیا، و هذان من مواضع التوکید، و تحقیق الخبر أن الساعهٔ حق و أنها آتیهٔ لا ریب فیها، و الخطاب لقوم کفار ینکرونها، و التی فی سورهٔ طه «۵» خطاب لموسی علیه السّلام، و هی فی ضمن کلام اللّه تعالی: إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ و قال: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی إِنَّ السَّاعَهَ آتِیَهٌ أَکادُ أُخْفِیها «۶» و لم یکن موسی علیه السّلام ممن ینکر ذلک، فیؤکد الکلام علیه توکیده علی منکریه و الجاحدین له علی أنه تحمیل له لیعلم قومه و هو: فَلا یَصُدَّنَّکَ عَنْها مَنْ لا یُؤْمِنُ بِها وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدی «۷» فإذا کان

---

(۱) سورهٔ: غافر، الآیهٔ: ۵۹.

(۵) الآیهٔ: ۱۲.

(۲) الآیهٔ: ۱۵.

(۶) سورهٔ: طه، الآیتان: ۱۴، ۱۵.

(۳) سورهٔ: الحجر، الآیتان: ۸۵، ۸۶.

(۷) سورة: طه، الآية: ۱۶.

(۴) سورة: غافر، الآية: ۵۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۲

الأمر على ما بينا، وضح الفرق بين الموضعين بالذى ذكرناه.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ «۱» و قال فى سورة يونس «۲»: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ الآية.

للسائل أن يسأل فيقول: كيف أظهر النَّاسِ فى موضع الإضمار فى سورة المؤمن، و قد أضمر فى موضع الإظهار فى سورة يونس؟ و هل كان جائزا وقوع هذا موقع ذاك؟.

الجواب أن يقال: إن كل موضع يحتمل الإضمار لقرب الذكر، و يحتمل الإظهار لتعظيم الأمر و ذكر أخص الأسماء المقصود بالتقريع و التفنيد، فإنه يحمل على ما يلائم الآيات المتقدمة له ليكون قد جمع إلى صحة المعنى و اللفظ مشاكلة ما قبله من الآى ..

فأما قوله فى سورة المؤمن: وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ بعد قوله: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ و لو قال: و لكن أكثرهم لا يشكرون لقرب الذكر لكان من الجائز الحسن، فإنه محمول على الآيات التى قبله، و هى قوله: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۳» و قال بعده: إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ «۴» ثم جاء: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ فأظهر ذكر الناس كما أظهر فى الآيتين قبلها للمشاكلة و الملائمة، و ليس كذلك الأمر فى سورة يونس عليه السّلام؛ لأن الكلام هناك بنى على الإضمار فى الآية المتقدمة، أ لا ترى أنه قال تعالى مخبرا عمن يدخل من الظالمين النار: ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ «۵» فانقضى هذا الكلام و استؤنف خبر عن القوم الذين بعث اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و سلم إليهم، و قال: وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ «۶» فأضمر ذكره فى قوله: وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ ثم قال بعده:

---

(۱) سورة: غافر، الآية: ۶۱.

(۴) سورة: غافر، الآية: ۵۹.

(۲) الآيتان: ۶۰، ۶۱.

(۵) سورة: يونس، الآية: ۵۲.

(۳) سورة: غافر، الآية: ۵۷.

(۶) سورة: يونس، الآية: ۵۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۳

أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ «۱» فأضمر ما أضاف إليه أكثر، ثم انتهى إلى قوله بعده:

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ فاقتضى ما بنى عليه الكلام فى هذه الآى أن يكون ما بعد الشرط بلفظ الإضمار كما كان ما تقدمه، فاختلاف الموضعين فى الإظهار و الإضمار لما ذكرنا.

الآية الثالثة من سورة غافر

قوله تعالى: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ وَ ما يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ لَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا ما تَتَذَكَّرُونَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ «۲».

للسائل أن يسأل: عن المواضع الثلاثة التى جاء فيها لا يَعْلَمُونَ و جاء فيها:

لا يُؤْمِنُونَ و جاء فيها: لا يَشْكُرُونَ؟ و عما يخص كلا بمكانه، و هل كان يجوز وضع أحدها موضع قرينه؟ أم كل آية اقتضت ما ختمت به؟.

الجواب أن يقال: من أقر بخلق السموات و الأرض و أنكر الإعادة و البعث، ثم نبه على أن يعلم أن من قدر على الأكبر قادر على الأصغر، و هذا موضع يفتقر إلى العلم الذى نفاه عمن لم يقر به، فقال: وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فاختصّ هذا الموضع بنفى العلم، و العلم هو المحتاج إليه و المبعوث عليه، و قوله: إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ فمن أنكر البعث محتاج إلى الإيمان به بعد علمه بأن القادر على خلق السموات و الأرض قادر على أن يخلق مثلهم، أما الآية الأخيرة فقوله: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ؛ و من كان له فضل عليه فهو محتاج إلى أن يؤدى حقه بالشكر، فقال تعالى:

وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ أى: لا يقابلون نعمة اللّه عليهم بما يستديمها لهم من الشكر الذى يربطها لديهم، فقد بان أن كل ما ختمت به آية هو فى مكانه اللائق به و لا يقتضى سواه، و باللّه التوفيق.

---

(۱) سورة: يونس، الآية: ۵۵.

(۲) سورة: غافر، الآيات: ۵۷- ۶۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۴

۴۱- سورة فصلت

الآية الأولى منها

قوله تعالى: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ «۱».

للسائل أن يسأل فيقول: ذكر فى هذه الآية أنه خلق الأرض فى يومين، ثم قال:

وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ يعنى: الجبال مع سائر ما ذكر فى أربعة أيام، و قضى السموات السبع فى يومين، فهذه ثمانية أيام، و قد قال خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ «۲».

و ما أجاب به المفسرون هو أن معنى قوله: فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ؛ أى: فى تتمة أربعة أيام، و يكون لخلق الأرض يومان، و لخلق ما فيها من الجبال و الأقوات و الشجر و غيرها من عامر و غامر يومان، فتكون الأربعة أيام المذكورة معها يوما خلق الأرض، قالوا: و هذا كما يقول: سرت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام، و سرت إلى الكوفة فى خمسة عشر يوما، و هو يعنى: خمسة عشر مع العشرة التى سار فيها من البصرة إلى بغداد، فيخبر عن جملة الأيام التى وقع السير فيها، و كذلك أخبر اللّه تعالى عند ذكر ما خلقه فى الأرض عن جملة الأيام التى وقع فيها خلق الأرض و ما اتصل بها، و إنما ضم اليومين إلى اليومين المتقدمين، لاتصال خلق ما فى الأرض بخلق

الأرض، هـذا ما أجاب به أهل النظر و أولو المعرفـة بكلام العرب، و بقى سؤال يحتاج إلى جواب، و هو: أن يقال: ما الذى أوجب فى العربيـة أن يضم اليومان اللـذان أرسيت فيهما الجبال و أخرجت فيهما من الأرض المياه إلى اليومين اللذين وقع فيهما خلق الأرض؟ و هلا ذكر يوما ذلك مفردين على اليومين

---

(۱) سورة: فصلت، الآيات: ۹- ۱۲.

(۲) سورة: الفرقان، الآية: ۵۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۵

المتقدمين ليزول الإشكال و لا يقع الاعتراض؟.

الجواب عن ذلـك: سوى مـا يقول النظـار من رد المتشابه إلى المحكم و بنائه عليه بموجب النظر ليتبين مزيـة أهل العلم و ما خصوا به من الفضل و وعـدوه من جزيل الأجر، هو أن يقال: إن فى الكلام ما أوجب ضم اليومين إلى اليومين الأولين، فذكر أربعة أيام فى هذا المكـان و هو من دقيق الكلاـم فى الإـعراب، و ذلـك أنه قال تعالى: قُلْ أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ فتمت «الـذى» بصـلتها و صـلتها خلق الأـرض، و انقطعت الصـلة بقوله: وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْـداداً ذلِـکَ رَبُّ الْعـالَمِینَ؛ لأـن: وَ تَجْعَلُونَ معطوف على قوله: لَتَكْفُرُونَ فـانقطعت الصـلة بـالعطف على ما قبل الموصول و الصـلة، و قوله بعـد ذلك: وَ جَعَلَ فِیها رَواسِـیَ مِنْ فَوْقِها عطف على قوله: خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ و لا يصح العطف على فعل هو صـلة «الذى»، و قد حجز بينهما كلام أجنبى عنهما، فلو قلت: الذى خرج محمد و ركب، لم يجز؛ لأن قولك ركب: معطوف على خرج، و خرج: صـلة «الـذى»، و قـد انقطعت بقولك: محمد، فلا يصح العطف على الصلة مع حجزه، و لو قلت: الذى خرج و ركب محمد صلح، و إذا كان كذلك و جاء قوله:

وَ جَعَـلَ فِیها رَواسِـیَ معطوفا على: خَلَقَ الْأَرْضَ و امتنع هـذا العطف لما ذكرت لم يكن بـدّ من أحـد أمرين: إما أن تنوى بهـذه الجملة المعطوفة التقديم حتى تعطف على خلق الأرض و تنوى بقوله: وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً التأخير، و هذا مما يجوز فى ضـرورات الشعر، و هو قبيـح فيهـا أيضا، و إما أن يعطف على فعل مثل ما وقع فى الصـلة بدلالـة الأول عليه، فيضـمر خلق الإنسان و هو مما دل عليه الأول، ثم يعطف: وَ جَعَلَ فِیها رَواسِـیَ عليها، فيصير كأنه قال: أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِـیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَـدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَـةِ أَیَّامٍ فيضم اليومان اللـذان يقتضـيهما خلق الأرض إلى اليومين اللـذين هما لخلق ما فيها للمعنى الداعى إلى إضمار قوله: خَلَقَ الْأَرْضَ بعد قوله: ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ فهذا الذى أوجب من طريق اللفظ، و المعنى:

أن يتنـاول الخبر الثـانى فى المعطوف على الأول جملـة الأيام التى وقع فيها خلق الأرض و ما اتصل بها، و هو بين لمن تنبه إليه مفسـر، فاعرفه.

الآية الثانية من سورة فصلت

قوله تعالى: حَتَّی إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما کانُوا

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۶

یَعْمَلُونَ «۱» و قـال فى سـورة الزخرف «۲»: حَتَّی إِذا جاءَنـا قـالَ یـا لَیْتَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ بُعْدَ الْمَشْـرِقَیْنِ فَبِئْسَ الْقَرِینُ و قال قبله: حَتَّی إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها «۳» يعنى: أبواب جهنم، و قال بعدها: حَتَّی إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها «۴» يعنى: أبواب الجنة.

للسائل أن يسأل عن زيادة «ما» بعد «إذا» فى سورة السجدة، و حذفها من الموضع الآخر.

الجواب أن يقال: إنه إذ قصد توكيد معنى الشـرط الذى تضمنه «إذا» لقوة معنى الجزاء استعملت ما بعدها، و إذا لم يقصد ذلك لقرب معنى الجزاء من الشـرط لم يستعمل «مـا» بعـدها، فقوله تعـالى: حَتَّی إِذا ما جاؤُها شَـهِدَ عَلَیْهِمْ سَـمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ شـهادة

السمع و سائر الجوارح من المعانى القوية التى لا يقتضيها الشرط الذى هو المجيء، أ لا ترى استنكارهم لها حتى: قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا فأجابوا بأن: قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ «۵» و ليس كذلك: حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها؛ لأن المجيء يقتضى فتح الأبواب، و إن أضمر فى الثانى الجزاء على معنى:

حَتَّى إِذا جاؤُها نالوا المنى عندها و أدركوا مطلوبهم و مرغوبهم فيها، فقد صار المكان مكان اختصار و حذف لما لا بد للكلام منه، فكيف يزاد فيه ما يستغنى عنه، و كذلك:

حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِى وَ بَيْنَكَ: أى: قال الآدمى لقرينه من الجن- اللذين اشتركا فى الدنيا فى معصية اللّه، ثم اشتركا فى العذاب فى الآخرة-: ليتنى لم أتبعك، و كان بعد ما بين المشرقين بينى و بينك، و هذا أيضا مما يتوقع كونه منهما ثم يتبرى بعض من بعض، فليس فى الجزاء ما يوجب قوة الشرط من المعنى الذى لا- يتوقع و لا- يستفاد إلا به و منه، و لا يكون فى الشرط تنبيه عليه و إشارة اليد، فيترك التوكيد حيث لا يدعو داع إلى الإتيان به أحسن، و إذا دعى الداعى إليه، فالإتيان به أحرى و أقمن.

الآية الثالثة من سورة فصلت

قوله تعالى: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «۶» و قال فى سورة الأعراف «۷»: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

---

(۱) سورة: فصلت، الآية: ۲۰.

(۵) سورة: فصلت، الآية: ۲۱.

(۲) الآية: ۳۸.

(۶) سورة: فصلت، الآية: ۳۶.

(۳) سورة: الزمر، الآية: ۷۱.

(۷) الآية: ۲۰۰.

(۴) سورة: الزمر، الآية: ۷۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۸۷

. للسائل أن يسأل: عن التوكيد فى سورة حم السجدة فى قوله: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و تعريفه الصفتين بالألف و اللام، و ترك التوكيد بقوله: هُوَ و ترك التعريف فى:

سَمِيعٌ عَلِيمٌ من الأعراف؟.

الجواب أن يقال: إن الذى فى سورة السجدة لما كان بعد دعاء إلى ما يشق على الإنسان فعله، و هو أن يدفع السيئة بالحسنة، و يقابل غلظة عدوه بالملاينة استكفافا لشره و أذاه، حتى يعود إلى اللطف فى المقال و الجميل من الفعل، فيصير و إن كان عدوا كأنه صديق قريب القربى، ثم قال: وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ «۱»؛ أى: ما يوفق لذلك إلا من ملك أمر نفسه و صبر على احتمال الأذى من عدوه، و لا يوفق لذلك إلا من له نصيب وافر من الدين و حظ جزيل من الإسلام، و هذا الذى بعث اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم و سائر المؤمنين عليه، ما ينتهز الشيطان الفرصة عليه عنده و يبعث على عداوته من تجلب عداوته ضره و يوسوس إلى العصيان بالحمية و الأنفة، فإذا كان الإنسان ثابت القدم و مالكا لنفسه عند الغضب فجاءه من قبل الشيطان مثل ما ذكرت مما يحمل على خلاف ما رغب اللّه تعالى فيه، و يدعو إلى معصية اللّه تعالى، و وجد فى نفسه فسادا يتزين له من جهة شيطانه، و هو مأمور عند ذلك بالاستعاذة باللّه من الشيطان و من ضرر ما يحمل عليه ليعيذه اللّه تعالى منه، فلما كان الأمر الذى بعث اللّه تعالى عليه

أولیاءه شاقا عظیما، حتی قال: وَ ما یُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِیمٍ کانت وسوسهٔ الشیطان فی مثله أعظم، و المؤمن لها أیقظ، و من قبولها أبعد، و کان الترغیب فی مدافعته أبلغ، و تقدیر علم اللّه تعالی بما یلاقی من ذلک أوکد، فجاء قوله: إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ؛ أی: لا سمیعا علیما قدیما إلاـ هو، فهو لم یزل یعلم ما یکون قبل أن یکون، فکیف ما یتکلف به من المشاق فیما دعاک إلیه؟ فهذا وجه التوکید و التعریف فی هذه الآیهٔ، و أما الآیهٔ التی فی سورهٔ الأعراف، فإن قبلها: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ «۲» و لم تعظم فیها الأفعال التی دعا إلیها کما عظمت فی سورهٔ السجدهٔ؛ بل کان ما هناک بعثا علی أحسن الأخلاق، و لم یخص نوعا من المشاق کما خص فی سورهٔ السجدهٔ، فلم تقع المبالغهٔ فی اللفظ، و اقتصر فی الخبر علی الأصل، و هو:

---

(۱) سورهٔ: فصلت، الآیهٔ: ۳۵.

(۲) سورهٔ: الأعراف، الآیهٔ: ۱۹۹.

إِنَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ أی: یسمع ما یکون منک، و یعلمه مع کل مسموع و معلوم، فجعل اسم إن معرفهٔ، و خبرها نکرهٔ، و ذلک الأصل قبل تأکید الألفاظ لتأکد المعانی، فاعرفه إن شاء اللّه تعالی.

الآیهٔ الرابعهٔ من سورهٔ فصلت

قوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ وَ لَوْ لا کَلِمَهٌٔ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مُرِیبٍ «۱» و قال فی سورهٔ حم عسق:

وَ لَوْ لا کَلِمَهٌٔ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِینَ أُورِثُوا الْکِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مُرِیبٍ «۲».

للسائل أن یسأل: عن خلو هذه الآیهٔ من ذکر النهایهٔ المذکورهٔ فی الأخیرهٔ، و هو قوله: إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی.

الجواب: أن خبر اللّه تعالی عما آتاه اللّه لموسی علیه السّلام من التوراهٔ، یدل علی أن أولئک القوم اختلفوا فیه کاختلاف من فی عصر النبی صلّی اللّه علیه و سلم فی القرآن الذی أنزل علیه، ثم قال: وَ لَوْ لا کَلِمَهٌٔ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ؛ أی: لو لا أن اللّه تعالی قال: إنی أوفی کلا من المطیع و العاصی حقه من الثواب و العقاب فی الآخرهٔ؛ لأنزل بکل ما یجب له و علیه عند فعله فی الدنیا، فأخبر أن سبیلهم فی الإمهال سبیلهم لما سبق من حکم اللّه تعالی، و قوله فی تأخیر المستحق من الثواب و العقاب إلی الآخرهٔ، فأما اختصاص ما فی سورهٔ حم عسق بذکر النهایهٔ فی قوله: إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی، فلأن قبله: وَ ما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ فأخبر بمبتدإ کفرهم، و هو: إنکارهم بعد مجیء العلم؛ أی: القرآن و الآیات التی أوقعت العلم بصحهٔ ما جاء به النبی صلّی اللّه علیه و سلم، فلما قال: إِلَّا مِنْ بَعْدِ و من لابتداء الغایهٔ، و کان ذلک ابتداء کفرهم، ذکرت النهایهٔ التی أمهلوا إلیها لیکون ابتداء عقابهم فیکون الحد مذکورا مع الحد، و لأنه جری ذلک محدودا من الطرفین، قال بعده: وَ لَوْ لا کَلِمَهُٔ الْفَصْلِ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ «۳»؛ أی: لو لا قوله:

إنی أفصل فی الآخرهٔ لأفصل فی الدنیا، و هذا بیّن واضح فاعرفه.

---

(۱) سورهٔ: فصلت، الآیهٔ: ۴۵.

(۳) سورهٔ: الشوری، الآیهٔ: ۲۱.

(۲) سورهٔ: الشوری، الآیهٔ: ۱۴.

الآیهٔ الخامسهٔ منها

قوله تعالى: وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي «۱» و قال فى سورة هود «۲»: وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي.

للسائل أن يسأل فيقول: عن قوله فى السجدة: وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ و لم يكن فى سورة هود عليه السّلام: مِنَّا و لا: مِنْ؟.

الجواب أن يقال: إن قوله: مِنَّا مما بالكلام إلى ذكره حاجة، و قد استغنى عنها فى سورة هود عليه السّلام، لتقدم ذكرها فى الآية التى قبلها و هى: وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ «۳». و أما قوله: مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ فلأنه لما حد الرحمة و الجهة الواقعة منها حد الطرف الذى بعدها ليتشاكل المقترنان فى التحقيق، لما لم يكن ذلك فى الآية من سورة هود عليه السّلام من حد فى الأول، لم يحتج إليه فى الثانى.

الآية السادسة من سورة فصلت

قوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ «۴» و قال فى سورة الأحقاف «۵»: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

للسائل أن يسأل: عن قوله: ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ فى الأول، و قوله: وَ كَفَرْتُمْ بِهِ بالثانى، و هل يصلح كل واحد منهما مكان الآخر؟.

الجواب أن يقال: إن معنى قوله: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أ رأيتم إن كان ما أتيتكم به من كلامه و سائر ما أديته إليكم من أمور دينه، و كان قصاراكم

---

(۱) سورة: فصلت، الآية: ۵۰.

(۴) سورة: فصلت، الآية: ۵۲.

(۲) الآية: ۱۰.

(۵) الآية: ۱۰.

(۳) سورة: هود، الآية: ۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹۰

و آخر أمركم الكفر به، فهل ترون أضل منكم عن الصواب، فإن لم تحققوه فلا بد من أن تتأملوا فيه فتعلموا بعدكم عن الهدى و إيغالكم فى الضلال، فذكر فعلين: أحدهما: إن كان من عند اللّه و ختمه بقوله: ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ على معنى: إنكم بعد إمهالى لكم لتدبره، و حتّى إياكم على تأمله، كان عاقبة أمركم الكفر به، فلم يحسن فى المعنى إلا «ثم» للمهلة بين الاستدعاء إلى الحق، و خاتمة أفعالهم بالكفر و هو من مواضع «ثم». و أما فى سورة الأحقاف فإن قوله: وَ كَفَرْتُمْ بِهِ لم يجعله آخر ما أخبر به فى القصة، و خاتمة أمره معهم فى الدعوة، بل ذكر: وَ كَفَرْتُمْ بِهِ و عطف عليها أفعالا بعدها، و هى:

وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ فكأنه قال: قابلتم بالكفر ما أتيت به و احتج عليكم من بنى إسرائيل من قرأ الكتب و عرف ما أتيت به من الصدق فآمن و تكبرتم عما التزم من التذلل فى طاعة اللّه ألا تكونون ظالمين بذلك و اللّه لا يهدى القوم الظالمين إلى ما يهدى إليه المؤمنين، فلما لم يجعل قوله: وَ كَفَرْتُمْ بِهِ الكفر الذى يوافى به الآخرة لما ذكر بعده من الاحتجاج عليهم، و توقع من إيمانهم، و شهادة من كان على دينهم و إيمانه و استكبارهم، خالف المكان الذى ختمت أفعالهم بالكفر فيه فاستعملت الواو بدل استعمال «ثم» هناك، و السلام، و اللّه الموفق.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹۱

۴۲- سورة الشورى

اشارة

قد مرت منها آيات شابهت الآيات التى فى السورة قبلها، و مما لم يمر به:

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ «۱» و قال قبله فى سورة لقمان «۲»: يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَکَ إِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.

للسائل أن يسأل: عما اقتضى توكيد الخبر باللام فى سورة حم عسق فى قوله:

لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ و تركه فى سورة لقمان.

الجواب أن يقال: إن ما رغب اللّه تعالى فيه عبده من الصبر على ما آلم قلبه من جناية جان عليه حتى يغفر لمن ظلمه، و يهب له من القصاص حقه ترغيب فيما يشق على الإنسان فعله، إلا أن اللّه تعالى حسنه بما وعد من عفا عما يجب له من الأجر الذى ضمنه، ففيه مع جزيل الثواب إصلاح ما بين عشيرته و عشيرة الجانى عليه بإطفاء الثائرة عنهما، و إذا كان هذا من أصعب ما يتحمله الإنسان، وجب من توكيد الكلام فيه ما لا يجب فى غيره، فأدخلت اللام على: مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ على معنى أنه من الأمور التى تحتاج إلى توطين النفس عليها، و تخير أرفعها و أعلاها، و ليس كذلك ما فى سورة لقمان؛ لأنه قال: وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَکَ و ليس يختص صبرا على ظلم يلحقه فيرغب فى العفو عن الظالم، بل تكون شدائد لا يهيج النفوس الانتصار فيها، و لا تدعو دواعى إلى الانتقام لها من الرزايا فى الأنفس و الأموال، و ما يكون من قبل اللّه تعالى مما تعبدنا فيه بالصبر و ليس لنا غيره ... فأما الموضع الذى أبيح فيه الانتصاف، فالصبر فيه أحق، و كظم

---

(۱) سورة: الشورى، الآية: ۴۳.

(۲) الآية: ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹۲

الغيظ معه أشد، و الكلام فيه إلى التوكيد أحوج، أ لا ترى أن صبر من قتل بعض أعزته رغبة فيما وعده اللّه من مثوبته، ليس كصبر من مات له بعض أحبته، فافتقر المكان الأول من تقوية الكلام فيما ينبه على الأصل إلى ما لم يحتج إليه المكان الآخر.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ سَبِيلٍ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَ ما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ «۱» و قال فى سورة الروم «۲»: فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف ما انقطع إليه قوله: يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ فجاء فى هذه السورة: ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ و فى سورة الروم: يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ.

الجواب أن يقال: إن قوله: فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ معناه: استقم أنت و من معك من المؤمنين على الدين المستقيم من قبل أن يجىء

يوم لا- ينفع فيه الإيمان، فكأنه خاطب الناس بالاجتماع على الإيمان و التآلف على الإسلام قبل يوم القيامة الذى تتفرق فيه الجموع، ففريق فى الجنة و فريق فى السعير، يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ «۳»، فلما كان قوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ أمرا للنّاس كلهم بالاجتماع على الحق و رفض الباطل، حذّرهم من التفرق فى الآخرة و مصير المطيع إلى دار الثواب و العاصى إلى دار العقاب، فكان هذا ملائما لما قبله .. و الآية التى فى سورة حم عسق جاءت بعد قوله: أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِياءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ سَبِيلٍ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَ ما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ «۱» فلما قال: إن الظالمين لا ولىّ لهم ينصرهم من دون اللّه قال عند ذكر اليوم الذى لا مرد له: ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ، أى: لا معقل لكم تعتصمون به من عذاب اللّه، و لا

(۱) سورة: الشورى، الآيتان: ۴۶، ۴۷.

(۳) سورة: الزلزلة، الآية: ۶.

(۲) الآية: ۴۳.

يمكنكم إنكار ما يحل بكم بدفعه عن أنفسكم بنصرة ناصر لكم، فاقتضى ما تقدم من ذكر أن لا ناصر لهم يدفع عذاب اللّه تعالى عنهم، سد طرق النجاة دونهم بأنه لا- ملجأ لهم و لا ذابّ عنه، و من دهمه الخطب العظيم الذى لا يطيق احتماله فلم يجد مهربا و لا ناصرا لم يبق له إلا الاستسلام، و السلام.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ «۱» و قال بعده: وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ «۲».

للسائل أن يسأل: عن مجىء: عَلِيمٌ قَدِيرٌ بعد ذكر الذكران و الإناث من الأولاد و النعمة بهما على العباد، و مجىء: عَلِيٌّ حَكِيمٌ بعد ذكر الجهة التى منها يرد أمر اللّه لعباده بطاعته، و نهيه لهم عن معصيته، و اختلاف أحوال الرسل فى خطابه لهم، و أمره إياهم، و هل للصفتين الأولتين اختصاص بالآية التى ختمت بهما، و للصفتين الآخرتين اختصاص بما جاء بعده؟

الجواب أن يقال: لما نبه اللّه العباد على ما يشاهدون من خلقه لهم من أولادهم ذكورهم و إناثهم، و أنه يختص من يشاء بالإناث و يختص من يشاء بالذكور، أو يؤلفهم ببنات و بنين فيجمعهما للواحد، و من أراد أن يعقم من الوالدين حتى لا يكون له نسل حرمه الولد، و الناس فى الأولاد لا- ينفكون عن الأحوال الثلاث، قال عقيبه: إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ؛ أى: يعلم الغيب و يطّلع على العواقب، فيفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، و هو قادر لا قدرة كقدرته، فاختلاف الأحوال التى ذكرها هو لعلمه بما يصلح منها، و قدرته على إيجادها، فاقتضى الفعل المتقدم هذين الوصفين ... و أما قوله: إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ فالعلى: القادر على الشىء القاهر له، و كذلك قال الشاعر:

اعمد لما تعلو فما لك بالذى لا تستطيع من الأمور يدان

(۱) سورة: الشورى، الآيتان: ۴۹، ۵۰.

(۲) سورة: الشورى، الآية: ۵۱.

فجعل بإزاء تعلو: لا تستطيع، فالقادر على الشيء أتمّ قدرة يكون عالما به قاهرا له، فذكر هذا الوصف بعد الأشرف من الأفعال من بعثة الرسل على اختلاف السبل، و أنه قاهر لما أراد فعله من ذلك، إنما أراد فعلا على وجه من الصواب لا مزيد عليه، و هو الذى تقتضيه الحكمة.

و جواب ثان فى قوله: عَلِيٌّ حَكِيمٌ أنه يتعالى عن أن يكون كلامه لمن يكلم، ككلام غيره ممن يشاهد المكلم به المكلم له مشاهدة رؤية، فهو: عَلِيٌّ عن ذلك، و حَكِيمٌ فى إبلاغهم كلامه من الوجه الذى ذكره، و القسم الذى قسمه، فقد ثبت أن كل آية اتبعت ما اقتضته ... و قد ذهب بعض أهل النظر إلى أن معنى قوله: أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً أنه يزوج ذكران عبيده بإناثهم، و هذا لا يكون ب «أو»؛ لأنه لا يهب الإناث و لا الذكور إلا أن يزوج ذكرانهم بإناثهم، فليس هو قسما ثالثا تدخله، أو حتى يقال فيه: هذا أو هذا، و إنما وجه الكلام ما ذكرنا، و القسمة التى لا مزيد عليها ما قسمنا فاعرفه.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹۵

۴۳- سورة الزخرف

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ «۱» و قال فى سورة الشعراء «۲»: قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ.

للسائل أن يسأل: عما أوجب التوكيد فى قوله هنا: لَمُنْقَلِبُونَ و لم يوجبه فى سورة الشعراء حتى لم تدخل اللام على خبر أن دخولها فى الأول.

الجواب أن يقال: إن معنى قوله: وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا إلى آخر الآية: لتذكروا إنعام اللّه عليكم و تشكروه و تخالفوا الكفار بأن تقروا بما أنكروه، فتؤمنوا بالبعث و الحياة بعد الموت، و هذا خطاب لكل من كان فى ذلك العصر، و من يكون بعدهم إلى انقضاء الدهر، فالتوكيد لمثله لازم، و فى الكلام الذى للتأييد واجب، و الذى فى سورة الشعراء إنما هو خبر عن السحرة لما آمنوا و وصفوا حالهم و استهانتهم بما خوفوا أن ينالهم من عقوبة فرعون، إذ كان منقلبهم إلى ربهم و كانوا مجازين على إيمانهم و صدقهم و صبرهم، فلم يحتج من التوكيد إلى ما احتاج إليه ما هو على التأييد.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ «۳» و قال فى سورة الجاثية «۴»: وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ.

---

(۱) سورة: الزخرف، الآيتان: ۱۳، ۱۴.

(۳) سورة: الزخرف، الآية: ۲۰.

(۲) الآية: ۵۰.

(۴) الآية: ۲۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹۶

للسائل أن يسأل: عما بعد قوله: ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ فى سورة الزخرف:

إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ و ما بعده من سورة الجاثية: إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ و هل لاختصاص كل باللفظة التى تقارنها فائدة تقتضيها؟

الجواب أن يقال: إن قبل الآية من سورة الزخرف: وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ «۱» فأخبر عنهم أنهم قالوا: الملائكة بنات الله تعالى، و أن الله تعالى أراد أن يعبدوهم وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ و ليس ذلك عن علم، بل هم كاذبون فيما يدعونه و يخبرون به، فأبطل خبرهم بالتكذيب لهم، و هو الذى يليق بالموضع ... و الذى فى سورة الجاثية خبر عن الكفار الذين دعاهم النبى صلّى الله عليه و سلم إلى الإسلام بأنهم قالوا: لا بعث لنا، و إنما هو أن تموت الأسلاف و تحيى الأخلاف، فكلما هدم الدهر قوما فأفناهم، نشأ فيه آخرون فأحياهم، و هؤلاء لم يقولوا ما قالوا بمعرفة؛ بل قالوه على سبيل الظن، فكان: إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ لائقا بهذا المكان كما لاق بالأول: إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ «۲» ثم قال بعده: وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ «۳».

للسائل أن يسأل عن قوله: مُهْتَدُونَ فى فاصلة الآية الأولى، و مُقْتَدُونَ فى فاصلة الآية الثانية، و هل كانت تصلح هذه مكان تلك؟ أم هناك معنى يخصصها بمكانها؟.

الجواب أن يقال: إن الأولى حكاية قول الكفار الذين حاجّوا النبى صلّى الله عليه و سلم، فقال مخبرا عنهم: أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً مِنْ قَبْلِهِ «۴»؛ أى: من قبل القرآن:

---

(۱) سورة: الزخرف، الآيتان: ۱۹، ۲۰.

(۲) سورة: الزخرف، الآية: ۲۲.

(۳) سورة: الزخرف، الآية: ۲۳.

(۴) سورة: الزخرف، الآية: ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۲۹۷

فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ «۱»؛ أى: كتابا فيه حجة بصحة دعواهم فهم متعلقون به، فأعرض عن ذلك، و قال تعالى: لا حجة لهم، لكنهم قالوا: وجدنا آباءنا على ملة و طريقة فى الدين مقصودة، و نحن فى اتباع آثارهم على هداية، فادعوا الاهتداء بسلوكهم سبيل آباءهم .. و أما الآية الثانية فإنها خبر عن الأمم الكافرة بأنبيائها، قال: ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلا قال ذووا النعم و الأموال من أهلها قريبا من قول هؤلاء الذين فى عصرك، فكان أقصى ما احتجوا به أن: قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ فاقتدينا بهم و لم يؤكّد الخبر عنهم بدعواهم الاهتداء كما أكده عمن كان فى عصره ممن يدعيه، لبطلان قول الجميع و زوال الماضين عن احتجاجهم و ثبات هؤلاء فى حجاجهم و قوله: قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ «۲» خطاب لمن قال: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ دون الذين قالوا: مُقْتَدُونَ.

۴۴- سورة الدخان

ليس فيها من ذلك شيء.

---

(۱) سورة: الزخرف، الآية: ۲۱.

(۲) سورة: الزخرف، الآية: ۲۴.

۴۵- سورة الجاثية

الآية الأولى منها

قوله تعالى: إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۱».

للسائل أن يسأل: عما ختمت به الآية الأولى و هو: لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ و ما ختمت به الثانية و هو: آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ و ما ختمت به الثالثة و هى: آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ؟

و عن الفائدة فى اختصاص هذه بهذه دون تلك.

الجواب أن يقال: لما قال اللّه تعالى قبل خلق السموات و الأرض بالحق إن فى ذلك لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ و قال فى سورة ص «۲»: وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ فأخبر أن فى خلقهما بالحق آية للمؤمنين، و أن خلقهما باطلا لا ليعبد فيهما و يطاع ظن الكافرين، كانت الآية الأولى من سورة الجاثية محمولة على ما تقدم من إثبات الآيات فيها للمؤمنين، و من تلك الآيات أنه لا شىء أعظم فى الموجودات منها، ثم اتّساق النجوم فيها و تسخيرها على انتظام مما يدل على مدبرها، ثم وقوفها مع عظمها و ثقل جرمها بغير دعامة من تحتها، و لا علاقة من فوقها تدل على قدرة قادر لا يشبهه قادر، فمن و فى النظر فى ذلك و فى سائر ما فيها من الآيات الأخر حقه أداه إلى الإيمان باللّه تعالى، فلذلك قال: لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ فخصّهم لانتفاعهم بها، و إن كانت الآيات منصوبة لهم و لغيرهم، إلا أنهم لما لم ينتفعوا بها صارت كأنها لم تكن لهم آيات، و أما قوله: وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ فإن

---

(۱) سورة: الجاثية، الآيات: ۳- ۵.

(۲) الآية: ۲۷.

العجائب فى خلق الحيوان و ما له من الأعضاء و الحواس التى بها يدرك المحسوسات، ثم فى باطنه من جواذب المواد التى بها قوام الحياة، ثم الروح التى بها ثبات الأجساد، أكثر من أن تحصى و تعدّ، فإن عرضت شبهة لملحد بأن كون الولد بإحبال الوالد أمه، و من نطفته يأخذ شبهه، فإنه يطرح ذاك و يرتاح بالآيات التى ليس إلى الوالد فعلها، و لا جارحة من جوارحه يحيط علمه بنشأتها، و الحكمة فى تركيبها، فكيف أن يكون فاعلها تبارك و تعالى من صنعها و زينها بالعقل الذى هو أكبر نعمة، فهذا هو للمتفكر فى ذلك ينتقل من ظن إلى علم و تيقن بعد شك، و اليقين علم يحصل بعد تشكك، و لذلك لا يوصف اللّه تعالى بأنه موقن، و يوصف بأنه عالم، فلهذا قال: آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. و أما الآية الأخيرة و هى: وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فقد تقدم من قولنا فى الفرق بين: يَعْقِلُونَ و (يعلمون) ما يبين الجواب عن الفائدة فى اختصاص هذه الآية بقوله: يَعْقِلُونَ كما قال تعالى فى سورة البقرة «۱»: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ فخص هذا المکان أیضا بقوله: یَعْقِلُونَ؛ لأن المعنی أنهم یفطنون بمعلوم آخر، فیعقلون من إحیاء اللّه الأرض بالمطر حتی تکتسی بالنبات و الشجر أنه یحیی العظام و هی رمیم، و هذا موضع یقال فیه: عقل من کذا کذا؛ أی: استدرکه بالعلم بعد أن لم یکن مستدرکا له، فکأنه فی معنی: یفطنون، و یدرون، و یشعرون، کما أن أصل الوصف بالعاقل موضوع لحالة ثانیة و معرفة طارئة، فلذلک خصّت الآیة الثالثة بهذه اللفظة.

الآیة الثانیة من سورة الجاثیة

قوله تعالی: وَیْلٌ لِکُلِّ أَفَّاکٍ أَثِیمٍ یَسْمَعُ آیاتِ اللَّهِ تُتْلی عَلَیْهِ ثُمَّ یُصِرُّ مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِیمٍ «۲» و قال فی سورة لقمان «۳»: وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِ آیاتُنا وَلَّی مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِیمٍ.

---

(۱) الآیة: ۱۶۴.

(۲) سورة: الجاثیة، الآیتان: ۷، ۸.

(۳) الآیة: ۷.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۳۰۰

للسائل أن یسأل: عن فائدة قوله: کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً و استغناء الکلام عنه فی سورة الجاثیة، مع أن القصتین مشتبهتان؟.

الجواب: أن هذا الکافر لما أخبر اللّه عنه فی سورة لقمان بأنه یعرض عن القرآن إذا سمعه غیر منتفع به، حتی کأنه لم یسمعه، و یستمر به هذا الحال کما یستمر بمن به صمم، و قوله فی الجاثیة: ثُمَّ یُصِرُّ مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها یدل علی ما دل علیه: کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً؛ لأن الإصرار عزم لا یتهم معه بإقلاع، فإذا أصر علی التصامّ، فهو کمن فی أذنیه وقر، فصار أحد اللفظین یغنی عن الآخر، و یقوم مقامه، و یؤدی من المعنی أداءه، فلذلک لم یجمع بینهما، و کان الموضع الذی ذکر فیه: وَلَّی مُسْتَکْبِراً أحق بقوله: کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً و الموضع الذی ذکر فیه الإصرار علی ترک الاستماع أغنی عن ذکر: کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً.

الآیة الثالثة من سورة الجاثیة

قوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْنا بَنِی إِسْرائِیلَ الْکِتابَ وَ الْحُکْمَ وَ النُّبُوَّةَ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَی الْعالَمِینَ وَ آتَیْناهُمْ بَیِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ «۱» و قال فی سورة یونس «۲»: وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِی إِسْرائِیلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّی جاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ.

للسائل أن یسأل عن اختلاف ما اختلف من الآیتین، و زیادة ألفاظ فی سورة الجاثیة علی ما فی سورة یونس علیه السّلام و إبدال ألفاظ مکان ألفاظ.

الجواب أن یقال: إن سورة الجاثیة لم یذکر فیها من قصة بنی إسرائیل غیر هاتین الآیتین، و التی فی سورة یونس علیه السّلام إنما هی بعد سبع عشرة آیة قصرت علی ذکر موسی علیه السّلام و ما دار بینه و بین فرعون، من حیث قال: ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسی وَ هارُونَ إِلی فِرْعَوْنَ «۳» إلی الآیة التی ذکر فیها غرق فرعون المختومة بقوله: فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَةً «۴» و کانت هذه السبع عشرة آیة قد اختصر فیها جمیع ما بسط فی الآیات الکثیرة من سورة طه علیه الصلاة و السلام و من سورة الشعراء،

---

(۱) سورة: الجاثیة، الآیتان: ۱۶، ۱۷.

(۳) سورة: يونس، الآية: ۷۵.

(۲) الآية: ۹۳.

(۴) سورة: يونس، الآية: ۹۲.

فكان الموضع موضع اختصار، فاختصر قوله: وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ عما شرح فى الآيتين اللتين فى سورة الجاثية، فأودعت آية واحدة من سورة يونس عليه السّلام ما أودع فى آيتين من سورة الجاثية .. فقوله: وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ أى: أنزلناهم منزل اختيار و رفعة و جلالة و تفضيل و كرامة، و لا منزلة فى الدنيا أعلى مما تجمع النبوة و الكتاب و الحكومة بين الناس لفضل العلم، فقوله: مُبَوَّأَ صِدْقٍ مشتمل على كل ذلك، و قوله: وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ فى الآيتين سواء، و قوله: فَمَا اخْتَلَفُوا من تمام الآية من سورة يونس، و هو فى آية مفردة من سورة الجاثية أولها: وَ آتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ؛ يعنى أمر الدين فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ تضمّنت أربعة ألفاظ منها و هى الأمر بعد ما تضمنه لفظ واحد من الآية فى سورة يونس عليه السّلام، و هى:

حَتَّى و ذلك أن حَتَّى للنهاية، أى: لم يختلفوا، و كانوا متفقين إلى أن جاءهم العلم و هو كتاب اللّه تعالى، فحتى لمنتهى الاتفاق، و قد دخلت على جاءَهُمُ الْعِلْمُ فمجىء العلم منتهى ما تقدم، و مبتدأ الاختلاف الذى لم يكن إلا بعد وجوده، فاحتمل الآيتان من سورة واحدة فى قصة واحدة من بسط الألفاظ، و شرح المعانى ما اختير اختصاره حيث شغلت بتلك القصة آيات كثيرة، و هى مع كثرتها مبنية على الإيجاز، فكان من البسط قوله: إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما بدل قوله: حَتَّى و قوله: بَغْياً بَيْنَهُمْ بيان ما دعاهم إلى الاختلاف، و هو البغى و الحسد عداوة بعضهم لبعض، و قوله: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فى المكانين واحد، و اللّه أعلم.

۴۶- سورة الأحقاف

ما فيها قد تقدم ذكره فى غيرها.

۴۷- سورة محمد صلّى اللّه عليه و سلم

ليس فيها شىء من ذلك.

۴۸- سورة الفتح

الآية الأولى منها

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً «۱» و قال بعد: وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً «۲».

للسائل: أن يسأل: عن قوله فى الأولى: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً و قوله فى الثانية: وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً.

الجواب أن يقال: إن قوله: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً «۳» قد فسر على وجهين:

أحدهما: أنها نزلت عليه مرجعه من عام الحديبية، مبشّرة بما يكون من الفتح فى قابل، و معناه: إنا قضينا بفتح مكة عن محاربة منك لأهلها، و مغالبتهم على دخولها ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك و ما تأخّر، و يتم نعمته عليك بما يملكك بعده جميع أرض العرب، و قد علم اللّه ما يكون قبل كونه، و قرن الحكمة بصنعه، و هو مبشر لكم بما لم يعجله فى وقته لما اقتضت الحكمة من تأخيره، فهذا

معنى: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً.

و الوجه الآخر: أن تكون قد نزلت لما فتح اللّه له مكة، و كان وعد اللّه قد سبق بها و بغيرها من البلدان، فلما فتحت مكة ازداد المؤمنون بصيرة إلى بصيرتهم لما صدق اللّه من وعدهم، فوثقوا أتم ثقة باعتلاء أمرهم، و قوله: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً؛ أى: بما يكون

---

(۱) سورة: الفتح، الآية: ۴.

(۲) سورة: الفتح، الآيتان: ۶ و ۷.

(۳) سورة: الفتح، الآية: ۱.

مما أخبركم به و بسائر المعلومات، حَكِيماً فى أفعاله المخصوصة بالأوقات، فيقدّم و يؤخر على مقتضى الحكمة، لا على مقتضى إرادة الخليقة.

و أما قوله: وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ؛ أى: يملك من فيهما من الملائكة و الإنس، فإذا أراد تسليطهم على كفار عباده لينتقم منهم فعل، و قيل: لِلَّهِ أى: هم عبيد له، و قيل: لطاعة اللّه جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ؛ أى: خلقوا لذلك و منها نصرة دينه .. و أما قوله بعد: وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً فإنما جاء بعد قوله: وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ «۱» فذكر قدرته على عقابهم و قهره لهم بعذابهم، فلما عذبهم بأن أذلهم و أباح للمؤمنين قتلهم و غنمهم أموالهم، كان هذا المكان مقتضيا أن يتصف اللّه تعالى بالقهر و العزة و الحكمة فيما يظهر من القدرة، فصار كل من خاتمتى الآيتين فى موضعه، و هذا كما قال فى هذه السورة فى أهل البيعة تحت الشجرة: وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً وَ مَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً «۲» فاتّصف بالعز و الحكمة لما كان فى موضع القهر و الغلبة.

الآية الثانية من سورة الفتح

قوله تعالى: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً «۳»، و قال فى سورة المائدة «۴»: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً.

للسائل أن يسأل عن زيادة لكم فى قوله: فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ فى هذه السورة، و حذفها فى سورة المائدة.

الجواب أن يقال: إن هذه الآية فى قوم تخلفوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من غير عذر، و تأخّروا عن الجهاد معه و الغزو، و قالوا: شغلتنا أموالنا و أهلونا، ثم سألوه صلّى اللّه عليه و سلم أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم، و يظهرون وفاقهم، و أنهم محتاجون إلى استغفاره لهم و قصد استمالته، و أن لا تضرهم عداوته، ثم قال: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً؛ أى: من يملك لكم نفعا إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا و من يملك لكم ضرا إن أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً

---

(۱) سورة: الفتح، الآية: ۶.

(۳) سورة: الفتح، الآية: ۱۱.

(۲) سورة: الفتح، الآيتان: ۱۸ و ۱۹.

(۴) الآية: ۱۷.

و معناه: إن أراد إنزال العذاب بكم لم يكن لكم من يدفعه عنكم، كما أنه إن أراد الإنعام عليكم لم تضركم إساءة المسيء إليكم،

فلما كان فى قوم مخصوصين، احتيج إلى قوله:

لَكُمْ ليتبين .. فأما الآية التى فى سورة المائدة، فإنها لم تخرج عن أن تكون مخصوصة فى فريق دون فريق، بل عمّ بها؛ أى: لا يملك أحد دون اللّه شيئا فيما يريده من خير و شر فى عباده، و يدل عليه قوله: إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً فلما سيقت الآية إلى العموم لم يحتج إلى:

لَكُمْ التى للخصوص.

الآية الثالثة من سورة الفتح

قوله تعالى: إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً «۱» و قال بعده: وَ هُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً «۲».

للسائل أن يسأل: عن الأولى لما ذا ختمت بقوله: خَبِيراً؟ و عن الثانية لما ذا ختمت بقوله: بَصِيراً؟.

الجواب أن يقال: لأن الأولى فى ذكر ما أسرّه المنافقون من نفاقهم؛ لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا و طلبوا الاستغفار لهم، و لا إرادة فيه منهم، فكأنه قال: بل كان اللّه يخبر باطنكم، و الآية الثانية بعد قوله: كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ؛ أى: بما قذف فى قلوبهم من الرعب، وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بأن أمركم أن لا تحاربوهم، فيفعل كل ما أراده اللّه منهم، و اللّه أبصر فعلكم، و هذا ظاهر يوصف بأن اللّه تعالى يراه، و الذى فى الأولى باطن يوصف بأن اللّه تعالى يخبره، فلذلك خصت الأولى بخبير، و الثانية ببصير.

۴۹- سورة الحجرات

ليس فيها شىء من ذلك.

---

(۱) سورة: الفتح، الآية: ۱۱.

(۲) سورة: الفتح، الآية: ۲۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۰۵

۵۰- سورة ق

الآية الأولى منها

قوله تعالى: فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَ قالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ «۱» و قال بعدها: الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَأَلْقِياهُ فِى الْعَذابِ الشَّدِيدِ قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَ لكِنْ كانَ فِى ضَلالٍ بَعِيدٍ «۲».

للسائل: أن يسأل: عن إدخال الواو فى قوله: وَ قالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ و حذفها من الثانى حيث قال: قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَ لكِنْ كانَ فِى ضَلالٍ بَعِيدٍ؟.

الجواب أن يقال: إن القرين الأول فيه وجهان: أحدهما: أن يراد به الملك الشهيد عليه، و هو الشاهد لما يعمله الإنسان، فيكتبه عليه فيقول له يوم القيامة: هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ محفوظ عليك و الوجه الآخر: أن يقول قرينه من الشياطين كان فى الدنيا: هذا ما عندى من العذاب الحاضر المعد لى و لك، و على الوجهين هو خطاب للإنسان من قرينه.

و أما الآية الثانية، فإنها منفصلة؛ لأن القول هناك ليس للإنسان، و لا ما بعده خطابا له، فلما لم يكن القائل و لا المقول انقطع و

استؤنف، أ لا ـ ترى أنه للقرين و أنه يخاطب اللّه تعالى بقوله: رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ فلما لم يكن القائل المخاطب و لا المقول له المخاطب، صار كأنه مستأنف، فالآيات التى أجريت هذا المجرى بعده، و هى: قالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ «۳» و كقوله: ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ «۴» فلما لم يكن فى واحد منهما واو عاطفة، كانت الأخرى كذلك.

---

(۱) سورة: ق، الآيتان: ۲۲ و ۲۳.

(۲) سورة: ق، الآيتان: ۲۶ و ۲۷.

(۳) سورة: ق، الآية: ۲۸.

(۴) سورة: ق، الآية: ۲۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۰۶

الآية الثانية من سورة ق

قوله تعالى: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ «۱» و قال فى سورة طه «۲»: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها.

للسائل أن يسأل: عن الموضعين، و أن يقول: لم قال فى سورة طه عليه الصلاة و السلام: وَ قَبْلَ غُرُوبِها و فى هذه: وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ؟.

الجواب قريب، و هو: أن فواصل أكثر الآيات فى سورة طه أواخرها ألف، فعدل إلى: غُرُوبِها و هو الأصل؛ لأن الطلوع مضاف إلى الشمس، و حق الغروب أن يكون مضافا إلى ضميرها، و ضميرها هاء بعدها ألف.

و أما سورة ق، فواصلها مردوفة بواو أو ياء، كالسجود و الجلود و القعيد و العتيد و المريج و الغروب، متى ذكر علم أنه أريد به غروبها، فكان ذلك أشبه بالفواصل التى تقدمتها فى المكانين، فلذلك اختلفا.

---

(۱) سورة: ق، الآية: ۳۹.

(۲) الآية: ۱۳۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۰۷

۵۱- سورة الذاريات

الآية الأولى منها

قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ «۱» إلى قوله: إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ «۱» و قال فى سورة الطور «۳»: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف ما اختلف من الأخبار عن أهل الجنة فى هاتين السورتين.

الجواب أن يقال: إنه تعالى أخبر عنهم فى الذاريات أنهم صاروا إلى الجنة بأعمال عدّدها، و دعا العباد إليها ليفعلوا فعلهم لها فقال: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ و المراد بالجنات: ما ذكره فى سورة الرحمن، حيث قال: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ «۴» و بعده: وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ «۵» ثم قال: وَ عُيُونٍ لما كان المعنى بالجنات: البساتين التى لها ظلال، و الظل و الماء مطلوبان للعرب، و لكل ما ذرأ اللّه من

النسم، قرن إلى الجنات العيون، كما قال: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ «۶» و جعل ذلك بإزاء ما يعذب به أهل النار، حيث يقول: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ «۷»؛ أى: يحرقون ليزال عنهم الخبث، و كلهم خبث لا يخلص منهم ما يستغنى عن الإحراق، ثم قال:

---

(۱) سورة: الذاريات، الآيات: ۱۵- ۲۳.

(۳) الآيات: ۱۷- ۱۹.

(۴) سورة: الرحمن، الآية: ۴۶.

(۵) سورة: الرحمن، الآية: ۶۲.

(۶) سورة: المرسلات، الآية: ۴۱.

(۷) سورة: الذاريات، الآيتان: ۱۳، ۱۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۰۸

آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ؛ أى: متقبّلين عطية ربهم؛ لأنهم أحسنوا فى هذه الدنيا فى فعلهم، فاقتدوا بهم لتكونوا كمثلهم، و أقلّوا الهجوع بالليل لتنالوا مثل نيلهم، و استغفروا لتفوزوا كما فازوا باستغفارهم، و أخرجوا فضلات أموالكم لمن يسأل من الفقراء و من يحرم نفسه بترك السؤال كما أخرجوها فغنموا بها، و اعتبروا بالآيات التى نصبها اللّه فى الأرض، كالراسيات و العيون الجاريات، و ما يطلع منها من نام و غير نام من جواهر المعادن، فإنهم به اعتبروا و به وصلوا إلى ما وصلوا، و هذه الآية تدلّ على أنّ وصف أهل الجنة فى هذه السورة بالأعمال التى قدموها تتضمن أمر المكلفين بمثل ما جعل خبرا عنهم أنهم فعلوه؛ لأن طريق قوله: وَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ «۱» غير طريق وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ «۲» إذا لم يحمل على ما ذكرنا، فلما كان القصد فى هذه السورة الحثّ على أفعال أهل الجنة بالآيات المتعلقة بوصفهم، المخلصة بخطاب من يدعى إلى مثل فعلهم، استمر الكلام على هذا النظم إلى أن انتهى إلى ذكر الأنبياء عليهم السّلام و أممهم الكافرة، و ما أنزله من العذاب بأمة أمة منهم، و أما الآية التى فى سورة الطور فإنه وصف تعالى نعيمهم فى الجنة و أصناف ما حصلوا فيه من اللذة، فقال: فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ؛ إلى قوله: هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ «۳»؛ لأنه إذا ذكرت الأفعال التى تستوجب بها الجنة، ذكر من الجزاء فيها ما تنتهى إليه اللذة و تقترحه الشهوة، و هو ما فضّله اللّه تعالى فى سورة الطور، ثم ختم الآيات بقوله: فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ «۴» فاختلاف الآيات فى السورتين لما ذكرنا، و اللّه أعلم.

الآية الثانية من سورة الذاريات

قوله تعالى: فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ «۵».
للسائل أن يسأل: عن تكرار قوله: إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ و عن موضع الإنذار مرة بعد أخرى فى آيتين متواليتين؟.

---

(۱) سورة: الذاريات، الآية: ۱۹.

(۲) سورة: الذاريات، الآية: ۲۰.

(۳) سورة: الطور، الآيات: ۱۸- ۲۸.

(۴) سورة: الطور، الآية: ۲۹.

(۵) سورة: الذاريات، الآيتان: ۵۰، ۵۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۰۹

الجواب أن يقال قوله قبل هاتين الآيتين: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «۱» و معناه: خلقنا من الحيوانات ذكرا و أنثى و من غيرها الشيء و ما يزاوجه بما يماثله أو يضاده، فيقابله: لتذكروا أن خالقكم بعيد عن شبهكم، و أنه وحده لا نظير له يشاكله، و لا ضد له يناصبه و يقابله؛ لأن الخالق بخلاف خلقه لا يجوز ما ذكرنا فى نعته:

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ عما حذركم من معصيته إلى ما حثّكم عليه من طاعته، فإنى أنذركم ما تواعدكم به من عقوبته، و هذا تحذير من المعاصى كلها، و بعث على الطاعات جميعها، ثم خص ما هو أعظم، فقال: وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ؛ أى: لا تتخذوا الأصنام آلهة تعبدونها مع عبادة اللّه تعالى، فإنى أحذركم أن تجعلوا له مثلا، فالنذارة الأولى متعلقة بترك الطاعة إلى المعصية، و الثانية متعلقة بالشرك الذى هو أعظم المعاصى، و إذا كانت متعلقة بغير ما تعلقت به الأولى لم يكن ذلك تكرارا.

---

(۱) سورة: الذاريات، الآية: ۴۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۰

۵۲- سورة الطور

آية واحدة

و هى قوله تعالى: أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ «۱» و قال فى سورة القلم «۲»: فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ.

للسائل أن يسأل عمّا انقطع إليه: أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ فى السورتين، فكانت فى سورة الطور تنقطع إلى قوله: أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ و فى سورة القلم تنقطع إلى قوله: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ.

الجواب أن يقال: إن عبدة الأوثان من قريش مع ادّعائهم أنهم أهل الحجى و أولو النهى، ألزموا فى سورة الطور إلزامات يستنكرونها و لا يقولون بها إذا صدقوا عقولهم عنها، و هى خمسة عشر إلزاما: أولها: أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ «۳» بعد قوله: فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ «۴» و القوم عرفوا الشعر و طريقه و هذا الكلام و أسلوبه، و لو تدبّروه علموا أنه ليس بشعر، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلم ليس بشاعر.

و الثانى: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا «۵»؛ أى: تدعوهم عقولهم إلى عبادة من هم فوقه؛ لأنهم أحياء و تلك أموات و هم يعقلون و تلك لا تعقل، و هذا على سبيل الإنكار،

---

(۱) سورة: الطور، الآيات: ۴۰- ۴۲.

(۴) سورة: الطور، الآية: ۲۹.

(۲) الآيات: ۴۴- ۴۸.

(۵) سورة: الطور، الآية: ۳۲.

(۳) سورة: الطور، الآية: ۳۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۱

و ما بعده على سبيل الإيجاب، و هو: أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ «۱»؛ أى طالبون اعتلاء بالباطل و الظلم، و هذا ثالث.

و الرابع: أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ «۲»؛ أى: اختلق القرآن فإن كان عندهم كما زعموا فليأتوا بمثله و هو الذى عجزوا عنه فلزمتهم الحجة فيه و هذا رابع.

و الخامس: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ «۳»؛ أى: أم خلقوا من غير خالق و لا يقولون به.

و السابع: أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ «۳» فلا أمر عليهم و لا نهى، و هذا أيضا سادس. لا يقولونه: أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ «۵» و هذا أيضا سابع لا يدعونه، و هو: أن السموات و الأرض ليس لهما خالق قديم لا يشبه المخلوقين و هم خلقوها؛ بل لا يسلكون طريق الفكر فى ذلك ليؤديهم إلى برد اليقين.

و الثامن: أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ «۶»؛ أى: أم يملكون ما يخلقه اللّه لعباده من الأرزاق و ما فى علمه أن ينعم به عليهم، فإذا علموا من أنفسهم عجزهم عنه، وجب أن يعلموا أن اللّه هو المالک لجميع ذلک فيفردوه بالعبادة. و التاسع: أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ «۶»؛ أى: المسلطون على الناس و المقومون لهم و ليس لهم ذلک.

و العاشر: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ «۸»؛ أى: أم لهم ما يتسببون به إلى السماء و سماع كلام الملائكة و ما يتذاكرونه من أخبار ما يجريه اللّه فى الأرض، فيعلمون بذلک أنهم على الحق، و من يدعوهم إلى الدين على الباطل، فإن كان كذلک، فليأت مستمعهم بحجة قاهرة، و هى: أخبار عن غيوب تصح، و ليس لهم ذلک.

و الحادى عشر: تعجب الخلق مما ادعوه من أن الملائكة بنات اللّه تعالى، فقال:

يرزقكم البنين و يجعل لنفسه البنات، و صاحب البنين أعلى كلمة من صاحب البنات.

و الثانى عشر: أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ «۹»؛ أى: أم ثقل عليهم

---

(۱) سورة: الطور، الآية: ۳۲.

(۶) سورة: الطور، الآية: ۳۷.

(۲) سورة: الطور، الآية: ۳۳.

(۸) سورة: الطور، الآية: ۳۸.

(۳) سورة: الطور، الآية: ۳۵.

(۹) سورة: الطور، الآية: ۴۰.

(۵) سورة: الطور، الآية: ۳۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۲

تصديقک؛ لأنک ألزمتهم مالا يغرمونه لک أجرا على ما هديتهم له، و لا عذر لهم فى ذلک لأنک لم تفعله.

و الثالث عشر: أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ «۱»؛ أى: أم يدّعون علم الغيب و ما يكون فى مستقبل الدهر، فيتصور لهم أن أمرک لا يثبت، و أنه يضمحل عن قريب، خلاف ما وعد اللّه تعالى فى قوله: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ «۲» و قيل: أم يعلمون الغيب بوحى من السماء فيكتبونه و يلقونه إلى الناس كما تفعله الأنبياء عليهم السّلام.

و الرابع عشر: أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ «۳»؛ أى: أم يريدون بالممانعة و المدافعة و الانقياد للمتابعة احتيالا عليک لإبادة أصحابک و قتلک، و تدبير ذلک سرا منک، و الكفار هم الذين ينقلب عليهم ما يدبرونه على المؤمنين، فيكونون هم المقهورون المغلوبون، و الهالكون المقتولون، فانقطعت الآية الثالثة عشر عن الاحتجاجات إلى المطالبات بالمماكرات لاستيعاب أكثر ما فى الباب، و ختمت هذه.

الخامس عشر و هى: أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ «۴»؛ أى: خالق يحق عليكم عبادته غير اللّه الذى خلق السموات و الأرض، و ذلک يجب أن

يكون على صفة اللّه تعالى من القدرة و العلم و الإنعام بما يحق له العبادة. سبحان اللّه عن ذلك.

و أما الآيـة التى فى سورة ن و القلم، فإنهـا الخامسـة من إلزامـات الكفار الـذين دلت أفعالهم على أن المسـلمين عنـدهم كالمجرمين، فـأنكره اللّه تعـالى و قال: أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْـلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ «۵» ثم احتـج لبطلاـن دعواهم، أنزل عليكم كتابـا تعتمـدونه و تتركون له ما دونه، و لا تلتفتون معه إلى ما يخالفه، و قـد قامت الحجـة به لكم فتمسـكتم له بدعواكم، و أن لكم فى الدنيا و الآخرة اختياركم. و قد علمتم أن هـذا ليس منكم. و الثـانى: أم لكم أن تحجوننـا بأيمان باللّه حلفناها لكم بأنا لا نخالفكم فيما تحكمون به من اتخاذ الآلهـة و إقامة العبادة لغير اللّه، فتلزموننا تصديق أيماننا لكم، و هل أقمنا كفيلا تدلون عليه بضمان ذلك لكم؟

و الثـالث: أم تنسـبون صـحة ما تلزمونه إلى الآلهـة التى جعلتموها شـركاء للّه و هم يتبرءون منكم إذا جمعكم و إياهم يوم يكشف عن سـاق، و يشـتد الأـمر و يسـتدعى منكم السـجود الـذى ترتفع فيه أسـتاهكم على رءوسـكم، و هو مـا أنفتم منه فى دنيـاكم، فتبكتون و تقرعون بذلك،

---

(۱) سورة: الطور، الآية: ۴۱.

(۴) سورة: الطور، الآية: ۴۳.

(۲) سورة: التوبة، الآية: ۳۳.

(۵) سورة: القلم، الآية: ۳۵.

(۳) سورة: الطور، الآية: ۴۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۳

فلا تقـدرون عليه فتخسـرون به، و تعرفون أنكم تركتموه حيث ينفعكم حتى فاتكم. ثم الرابع و الخامس: مانع دنيا لغرامـة تثقل عليكم بـأجر النبى المبعوث إليكم، أم نزول كتـاب عليكم بـأن الحق فيمـا لـديكم و كل ذلك لا حجـة فيه لكم، فلما بان من هـذه الأوجه أن المحق ليس كالمبطـل، و أن المسـلم ليس كالمجرم، دعا اللّه نبيه صـلّى اللّه عليه و سـلم إلى لزوم الصبر، و توقع نزول النصـر، و ترك العجلـة فى الأـمر، و مباينـة صاحب الحوت فى التضـجر بالكفر، فانقطعت الآى هنا إلى ذكره و وصف جمل أمره، بعـد شـرح كثير من حاله فى السورة المتضمنة له.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۴

۵۳- سورة النجم

آية واحدة

و هى قوله تعالى: تِلْكَ إِذاً قِسْـمَةٌ ضِيزى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ «۱».

و قال بعده: إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَـمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْـمِيَةَ الْأُنْثى وَ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً «۲».

للسائل أن يسأل: عما انقطعت إليه: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ فى الآيتين، و اختلافه و الفائـدة فى تقديم ما تقدم، و تأخير ما تأخّر، و هل كان يجوز عكس ذلك؟.

الجواب أن يقـال: لمـا قـال قبـل الأـولى: أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَـةَ الْأُخْرى أَ لَكُمُ الـذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى «۳» ثم قـال: إِنْ هِيَ إِلَّا

أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ؛ أى:

سميتم هذه الأصنام آلهة، و الملائكة بنات اللّه، تسمية باطلة لا حجة لكم بها، فلم يحصل لكم إلا ألفاظها، فأما المعانى فإنكم تتبعون فيها الظن و هوى النفس، و ما فى الطبع من حب الإلف، و قد أتاكم من ربكم ما يثنيكم عنه إلى الرشاد، و من جاءه من اللّه الهدى فتركه لاتباع الهوى فقد ضل و هوى، فلما كان الذى يجذبهم إلى مقالتهم شيئان: ظن و هوى، ذكرا معا ليتبين صارفهم عن الحق، ثم قال: إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثى وَ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً فخص الذين يقولون الملائكة بنات الله بالذكر، توكيدا لإلزامهم الحجة عليهم، و أنهم يتبعون الظن فى مقالتهم، و الظن لا يقوم مقام العلم و لا يغنى غناه، و المراد

---

(۱) سورة: النجم، الآيتان: ۲۲ و ۲۳.

(۲) سورة: النجم، الآيتان: ۲۷ و ۲۸.

(۳) سورة: النجم، الآيات: ۱۹- ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۵

بالحق هاهنا هو: العلم، فوصف أن الذى يعتمدونه لا يجوز أن يعتمد؛ لأنه ظن و بإزائه علم يبطله، و هدى من اللّه تعالى يدفعه و يصرف عنه إلى الحق الذى لا مهرب منه، و من لم يقبله بعد وضوح الحجة له، فأعرض عنه، و هو قوله: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا «۱» ففى الآية الأولى: ذكر صارفهم عن الحق و داعيهم إلى الباطل، فبين ما هو، و فى الثانية: طعن على هذا الصارف و الداعى إلى الباطل، و إثبات الشىء أولى فى العقل، و وصفه بأنه صحيح أو سقيم ثان فى الرتبة، فلذلك اختصت الأولى بما اختصت به، و الثانية بما تبعها.

---

(۱) سورة: النجم، الآية: ۲۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۶

۵۴- سورة القمر

آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ «۱».

للسائل أن يسأل: عن قوله: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ فى ابتداء قصة عاد، و تكريره فى آخرها؟ و قد سأل عن ذلك بعض أهل النظر، فأجاب: بأن الأول ليس هو تحقيقا لعاد، و أن الثانى لها، فلا يكون تكريرا إذ جعل كل واحد من الخبرين خبرا عن غير ما أخبر فى الآخر، و هذا الذى ذهب إليه لا وجه له؛ لأنه قال: كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ فلا يصلح أن تدخل الفاء فى قوله، فكان عقيب إخباره عن عاد بأنها كذبت، ثم يصرف عن أن تتعلق به تعلق الجزاء بالشرط هذا، و لم يتقدم فى السورة سوى قصة نوح و قومه، و قد عقب بقوله وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ و هذا الذى ذهب إليه من ذكرنا قوله: لا يصح إلا أن يراد: كَذَّبَتْ عادٌ فلم يعتبر: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ و لمن كذب قبلهم من قوم نوح، و يكون ذهابا عن الظاهر إلى إضمار لا دلالة عليه.

الجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن عادا اختصّ ما نزل فيها من كتاب اللّه بذكر عذابين لها، قال اللّه تعالى: لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ «۲» ف «كيف» الأول لعذاب الدنيا و الثانى لعذاب الآخرة.

---

(۱) سورة: القمر، الآيات: ۱۷- ۲۲.

(۲) سورة: فصلت، الآية: ۱۶.

و يكون قوله فى الثانى فَكَيْفَ كانَ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن تجرى مجرى: وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ «۱» هو أن ما حق من وعيد اللّه هو كالكائن الواقع لصحته، فيخبر عن مستقبله كالإخبار عن ماضيه لاستوائهما فى زوال المزية عن وجودها.

و الثانى: أن يكون المعنى فى الأول: فكيف كان ما قدمت إليها من الوعيد الذى صح شطره، و هو وعيد الدنيا، و دل على وقوع ما فى الأخرى كما وقع فى الأولى.

و الجواب الثانى: أن يكون المعنى فى الأول: فكيف كان وعيد عذابى و نذر لما حذرناهم قبل أن أوقعنا بهم، و يكون الثانى بعد إرسال الرياح عليهم و إيقاع العذاب بهم، و المعنى: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي محققا، و نذيرى مصدقا، و يسلم من التكرار.

---

(۱) سورة: الأعراف، الآية: ۴۸.

۵۵- سورة الرحمن آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ «۱».

للسائل أن يسأل: عن إعادة ذكر الميزان ثلاث مرات فى أواخر هذه الآى، و قد كان حقها الإضمار، و هل فى اختيار الكلام أن يتكرر فى موضع السجع فى النثر و القافية فى النظم مثله؟ أو فى ثلاثة أسجاع متوالية أو ثلاث قواف متواطئة حتى يرتضى فى ثلاث فواصل مترادفة؟.

و الذى أجاب به عن ذلك أهل النظر: أنه أعيد ذكر الميزان؛ لأن هذه الآيات لم تنزل معا فى وقت واحد، و لو نزلت معا لأضمر ذكر الميزان، و لكن لما نزلت متفرقة لم يجز إلا إظهار ذكر الميزان؛ لأنه لم يجر له ذكر فى كل وقت أنزلت فيه إحدى هذه الآيات، و هذا إن تأتى فى الميزان الثالث، فإنه لا يتأتى فيما قبله؛ لأن الثانى تفسير الأول، إن كانت «أن» بمعنى: أى، أو علة إذا كانت «أن» مقدرة معها اللام، أى: لئلا تطغوا، و كان ذلك لا يجوز مع انقطاع الثانى عن الأول، و لا الأول عن الثانى.

و قد أجيب عن ذلك بجواب آخر و هو: أن يكون أعيد ذكر الميزان لتكون كل آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها، إذ الإضمار تضمن الثانى الأول، فلا يقوم الثانى بنفسه و لا الثالث لو أضمر فيهما ذكر ما فى الأول.

الجواب الذى يعتمد: هو أن يجعل لكل واحد معنى غير معنى الآخر، يريد:

و السماء رفعها و وضع البنية المعدلة، و هى: بنية الإنسان الذى خلق من أمشاج و من

---

(۱) سورة: الرحمن، الآيات: ۷- ۹.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۱۹

تأليفات مختلفات على اعتدال من حرارة و برودة و رطوبة و يبوسة، و معنى رفع السماء و وضع بنية الاعتدال ما ذكره فى قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما «۱»، أى: رفعنا السماء على الأرض، و خلقنا الهواء بينهما، و لم يكن للحى الذى أراد خلقه بد من هواء تخترقه الروح و تنساب فيه، فخلق عز و جلّ آدم أبا البشر عليه السّلام من طين، و فيه مسارب للهواء، فجعل فيه الطين الأرضى و الماء الذى قال اللّه تعالى فيه: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ «۲» و الهواء الذى تجتذب منه الأنفاس من خارج ما برد، و تخرج منه من باطن ما حم، و النار التى إذا فقدها الحى خمد و بطل، فلما دبر اللّه تعالى خلقه على الاعتدال من هذه الأصول، كان هذا الذى جمع ما ذكرنا مركبا من الأشياء التى وصفنا لكل معتدل عنده قبول، و له عن كل خارج عن حد الاعتدال نفار و نبوّ، حتى إن رأى مربعا مستوى التربيع، و آخر مختلفا خارجا عن الاعتدال فى الأبنية و غيرها، يقبل الأول و يتأبى عن الثانى، و كما فى الطبع قبول البيت من الشعر إذا اعتدلت أجزاؤه و اتزنت أفعاله التى وضع عليها، و رده للمتكسر الذى فقد التعديل فى البناء، و هذا مما يضطر الإنسان إلى علمه كما يضطر فى الأول إلى كراهة المعوجات و قبول المستويات، فقال تعالى: رفع السماء و ركب بنية الإنسان المعتدلة، و كان معنى ذلك: أن لا يجاوزوا فى حكم المقابلة حد المعادلة، و الميزان الثانى: الأحكام التى حكم فيها على اعتدال و قدر فى الطبائع كراهية ما خرج منها على اعتداء، كقتل نفسين بنفس و الجانية إحداهما، و قطع أذنين بأذن، و أنفين بأنف، وفقا عينين بعين، و أخذ أموال بمال، و دواب بدابة، إلى غير ذلك من مجاوزة الحد فى القصاص و الأرش بما يثبت به حكم الطبع قبل حكم السمع، و كأن المعنى: عدل خلقة الإنسان ليتوخى المعدلة فى الأحكام، و الميزان الأول: بنية الاعتدال، و هى: بنية الإنسان على الوصف الذى ذكرنا، و الميزان الثانى: الحكم بالعدل، و الثالث: آلة التعديل، و هى: التى يقع بها الأخذ و العطاء، فتبين بها مقادير الحقوق ليقتصر كل ذى حق على قدر ما يجب له منها، فلا يأخذ أكثر من ما له، و لا يعطى أقل من ما يجب عليه، و هو القسط الذى أمر اللّه تعالى به المتبايعين لا رجحان و لا نقصان، و إذا كان كذلك لم يكن فى إعادة لفظ الميزان تكرار، إذا كان الأول لمعنى غير معنى الثانى، و الثانى لمعنى غير معنى الثالث، كما تخرج القوافى عن الإيطاء، إذا اتفقت ألفاظ و اختلفت معانى.

---

(۱) سورة: الأنبياء، الآية: ۳۰.

(۲) سورة: الأنبياء، الآية: ۳۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۰

الآية الثانية من سورة الرحمن

قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ «۱» و تكريره إحدى و ثلاثين مرة.

للسائل أن يسأل: عن العدة التى جاءت عليها هذه الآية متكررة، و عن فائدتها.

الجواب أن يقال: نبه اللّه تعالى على ما خلق من نعم الدنيا المختلفة فى سبع منها، و أفرد سبعا للترهيب و الإنذار و التخويف بالنار، و فصل بين السبع الأول و السبع الأخر بواحدة ثلاث آيات، سوّى فيها بين الناس كلهم فيما كتب اللّه من الفناء عليهم، حيث يقول: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ «۲»؛ أى: من على الأرض، و هذه الفاصلة للتسوية بين الملائكة و بين الإنس و الجن فى الافتقار إلى اللّه تعالى، و إلى المسألة و الإشفاق من خشية اللّه، و هى قوله: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ «۳» و إنما كانت الأول سبعا؛ لأن أمهات النعم خلقها اللّه سبعا سبعا، كالسماوات و الأرضين و معظم الكواكب، و كانت الثانية سبعا؛ لأنها على قسمة أبواب جهنم لما

كـانت فى ذكرهـا، و بعـد هـذه السبع ثمانيـهٔ فى وصف الجنان و أهلها على قسـمهٔ أبوابها، و ثمانيـهٔ أخرى بعـدها للجنتين اللتين دون الجنتين الأولتين؛ لأنه قال تعالى فى مفتتح الثمانيهٔ المتقدمهٔ: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ «۴» فلما استكملت هذه الآيهٔ ثمانى مرار قال: وَ مِنْ دُونِهِمـا جَنَّتانِ «۵» فمضت ثمانيـهٔ فى وصف الجنتين و أهلهمـا، و ثمانيـهٔ فى وصف جنتين دونهما للثمانيـهٔ المتقدمـهٔ إليه، فكان الجميع: إحدى و ثلاثين مرهٔ.

فإن قال قائل: فقد سوّى بين الجنهٔ و النار فى الاعتدال بالإنعام على الثقلين بوصفهما، و إنما النعمهٔ إحداهما دون الأخرى.

الجواب أن يقال: إن اللّه تعالى منعم على عباده نعمتين: نعمـهٔ الـدنيا، و نعمهٔ الدين، و أعظمهما الأخرى، و اجتهاد الإنسان و رهبته مما يؤلمه أكثر من اجتهاده و رغبته فيما ينعمه، فالترهيب زجر على المعاصى و بعث على الطاعات، و هو سبب النفع الدائم، فأية نعمهٔ أكبر إذا من التخويف بالضـرر المؤدى إلى أشـرف النعم، فلمـا جـاز عنـد ذكر ما أنعم به علينا فى الـدنيا و عنـد ذكر ما أعـده للمطيعين فى الأخرى أن يقول: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

---

(۱) سورهٔ: الرحمن، الآيهٔ: ۱۳، و تكررت الآيهٔ فى

(۳) سورهٔ: الرحمن، الآيهٔ: ۲۹.

السورهٔ عدهٔ مرات.

(۴) سورهٔ: الرحمن، الآيهٔ: ۴۶.

(۲) سورهٔ: الرحمن، الآيهٔ: ۲۶.

(۵) سورهٔ: الرحمن، الآيهٔ: ۶۲.

درهٔ التنزيل و غرهٔ التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۱

جـاز أن يقول عنـد ذكر مـا يخوفنـا به ممـا يصـرفنا عن معصـيته إلى طاعته التى تكسـبنا نعيم جنته كـذلك؛ لأن هـذا أشوق إلى تلك الكرامهٔ من وصف ما أعد فيهما من النعمهٔ.

فإن قال: إن السبع الأول قـد عرفت من ست منها نعمـهٔ اللّه علينا فى البر و البحر، و السابعهٔ هى كل من عليها فان، و أيهٔ نعمهٔ فى ذلك حتى تعد من نعمهٔ الدنيا؟

الجواب أن يقـال: فيه التسويـهٔ بين الصـغير و الكبير، و الأـمير و المـأمور، و المالك و المملوك، و الظالم و المظلوم، فى الفناء المؤدى إلى دار البقاء، و مجازاهٔ المحسن و المسىء بحقه من الجزاء، فالمظلوم يؤخذ حقه، و الظالم يقرع فيترك الظلم له، و سبب الفناء يعلمه الإنسان باضطرار، فلا نعمهٔ إذا أكبر من هذه.

فـإن قـال: ذكر بعـد قوله: وَ لِمَنْ خـافَ مَقـامَ رَبِّهِ جَنَّتـانِ ثمـانى مرات: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلى أن انتهى إلى قوله: وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتـانِ و جـاءت بعـده ثمانى مرات قوله: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ كما جاءت بعـد الجنتين الأولتين فى أثناء الثمانيـهٔ الأخر من معانى الجنتين ما فى أثناء الثمانيهٔ الأول، فما الجنتان الأوليان؟ و ما الجنتان الأخريان حتى يبعث على طلب هاتين كما بعث على طلب تينك؟ و يجاب عن ذلك أجوبهٔ:

أولها: أن يقال: بأن التثنيهٔ هاهنا فى الجنتين لاتصال الجنان؛ أى: كلما كان الولى فى جنهٔ وصلت بأخرى، فلا تنقطع غرائب الجنان عنه أبـدا، كما كان «حنانيك» دعاء و طلبا لرحمـهٔ متصلـهٔ، معناه: تحنن بنعمـهٔ لا تنقطع إذا كان كـذلك، و كقولهم: لبيك و سـعديك، و سائر ما جاء مثنى يراد به هـذا المعنى، فإن قال قائل: فما معنى الجنتين الأخريتين و فى الأولتين كفايـهٔ إذا قصـد المعنى الذى ذكرت؟ قلت: المراد بالجنتين الأوليتين: جنتان خارج قصـره، و المعنى: كلما كان فى جنـهٔ وصلت بثانيـهٔ غريبهٔ مستطرفهٔ، ثم إذا كان فى الثانيهٔ كـانت حالهـا فى اتصال أخرى بها كحال الأولى، و على ذلك أبـدا، فكأنه قال: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ خارج قصره متتابعتان لا

تنقطعان، و أما: وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ فإن المراد بهما على هذا الوجه: إلى أقرب من هاتين الجنتين جنات داخل قصره، و هما فى أن الجنة منهما متصلة بأخرى بعدها، فلا يزال المكرم فيها ينتقل من واحدة إلى أخرى مثلها.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۲

و جواب ثان و هو أن تكون الجنان الأربع فى الجهات الأربع: بين يديه و خلفه، و يمينه و شماله، و أقربها ما كان نصب عينيه و مرمى طرفه، فلا يحتاج أن يلتفت إلى خلفه.

و جواب ثالث و هو ما ذهب إليه الحسن من أن الجنتين الأوليتين للسابقين، و هم:

الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء صلوات اللّه عليهم، و وهبوا لطاعة اللّه حرمة الآباء و الأبناء، و جاهدوا معه فى توطئة الإسلام، و بذلوا أرواحهم فى قتال الكفار، أولئك أعظم درجة و أعلى رتبة، و من دون جنتيهم جنتان للتابعين، ثم على ذلك، كما قال اللّه تعالى: انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا «۱».

---

(۱) سورة: الإسراء، الآية: ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۳

۵۶- سورة الواقعة

آية واحدة

و هى قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ «۱» الآية و بعده: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ «۲» الآية و بعده: أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ «۳» الآية و بعده: أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ «۴».

للسائل أن يسأل: عن ترتيب هذه الأشياء التى تختص بقدرة اللّه تعالى و تقديم بعضها على بعض، و هل كان يجوز تقديم ذكر النار على ذكر الماء؟.

الجواب أن يقال: الأول هو خلق الإنسان من نطفة، و النعمة فى ذلك قبل النعمة فى الثلاثة الأخر التى بعده، فوجب تقديمه ثم بعده ما به قوام الإنسان من فائدة الحرث، و هى الطعام الذى لا يستغنى عنه الجسد الحى، و ذلك الحب الذى يختبز، فيحتاج بعد حصوله إلى حصول ما يعجن به، و هو: الماء، ثم إلى النار التى تعيده خبزا، فالترتيب على حسب الحاجة، و النعمة الثانية بعد الأولى، فإن قال: فقد قال فى الأول: فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ «۵» و قال فى الماء: فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ «۶» فهل كان يجوز أن يكون أحدهما مكان الآخر؟ قلت: الأولى تنبيه على البعث و الإعادة، و هى النشأة الثانية كالنشأة الأولى، و حمل على أن يتذكر الأول الذى هو الأصل، ليثبت به الثانى الذى هو فرع، على أن القادر كما كان لم يتغير. و أما قوله: فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ فإنه بعد قوله: لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً «۶»؛ أى: شديد الملوحة كماء البحر، كما قال: وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ «۸» فهلا تشكرون أن جعله عذبا؟ فكل مكان لاق به ما ذكر فيه.

---

(۱) سورة: الواقعة، الآيتان: ۵۸ و ۵۹.

(۵) سورة: الواقعة، الآية: ۶۲.

(۲) سورة: الواقعة، الآية: ۶۳.

(۶) سورة: الواقعة، الآية: ۷۰.

(۳) سورة: الواقعة، الآية: ۶۸.

(۸) سورة: فاطر، الآية: ۱۲.

(۴) سورة: الواقعة، الآية: ۷۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۴

۵۷- سورة الحديد ثلاث آيات

الآية الأولى منها

قوله تعالى: سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۱» و قال فى سورة الحشر: «۲» سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و قال فى سورة الصف «۳»: سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و قال فى سورة الجمعة «۴»:
يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و قال فى سورة التغابن «۵»: يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
للسائل أن يسأل: عما أوجب اختصاص فاتحة سورة الحديد بقوله: سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ من غير إعادة: ما و قد أعيدت فى فواتح السور الأخر؟.
الجواب أن يقال: لما كان هذا الكلام مستوفى إلى كلمات ثلاث، عقدت فى كل واحدة منها السموات و الأرض فى عقدة واحدة، جمع المخلوق فيها تحت لفظة واحدة، فكان معنى قوله: سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ سبح للّه الخلق فى المكانين، فلفظة ما فى هذا المكان عامة شاملة للخلق فيهما، فإذا أعيدت: ما فى قوله: فِي الْأَرْضِ كانت الأولى خاصة للخلق فى السموات دون الأرض، و الكلمات الثلاث التى عقدت السموات و الأرض فى كل واحدة منها عقدة واحدة قوله: لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ «۶» و قوله بعده: هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ «۷» و قوله بعده: لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ «۸» فلما كان افتتاح السورة ينتهى

---

(۱) سورة: الحديد، الآية: ۱.

(۵) الآية: ۱.

(۲) الآية: ۱.

(۶) سورة: الحديد، الآية: ۲.

(۳) الآية: ۱.

(۷) سورة: الحديد، الآية: ۴.

(۴) الآية: ۱.

(۸) سورة: الحديد، الآية: ۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۵

إلى هذه الآيات بعدها، و هى تنظم المكانين نظما واحدا، اختير أن يجعل الخلق فيهما خلقا واحدا، فلا يفصل بينهما بخلقهما، و القصد جمعهما فى نظام واحد، و لم يكن هذا المعنى موجودا فى سائر السور، فكان الأصل فيه أولى، و هو إعادة: (ما) و الدليل على ذلك قوله فى آخر سورة الحشر «۱»: يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ؛ لأنه قال قبله: هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ «۲» فنظم تحت هذه الصفات مخلوقات السموات و الأرض، و كذلك قبله: الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ «۳» كذلك نظم المخلوق فى المكانين

فيما يكون من تسبيحهم و تقديسهم، حملا على الأول الذى هو الأصل.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۴» و قال بعده بآيتين: لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ «۵».

للسائل أن يسأل: عن إعادة هذه اللفظة فى المكان القريب من الأول، وصلتها فى الأولى بقوله: يُحْيِي وَ يُمِيتُ ثم صلتها فى الأخرى بقوله: وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ؟.

الجواب أن يقال: إن المعنى: له الملك أولا و آخرا، فالأول فى الدنيا، و هو:

وقت الإحياء و الإماتة، و الآخر فى الآخرة حين ترجع الأمور إليه، و لا يملك أحد سواه لا ملكا و لا ملكا، فقرن بالأول يحيى و يميت؛ لأنهما من أمارة الملك، و قرن بالآخر ما يكون فى الآخرة من مرجع الخلق و جزائهم بالثواب و العقاب إليه، فجاء فى كل مكان ما اقتضاه و ما شاكل معناه.

الآية الثالثة منها

قوله تعالى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً «۶» و قال فيما تقدم من سورة الزمر «۷»: ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً.

---

(۱) الآية: ۲۴.

(۵) سورة: الحديد، الآية: ۵.

(۲) سورة: الحشر، الآية: ۲۴.

(۶) سورة: الحديد، الآية: ۲۰.

(۳) سورة: الحشر، الآية: ۲۳.

(۷) الآية: ۲۱.

(۴) سورة: الحديد، الآية: ۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۶

للسائل أن يسأل: عن قوله فى سورة الحديد: ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً و قوله فى سورة الزمر: ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً و هل كان وجه الكلام أن لو جاء أحدهما مكان الآخر؟.

الجواب أن يقال: إن الأفعال التى نسق هذا الفعل عليها فى سورة الزمر، هى أفعال اللّه تعالى؛ لأنه قال: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً فهو معطوف على قوله: ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً و الذى فى سورة الحديد لم يسند الفعل المتقدم فيه إلى اللّه، فيستند إليه ما بعده، و إنما هو كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً، فلم يصلح فى كل مكان إلا ما جاء فيه من اختيار الكلام.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۲۷

۵۸- سورة المجادلة

آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ «۱» و قال: إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ «۲».

للسائل أن يسأل: عن خاتمتى الآيتين و هما: عَذابٌ أَلِيمٌ و عَذابٌ مُهِينٌ؟

و عما أوجب اختصاص كل واحدة منهما بما ذكر فيها؟.

الجواب أن يقال: لما قال فى الأولى: ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ «۳»؛ أى:

يتبين ذلك لتؤمنوا باللّه و رسوله و الحدود التى حدها لعباده، ثم سمى من لم يؤمن كافرا باسمه، و توعده بالعذاب الموجع المبالغ فيه، و هو ما يخوف اللّه به عباده نعوذ باللّه منه، و أما قوله: عَذابٌ مُهِينٌ، فلأن قبله إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا فضمن معنى الفعلين الشرط و الجزاء، فجعل الكبت جزاء من آثر حزبا غير حزب اللّه و رسوله، وحدا غير حدهما، و الكبت: الإذلال، و قيل: الغلب و القهر و التخييب، و كل ذلك متقارب، فلما أخبر اللّه تعالى بالكبت عمن حاد اللّه و رسوله و جانبهما، و صار فى حد غير حدهما، وصف العذاب الذى ينزل به الإذلال و الإهانة، و إن كان كل مؤلم مهينا و كل مهين مؤلما، و مما يشهد لذلك قوله تعالى فى آخر السورة: إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ «۴» فقوله هنا: أُولئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كقوله فى الأول: إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا فهذا فى الكفار، و قد توعد المنافقين الذين تولوهم بمثله فى هذه السورة، و هو قوله: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ

---

(۱) سورة: المجادلة، الآية: ۴.

(۳) سورة: المجادلة، الآية: ۴.

(۲) سورة: المجادلة، الآية: ۵.

(۴) سورة: المجادلة، الآية: ۲۰.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ «۱»، أى: إنهم لما أظهروا الإيمان و أبطنوا النفاق، و ضعوا فى أنفسهم أنه إن اطلع على حالهم حلفوا للنبى صلّى اللّه عليه و سلم باللّه أن الأمر بخلافه، فيكلهم إلى أيمانهم، فهم يخرجون بهذا الظاهر فى الحكم عن دلالة الكفر، و لهم عذاب يسلبهم هذا العز، و يبدلهم منه الهوان و الذل، و اللّه تعالى أعلم.

---

(۱) سورة: المجادلة، الآيات: ۱۴- ۱۶.

۵۹- سورة الحشر آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ «۱» و قال قبله فى سورة الأنفال «۲»: وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ و قال قبله فى سورة النساء «۳»: وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

نُوَلِّهِ ما تَوَلَّی وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً.

للسائل أن يسأل عن الإدغام فی قوله: وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فی سورة الحشر و عن تركه فی سورتی الأنفال و النساء؟ مع أن مثله فی لغة العرب يصح إدغامه و إظهاره، كقوله تعالی: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ «۴» وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ «۵».

الجواب أن يقال: إن الأصل فی ذلك إذا قويت الحركة فی القاف أن تدغم، أ لا ترى أن من جوز: اردد مكان ردّ، و كانت لغته الإظهار متی حرك الدال الأخيرة فی قوله للاثنين: ردا، و قوله للجمع: ردوا لم يبق إلا الإدغام، و لم يجز: ارددا و لا ارددوا و لا ارددی، فقوله تعالی: وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فقد قويت الحركة منه فی القاف الأخيرة؛ لأنها لاقت كلمة قد لزم أولها السكون، و هی اللام الأولی من «اللّه»، و كانت تحرك لملاقاة الساكن بعدها فی مثل: اعبد اللّه، حيث لا تضعيف يهرب من ثقله إلی تخفيف يرفع اللسان عن الحرفين دفعة واحدة، فقوله: وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ لا يلاقی القاف هنا بها بالتعليق إلا ساكنا قد لزم الكلمة، فقويت الحركة فی القاف التی تلاقی هذا الساكن؛ لأنها

---

(۱) سورة: الحشر، الآية: ۴.

(۴) سورة: المائدة، الآية: ۵۴.

(۲) الآية: ۱۳.

(۵) سورة: البقرة، الآية: ۲۱۷.

(۳) الآية: ۱۱۵.

لا تلاقی سواه مما علق الفعل به، و ليس كذلك وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ؛ لأن القاف قد تلاقی ما يتعلق بها متحركا، و هو: وَ رَسُولَهُ؛ لأن التقدير: و من يشاقق رسول اللّه، فلم يخلص القاف فيما يتعلق بها للحركة كما خلصت له فی الأول، و أما قوله: وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدی فليس الساكن من «الرسول» الذی يلاقيه القاف كالساكن من لفظة اللّه تعالی؛ لأنه قد يحذف فيصح لملاقاة القاف متحركا منه، نحو: و من يشاقق رسول اللّه، فالذی أوجب فی سورة الحشر إدغام: وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ هو: قوة الحركة فی القاف، و قوتها أنه لا يصح أن تلاقی الاسم الذی بعدها إلا ساكنا لا يقوم مقامه متحرك فی حال، و ما سواه من المواضع ليس علی هذا الوصف، فبان الفرقان، و اللّه أعلم.

الآية الثانية منها

قوله تعالی: لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِی صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ «۱» و قال بعده: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّی ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ «۲».

للسائل أن يسأل: عن اختصاص خاتمة الآية الأولی بقوله: لا يَفْقَهُونَ و اختصاص الثانية بقوله: لا يَعْقِلُونَ؟.

الجواب أن يقال: لما قال: لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِی صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ، أی:

خوفهم منكم أشد من خوفهم من اللّه، إنهم يعلمون ظاهرا و لا يعرفون ما استتر عنهم منه، و الفقيه من يستدرك من الكلام ظاهره الجلی و غامضه الخفی بسرعة فطنته و جودة قريحته، فلما رهبوا النبی صلّی اللّه عليه و سلم و سننه ما لم يرهبوا اللّه عز و جلّ، صاروا كمن يعرف ما يشهده و يجهل ما يغيب عنه، و لو فقهوا لعلموا أن لما ظهر من الرسول صلّی اللّه عليه و سلم باطنا خفی عنهم من أمر اللّه تعالی، فلذلك وصفهم: بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ. و قيل: لا يَفْقَهُونَ: لا يستدركون عظمة اللّه، و يشهدون جلالة المؤمنين بالنبی صلّی اللّه عليه و سلم، و لا يعلمون أن ذلك باللّه تعالی، و قيل: لا يَفْقَهُونَ من معنی المرسل، و الرسول معنی المرسل و عظمته، فيتقون اللّه

حق تقاته، أما قوله: ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَعْقِلُونَ فإنه جاء بعد قوله:

---

(۱) سورة: الحشر، الآیة: ۱۳.

(۲) سورة: الحشر، الآیة: ۱۴.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۳۳۱

بَأْسُهُمْ بَیْنَهُمْ شَدِیدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِیعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّی و معناه: لیس یجمعهم الحق علی طریقة واحدة، بل هم أتباع أهوائهم، فهم مختلفون باختلاف آرائهم، و لو عقلوا الرشد من الغی لاجتمعوا علی الحق، فاختلافهم لأنهم لا یعقلون ما یدعو إلی طاعة اللّه و یهدی إلی ما قال اللّه: وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ «۱» فالحق سبیل واحد مستقیم، و الباطل سبل کثیرة تحمل علیها أهواء متشعبة، فقد بان لک أن کلا من الخاتمتین ختم بما یقتضیه، و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة: الأنعام، الآیة: ۱۵۳.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۳۳۲

۶۰- سورة الممتحنة آیة واحدة

و هی قوله تعالی: قَدْ کانَتْ لَکُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْراهِیمَ وَ الَّذِینَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْکُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ کَفَرْنا بِکُمْ «۱» و قال بعده: لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِیهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللَّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ «۲».

للسائل أن یسأل عن المعنی الذی أعید له: قَدْ کانَتْ لَکُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ و عن متعلق کل واحد من اللفظین؟ و هل یصلح الأول مکان الثانی أو الثانی مکان الأول؟.

الجواب أن یقال: إن الإسلام بنی أوله علی التبری من الآلهة و من عبدها و من الأصنام و عبادتها، أ لا تری قول من یشهد بالتوحید أنه ینفی الآلهة أولا بقوله: لا إله، و یثبت ثانیا بقوله: إلا اللّه الواحد الذی تحق له العبادة، فقال فی الآیة الأولی المتعلقة بالبراءة من الکفار و من فعلهم: إِنَّا بُرَآؤُا مِنْکُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ و أنهم یعادونهم، إلا أن یؤمنوا، فهذه الأسوة تفصل المؤمن من الکافر لیتمیز عنه فی الظاهر، و یتبرأ من صداقته، و یتحقق بعداوته، و الثانیة معناها: بهم ائتسّوا لتنالوا مثل ثوابهم و تنقلبوا إلی الآخرة کانقلابهم، مبشرین بالجنة غیر خائفین من العقوبة.

---

(۱) سورة: الممتحنة، الآیة: ۴.

(۲) سورة: الممتحنة، الآیة: ۶.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۳۳۳

۶۱- سورة الصف آیة واحدة

و هی قوله تعالی: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَ هُوَ یُدْعی إِلَی الْإِسْلامِ «۱». و قال قبله فی سورة الأنعام «۲»: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظَّالِمُونَ و قال فیها: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَ لَمْ یُوحَ إِلَیْهِ شَیْءٌ «۳»، و قال فی آخر سورة العنکبوت «۴»: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْکافِرِینَ و قال فی سورة الأعراف «۵»: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ أُولئِکَ یَنالُهُمْ نَصِیبُهُمْ مِنَ

الْكِتابِ و قال فى سورة يونس «۶»: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ.

للسائل أن يسأل: عن هذا الموضع و اختصاصه بلفظ التعريف فى الكذب، مع أن نظائره فى الآى التى ذكرنا بلفظ التنكير؟.

الجواب أن يقال: إن الكذب مصدر يسمى به الكلام المكذوب فيه، و هو فى قوله تعالى: افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً على أصله مصدر غير منقول، و المصدر إذا عرف قصد به الجنس، و الفرق بين معرفته و نكرته إذا قال القائل: قلت كذبا؛ أى: قلت نوعا من أنواع الكذب التى هى كثيرة، و إذا قال: قلت الكذب، فكأنه قال: قلت القول الذى يشهد بالكذب و يشار إليه به، و ليس يراد به الجنس كله، كما لا يراد إذا قال: شربت الماء، كل الماء، و إنما يراد بعضه بدلالة العرف، و إنما يختار التنكير إذا قارنه لفظ يقتضيه أو كلام متقدم عليه يوجب له ذلك، و مما قارنه لفظ يقتضى له التنكير كل موضع جاء فيه: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ فقوله: أَوْ كَذَّبَ يقتضى أحد كذبين،

---

(۱) سورة: الصف، الآية: ۷.

(۴) الآية: ۶۸.

(۲) الآية: ۲۱.

(۵) الآية: ۳۷.

(۳) سورة: الأنعام، الآية: ۹۳.

(۶) الآية: ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۳۴

و إذا ضم إلى الكذب الأول كذبا ثانيا يثنى به الأول المذكور، و ما يكون له أمثال يتنكر بعضها ببعض كما كان ذلك فيما يقع على واحد من أمة شائع فيها، فيكون فيها نكرة، فإذا جاءت بعد: كَذَّبَ قرينة تقتضى له التنكير، فأكثر ما جاء منكرا معها و هو: أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ أو: قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ أو:

كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ أو: كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ أو: كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ فهذه خمسة مواضع تقدمها قوله: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً و كانت مقارنة تقتضى التنكير فى لفظها و أما قوله فى سورة الأنعام «۱»: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فإنما معناه: و من أظلم لنفسه ممن يختلق كذبا يقصد به الضلال للناس، فكل من ضل منهم يكذبه فقد أضله كذب أخلقه، ففيه دليل أمثال له يقتضى تنكيره، و كذلك قوله تعالى فى سورة هود «۲»: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ فكانت لفظة من: مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لفظة واحدة، و المعنى: كل كاذب كذبا فمضامه أنواع الكذب لمضامه الكاذبين لهم يقتضى تنكير لفظه إذ صاروا واحدا من جماعة شائعا فيها، و أما تعريفه فى سورة الصف فلأن القصد:

الإشارة إلى ذلك الكذب، و هو: تكذيب اليهود بآيات اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و سلم، و تكذيب النصارى بها، و قد تقدمت قصتهما فى قوله: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي «۳» و بعده: وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعى إِلَى الْإِسْلامِ «۴» أى: و من أظلم ممن يكذب الكذب الذى تشير إليه الأمم من المسلمين و النصارى و اليهود على اختلاف اعتقاداتهم، فقد صح أنه الكذب المعروف عند المسلمين و عند علماء الطائفتين من أهل الكتاب، فالتعريف فى هذا المكان فائدته التى تخصه ما ذكرنا، كما أن ما جاء منه منكرا اقتضاه مكانه على ما بينا.

۶۲- سورة الجمعة

ما فيها قد تقدم ذكره فی سورة البقرة.

---

(۱) الآية: ۱۴۴.

(۳) سورة: الصف، الآية: ۵.

(۲) الآية: ۱۸.

(۴) سورة: الصف، الآيتان: ۶ و ۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۳۵

۶۳- سورة المنافقون آية واحدة

و هی قوله تعالی: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلی مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّی يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَی الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ «۱».
للسائل أن يسأل: عن قوله فی آخر الآية الأولی: وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ و عن قوله: وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ فی آخر الثانية، و ما أوجب اختصاص كل واحد بما اختص به من قوله: لا يَفْقَهُونَ و قوله: لا يَعْلَمُونَ؟.
الجواب أن يقال: إن معنی قوله: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلی مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ؛ أی: يأمرونهم بالإضرار بهم و حبس النفقات عنهم و لا يفطنون؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك أضروا بأنفسهم دون من عند رسول اللّه؛ لأن اللّه لا يحبس ما قدر من أرزاقهم، فلا يضرهم إذا حبسوا إنفاقهم فهم لا يفقهون ذلك، و لا يفطنون له، و قوله فی الثانی: لا يَعْلَمُونَ بعد قوله: يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَی الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ عندهم؛ لأن الْأَعَزُّ: من له القوة و الغلبة علی ما كانوا عليه فی الجاهلية، و لا يعلمون أن هذه القدرة التی يفضل بها الإنسان غيره إنما هی من اللّه، فهی للّه و لمن يخصه بها من عباده، و المنافقون لا يعلمون أن الذلة لمن يقدرون فيه العزة، و أن اللّه معز أولياءه بطاعتهم له، و مذل أعدائه لمخالفتهم أمره، فقد اختصت كل آية بما اقتضاه معناها.

---

(۱) سورة: المنافقون، الآيتان: ۷ و ۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۳۶

۶۴- سورة التغابن آيتان

الآية الأولی

قوله تعالی: يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ «۱» و قال بعده: يَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ «۲».
للسائل أن يسأل: عن تكرير «ما» فی افتتاح السورة فی: يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ و ترك ذلك فی قوله: يَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ثم تكرير «ما» فی قوله: وَ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ؟ و هل كانت الفائدة تحصل بعكس ذلك، و تكرير «ما» حيث لم تكرر، و حذفها حيث لم تحذف؟.
الجواب أن يقال: لما كان تسبيح ما فی السموات علی خلاف تسبيح ما فی الأرض كثرة و قلة و خلوصا من غير مقارنة المعاصی و اختلاطها بها، أعيدت لفظة: ما للاختلاف، و لم يكن الأمر فی قوله: (ما) كذلك؛ لأن علمه نظم: (ما) فيهما نظما واحدا علی حد

واحد، فصار علمه بما تحت الأرضين كعلمه بما فوقها، و علمه بما فى السموات كعلمه بما فى غيرها، كما كان علمه بما يكون كعلمه بما كان لا يختلف، فلم يتباين فتعاد للمخالفة لفظة: (ما) للتمييز بها عما خالفها، و أما ما يُسِرُّونَ فإنه مخالف ل وَ ما يُعْلِنُونَ غاية المخالفة، فلم يصح إلا بإعادة: (ما) فقد بان و وضح الفرق بين المواضع الثلاثة.

الآية الثانية منها

قوله تعالى:

---

(۱) سورة: التغابن، الآية: ۱.

(۲) سورة: التغابن، الآية: ۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۳۷

وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ «۱» و قال بعده فى سورة الطلاق «۲»: وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً.

للسائل أن يسأل: عما خصص الآية الأولى بقوله: يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ و إخلاء الآية الثانية منه.

الجواب: أن الأولى جاءت بعد قوله مخبرا عن الكفار: فَقالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِیدٌ زَعَمَ الَّذِینَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَ رَبِّی لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ «۳» فهذه سيئات تحتاج إلى تكفير إذا آمن باللّه بعدها فقال: وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً فى مستقبل عمره يمسح عنه ما سبق من كفره ثم يوجب له جنات، و الآية الثانية لم يتقدمها خبر عن كفار بسيئات، فيوعدوا بتكفيرها إذا أقلعوا عنها و تابوا عنها و عملوا الصالحات مكانها، و كان مضمونا تكفير السيئات عند الإيمان و عمل الصالحات، فلم يحتج إلى ذكره كما كان الأمر فى غيره، و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة: التغابن، الآية: ۹.

(۲) الآية: ۱۱.

(۳) سورة: التغابن، الآيتان: ۶، ۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۳۸

۶۵- سورة الطلاق آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً «۱» و قال بعده: وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ «۲» و قال بعده: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً «۳».

للسائل أن يسأل: عن قوله فى خلال ذكر الطلاق و العدد: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ثلاث مرات يفعل به كذا، و اختصاص كل جزاء بمكان، فأوله: يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ و الثانى: يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً و الثالث: يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً.

الجواب أن يقال: إنما اقترن بالطلاق و العدد هذا الوعظ؛ لأن الطلاق رفض حال متمهدة و قطع آمال متأكدة، و العدد باستيفائها يخلص النسب و يصح للزوج الثانى الولد، و لو لم يكن هذا الحد الذى حده اللّه تعالى، لكان الفساد متصلا إلى انقضاء الدنيا، فهو

أحق الأشياء بالمراعاة و تأكيد المقال فيه و الوصاة، قال اللّه عز و جلّ بعد ذكر الطلاق: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، أى: من تمسّك بتقوى اللّه فيما يحل و يعقد و يصدر و يورد، فإن اللّه يلقيه فى شدته فرجا، و يجعل له مما يكرهه مخرجا، و يتيح له محبوبه من حيث لا ـ يقدر، و يوجه له رزقه من حيث لا ـ يحتسب، و فى ضمنه أنه إذا طلق لكراهة أحد القرينين لصاحبه و قارن ذلك تقوى اللّه، فإن اللّه يسبب له القرينة الصالحة و لها القرين الصالح، و يرزق أحدهما على يد الآخر من حيث لا يبلغه تقديره و لا

(۱) سورة: الطلاق، الآيتان: ۲ و ۳.

(۲) سورة: الطلاق، الآيتان: ۴ و ۵.

(۳) سورة: الطلاق، الآية: ۵.

يدركه حسابه، و هذا وعد منه فى الدنيا، و يصح له مثله فى الآخرة؛ لأنه يجعل للمتقين منجى من عذابه و أمنا من مخافته، فيخرجهم من الغم إلى السرور، و من الفزع إلى الأمن، و يعدلهم من كرامته و ثوابه و نعمته ما يكتفون به و لا يحتاجون معه إلى غيره، و يكون قوله: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ مرادا به: حال الآخرة، إذ المتوكل على اللّه قد يضام فى الدنيا و قد يقتل أيضا، هذا قول بعض أهل النظر و يجوز أيضا أن يراد بالتوكل: أن يكل أمره إليه، فيتبعه راضيا بما يصرفه إليه، كالدابة المواكل التى تسير بسير غيرها، منقاد لحكمه و سيره، فإذا كان المتوكل على اللّه من هذه صفته، فاللّه حسبه حافظا له ممن يحاول ظلمه، أو ينتقم منه إن رأى ذلك أنفع له، فهو يبلغ مراده فى الوقت الذى قدره، إذ كان قد جعل لكل شيء حينا يقع عنده، لا يتعجل قبله و لا يتباطأ بعده و أما قوله بعد ذكر عدة الحامل: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً؛ أى: من لزم التقى سهل اللّه عليه الصعب من أمره، كما يجعل أمر الولادة سهلا إذا قامت الأم عن ولدها سرحا، ثم عقب حال الدنيا بذكر ما يفعله فى الآخرة من تكفير سيئاته و إعظام أجره، فكل شرط من تقى اللّه عز و جلّ قرن إليه من الجزاء ما لاق بمكانه الذى ذكر فيه، و الأخير لما كان مقدما على أحوال، احتاجت إلى غاية الترغيب، و إلى المبالغة فى الترهيب، وعد عليه أفضل الجزاء، و هو ما يكون فى الآخرة من النعماء، فتدبره تجده على ما ذكرت.

۶۶- سورة التحريم

ما فيها قد مرّ فى سورة الأنبياء عليهم السّلام

۶۷- سورة الملك آية واحدة

و هى قوله تعالى: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ «۱».

للسائل أن يسأل: عن تقديم التوعد بالخسف على التوعد بالحاصب؟ و هل كان يختار التوعد بتقديم الحاصب على الخسف؟ أم لم يجز فى الاختيار إلا ما جاء عليه الوعيد فى الآيتين؟.

الجواب أن يقال: لما كانت الأرض التى خلقها اللّه لهم و مهدها لاستقرارهم، يعبدون عليها غير خالقها و يعظمون عليها الأصنام التى هى من شجرها أو حجرها، خوفهم بما هو أقرب إليهم من الأشياء التى أهلك بها من كان قبلهم، و الآية الثانية تخويف بالحاصب من السماء، و هى التى لا يصعد إليها الطيب من كلامهم، و لا الحسن من عملهم، إلا سيئات أفعالهم، و نتائج ما كتب عليهم، و تلك حال

ثانية، فذكر فى الثانية.

(۱) سورة: الملک، الآيتان: ۱۶ و ۱۷.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۱

۶۸- سورة القلم آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِکَ زَنِيمٍ أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ «۱» و قال فى سورة المطففين «۲»: الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ.
للسائل أن يسأل: عما انقطعت إليه الآية الأولى من الجزاء فى الدنيا و الآية الثانية من الجزاء فى الآخرة؟.
الجواب أن يقال: إن الموصوف فى الآية الأولى موصوف بجامعة لخصال الذم فاضحة، و هى: الحلف بالكذب الذى يورث الضعة و المهانة و الوقيعة فى الناس بما ليس فيهم، و هو يورث العداوة و النميمة، و هى: نقل الكلام للتعريف الذى يجلب الضغينة، و البخل الذى لا يدع خيره ينفع غيره، و الاعتداء، و هو: تجاوز الحق فى المعاملة، و جفاء الطبع و الخليقة و غلظهما، و الدعوة التى تلصقه بقبيلة ليس منها، فيكون كالزنمة المتدلية من حلق الجدى.
فلما وصفه بهذه الأشياء الظاهرة القبح، جعل فى مقابلتها نكالا ظاهرا بينا على الوجه، فقال: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ؛ أى: نشهره بعلامة تنبئ عن قبائحه و فضائحه، و أما الآية الأخيرة فى المطففين، فإن قبلها: الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ فأخبر عنهم أنهم لا يؤمنون بالبعث، و أن الذنوب الذى قارفوها غلبت على قلوبهم حتى كأنها تنكرت لها، و لذلک قال الحسن: الرين: الذنب على الذنب حتى يسود القلب، فلما لم ينعتهم إلا بالكفر أخبر عن

(۱) سورة: القلم، الآيات: ۱۰- ۱۷.

(۲) الآيات: ۱۱- ۱۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۲

جزائهم فى الآخرة، و هو أن يحجبوا عما لا يحجب عنه المؤمنون من ثواب اللّه يوم القيامة، و أن يصلوا نار جهنم يلزمونها عقابا لهم على المعصية، فأتبع كلا من المكانين ما لاق به و صلح فى مقابله ما تقدم عليه.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۳

۶۹- سورة الحاقة آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ «۱».
للسائل أن يسأل: عن قوله: ما تُؤْمِنُونَ عقيب شاعِرٍ و قوله: قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ عقيب: كاهِنٍ؟.
الجواب أن يقال: من نسب النبى صلّى اللّه عليه و سلم إلى أنه شاعر و أن ما أتى به شعر، فهو جاحد كافر، و لأنه يعلم أن القرآن ليس بشعر لا فى أوزان آياته و لا فى تشاكل مقاطعه، إذ منه آية طويلة و أخرى إلى جنبها قصيرة، كآية الدين فى طولها، و الآية التى قبلها فى قصرها، و هى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ «۲»، و أما اختلاف المقاطع، فإنه ينبئ أيضا العرب شاعرها و مفحمها أنه ليس بشعر، فمن نسبه إلى أنه شاعر، فهو لقلة إيمانه، و أما من قال: إنه كاهن، فلأن كلام

الكهنة نثر غير نظم و فيه سجع، و هو مخالف للشعر أيضا، فمن قال: إنه ككلام الكهان، فإنه ذاهل عن تذكر ما بنى عليه كلامهم من السجع الذى يتبعون به معانى ألفاظهم، و حق اللفظ فى البلاغة أن يكون تابعا للمعنى و هو ما عليه القرآن، كقوله عز و جلّ:
أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً «۳» فلو تذكر قائل هذا القول أن هذا النثر مخالف لكلام الكهنة فيما ذكرنا، لما قال: إنه قول كاهن، فلذلك عقبه بقوله: قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ.

---

(۱) سورة: الحاقة، الآيتان: ۴۱ و ۴۲.

(۲) سورة: البقرة، الآية: ۲۸۱.

(۳) سورة: النمل، الآية: ۶۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۴

۷۰- سورة المعارج آية واحدة

و هى قوله: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ «۱» و قال قبله فى سورة المؤمنين «۲»: وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ.
للسائل أن يسأل: عن الآيات المتجاوبة فى السورتين لفظا و معنى؟ و عن اختصاص سورة سأل سائل بقوله: وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ و حذفه من سورة المؤمنين؟.
الجواب فيه عن ذلك أن يقال: لما أخبر اللّه تعالى فى هذه السورة عن طبائع البشر، فقال: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً «۳» و كان معناه: إنه خلق متسرعا إلى ما يلتذه، غير متماسك عما يشتهيه و إن كان مكروهه، و كان مفرطا فى ذلك، فإن مسه شر اشتد له قلقه، و إن مسه خير شحت به نفسه، ثم استثنى من هؤلاء بعد أن وصفهم بحال مذمومة مفرطة فى معانيها من يفرط فيما يضادها، و يبالغ من طاعة اللّه فيما يخالفها، فقال: إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ «۴»، أى: إلا الذين يؤدون الصلاة و يقيمونها و يديمونها، ثم أكد ذلك فى آخر هذه الآيات كرا عليها بقوله: وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ «۵» و محافظتهم عليها مراعاتهم لأوقاتها،

---

(۱) سورة: المعارج، الآيات: ۲۹- ۳۵.

(۴) سورة: المعارج، الآيتان: ۲۲ و ۲۳.

(۲) الآيات: ۴- ۱۱.

(۵) سورة: المعارج، الآية: ۳۴.

(۳) سورة: المعارج، الآيات: ۱۹- ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۵

و قيامهم بحقوقها المفروضة قبلها، و المفروضة عند افتتاحها، و المفروضة عند جملة حدودها إلى حين اختتامها، فهذا فى وصف المصلين، و بعدهم المزكون و الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم، يعطون ما يجب عليهم من زكوات أموالهم من

يسألهم، و من يترك المسألة فيحرم مثل ما يعطاه السائل، و هذا أيضا مبالغة فى وصف من يستشف أحوال الفقراء، فيعطيهم لما يعلمه من حاجتهم لا لما يشاهد من إلحاحهم فى مسألتهم، و بعده: وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ «۱»؛ أى: يؤمنون بالبعث و الحساب و الجزاء، ثم أتبع ذلك التوكيد قوله: وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ «۲» و من صدق بيوم الدين أشفق من عذاب اللّه له على سيئات أعماله، فأراد أنهم يصدقون بيوم الدين، و يرهبون عذاب اللّه، فيعملون الصالحات طلبا للنجاة منه، و بعده: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ؛ أى: لا يطلقون فروجهم على معاصى اللّه، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، ثم بالغ فى تحذيرهم بأن قال: فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ أى: من خرج عن هذا الحد إلى ما وراءه، و ذلك شامل للجهات كلها، فأولئك خارجون عن الحق إلى الظلم، و هذه الآية جاءت فى سورة المؤمنين، و بعدها فى السورتين: وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ فوصفهم بأنهم يرعون أمانة اللّه عندهم، و أمانات الناس لديهم، و عهودهم قبلهم، ثم خص الآية فى سورة سأل سائل بما أجرى عليه الآيات التى قبلها من المبالغة فى الطاعات التى تضمنت ذكرها، فقال: وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ؛ أى: يؤدون بعد الأمانات التى فى رقابهم و ذممهم- الأمانات التى فى ذمم غيرهم و ثباتها بشهاداتهم، فوصف من يؤدى الأمانات التى فى رقابهم و ذممهم إلى الأمانات التى يثبت بها حقوق تخصه إلى مستودعيها على غيرهم، فكان من المبالغة التى تقتضيها الآيات المتقدمة ذكر الشهادات عقيب أداء الأمانات، و قوله إخبارا وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ مردود إلى الآيات الأول و قد بينا ذلك أولا.

فإن قال قائل: كيف يصح أن يقال: خلق الإنسان هلوعا جزوعا منوعا؟ و هذا يوجب أن يكون الهلع و الجزع و المنع موجودة فيه فى حال خلق اللّه له، و ليس هو كذلك لأنه لا يشعر بهذا للطفولية؟

قلت: أجيب عن ذلك بأن جعل معناه: خلق حيوانا ضعيفا لا يصبر على الشدائد إذا دامت عليه، و إجراؤه الصفة عليه فى حال الخلق توسع و مجاز.

---

(۱) سورة: المعارج، الآية: ۲۶.

(۲) سورة: المعارج، الآية: ۲۷.

الجواب الذى أذهب إليه: أن الهلع: التسرع و القلق نحو الشىء، فالحريص يهلع؛ أى: يتسرع إلى تمكين الحزن من نفسه و إدخال ألمه على قلبه، و الحريص يتسرع إلى مشتهاه اتباعا لهواه و إن كان فيه رداه، و الإنسان فى حال صغره مطبوع على هذه الخلال؛ لأنه يتسرّع إلى الثدى و يحرص على الرضاع، و إن مسه ألم جزع و بكى، و إن تمسك بثدى فزوحم عليه منع بما فى قدرته من اضطراب و بكاء، فلا يزال يفعل ذلك حتى يرد إليه الحيز الذى كان له، ثم هو على ذلك إلى آخر عمره، و الهلع فى كلام العرب أصله:

القلق و التسرع فى الحرص و الجزع، يقال: ناقة هلواع أى: مسرعة، و ظلمان هوالع أى:

مسرعات، و إذا كان كذلك لم يكن الهلوع و الجزوع و المنوع مجازا، فتبين بالمبالغات التى فى الخصال المذمومة و إردافها بالمبالغات فى الطاعة المحمودة الآيات التى فى هذه السورة من الآيات التى فى سورة المؤمنين التى لم يتقدمها مبالغات فى مساوى الأخلاق، فإن قال: ما الحكمة فى خلق الإنسان على مساوى الأخلاق؟ قلت: الحكمة فى خلق شهوة القبيح، ليمانع نفسه إذا نازعته نحوه، و يحارب شيطانه عند تزيينه معصيته، فيستحق من اللّه عقوبته، و يستوجب عليه جنته، و هذا واضح لمن تدبره، فاعرفه تصب إن شاء اللّه تعالى.

۷۱- سورة نوح عليه السّلام آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا «۱» و قال فى آخر السورة: وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً «۲».

للسائل أن يسأل: عن الأول و اختصاصه بالإضلال، و عن الثانى و اختصاصه بالإهلاك الذى هو التبار؟.

الجواب أن الأول جاء بعد قوله: وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً «۳»؛ أى: لما قالوا: لا تذرن آلهتكم، و لا تذرن ودا و لا سواعا، فأمروا أتباعهم بالتمسك بعبادة هذه الأصنام، و أضلوهم عن طريق الرشاد، دعا عليهم نوح عليه السّلام بأن يضلهم التواب بعد استحقاق العقاب ليجاوب قوله: وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً و أما الآخر، فإن معناه: زدهم هلاكا على هلاك، و عذابا فوق عذاب بما وافوا عليه القيامة من كفر و ضلال و ذلك عند دخول النار، فاقتضى كل من المكانين ما جاء فيه.

۷۲- سورة الجن

ليس فيها شيء من ذلك.

۷۳- سورة المزمل عليه الصلاة و السلام

ليس فيها شيء من ذلك.

---

(۱) سورة: نوح، الآية: ۲۴.

(۳) سورة: نوح، الآيتان: ۲۳ و ۲۴.

(۲) سورة: نوح، الآية: ۲۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۸

۷۴- سورة المدثر عليه الصلاة و السلام آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ «۱».

للسائل أن يسأل: عما تكرر من قوله: (قدر) فى ثلاثة مواضع، و عن الفائدة فيها.

الجواب أن يقال: كان الوليد بن المغيرة لما سأل عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قدر ما أتى به من القرآن، فقال: إن قلنا شاعر كذبتنا العرب إذا قدرت ما أتى به على الشعر و لم يكن إياه، و كان يقصد فى هذا التقدير: تكذيب الرسول عليه الصلاة و السلام بضرب من الاحتيال يمكنه تجويزه على العقلاء، فلذلك كان كل تقدير مستحقا لعقوبة من اللّه تعالى هى كالقتل إهلاكا له، فهذا معنى: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ أى: هلك هلاك المقتول كيف قد رأى هو فى تقديره و نظره غير طالب لحق، بل هو مثبت باطلا، و إن كان القرآن ليس بشعر و لا- يجوز مثله على من عرف النثر و النظم، فهو بالصدق فى ذلك قاصد إلى تكذيب النبى عليه الصلاة و السلام بوجه آخر يدّعيه على ما أتى به، و قوله: ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، أى: إنه قال: و ليس ما أتى به من كلام الكهنة، فإن ادعينا ذلك عليه كذبتنا العرب إذا رأوا هذا الكلام مخالفا لكلام الكهان، فهو فى تقديره له على كلام الكهنة مستحق من العقوبة لما هو كالقتل إهلاكا له، فهو فى نفيه عن القرآن الأقسام الفاسدة قاصد إلى إبطاله و إلى إثبات قسم لا يصح إثباته، و هو قول اللّه تعالى حاكيا عنه، فقال: إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ «۲» و إذا كان كذلك لم يكن فى إعادة «قدّر» تكرار؛ بل المعنى ما ذكرناه من تعلق كل تقدير بمقدر غير الأول لفائدة تخصه جديدة.

(۱) سورة: المدثر، الآيات: ۱۸- ۲۱.

(۲) سورة: المدثر، الآيتان: ۲۴ و ۲۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۴۹

الآية الثانية منها

قوله تعالى: كَلَّا بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ وَ ما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ «۱» و قال فى سورة الإنسان «۲»: إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف المكانين و قوله: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا و قوله: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ و الهاء ضمير مذكر و العائد يعود على مؤنث؟.

الجواب أن يقال: التذكرة مصدر من: ذكرت أذكر تذكيرا و تذكرة، كما يقال:

قدمت تقديما و تقدمة، و كرمت تكريما و تكرمة، فلما كانت الآيات المتقدمة فواصلها فى الوقف هاء، كقوله: حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ «۳» و صُحُفاً مُنَشَّرَةً كَلَّا بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ عادت الهاء إلى مذكر دلت التذكرة عليه و هو بمعناها، و هو: التذكرة و التذكر لتتعادل الفواصل. معنى: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ؛ أى: من شاء انتفع فيكون ذاكرا له، و إذا لم ينتفع به فيكون كالناسى له، و أما قوله: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا فهو بمعنى: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ؛ لأن من انتفع بالذكر، سلك سبيل الطاعات التى تؤدى إلى ثواب اللّه، فعدل إلى قوله: اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا للتوفقة بين الفواصل من هذه السورة، إذ كانت مردفة بياء أو واو، و منقطعة بالألف، فحصل بالمكانين المعنيان متفقين مع ملائمة الفواصل فى الموضعين.

(۱) سورة: المدثر، الآيات: ۵۳، ۵۶.

(۳) سورة: المدثر، الآيتان: ۵۰، ۵۱.

(۲) الآيتان: ۲۹، ۳۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۰

۷۵- سورة القيامة آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ «۱».

للسائل أن يسأل: عما أعيد من لفظ القمر فى الفاصلتين المتواصلتين.

الجواب أن يقال: لما قال: بَرِقَ الْبَصَرُ؛ أى: تلألأ و لمع لهول ما شاهد، و هذا يلحق العيون عند شدة الأمر، و القمر يجوز أن يراد به: بياض العين، و خسوفه: غيبته، و البياض الذى فوق الحدقة يغيب إذا انقلبت العين، حتى يتعلق البياض الذى تحت السواد، و يكون قوله: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ يجوز أن يكون المعنى: جمعا من مكان يقرب من المكان الذى فيه الناس، و يجوز أن يكون المراد: جمعا فى سلب الضياء و فقد النور، فعلى هذا لا يكون القمر مكررا إذا أريد بالثانى غير الأول، و لا يكون معيبا إذا أريد به الأول أيضا؛ لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول، و الأشياء التى ليس خيالها أمثالها يجوز أن تقام ظاهرها مقام مضمرها، كقوله:

لا أرى الموت يسبق الموت شىء نغص الموت ذا الغنى و الفقيرا

فهـذا فى كلام واحد فى البيت، و الأول فى كلامين و هو أحسن، و مثله: وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ «۲».

الآية الثانية منها

قوله تعالى: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى «۳».

---

(۱) سورة: القيامة، الآيات: ۷- ۹.

(۲) سورة: آل عمران، الآية: ۱۰۹.

(۳) سورة: القيامة، الآيتان: ۳۴ و ۳۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۱

للسائل أن يسأل: عن تكرير ذلك و عن الفائدة فيه و عن حقيقة اللفظ و اشتقاقه.

الجواب أن يقـال: اللفظـة مشـتقة من ولى يلى، إذا قرب منه قرب مجـاورة، فكـأنه قـال: الهلاـك قريب منك قرب مجاور لك، بل هو أولى و أقرب، و أما التكرير لفظا، فهو غير معيب إذا لم يتكرر لمعنى، فالأول يراد به الهلاك فى الـدنيا، و الثانى بعـده يراد به الهلاك فى الآخرة، و على هذا يخرج عن التكريرات المعيبة فاعرفه.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۲

۷۶- سورة الإنسان آية واحدة

و هى قـوله تعـالى: وَ يُطـافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كـانَتْ قَوارِيرَا قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْـدِيراً «۱» و قال بعـده: وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً «۲».

للسائل: أن يسأل: عن قوله: وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ و هو فعل ما لم يسم فاعله، و بعـده وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ و هو فعل سـمى فاعله، و عن اختصاص كل من المكانين بواحد منهما و عن الفائدة فيه.

الجواب أن يقال: إن القصـد فى الأولى إلى وصف ما يطاف به من الأوانى دون وصف الطائفين، فلما كان المعتمـد بالإفادة ذاك بنى الفعل مقصودا به ذكر المفعول لا الفاعل، فقال اللّه تعالى: بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ؛ أى: آلات من فضـة صفاؤها كصـفاء القوارير، لا تمنع أن يرى ما وراءها، و قـد قدرت على صـفة فجاءت على ما قدرت وفقا لمنية المتمنى، و قيل: قدرت تقدير ما يسع الرىّ، و قيل:

قـدرت على ما يريد الشارب أن يكون عليه لا زيادة و لا نقصان، ثم قال تعالى: وَ يُسْـقَوْنَ فِيها «۳» فوصف بعد الإناء الذى تسبق العين إليه ما يحويه من مشـروب و طيبه، فلذلك لم يسم فاعله: وَ يُطافُ و لأنه جاء بعد قوله: وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا «۴»، و أما الموضع الثانى الـذى سـمى فيه الفاعـل، و هو قوله: وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْـدانٌ مُخَلَّدُونَ فإن القصـد فيه إلى وصف الفاعلين الـذين يطوفون بهـذه الآنيـة، فوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم، فقال تعالى:

وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْـدانٌ مُخَلَّدُونَ و فى مُخَلَّدُونَ ثلاثـة أقـوال: بـاقون أبـدا، دائمـون لاـ يموتون، و قيـل: يبقون على هيئـة الوصـفاء فلا يشيبون، و قيل: مخلدون محلون، و الخلدة: القرط،

---

(۱) سورة: الإنسان، الآيتان: ۱۵ و ۱۶.

(۲) سورة: الإنسان، الآية: ۱۹.

(۳) سورة: الإنسان، الآية: ۱۷.

(۴) سورة: الإنسان، الآية: ۱۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۳

و قوله: إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً فى صفاء ألوانهم، و ضياء وجوههم، و حسنهم، و إشراقهم، و ماء النعيم المترقرق فيهم، و إذا كان كذلك، أوجب ما بنى عليه الكلام أن لا يسمى الفاعل فى الأول، و يسمى فى الثانى كما جاءت عليه الآيتان.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۴

۷۷- سورة المرسلات آية واحدة

و هى قوله تعالى: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ «۱».

للسائل أن يسأل: عن هذه الآية لما كررت عشر مرات، و تخصيص ما بعد كل منها بما قرن إليها، و الفائدة فى تقديم ما بعد الأولى على ما بعد الثانية؟ ثم السؤال فى الجميع على هذه الطريقة؟.

الجواب أن يقال: إن هذه السورة مقصورة على إثبات ما أنكره الكفار من البعث، و الإحياء بعد الموت، و الحساب، و الثواب، و العقاب، و تخويف المكذبين به ليرجعوا عنه و يتمسكوا بالحق دونه، فأقسم فى أول السورة بما أقسم إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ فى يوم الفصل بين المحسن و المسيء، و العاصى و المطيع، و احتج على المكذبين فيما بين ثلاثة من المتكررات بما يحجهم بعد قوله: وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ «۲»، أى: ويل لمن كذب بيوم القيامة، و هو اليوم الذى يفصل فيه بين المحسن و المسيء بأعظم المثوبة و أشد العقوبة، و بدأ بعد إيجاب الويل فى الآخرة لمن كذب بها بذكر من أهلك من أمم الأنبياء الأولين، كقوم نوح و عاد و ثمود، ثم أتبعهم الآخرين الذين أهلكوا من بعدهم قوم إبراهيم و قوم لوط و أصحاب مدين و آل فرعون و ملئه، ثم توعد المجرمين من أمة محمد صلّى اللّه عليه و سلم و أنهم يلحقون بأمثالهم إذا استمروا فى التكذيب على مثالهم، فكان ذلك زجرا بالغا بما صح عندهم من أخبارهم، كما قال تعالى: أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ «۳» فحذرهم نكالا يقع بهم كما يقع بمن عمل مثل أعمالهم، فقال بعد ذلك: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ لمن كذب بالآخرة بعد أن احتج عليه من هذه الآية بإهلاك الأمة بعد الأمة، و أنهم على إثرهم فى الهلاك إن أقاموا على الإشراك، ثم احتج عليهم فى الثانية بقوله: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ «۴»، أى:

---

(۱) سورة: المرسلات، الآيات: ۱۵، ۱۹، ۲۴، ۲۸، ۳۴، ۳۷، ۴۰، ۴۵، ۴۷، ۴۹.

(۳) سورة: التوبة، الآية: ۷۰.

(۴) سورة: المرسلات، الآية: ۲۰.

(۲) سورة: المرسلات، الآيتان: ۱۴ و ۱۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۵

جعلنا أشرف ما تشاهدون من أقل ما تعرفون، و هو النطفة التى أقرها فى الرحم، و نقلها حالا بعد حال حتى بلغ حد التمام و الكمال، استواء جوارح و وصل مفاصل و أجرى هذا التقدير فى جميع ما يولد من الحيوان، و خلق فيهم مجارى أغذيتهم و مشارب القوة المستفادة من أكلهم، فدل بما نبه عليه من النشأة فى الابتداء على النشأة الثانية للانتهاء، فقال: ويل لمن كذب به بعد لزوم الحجة له،

ثم احتج عليهم فى الثالثة بقوله: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً «۱» أى: جعلناها تضم أحياءهم و موتاهم بما تخرج من أقواتها، كما قال: مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى «۲» هذا مع ما أقام فيها من الجبال الثوابت الرفيعة التى هى أوتاد الأرض، و ما أجرى فيها للحيوان من الماء العذب، و فى كل ذلك دليل على أنه قادر عليم و صانع حكيم، لم يخلق الناس عبثا، و لم يتركهم سدى، و هو كما يبدى يعيد ليحق منه الوعد و الوعيد، ثم قصرت ثلاثة على ما يكون من تبكيتهم على ما كذبوا به عند مشاهدتهم له، و هى: انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ «۳»، أى: يقال لهم يوم القيامة ذلك، و الثانى من هذه الثلاثة: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ «۴» و الثالث: هذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ «۵» فأمروا أولا بالانطلاق إلى ما كذبوا به، و فى الثانى معناه: امضوا إليها فلا عذر لكم و لا حجة، فقد أعذر إليكم فى الدار الأولى من مكثكم، و فى الثالث هذا يَوْمُ الْفَصْلِ و معناه معنى قوله: وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ «۶»؛ لأنكم جمعتم فى يوم يفصل فيه بين المطيع و العاصى، و المحق و المبطل، و معنى قوله: فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ «۷»، أى: إن كنتم تغتاظون و تسخطون لمخالفة ما أمركم به، و اليوم قد عجزتم عن أنفسكم فإن قدرتم على ما كنتم تفعلونه قبل ما فعلوا، كما قال: وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ «۸» و بقيت أربعة بعد أولها: وصف أهل الجنة أنهم يجازون بأعمالهم و يصيروا إلى ثمرات أفعالهم، و بعد الثانى: خطاب لمن فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و سلم و مبالغة فى زجرهم، و أنهم فى إيثارهم العاجلة الفانية على الآجلة الباقية من جملة المجرمين، الذين قال فيهم عند مفتتح هذه الآية:

كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ «۹» فرجع عجز الكلام إلى صدره، كقوله:

---

(۱) سورة: المرسلات، الآية: ۲۵.

(۶) سورة: يس، الآية: ۵۹.

(۲) سورة: طه، الآية: ۵۵.

(۷) سورة: المرسلات، الآية: ۳۹.

(۳) سورة: المرسلات، الآية: ۲۹.

(۸) سورة: القلم، الآية: ۴۲.

(۴) سورة: المرسلات، الآية: ۳۵.

(۹) سورة: المرسلات، الآية: ۱۸.

(۵) سورة: المرسلات، الآية: ۳۸.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۶

كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ «۱» و بعد الثالث: خبر عنه بأنهم مكرهون التجبية، كما يحكى عن هند بنت عتبة لما قال لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يوم الفتح: «يا هند كيف ترين الإسلام»، قالت: بأبى و أمى ما أحسنه، لو لا ثلاث خصال، فقال: «و ما هن»، قالت: التجبية، و الخمار، و رقى هذا العبد الأسود فوق الكعبة، قال صلّى اللّه عليه و سلم: «أما التجبية فإنه لا صلاة إلا بركوع، و أما قولك الخمار، فلا شيء أحسن و لا أستر من الخمار و أما قولك و رقى هذا العبد الأسود فوق الكعبة فنعم عبد اللّه هو». يقال: جبى الرجل يجبى تجبية، إذا ركع، و منه قوله:

كأن خصييه إذا ما جبا دجاجتان يلقطان حبا

فكراهتهم للتجبية من أجل ما يحكى عن أحدهم أنه قال: أكره أن تعلونى استى، و معنى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ «۲» إذا دعوا إلى الصلاة لم يصلوها لا بحجة و لا بشبهة، و لكن بباطل نحو ما حكيناه، و قيل: لم يصلوا لجهلهم بما فى الصلاة من المنافع لصاحبها، و قيل: لم يصلوا لتكذيبهم بوجوبها، و بعد الرابع قوله تعالى: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ «۳»؛ أى: إذا كذبوا بالقرآن المتضمن

لوجوب الصلاة، و بذل غاية الخضوع بالسجود و الركوع لمن له غايات الإحسان، فلم يصدقوا أنه من عند اللّه مع ما قارنه من واضح البرهان، فبأی كلام يسمحون بعده بالإيمان، و معنی قوله: ارْكَعُوا، أی: صلوا، و منه قوله تعالی: وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ «۴»، أی: مصلون، و إذا كان قوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ردف كلام يدل علی ما يجب تصديقه و ترك التكذيب به، و كانت المعانی مختلفة، سلم من التكرار و علی الترتيب الذی بينا يتبين ما يختص بالتقديم مما يختص بالتأخير.

---

(۱) سورة: المرسلات، الآية: ۴۶.

(۲) سورة: المرسلات، الآية: ۴۸.

(۳) سورة: المرسلات، الآية: ۵۰.

(۴) سورة: المائدة، الآية: ۵۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۷

۷۸- سورة النبأ آيتان

الآية الأولی منها

قوله تعالی: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ «۱».

للسائل أن يسأل عن تكرار ذلك و فائدته.

الجواب أن يقال: إن الأول: وعيد بما يرونه فی الدنيا عند فراقها من مقرهم، و الثانی: وعيد بما يلقونه فی الآخرة من عذاب ربهم، و إذا لم يرد بالثانی ما أريد بالأول، لم يكن تكرارا، و قيل: الأول توعد بالقيامة و هولها، و الآخر توعد بما بعدها من النار و حرها.

الآية الثانية منها

قوله تعالی: إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً جَزاءً وِفاقاً «۲» و قال فی وصف أهل الجنة:

وَ كَأْساً دِهاقاً لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا كِذَّاباً جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً «۳».

للسائل أن يسأل: عن الجزاءين؟ و وصف الأول منهما بالوفاق و وصف الثانی بأنه حساب؟ و هل كان يصح أن يقال فی العطاء: وفاقا، و فی العقاب: حسابا؟.

الجواب أن يقال: إن اللّه تعالی قال: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها «۴» و قال: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها «۵» وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها «۶»

---

(۱) سورة: النبأ، الآيتان: ۴ و ۵.

(۲) سورة: النبأ، الآيتان: ۲۵ و ۲۶.

(۳) سورة: النبأ، الآيات: ۳۴- ۳۶.

(۴) سورة: الأنعام، الآية: ۱۶۰.

(۵) سورة: القصص، الآية: ۸۴.

(۶) سورة: الأنعام، الآية: ۱۶۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۸

فلما كانت الحسنة بأضعافها و السيئة بمثلها، استعمل فى جزاء السيئة أنه وفاق لها غير زائد عليها و لا قاصر عنها، و لما كانت الحسنة بأضعافها، استعمل فى جزائها أنه عطاء يكفى معطاه و يبلغ من مطلوبه منتهاه، فقال: عطاء بحسبه، أى: يكفيه مما يريد و يشتهيه، و يغنيه عن طلب زيادة إليه، و إذا كان كذلك لم يصلح لكل مكان إلا ما استعمل فيه.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۵۹

۷۹- سورة النازعات

آية واحدة

و هى قوله تعالى: فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى «۱» و قال فى سورة عبس «۲»: فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ.

للسائل أن يسأل: عما سماه: الطَّامَّةُ الْكُبْرى و عما سماه: الصَّاخَّةُ؟ و هل صلح أن تستعمل الأولى مكان الثانية، و الثانية مكان الأولى؟.

الجواب أن يقال: إن الطَّامَّةُ تستعمل فى الشديدة التى تنسى عندها الشدائد، فتطم على ما تقدمها، أى: تستره و تغطيه، و منه يقال: طمّ البئر إذا كبسها، و الطم:

الكبس، و القيامة: الطامة الكبرى؛ لأنها تنسى شدتها ما تقدم من شدائد الدنيا حتى يصير الناس فيها كما قال اللّه تعالى: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها «۳» أى:

تصير شدائد الدنيا عندها محتقرة بمنزلة ما لم يروه إلا ساعة كعشية أو ضحاها، و إنما استعملت: الطَّامَّةُ الْكُبْرى فى هذه السورة؛ لأن فيها ذكر ما أوتى به فرعون من الطَّامَّةُ الْكُبْرى فى الكفر، حيث قال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى «۴» فهذه فى الكبائر كشديدة الآخرة فى الشدائد، فكأنه قرن إلى ذكر الكبيرة الموفية على أمثالها ذكر الطَّامَّةُ الْكُبْرى و أهوالها.

و أما: الصَّاخَّةُ فهى صيحة تطعن الآذان فتصمها، يقال: صخ الغراب بمنقاره فى دبر البعير، أى: طعن، فالصاخة صيحة شديدة لشدة صوتها تحيى لها الناس كالصيحة الشديدة التى يتنبه لها النوام، فلما تقدم فى هذه السورة من حالة الإنسان ما نطق به قوله:

---

(۱) سورة: النازعات، الآيتان: ۳۴ و ۳۵.

(۲) الآية: ۳۳.

(۳) سورة: النازعات، الآية: ۴۶.

(۴) سورة: النازعات، الآية: ۲۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۰

ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ «۱» كان الإنشار بالصاخة التى تطعن الآذان، فيقضى اللّه عندها إحياء الموتى، فقارن الآيات التى فى السورة الأولى ما شاكلها، و الآيات فى الآخرة ما شابهها، و السلام.

۸۰- سورة عبس

مرّ ما فيها فيما قبلها.

---

(۱) سورة: عبس، الآيتان: ۲۱، ۲۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۱

۸۱- سورة التكوير آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ «۱» و قال فى سورة انفطرت «۲»: وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ.
للسائل أن يسأل: عن اختصاص الأولى بقوله: سُجِّرَتْ و اختصاص الثانية بقوله: فُجِّرَتْ؟.
الجواب أن يقال: إن الأفعال التى جاءت بعد: (إذا) فى السورة الأولى فى جملتها: وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ «۳» وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ «۴» و لم يكن ذلك فى السورة الثانية، و معنى: سجّرت البحار: أوقدت، فصارت نارا كما يسجر التنور، و قيل: المراد بها: بحار فى جهنم تملأ حميما ليعذب بها أهل النار، فكان ذكر هذا المعنى حيث وقع التوعد بتسعير الجحيم أشبه و أولى.
و أما قوله: وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ فإنما معناه: سيب ماؤها فأسيح، حتى فاضت على وجه الأرض، فتساوى بالماء و لجج البحار شعف الجبال، فكان هذا أولى بهن بهذا المكان؛ لأن قبلها خبرا عن الأشياء التى يحكم اللّه تعالى بمزايلتها أماكنها، كقوله: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ و معناه: انشقت، كما قال: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ «۵» و بعده: وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ «۶» و بعده: وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ فبإزاء انتثار الكواكب انفجار البحار، فكان الإخبار عنها بهذا المعنى أولى بهذا المكان، لتقدم ما يشبهها من التغيير، و مجىء ما هو تزييل عن مكانه من بعثرة القبور.

---

(۱) سورة: التكوير، الآيتان: ۶، ۷.

(۴) سورة: التكوير، الآية: ۱۳.

(۲) الآيتان: ۳، ۴.

(۵) سورة: الرحمن، الآية: ۳۷.

(۳) سورة: التكوير، الآية: ۱۲.

(۶) سورة: الانفطار، الآية: ۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۲

الآية الثانية من سورة التكوير

قوله تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ «۱» و قال بعدها فى سورة انفطرت: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ «۲».
للسائل أن يسأل فيقول: قال اللّه تعالى: لما كانت القيامة و غيّر اللّه ما به قوام الدنيا لما يريد من إبطالها و تجديد أمر الآخرة، حينئذ علمت نفس ما أحضرت، و قال فى السورة الأخرى: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ فهل يصح مكان: ما أَحْضَرَتْ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ فيجاب فى سورة التكوير بما أجيب به فى سورة الانفطار، أم خصوص الفائدة توجب تخصيص اللفظة؟.
الجواب أن يقال: إن الأول لما جاء بعد ذكر النار و الجنة و هو قوله: وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ «۳»، أى: علمت عملا تستحق به الجنة أحضرت أم عملا تستحق به النار؟، و كذلك إذا نولت الكتاب و رأت الثواب و العقاب، و أما الثانى، فإنه بعد قوله: وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ «۴»، أى: قلب ترابها و جعل أسفلها أعلاها بإخراج موتاها، فلما كان آخر شرط، انقطع إلى ذكر الجزاء لفظا ذا نقيض، و هو:

البعثرة التى تجعل أسفل الشيء أعلاه، كان أن يجعل الجزاء ما يتضمن لفظا ذا نقيض أولى من غيره، و هو: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ، و قيل: معناه: ما أقامت من طاعة اللّه و ما تركت، و قيل: علمت نفس جميع ما عملته مدة عمرها فى الدنيا، و ما فعلته فى أول شبابها، و ما فعلته آخر أيامها، و قيل: معناه: ما قدمت من عملها الذى انقطع بانقطاع حياتها، و ما أخرت من سنة سنتها، فعمل بها بعده، و إذا كان كذلك، فقد قرن إلى كل شيء شرط جوابه الذى هو أشبه بما قاربه، و أولى لما قارنه.

۸۲- سورة الانفطار

مرّ ما فيها فى السورة التى قبلها.

---

(۱) سورة: التكوير، الآية: ۱۴.

(۳) سورة: التكوير، الآيات: ۱۲- ۱۴.

(۲) سورة: الانفطار، الآية: ۵.

(۴) سورة: الانفطار، الآية: ۴.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۳

۸۳- سورة المطففين آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ «۱» و قال تعالى فى كتاب الأبرار: كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ «۲».

للسائل أن يسأل: عن قوله: كِتابٌ مَرْقُومٌ و انقطاع إلى قوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، و انقطاعه الثانى إلى قوله: يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ؟.

الجواب أن يقال: قوله فى: سِجِّينٍ فسر على وجوه، قال أبو عبيدة: سِجِّينٍ شديد، و منه قول ابن مقبل: ضربا تواصوا به الأبطال سجينا، أى: شديد، و هذا يحمل على وجهين فى حبس شديد كشدة السجن، ليدل به على خساسة منزلتهم، و قيل: سجين أى: أمر عظيم شديد عذابه و غمه، و قيل فى سجين: فى الأرض السابعة، و قيل فى سجين أى: فى سجن، و الياء للمبالغة، أى: كتاب سيئاتهم فوجب تخليد حبسهم، و قيل:

كتابهم لما دام التقريع به دام عقابهم له، و معنى قوله: وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ، أى: ليس هذا مما كنت تعلمه أنت و لا قومك لو لا ما أتاك به الوحى من عندنا، ثم فسّر فقال:

كِتابٌ مَرْقُومٌ؛ أى: كتاب معلم بعلامات تدل على دوام خزيهم و اتصال عذابهم بما فيه من سيئاتهم، ثم قال: ويل لهم؛ لأنهم كذبوا رسل اللّه، و أما قوله: كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، أى: فى مراتب عالية مكنوفة بجلالة، فلما فضلت الرتب، دلت على عظم شأنها بجمعها بالواو و النون، تشبيها بما يميز و يخاطب، و قيل: علّيون: السماء السابعة و فيها أرواح المؤمنين، و قيل علّيون: غرف الجنة، و قيل: سدرة المنتهى، و هى

---

(۱) سورة: المطففين، الآيات: ۷- ۱۰.

(۲) سورة: المطففين، الآيات: ۱۸- ۲۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۴

التى ينتهى إليها كل شيء من أمر اللّه، و هى فى السماء السابعة، و قيل: عليون: علو على علو مضاعف، و الواحد علّىّ كشرّيب و سكّير و خمّير، فكأنه لأعلى الأمكنة، ثم جمع بالواو و النون لتفخيم شأنه، و قيل: هذا جمع لما لا يحد واحده كثلاثين و أربعين، فثلاثون كأن لفظه لفظ جمع ثلاث، قال الزجاج، و هو كما قال الشاعر:

فكان دهيدهين و ابيكرين فكان دهيدهين و هى: حاشية الإبل و صغارها، و ابيكرين: جمع ليس واحده معلوم العدد، و قوله فى كتاب الأبرار: كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ، أى: كتاب معلم بعلامات تدل على ما يقرّ أعينهم و يوجب دوام سرورهم، لما أودع من حسناتهم المفضية بهم إلى جناتهم، فكان رقم كتاب الفجار ما يوجب المصير إلى النار، فانقطع إلى ما يوجب الويل لهم، و رقم كتاب الأبرار ما يوجب المصير إلى غرف الجنان، و رضى الرحمن، فانقطع إلى ذكر مشاهدة المقربين و تبشيره بدوام نعيم صاحبه.

الآية الثانية من سورة المطففين

قوله تعالى: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ «۱».

للسائل أن يسأل: عن إفراد هذا فى هذه السورة، مع تكراره فى سورة المرسلات عشر مرات؟.

الجواب أن يقال: إن قوله: (ويل) لهم كلمة تقال فى كل من وقع فى هلكة لا يرجى خلاصه منها، و هى فى سورة و المرسلات قد بينا وجه الفائدة فيما أعيد منها، و هى فى هذه السورة مذكورة مرة واحدة؛ لأنها مقصورة على الترهيب من النار و وصفها، و معاقبة أهلها، و على الترغيب فى الجنة، و نعيم أهلها، ليس فى السورة غير هذين المعنيين، فلما جردت لهما ذكرت الكلمة عند ذكر ما كتب على المكذبين، و أعلم به كتابهم بما يكون إليه مآلهم، ثم شرع فى وصف كتاب الأبرار و محله، و تبعيد ما بين جزائهم و جزاء غيرهم، فاكتفى بذكر الكلمة مرة لما بنى على اختصار السورة، و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة: المطففين، الآيتان: ۱۰ و ۱۱.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۵

۸۴- سورة الانشقاق آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَ أَلْقَتْ ما فِيها وَ تَخَلَّتْ وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ «۱».

للسائل أن يسأل: عن تكرير قوله: وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ.

الجواب أن يقال: إن الأول للسماء، و الثانى للأرض، أمرت بالانصداع، فسمعت و انقادت لأمر اللّه تعالى و انصدعت و حق لها أن تسمع و تطيع، و معنى أذنت: سمعت، لا أنها سمعت بإذن، قال عدى:

فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ما ذى مشار

و قوله: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، أى: بسطت بانتساف جبالها و تطأطؤ آكامها و تلالها، و ألقت ما حوته من الموتى و المعادن و الكنوز، و تخلت منها كما تتخلى المرأة الحاملة من حملها إذا ألقت ما فى بطنها، و سمعت و أطاعت و حق لها ذلك، يقال: حقت فهى محقوقة و حقيق بكذا، و يقال لها أيضا: حق لها ذلك، فالأول لغير ما له الثانى فلا يكون تكرارا.

الآية الثانية منها

قوله تعالى: بَلِ الَّذِينَ كَفرُوا يُكَذِّبُونَ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ «۲» و قال فی سورة البروج: «۳» بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی تَكْذِيبٍ وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ.

---

(۱) سورة: الانشقاق، الآيات: ۱- ۴.

(۲) سورة: الانشقاق، الآيتان: ۲۲ و ۲۳.

(۳) سورة: البروج، الآيتان: ۱۹، ۲۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۶

للسائل أن يسأل: عن اختصاص الأولى بقوله: يُكَذِّبُونَ و الثانية بقوله: فِی تَكْذِيبٍ؟.

الجواب أن يقال: معنى قوله: يُكَذِّبُونَ و هم: فِی تَكْذِيبٍ واحد، و اختلف اللفظان لاختلاف الفواصل فی السورتين، أ لا ترى أن قبل الأولى: فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ «۱» فكانت يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الفواصل التی تقدمتها على يفعلون، فجعلت هذه تابعة لها مع صحة المعنى و اللفظ، و الثانية فی فواصل مردفة بياء أو واو، و هی قوله: هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی تَكْذِيبٍ وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ «۲» صحة اللفظ و المعنى.

۸۵- سورة البروج

ليس فيها إلا ما ذكرناه.

۸۶- ۸۹ من سورة الطارق إلى البلد

ليس فيهن شیء من ذلك.

---

(۱) سورة: الانشقاق، الآيات: ۲۰- ۲۲.

(۲) سورة: البروج، الآيات: ۱۷- ۲۰.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۷

۹۰- سورة البلد آيتان

الآية الأولى منها

قوله تعالى: لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ «۱».

للسائل أن يسأل: عن تكرير: (البلد) و جعله فاصلة بين الآيتين، و هل ذلك مما يرتضى فی البلاغة و يعد من جملة الفصاحة؟.

الجواب أن يقال: إذا عنى بالثانی غير المقصود بالأول من وصف، يوجب له حكما غير حكم الأول، كان من مختار الكلام، فالبلد الأول قصد به وصف لم يحصل فی الثانی، و هو: مكة؛ لأن معنى: أقسم بالبلد المحرم الذی جبلت على تعظيمه قلوب العرب، فلا يحل فيه لأحد ما أحل للنبی صلّى اللّه عليه و سلم، فقوله: وَ أَنْتَ حِلٌّ، أی: محل أحل لك منه ما حرم على غيرك، فصار المعنى: أقسم بالبلد المحرم تعظيما له، و هو مع أنه محرم على غيرك محل لك إكراما لمنزلتك، فالبلد فی الأول محرم، و فی الثانی محلل، و كان

النبى عليه الصلاة و السلام أحل له قتل من رأى قتله حين أذن فى قتال المشركين، فأمر بقتل ابن خطل صبرا، و هو متعلق بأستار الكعبة، و لم يحل لأحد قبله و لا يحل لأحد بعده ما أحل له، و إذا كان كذلك صار الثانى معنيا به غير ما عنى بالأول، فكأنه ذكر وصفا غير وصفه المتقدم، فجمع فوائد من تعظيم البلد و تعظيم النبى صلّى اللّه عليه و سلم حين أبيح له ما حظر منه على سواه، و قيل: أحلّت له ساعة من نهار و لم تحل لغيره.

و الآية الثانية منها

قوله تعالى: وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی کَبَدٍ «۲» و قال بعده فى

---

(۱) سورة: البلد، الآيتان: ۱ و ۲.

(۲) سورة: البلد، الآيتان: ۳ و ۴.

و التين «۱»: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيم.

للسائل أن يسأل: عن اختلاف ما بعد لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فى الموضعين؟

وصلة الأول بقوله: فِی کَبَدٍ و الثانى بقوله: فِی أَحْسَنِ تَقْوِيم؟.

الجواب أن يقال: قوله: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی کَبَدٍ أقوال، أولها: فى شدة و نصب يكابد أمر الدنيا و أمر الآخرة، و الثانى: فى انتصاب قامته، و سائر الحيوان كالمنكب على وجهه غير منتصب، و الثالث: هو مخلوق فى شدة أمر تكوّنه، أولا فى الرحم فى ظلمات ثلاث، ثم ينتقل إلى القماط و الرباط، ثم عند البلوغ على الخطر العظيم مما يقوده إليه عمله من جنة أو نار، فالدنيا له دار كد و مشقة، و الآخرة له دار راحة و نعمة إن وافاها بما كلف من طاعته، و الرابع: أنه خلق فى بطن أمه و رأسه قبل رأسها منتصبا كانتصابها، فإذا أرادت الولادة، انقلب الرأس إلى أسفل فيخرج رأسه قبل رجليه، و قد تخرج رجلاه قبل رأسه، و ذلك نادر، و الأول عام شائع، فهذه الأوجه الأربعة تعمّ جميع الناس لا يستثنى أحد منهم، ثم خص بعض الكفار بالذكر عن هذا العموم، فقال: أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ «۲» فلما تقدم القسم بوالد و ما ولد، و فيه قولان: أحدهما: آدم و ولده، و القول الثانى: كل والد و كل مولود، قرن إلى القسم العام بما يشبهه من الجواب العام، و أما قوله: وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ «۳» فقد قيل فيهما: إن التين: دمشق، و الزيتون: بيت المقدس، و قيل: جبل عليه دمشق، و جبل عليه بيت المقدس، و قيل: مسجدان، فالتين:

مسجد نوح عليه السّلام، و الزيتون: مسجد دمشق، و قيل: التين: الذى يؤكل، و الزيتون: الذى يعصر، فالقسم واقع بأشياء مخصوصة من بقاع أو غيرها، فعلق بجواب وقع فيه تخصيص بالاستثناء، و هو: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيم ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ «۴»؛ أى: خلقناه فى أحسن صورة ثم رددناه، يعنى: الكافر إلى أقبح صورة، حين حط من الخلق الأول إلى المحط الأسفل، فصار فى أوحش منظر بعد أن كان فى أحسن صورة، و قيل: فِی أَحْسَنِ تَقْوِيم، أى: فى خلقة قويمة، و دلالة على طريقة مستقيمة ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إلى أرذل العمر، و هو: الضعف الذى يفقد معه العلم، و لا يملك فيه إقامة الطاعات و الثبات على العبادات إلا المؤمنين، فإنهم يوفون أوقات العبادات التى كانوا يقيمونها إذا لم يقدروا مع الضعف الذى نقلهم اللّه إليه أجرهم، يدل على ذلك قوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ و إذا كان

---

(۱) سورة: التين، الآية: ۴.

(۳) سورة: التين، الآية: ۱.

(۲) سورة: البلد، الآية: ۵.

(۴) سورة: التين، الآيات: ۴- ۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۶۹

معنى الآيتين ما ذكرنا، لاق بكلّ من القسمين الجواب الذى جاء له، و يمكن أن يجاب عن الفرق بين الموضعين بالفواصل؛ لأن القسم فى سورة البلد بهذا اللفظ، و هو قوله:

وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ «۱».

ليس فى الشمس و الليل و الضحى

شىء من ذلك.

---

(۱) سورة: البلد، الآية: ۳.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۷۰

۹۴- سورة الشرح

آية واحدة

و هى قوله تعالى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً «۱».

للسائل أن يسأل: عن فائدة تكراره.

و الجواب: أن اللّه تعالى وعد فى عسر أن يعقبه بيسرين، و أن من كان فى شدة، قطعها عنه إلى نعمة بعد نعمة، و لهذا قال عليه الصلاة و السلام: «لن يغلب عسر يسرين»؛ لأن العسر لما أعيد لفظه معرفا كالأول لم يكن إلا إياه، و يسر لما أعيد لفظه نكرة كان غير الأول، و إذا لم يكن ذاك لم يكن تكرارا.

۹۵- سورة التين

قد تقدم ما فيها.

---

(۱) سورة: الشرح، الآيتان: ۵ و ۶.

درة التنزيل و غرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، ص: ۳۷۱

۹۶- سورة العلق آية واحدة

و هى قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ «۱».

للسائل أن يسأل: عن تكرير (خلق).

الجواب أن يقال: قوله: (خلق) بعد (الذى) عام فى المخلوقات كلها سمائها و أرضها، ثم استأنف التنبيه على خلق المخاطبين أنفسهم، فقال: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ أى: اعرف انقلابه من حال الدم إلى ما يشاهد، لتعرف حاله الثانية التى ليست بأبعد فى نفسك من هذه

الناشئة، و إن كان كذلك سلم من التكرار، و اللّه أعلم.

ليس فى القدر و لم يكن إلى التكاثر

شيء من ذلك.

(۱) سورة: العلق، الآيتان: ۱ و ۲.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۷۲

۱۰۲– سورة التكاثر آية واحدة

و هى قوله تعالى: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ «۱».

للسائل أن يسأل: عن تكرير اللفظين.

الجواب: أن أحدهما توعد غير ما توعد به الآخر، فالأول: توعد بما ينالهم فى الدنيا، و الثانى: توعد بما أعد لهم فى الأخرى، و قيل: الأول: ما يلقونه عند الفراق إذا بشروا بالمصير إلى النار، و الثانى: ما يرونه من عذاب القبر، فكلاهما عذاب فى الدنيا، إلا أن أحدهما غير الآخر، و هو مثله فى الشدة، فذلك أعيد بتلك اللفظة، و إذا حمل على عذاب الدنيا و عذاب الآخرة لم يكن تكرارا.

ليس فى العصر إلى الكافرين

شيء من ذلك.

(۱) سورة: التكاثر، الآيتان: ۴ و ۵.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۷۳

۱۰۹– سورة الكافرون

إن سأل سائل عن التكرار فى هذه السورة.

الجواب: أن واحدا فى هذا الموضع، و هو أن يقال: معناه: لا أعبد الأصنام لعلمى بفساد ذلك، و لا أنتم تعبدون اللّه لجهلكم ما يوجب عليكم، و لا أعبد آلهتكم لتعبدوا اللّه مناوبة بيننا، و لا أنتم تعبدون اللّه من أجل أن يكون سبقت منى عبادة آلهتكم، و ذلك أن المشركين قالوا له عليه الصلاة و السلام: اعبد سنة ما نعبد، و نعبد سنة ما تعبد، و نشترك نحن و أنت فى أمرنا كله، فقال فى الأول: لا يكون منى عبادة الأصنام لعلمى ببطلانها، و لا تكون منكم عبادة اللّه لجهلكم بأنه وحده هو الذى تحق له العبادة، و قال فى الثانى ما نفى العبادة التى دعوا إليها مناوبة منهم، فلم يقع تكرارا على هذا الوجه و لا على الوجه الآخر التى ذكرنا فى جامع التفسير.

ليس فيما بعدها إلى سورة الناس

شيء من ذلك.

درة التنزيل و غرة التأويل فی بيان الآيات المتشابهات فی كتاب الله العزيز، ص: ۳۷۴

۱۱۴- سورة الناس

للسائل أن یسأل: عن تکریر: (الناس) فی قوله فی فواصل هذه السورة فی خمسة مواضع، و هی ست آیات قد ختمت أواخر خمس منها بالناس، و واحدة بالخنّاس.

الجواب عن ذلک: أن یقال: إنما اتّصف اللّه تعالی أولا: بِرَبِّ النَّاسِ «۱» ثم:

ب مَلِکِ النَّاسِ «۲»، ثم: ب إِلهِ النَّاسِ «۳»، لحکمة دعت إلی ذلک، أوجبت تقدیم الأول و تعقیبه بالثانی و الثالث علی الترتیب الذی جاء؛ لأن رب الشیء هو القائم بإصلاحه و تدبیر أمره، فتبّه بتقدیمه علی ما ترتّب من نعمه علی الإنسان لما أنشأه و رباه، و هذه أولی أحواله، و الثانیة: إنعامه علیه بالعقل الذی ثبتت علیه ملکته له، فعلم أنه عبد مملوک، و أن الذی بلغ به تلک الحال من حد الطفولیة هو الذی یملکه و أمثاله، فجعل الوصف الثانی: مَلِکِ النَّاسِ و لما کان بعد ذلک تکلیف العبادات التی هی حق اللّه تعالی علی من عرّفه نفسه أنه عبد مملوک، و عرفه أنه عز و جلّ خالقه، و تلزمه طاعته لیلتزم غایة التذلل لمن له أکبر الإنعام و التطوّل جعل الوصف الثالث: إِلهِ النَّاسِ فصار:

(الناس) الذین أضیف إلیهم: (رب) کأنهم غیر: (الناس) الذین أضیف إلیهم:

(ملک) و الذین أضیف إلیهم (ملک) غیر الذین أضیف إلیهم (إله) و إذا أرید بالثانی غیر الأول، لم یکن تکرارا؛ بل یکون کأنه قال: قل أعوذ برب الأجنة و الأطفال، الذین ربهم و رباهم وقت الإنشاء و التربیة، و حین لم یقدر آباؤهم لهم علی التغذیة، و بمن بلغ بالوالدین حدا عرفوه فیه بالملکة و أنفسهم بالعبودیة، ثم إله المکلفین المعرضین لأکبر النعم، و هم الذین بلغوا و قاموا بأداء ما کلفوا، فترتیب الصفات تنبیه علی أن المراد بالناس ذوو الأحوال المختلفة فی الصغر و الترعرع و البلوغ، فسلم علی ذلک من التکرار، و یتضمن هذا المعنی اللطیف الذی دل علیه ترتیب الصفات تعالی اللّه و کلامه عن المعاب، و قوله:

الَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النَّاسِ «۴» فالمراد بالناس الأول: الأبرار، و بالناس

---

(۱) سورة: الناس، الآیة: ۱.

(۳) سورة: الناس، الآیة: ۳.

(۲) سورة: الناس، الآیة: ۲.

(۴) سورة: الناس، الآیة: ۵.

درة التنزیل و غرة التأویل فی بیان الآیات المتشابهات فی کتاب الله العزیز، ص: ۳۷۵

الثانی: الأشرار، فکان المعنی: الَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النَّاسِ الأخیار من الجن، و أشرار الناس، فقد صار المعنی بکل واحد علی صفة غیر الصفة المعنی بالآخر، فکأنه غیره، و إن کان الجنس قد جمع هذا کله.

هذا آخر ما تکلمنا علیه من الآیات التی یقصد الملحدون التطرّق منها إلی عیبها، و الحمد للّه وحده، و صلوات اللّه و سلامه علی سیدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشیخ

الصَّدوق، الباب٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ١٣٤٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسّسةً و طريقةً لم ينطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَّع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّۀ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظۀ هامّۀ:

المیزانیّـۀ الحالیّـۀ لهـذا المرکز، شـَعبیّـۀ، تبرّعیّۀ، غیر حکومیّۀ، و غیر ربحیّۀ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّۀ و العلمیّۀ الحالیّۀ و مشاریع التوسعۀ الثّقافیّۀ؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّـۀ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحۀ بقیّۀ الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.